





جبال فَيْفاء وبني مالك

والمرتفعات الحُدوديَّـة السُّعوديَّـة اليَمَنيَّـة

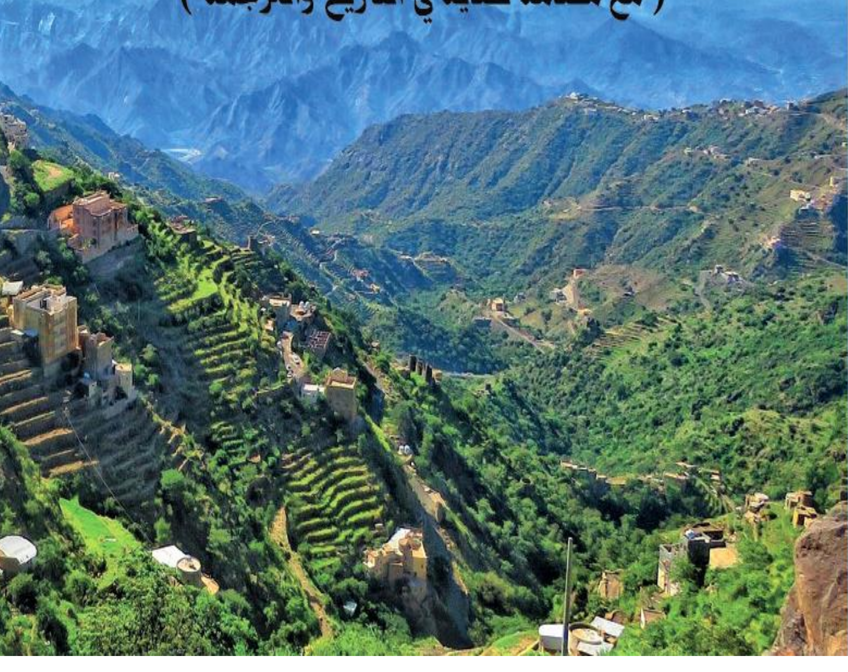
من رحلة (فِلْبِي) في «مرتفعات الجزيرة العربيَّة»

(السبت ٥- الخميس ١٧ شوَّال ١٣٥٥هـ= ١٩- ٣١ ديسمبر ١٩٣٦م)

ترجمة، وتحقيق، وتعليق:

أ.د/ عبدالله بن أحمد الفَيْفي

(مع مقدّمة نقديَّة في التاريخ والترجمة)



ترجمة، وتحقيق، وتعليق:
أ.د/ عبدالله بن أحمد الفَيْفي
جبال فَيْفاء وبني مالك
والمرتفعات الحُدوديَّة السُّعوديَّة اليَمَنيَّة
الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

جبال فَيْفاء
وبني مالك

جبال فَيْفاء وبني مالك

والمرتفعات الحُدوديَّة السُّعوديَّة اليَمَنيَّة

من رحلة (فِلْبِي) في «مرتفعات الجزيرة العربيَّة»

(السبت ٥– الخميس ١٧ شوَّال ١٣٥٥هـ= ١٩– ٣١ ديسمبر ١٩٣٦م)

ترجمة، وتحقيق، وتعليق:

أ.د/ عبداللّه بن أحمد الفَيْفي

(مع مقدّمة نقديَّة في التاريخ والترجمة)







الطبعة الأولى

1438 هـ - 2017 م

ردمك 978-614-01-2142-3

جميع الحقوق محفوظة



هاتف: 96673174000 +

فاكس: 96673175107 +

جازان - المملكة العربية السعودية

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb



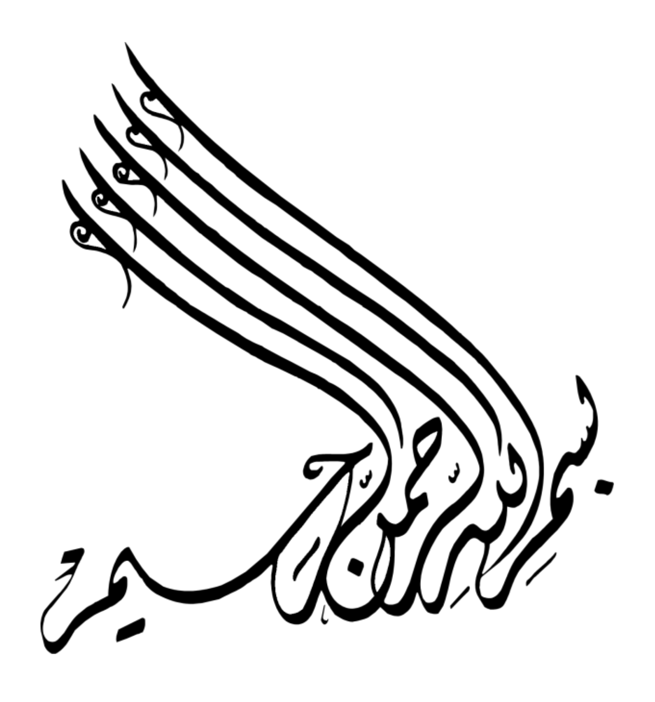
facebook.com/ASPArabic
twitter.com/ASPArabic
www.aspbooks.com
asparabic

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي **الدار العربية للعلوم ناشرون** ش.م.ل

تصميم الغلاف: **علي القهوجي**

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (9611+)

الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (9611+)



طبقًا للقوانين الدوليَّة لحماية المِلكيَّة الفكريَّة

لا يجوز نسخ أيّ جُزء من هٰذا الكتاب أو استعماله أو ترجمته، في أيِّ شكلٍ من الأشكال، أو بأيَّة وسيلةٍ من الوسائل- سواء أ كانت تصويريَّة أم إلكترونيَّة أم ميكانيكيَّة، بما في ذٰلك النَّسخ الفوتوغرافي، والتسجيل على أشرطة أو سواها، وحِفظ المعلومات واسترجاعها- دون إذنٍ خطِّي من المؤلِّف!

كما يجب أن تخضع الإفادة من الكتاب لمعايير الأمانة العِلميَّة المرعيَّة! ولسوف تقع أيُّ تجاوزات في ذٰلك كلِّه تحت طائلة القوانين الدوليَّة لحماية المِلكيَّة الفكريَّة!

المحتويات

صُوَرٌ من (فَيْفاء) و(بني مالك)

شوَّال ١٣٥٥هـ= ديسمبر ١٩٣٦م

مقدّمة نقديَّة

في التاريخ والترجمة

مقدّمة نقديَّة

في التاريخ والترجمة

-١-

تقع جبال (**فَيْفاء وبني مالك**) في جَنوب غَرب (**المملكة العربيَّة السُّعوديَّة**)، ضِمن النطاق التقريبيّ بين خط العَرض ١٧ درجة وخط الطول ٤٣ درجة.

ويقدِّر الرحَّالة (**وَلْفرِد ثَسِيجَر**)[١] ارتفاع (**جبال فَيْفاء**) بنحو ٦٠٠٠ قَدَم فوق مستوى البحر، في حين يقدِّر الرحَّالة (**فِلْبِي**)[٢] ارتفاعها بنحو ٥٨٠٠ قَدَم فوق مستوى البحر. كما يقدِّر **ثَسِيجَر**[٣] ارتفاع (**جبال بني مالك**) بنحو ٧٦٠٠ قَدَم. أمَّا تقدير الارتفاع بالأمتار، فارتفاع **جبال**

---

١ رحلة في تِهامة وعسير وجبال الحجاز، ١٢٢.

٢ انظر لاحقًا: ص٢٠٨.

٣ انظر: م.ن.

فَيْفاء يبلغ نحو (١٨١٤م)[١]، وارتفاع **(جبال بني مالك)** يربو على (٢٥٠٠م).

وطقس تلك الجبال معتدل بصفة عامَّة طوال السنة، إلَّا أنَّه أشدُّ ميلًا إلى البرودة في أعالي الجبال، وإلى الدِّفء والرطوبة في الجبال السُّفلَى. وأغزر الأمطار تهطل فيها صيفًا.

وسوف يصف لنا **(فِلْبِي)** التوزيع القَبَلي في كلٍّ من **(فَيْفاء وبني مالك)**، كما سوف نتوقف على ما أورد من ذٰلك ببعض التعليقات في مواطنها من الترجمة. غير أننا نشير هاهنا بإيجاز إلى المتواتر في رواية أهل الأنساب، الذاهبين إلى أنَّ قبائل **فَيْفاء** وبني مالك تنتسب إلى جدودٍ ثلاثة، هم: **(عُبَيْد بن أحمد)**، و**(عَطاء بن أحمد)**، و**(مالك بن أحمد)**[٢].

---

[١] انظر: الوليعي، عبدالله بن ناصر، **الجيولوجيا والتضاريس [منطقة جازان]**، **موسوعة المملكة العربيَّة السُّعوديَّة**، ١١: ٣٦.

[٢] ثمَّة من يقترح **(سعد أو أسعد)** مكان **(أحمد)**، غير أننا نميل إلى ما تواترت به مواريث الناس في أنسابهم، وهم يذكرون **(أحمد)**. أمَّا ما يزعمه بعضٌ من أنَّ الجدّ الثالث هو **(خالد بن أحمد)**، لا **(مالك بن أحمد)**، (فانظر مناقشتنا هٰذه المسألة في «التعليقات»، نهاية الترجمة: (*٧)).

ينتسب إلى الأوَّل (**آل عُبَيْد**)، وهم مجموعة قبائل في الجبال العُليا من (**فَيْفاء**)، وإلى الثاني (**وَلَدُ عَطا**)[١]، وهم مجموعة قبائل في الجبال السُّفلَى من **فَيْفاء**، وإلى الثالث (**بنو مالك**)، الذين يقطنون الجبال المجاورة، شَرق جبال **فَيْفاء**.

وبحسب النَّسَّابة، فإن قبائل **آل عُبَيْد** تضمُّ: (**مُغَامِر بن عُبَيْد**)، و(**عُمَر بن عُبَيْد**). من **مُغَامِر**: (**الموحي بن مُغَامِر**)، و(**شريف بن مُغَامِر**). من **الموحي**: (**آل الخُسافِيَة**)، و(**آل الداثِر**). ومن **شريف**: (**الأبيات**)، و(**آل سلمان**)، و(**آل المُثِيْب**). ومجموعة قبائل (**آل الخُسافِيَة، وآل الداثِر، وآل المُثِيْب**) كانوا يُسمَّون (**الحِلْف**)؛ لما كان بينهم من حِلْفٍ وتجاورٍ في المكان.

ويتبع (**آلَ المُغامِر**)، قَبَلِيًّا: قبيلةُ (**الأشراف**). ومعظمهم من «**أشراف آل البيت**»، قَدِموا إلى (**فَيْفاء**) من (**اليَمَن**)، أو

---

[١] أصل الكلمة: عَطاء، لٰكنهم يَقْصرون الكلمة لهجيًّا. وهم يُكنون بـ «**وَلَدِ عَطا**». وهٰذا استعمال فصيح؛ فـ«ولد» اسم جامع للواحد والكثير، والأُنثى والذَّكر. ومنه القول، مثلًا: «**إنَّ رسول الله خير وَلَدِ آدم**».

استقدمهم الفَيْفِيُّون بهدف التعليم، ثمَّ استوطنوا حتى كوَّنوا قبيلة، بلادها في الجهة الشَّماليَّة الشَّرقيَّة من جبال **فَيْفاء** العُليا.

كما يتبع **آلَ المُغامِر**، قَبَليًّا: (**آلُ مَخْشَم**). وهم نَقِيْلَةٌ[1] من (**آل جمار**) من قبيلة (**آل شراحيل**). و**آل شراحيل** قبيلة مستقلَّة النَّسَب عن قبائل (**فَيْفاء وبني مالك**)، تقع بلادها في الجهة الشَّرقيَّة من جبال **فَيْفاء**. وهي فرعان: (**آل جمار**)، و(**آل شرافة**).[2]

وكذا كان يتبع **آلَ المُغامِر**، قَبَليًّا: (**آلُ عمرو**). ونَسب هٰؤلاء يعود إلى (**آل سَلْمَى**) من (**بني مالك**). وقد عادوا للانضمام إلى **بني مالك**، منذ ١٣٧١هـ= ١٩٥١م.

أمَّا (**عُمَر بن عُبَيْد**)، فأبناؤه: (**أسعد**)، و(**عليّ**). من **أسعد**: (**آل ظُلْمَة**). ومن **عليّ**: (**أهل الدَّفْرة**)- و(**الدَّفْرة**) اسم بلادهم،

---

[1] نَقِيْلَة، في اللهجة: فرعٌ داخلٌ في قبيلة، لا يتَّصل بنسبها. والتعبير أصيل في العربيَّة؛ فالنَّقِيلُ: الغريب في القوم، والأُنثى نَقِيلة ونَقِيل. قالت (**الخنساء**):

تَرَكْتَنيْ وَسْطَ بَني عَلَّةٍ كأَنَّني بعْدَكَ فِيهِمْ نَقِيلْ

ويقال: «فلانٌ ابنُ نَقِيْلَة»، أي ليس من القوم. (انظر: ابن منظور، **لسان العَرَب**، (نقل)).

[2] وكان أهل (**فَيْفاء**) يُسَمُّون (**آل عُبَيْد** و**آل شراحيل**): «**اِمْقَيْسَتَين/ القَيْسَتَين**».

وكان يُطلَق عليهم: (**عُمَر السهل**)- و(**العُمَرِيُّون**)، وكان يُطلَق عليهم: (**عُمَر الجَبَل**).

وأمَّا (**وَلَدُ عَطا/ عَطاء**)، فلعَطاء ابنان: (**حُجْر**)، و(**صَلْت**). أولاد **حُجْر** كوَّنوا قبائل: (**آل بِلْحَكَم/ أبي الحَكَم**)[1]؛ (**آل المَشْنِيَة**)؛ (**آل الثُّوَيْع**)؛ (**آل عَبْدِل/ عبدالله**). وأولاد **الصَّلْت**: (**أهل مَدَر**)- و(**مَدَر**) اسم بلادهم- (**آل الحَرِب**)[2]؛ (**الأيتام**)؛ (**آل محمَّد**). وهٰؤلاء الثلاثة الأَخِيْرون صارت تجمعهم كنية: «**آل امْحَرِب**».

---

[1] صياغة الكُنية على «**بِلْحَكَم**»، بدل «**أبي الحَكَم**» صياغة كنائيَّة معروفة قديمة. منها مثلًا: «**بَلْعَنْبَر**»، من (**بني تميم**)، و«**بَلْحارث**»، في (**بني الحارث بن كعب**). غير أنَّ «**بِلْحَكَم**» بكسر الباء، وأغلب الظن أنَّه اختصار «**أَبِي الحَكَم**»؛ بقرينتَين: الأُولى، كسر الباء في نُطقهم، والثانية، إضافة «آل» إلى هٰذه الكُنية، ولو كانت الباء تعني «بني»، لما ساغ ذٰلك، وكان الوجه أن يُقال: «**بَلْحَكَم/ بنو الحَكَم**»، أو «**آل الحَكَم**». وليست هٰذه الصياغة الكنائيَّة مستعملة في قبائل (**فَيْفاء**) في غير هٰذه القبيلة. لٰكنها مستعملة في غير **فَيْفاء** في كُنية «**بَلْغازي**». والمسموع هاهنا، غالبًا، فتح الباء، دون إضافة «آل»، فيكون معنى «**بَلْغازي**»: «**بنو الغازي**». وهو ما يؤكِّد ما قلناه حول «**بِلْحَكَم**».

[2] كذا ينطقون الاسم: «**آل امْحَرِب**»، لا «**امْحَـرْب**». ما يشي بأنَّ جَدَّهم ربما كان اسمه: (**حَرِب**)، لا (**حَرْب**)؛ لأنَّهم- في غير اسم القبيلة- ينطقون الكلمة: «**اِمْحَـرْب**».

وكانت شِيْخَة (**فَيْفاء**) في (**أهل النُّصْب**)، ثمَّ في (**آل المُعَكْوِي**) من (**أهل مَدَر**)، ردحًا من الدهر. ويُقال إنَّ قطاعًا واسعًا من **فَيْفاء** كان في أيديهم.[1] والشِيْخَة اليوم في (**آل سَنْحان**) من (**آل المُثِيْب**).

وأمَّا (**بنو مالك**)، فقد فصَّل (**فِلْبِي**) القول في قبائلهم تفصيلًا مُغْنِيًا عن تكراره هاهنا، فانظر ذٰلك في موضعه من الترجمة.[2]

تلك الفروع الثلاثة (**عُبَيْد وعَطاء ومالك، أبناء أحمد**)، يعود نسبهم إلى (**هانئ بن خَوْلان بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة بن مالك بن عمرو بن مُرَّة بن زيد بن مالك بن حِمْـيَر بن سَبَأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان**).[3]

---

[1] انظر: الفَيْفاوي، عليّ بن قاسم، «**فَيْفاء**»، مجلَّة «المنهل»، عدد جمادَى الآخرة ١٣٨٩هـ، ص ص٨٤٧- ٨٤٨.

[2] انظر: ٢٤٩- ٠٠٠.

[3] (**خَوْلان**): خَوْلانان، يقع الخلط بينهما قديمًا وحديثًا، هما: (**خَوْلان كَهْلان**)، و(**خَوْلان حِمْيَر**). (انظر تفصيلًا في «التعليقات»، نهاية الترجمة: (*١)).

لم يخضع أهالي تلك الجبال، قبل الدولة السُّعوديَّة الحديثة، لسُلطان خارجيّ. وذٰلك لموقعهم في تلك الجبال الشُّمّ النائية، المكتفية ذاتيًّا، ولبأسهم في المواجهات، ما منحَهم استقلالًا سياسيًّا عن نفوذ الدُّوَل وتسلُّط السلاطين، ووهبَهم سلامًا من الغزوات والاجتياحات التي كانت تعصف بالبلدان المجاورة بين الحين والآخَر. ولذا حافظوا أيضًا على تراثهم العربي، ولُغتهم الفصيحة العريقة. وهي خاصِّيَّة لحظها (**الهمدانيُّ**)[1] وسجَّلها لأهالي تلك الجبال من (**خَوْلان قُضاعة**)، حيث قال: «**خَوْلان صَعْدَة، نَجديُّها: فُصَحاء**». غير أنَّهم قد تعرَّضوا في القرون الأخيرة لبعض الغزوات التي ناوشتْهم فصدُّوها. جاءت أُولى أخبارها أنَّها كانت من قِبَل (**اليَمَن**)، وجاءت في مرَّاتٍ تاليةٍ من قِبَل (**المخلاف السُّليماني**)، في تِهامة (**جازان**).

---

[1] صِفة جزيرة العَرَب، ٢٥٠.

١- في أخبار سنة ٩٤٢هـ= ١٥٣٥م:

أوَّل ما يصادفنا في ذٰلك خبرٌ يورده المؤرِّخ (**يحيَى بن الحسين بن القاسم بن محمَّد بن علي، ١٠٣٥- ١١٠٠هـ= ١٦٢٥- ١٦٨٩م**)، في كتابه «**غاية الأماني في أخبار القُطر اليماني**»[1]، وذٰلك في أحداث (سنة ٩٤٢هـ= ١٥٣٥م)[2]، حيث يقول: «**وفيها جهَّز (عِزُّالدِّين بن الإمام شَرَف الدِّين)**[3] **جيشًا،**

[1] ٦٨١.

[2] كان الأئمَّة الزيديَّة في (**صَعْدَة**)- الذين تعُود سلالتهم إلى الإمام الهادي (**يحيَى بن الحسين بن القاسم**)، المولود في (**المدينة المنوَّرة**)، ٢٤٥هـ= ٨٥٩م، الذي استدعاه بعض أعيان تلك الجهات في شَمال (**اليَمَن**)، عام ٢٨٠هـ= ٨٩٣م- قد شرعوا يبسطون نفوذهم على أجزاء واسعة من **اليَمَن** منذ تلك العُقود في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي). وذٰلك في عهد الإمام (**شرف الدِّين، يحيَى بن أحمد بن يحيَى،** -٩٦٥هـ= ١٥٥٧م)، وابنه- الفاتك الظلوم- (**المُطهَّر،** -٩٨٠هـ= ١٥٧٢م). فواجهوا ثورات مناوئة، منها ثورة (**خَوْلان**)، ٩٣٤هـ= ١٥٢٧م، التي صدَّها **المُطهَّر** بدمويَّة بالغة، حتى لقد جعلت أباه **شرف الدِّين**- كما سجَّل المؤرِّخون- يتبرّأ من فعائله ويتنحَّى عن الإمامة، ويُهاجر من (**صنعاء**) إلى (**كوكبان**)، ثمَّ إلى (**الظفير**) بـ(**حَجَّة**)، إلى أن توفي. (انظر: شرف الدِّين، أحمد، **اليَمَن عَبْر التاريخ،** ٢٤٣- ٢٤٥).

[3] كان هٰؤلاء القوم مغرمين بالألقاب جِدًّا، كالعادة في تلك العهود. تتكرّر فيهم على نحوٍ عبثيٍّ، يؤدّي إلى اللبس بين أعلام الأئمة وذويهم. ففضلًا عن تكرّر اسم (**الحسن**) و(**الحسين**)، تتردَّد الألقاب المضافة إلى «**الدِّين**»، علاوةً ←

قائدهم السيِّد (الحسن بن عِزِّالدِّين)، إلى (بلاد المرقدات[!]) و(فَيْفا)[1]، وتلك الجهات، فاستفتحوها.» دون تفصيل في الخبر.[2]

٢- في أخبار سنة ١٠٣٥هـ= ١٦٢٥م:

بتَوطُّد الإمامة الزيديَّة في جبال **اليَمَن** الشَّماليَّة، ولتراجع النفوذ العثماني هناك، تطلَّع أئمة الزيديَّة أكثر إلى بسط نفوذهم السياسي والاقتصادي شَمالًا، تحت رِداء الدعوة الدِّينيَّة المذهبيَّة. فجاء

على رُكامٍ من الألقاب الأخرى، كالمنصور، والهادي، والمؤيَّد.. إلخ. وما نعرفه عن (**عِزِّالدِّين**) هٰذا أنَّه ابن الإمام (**شرف الدِّين**)، وهٰذا الأخير اسمه: (**يحيَى بن أحمد بن يحيَى**)، كما مرّ في الحاشية السابقة.

[1] الصواب: (**فَيْفاء**).

[2] وقد ذهب محقِّق كتاب «**غاية الأماني**» يلتمس مكان (**فَيْفا**) التي ذكرها المؤلِّف، فوجد (الهمداني، **صفة جزيرة العَرَب**، ٢٢٨) يشير إلى مكانٍ مجهولٍ اسمه: «**الفيفا**»، بين (**نجران**) و(**الجَوف**)، فزعم أنَّ **فَيْفا** هي ذٰلك المكان. ولقد أكَّد (**الجرموزي**)- في خبره الذي سنورده بعد هٰذا- أنَّ **فَيْفا** هي جبال (**فَيْفاء**)، حيث إشارته إلى غزوة ٩٤٢هـ= ١٥٣٥م، قائلًا: «**ولا قد دخلتها دولة إلَّا أيَّام الإمام الأعظم** (**شرف الدِّين**، عليه السلام) **احتال لفتحها ولدُه السيِّد الفاضل (عِزُّالدِّين)**».

غزوُ (**فَيْفاء**) و(**بني مالك**) وغيرهما، سنة ١٠٣٥هـ= ١٦٢٥م[١]، في عهد (**المؤيَّد محمَّد بن القاسم، ١٠٠٩- ١٠٥٤هـ= ١٦٢٠- ١٦٤٤م**)[٢]. وقد ساق خبرَه (**الجرموزيُّ، -١٠٧٧هـ= ١٦٦٧م**) في فصلٍ من كتابه «**الجوهرة المنيرة في جُمل من عيون السِّيرة**»، عنوانه: «**فصل في ذِكر دخول مولانا (الحسن)**[٣]**، رحمه الله، بلاد (صَعْدَة) وأسباب ذٰلك**»[٤]، حيث قوله:

---

[١] حسب (الكبسي، **اللطائف السَّنيَّة** (مخطوط)، ٨٤) كان خروج (**الحسن بن القاسم بن محمَّد**)- الآتي ذِكر قيادته للحملة على جهات (**فَيْفاء**) و(**بني مالك**)- من (**صَعْدَة**)، يوم الثلاثاء، النصف من شهر ربيع الأوَّل، سنة ١٠٣٥هـ= ١٦٢٥م.
يُذكَر هنا أنَّ شيخ قبائل (**آل عُبَيْد**) في (**فَيْفاء**) إذ ذاك كان اسمه (**حسن بن سَيْلة**). وكان له حِصْن يُسمَّى (**الزُّمَيْح**)، في (**العَبْسِيَة**).

[٢] هو ثاني أئمَّة الدولة القاسميَّة، بعد مؤسِّسها (**المنصور القاسم بن محمَّد**، الذي حكمَ خلال الفترة ١٠٠٦- ١٠٢٩هـ= ١٥٩٨- ١٦٢٠م). وقد استطاع (**المؤيَّد**) أن يُجلي (**الأتراك**) عن (**اليَمَن**)، عام ١٠٤٥هـ= ١٦٣٥م. (انظر: شرف الدِّين، ٢٤٦).

[٣] (**الحسن بن القاسم بن محمَّد**، ٩٩٦ـ ١٠٤٨هـ=١٥٨٧ـ ١٦٣٨م)، قائد الجيش لأخيه الإمام (**المؤيَّد، محمَّد بن القاسم بن محمَّد**، -١٠٥٤هـ= ١٦٤٤م).

[٤] انظر: ٣٥٩- ٣٧٤ [مخطوطًا: ٧٣أ- ٧٥أ]). وقارن (ابن الحسين، يحيَى، **غاية** ←

«...وبعدها الخَرجة الكبرى إلى بلاد (فَيْفاء)[1] من مغارب (نجران)؛ فإنَّها بلاد واسعة، وعن الشريعة الغرَّاء وأحكامها شاسعة، ولهم جهالات تُنَزَّه منها الطُّرُوس، ولا قد دخلتْها دولة إلَّا أيَّام الإمام الأعظم (شرف الدِّين، عليه السلام)، احتال لفتحها ولدُه السيِّد الفاضل (عِزُّالدِّين)، ابن أمير المؤمنين، رحمه الله[2].»

وساق من الأخبار والتقسيم القَبَلي ما تناهَى إليه سماعه من جنود الحملة. مضمِّنًا ذٰلك مطوَّلات القصائد حول ذٰلك الحدث الذي عُدّ فتحًا مُبينًا، يصفه قائلًا: «**وكان لهٰذا الفتح موقع في قلب الوليّ والعدوّ، والقريب والبعيد، وهوَّل**

الأماني، ٢: ٨١٩). و(الجرموزي) هو: (**المطهَّر بن محمَّد بن أحمد بن عبدالله بن محمَّد بن المنتصر، أبو عليّ الشريف الحَسَني الجرموزي**، -١٠٧٧هـ= ١٦٦٧م). مؤرِّخ، نِسبته إلى هِجرة (**بني جرموز**)، قَرية كبيرة في (**اليَمَن**). تُوفِّي بـ(**عتمة**)، وهو عاملٌ بها. وهو من بيتٍ كبيرٍ في **اليَمَن**. وقد تضمَّن أَخْباره كتاب: «**قلائد الجَوْهَر في أنباءِ آلِ المُطَهَّر**»، لـ(**عَلَم الدِّين قاسم بن أحمد الخالِديّ**). (انظر: الزبيدي، **تاج العروس**، (جرمز)). وللمُطهَّر كُتب، منها- إلى جانب كتابه المذكور-: «**الدُّرَّة المُضِيَّة في السِّيرة القاسميَّة**»، و«**تحفة الأسماع والأبصار بما في السِّيرة المتوكليَّة من الأخبار**».

[1] في الأصل: «**فيفا**».

[2] إشارة إلى غزو (**فَيْفاء**) الأوَّل، ٩٤٢هـ= ١٥٣٥م، في حملة (**الحسن بن عِزِّالدِّين بن شَرَف الدِّين**)، المشار إليها سابقًا.

بالفتح المبين أفواه المتكلِّمين، وهو كما قالوا.»[1] ومن ذٰلك قول (**صلاح الدِّين الجحافي**) من قصيدة طويلة:

جـاءَ عنه البشيرُ أنْ قد أفا اللٰـ[م]
ـهُ عـلى جيـشِـهِ قُـرَى (فَـيْـفَـاءِ)[2]
قَلـعـةٌ فـي السـماءِ لا يَـرتـقـيـها
غــيـرُ فَـتْـخـاءَ لِـقْـوةٍ شَـعْـواءِ[3]
لــم يَنـلْهـا مِـنْ قَـبْـلِـهِ أَحَـدٌ قَـطُّ
وهـل نـالَ مُـبـتـغِــيْ (الجَــوْزاءِ)
هِيَ أَعلَى مِنْ حِصْنِ (كَيْفاءَ) شـأنـًا
أيـنَ فَـيْـفا في الحُسْـنِ مِنْ كَـيْـفـاءِ[4]

---

[1] الجرموزي، ٧٣ب.

[2] في الأصل: «**أفاء... قيفاء**». ولا بُدّ من قَصر «**أفاء**» ليستقيم الوزن. ولعلّ فتحة كانت على فاء «**فَيْفاء**» الأولى أحالتها إلى قاف.

[3] في الأصل: «**عبر فيحاء**». والفتخاء: عُقاب ليِّنة الجناح. لِقوة: خفيفة سريعة. شعواء: منتفشة الريش.

[4] في الأصل: «**أين فيفاء**»، ولا بُدّ من قَصر الاسم ليستقيم الوزن. و(**كيفاء**): قلعة حصينة شاهقة في (**ديار بكر**)، بين (**جزيرة ابن عمر**) و(**ميافارقين**)، كما ←

فتحتْـهـا عِـنـايــةُ اللهِ بـالـملْـــ[م]
ـــكِ وتَـصـمـيمُ هِـمَّـــةٍ قَـعْـسَـاءِ
لَمَ تُـدَبِّـرْ أَقطـارَهـا دَولـةُ (الـرُّو [م]
مِ) ولَـم تَـدْرِ مـا هُـدَى الخُـلَـفـاءِ

ونقف من تلك الوثيقة وقفات، إجمالها في الآتي:

١- أنَّه سمَّى غزو الإمام: «**الخَرجة الكُبرَى**». وهٰذا الوصف يحتمل سببَين: أوَّلهما، امتناع تلك البلاد. ويؤيِّد ذٰلك قوله: «**ولا قد دخلتها دَولة إلَّا أيَّام الإمام... احتال لفتحها ولدُه**». وأنت ترى أنَّه قد جَعَل فتحها احتيالًا، في إشارة إلى صعوبته. وكذا يؤيِّد امتناعها وصفُه السابقُ غزوَها بـ«**الفتح المبين**». أمَّا السبب الآخر لتسمية الغزوة بـ«**الخَرجة الكُبرَى**»؛ فلأنَّها «**بلاد واسعة**»، كما وصفها.

حدَّدها (ابن خلِّكان، **وفيَّات الأعيان، ٦: ٢١٠**)، في ترجمته (**للخطيب الحصكفي**). كانت (**للأكراد الأيُّوبيِّين**)، وتُضرب مثلًا لامتناعها. وقد تُقْصَر إلى: (كيفا).

٢- عدم تسمية (**فَيْفاء**) بـ«**جبال فَيْفاء**»، بل بـ«**بلاد فَيْفاء**». وهٰذا- فضلًا عن وصفه إيَّاها بـ«**واسعة**»- يشي بأنَّ **فَيْفاء** ربما كانت أوسع ممَّا نعرف اليوم.

وقد تَناقل هٰذا الخبرَ مَن جاء بعد (**الجرموزي**) من مدوِّني التاريخ، وأضافوا إضافات أحيانًا، لا يُعربون عن مصادرها، أ هي من كُتب أخرى، أم من خيالاتهم؟ ولاسيما حينما يتعلَّق الأمر بإظهار التأييد لـ«**فتح**» الإمام جهات (**بلاد فَيْفاء**). ومن هٰؤلاء (**محمَّد بن إسماعيل الكبسي**، -١٣٠٨هـ= ١٨٩٠م)، في كتابه «**اللطائف السَّنيَّة في أخبار الممالك اليَمَنِيَّة**»[1]، الذي يسوق فيه القول: «**توجَّه إلى (بلاد فَيْفاء) وهي أرض نازحة، متَّصلة ببلاد (قحطان)، ومن التهائم إلى قرب وادي (ضَمَد)،**

[1] (مخطوط)، ٨٤.

ولم تثبت عليها دَولة، ولا يعرفون الله ورسوله، ولا أحكام الإسلام، ولا صلاة ولا صيام!» حتى يقول: «**وهي بلاد واسعة، مسير فوق عشرة أيَّام، جبال ووطا [كذا]**». وواضح أنَّ هٰؤلاء كانوا يتحدَّثون عن جبال (**فَيْفاء**) و(**بني مالك**) معًا بوصفها بلادًا واحدة، يسمُّونها «**بلاد فَيْفاء**»، دون تفريق. حتى إنَّ (**الكبسي**) لا يُورِد ذِكرًا **لبني مالك** إلَّا في سياق حديثه عن بلاد **فَيْفاء**. ولو كان هٰؤلاء المدوِّنون يتحرَّون الدِّقَّة والأمانة التاريخيَّة، لما نقل (**الكبسي**)- المتأخِّر، (عاش في القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجريَّين، التاسع عشر الميلاديّ)- ما ساقه (**الجرموزي**) على عواهنه. بل لقد أضاف إليه، من مثل قوله: إنَّ **فَيْفاء** «**بلاد واسعة، مسير فوق عشرة أيَّام**»! ثمَّ استمرَّ هٰذا الوصف لجبال **فَيْفاء** بأنَّها «**بلاد واسعة**» وصولًا

إلى مؤلِّفي القرن الرابع عشر الهجريّ، العشرين الميلاديّ، كما نَجِده لدَى (الحَجْري، -١٣٨٠هـ= ١٩٦٠م)[١].

ومع ذٰلك، فلقائل أن يقول إنَّ حُدود (**فَيْفاء**) كانت أوسع ممَّا نعرف اليوم، وإنْ لم يبلغ ذٰلك ما انطوت عليه مرويَّات تلك الكُتب اليمانيَّة من إشارات. ولا غرو، فقد أدرك الناسُ، مثلًا، تكنيةَ (**آل الصَّلْت**)- وهم (**أهل مَدَر**) و(**آل الحَرِب**)- بـ«**أهل امْوادِيَين**». ولعلَّ المقصود: واديا (**جَوْرَاء**) و(**ضَمَد**)؛ نظرًا لمكانة هاتين القبيلتَين قديمًا وامتداد أملاكهما، في إشارةٍ إلى وصول حُدودهما إلى ذٰلكما الواديَين الكبيرَين المحيطَين **بفَيْفاء**.

---

[١] انظر: **مجموع بلدان اليَمَن وقبائلها**، ٢: ٦٣٩.

ويبدو أنَّ (**الحَجْري**) حاطبُ ليلٍ عن سابقيه، دون عِلْم بحقيقة ما يتطرَّق إليه من بلدان. لذٰلك تجده يعرِّف (فَيْفاء) هٰكذا: «**فَيْفا: بلد واسع من بلاد (خَوْلان بن عمرو بن الحاف)، [في بلاد (صَعْدة)!]**»

صحيح أنَّ جَبَل **آل الحَرِب** يقع بين واديَي (**ذَبوب**) شَرقًا و(**محلب**) غَربًا، **ممَّا** قد يكون وراء لقب أهل الواديَين، لٰكن ماذا عن أهل (**مَدَر**)؟ ولِمَ جُمعوا مع **آل الحَرِب** في تلقيبٍ واحد؟ فأمَّا وصول بلاد **آل الحَرِب** إلى ضفاف **ضَمَد**، فأمرٌ معروفٌ إلى اليوم. والآثار الباقية الماثلة في ناحية (**ذا امْبُر**)، وجَبَل (**قعيد**)، و(**القَزَعَة**)، إضافة إلى حكاية سلطانها الطاغية- الذي يُحكَى أنَّه قَتَلَه لظُلمه أحدُ رجال عشيرةٍ كنيتها (**آل كاملة**)- كلّ ذٰلك مؤكِّدٌ تاريخ أولٰئك القوم في تلك الجهات. أمَّا مكانة أهل مَدَر في فَيْفاء، وشِيختهم الشَّمْليَّة على قبائلها، فأمر مستفيض. ومن ثَمَّ تتظافر الشواهد على سعة بلاد هاتين القبيلتَين الصَّلْتِيَّـتَين في الماضي، أكثر ممَّا هو حالها اليوم بكثير. فكيف بحُدود قبائل **فَيْفاء** في مجموع جهاتها؟! ومن المؤشِّرات

إلى ذٰلك أيضًا ما توارثته بعض المرويَّات الشفويَّة من أنَّ أماكن متفرِّقة من (**بني الغازي/ بَلْغازي**) اليوم كانت من بلاد **فَيْفاء** قديمًا. واللافت، في سياق هٰذه الصورة الموسَّعة لما كان يُطلَق عليه «**بلاد فَيْفاء**»، قول (**الجرموزي**)[1] أيضًا: «**وأمَّا (بنو مالك) من أهل (فَيْفاء)**...». أفهٰذا لخطأ وقع في النصّ؟ أم هو لجهل المؤلِّف بحُدود المَواطن؟ أم كانت (**فَيْفاء**) و(**بنو مالك**) تسمَّيان معًا: «**بلاد فَيْفاء**»؟ في النصّ نفسه ما يحمل على استبعاد الاحتمال الأخير، ويدلّ على انفصال مَواطن **فَيْفاء** في الاصطلاح عن **بني مالك**؛ وذٰلك من خلال فصل المؤلِّف الكلام عن قبائل **فَيْفاء** عن قبائل **بني مالك**، وكذا قول شاعرهم: «**فأَتَتْهُ فَيْفَا**

---

[1] ١٧٣أ.

بالخَراجِ ومالِكٌ»[1]. ومهما يكن من أمرٍ، فإن ممَّا قد يؤكِّد سعة (**بلاد فَيْفاء**) بعض السعة عمّا نعهده اليوم إردافه القول كذٰلك: «**ولهم أسواق، وبلاد تتصل بتِهامة، فحصل منهم أموالٌ كثيرةٌ وحقوقٌ واسعة.**[2]»

أمَّا إذا أُخذت «**بلاد فَيْفاء**» بالمفهوم الجامع لـ(**فَيْفاء**) و(**بني مالك**) في اسمٍ واحد هو «**بلاد فَيْفاء**»- وهٰذا هو الظاهر- فإن كلام (**الجرموزي**) صحيح؛ فلقد كانت **بنو مالك**، قبل نحو ١٥٠ سنة، تمتدّ بلادها إلى حُدود (**قحطان**)، وكانت بينهم وبين **قحطان** بعض المناوشات والحروب. حتى إنَّ (**حَرِيْص الحَشَر**)- وأصلهم من (**آل كَثِيْر**)،

---

[1] م.ن، ٧٣هـ.

في الأوراق التي منها الاقتباس، تشير محقِّقة كتاب (الجرموزي)، (ص٣٧٣، ح١)، إلى اضطراب في المخطوط، بإقحام بعض أوراقه في بعض، ما اضطرها إلى اتّخاذ ترقيم إضافي على (أ، ب).

[2] م.ن، ٧٣ب.

من **بني مالك**- إنَّما فُصِلوا عن **بني مالك**؛ لأن (**عليّ سلامة**)، والد (**جابر امْناجعة**) شيخ (**آل عليّ**)، استنصر بهم في حرب مع **قحطان**، فلم ينصروه لعهدٍ كان بينهم وبين **قحطان**، فأعلن فصلهم عن (**آل كَثِيْر**) ثمَّ عن (**بني مالك**) كافَّة.[1]

٣- أمَّا زعم (**الجرموزي**) أنَّ تلك البلاد «**عن الشريعة الغرَّاء وأحكامها شاسعة، ولهم جهالات تُنزَّه منها الطُّرُوس**»- ثمَّ ما أضافه (**الكبسي**) من «بهارات» دِينيَّة أبلغ، كثيرًا ما كان يستدعيها لديه السجعُ- فأقلّ ما يُقال فيه إنَّه حُكْم على مجهول؛ لأن المؤلِّف لا يعرف عن أهالي تلك البلاد إلَّا ما يُنقل إليه من خصومها، وهو نفسه من أولٰئك الخصوم. وليت شِعري، هل كانت البلدان الأخرى المجاورة- بما في ذٰلك بلدة **الجرموزي** نفسه- في الشريعة الغرَّاء وأحكامها راتعة، وليست لقاطنيها

---

[1] روَى لي هٰذا (**الأستاذ حسن فرحان المالكي**).

جهالات؟! بيد أنَّه المبرِّر التقليديَّ للغزو، الذي لم يكن لتقوم له قائمة لولا مثل هٰذه الدعاوَى المستلئمة بالدِّين، الآخذة بخطَّتين: خطَّة تعبويَّة للجيش الغازي، وأخرى اعتذاريَّة عن أفعالهم. وما كان لأهل تلك الجهات أن يكونوا إلَّا شاسعين عن أحكام الشريعة، ولهم جهالات تُنزَّه عنها الطُّرُوس، ما داموا غير عبيدٍ للسادة الأئمَّة، وليسوا على المذهب الزيديّ تحديدًا، ولا يَجْبون الزكوات إلى خزائن مولاهم الإمام، بعيدًا عن فقراء أهليهم! يدلّ على هٰذا المغزَى السياسي الإعلامي أنَّ أهالي (**معتقة**) في تِهامة لم يُعتقهم من تلك الحملة الحربيَّة أنَّ أكثرهم- كما وصف المؤلِّف- كانوا في الأصل فقهاء، على المذهب الشافعيّ. وما الإمام ببِدعٍ في التاريخ الإسلاميّ، الذي يُعلمنا أنَّ غزوات بعض المسلمين بعضًا غالبًا ما يُتَّخذ في سبيلها الدِّين ذريعة إديولوجيَّة؛ لإعطاء الحافز للجيش الغازي، وتقديم المسوِّغ لدَى سائر الناس لما يُرتكب من

عدوان ومظالم؛ بأنَّ المغزوِّين دار كُفر وفسوق وعصيان. لا ليؤدِّي ذٰلك إلى قبول العمل فحسب، بل أيضًا لتمجيد القائمين به، بوصفهم مجاهدين ضدّ كَفَرَة، فاتحين لبلدانهم، آخذين المغانم المستحقَّة منهم، فارضين عليهم، من بعد الغنائم، «**الخَراج**». وهٰذا تشريع جديد في فتح المسلمين ديار المسلمين، يجمع بين: الفتح، والمغنم، والاحتلال، و«**الخَراج**»؛ كما سمَّاه أحد الشعراء الذين ساق المؤلِّف شِعرهم: «**فأَتَتْهُ فَيْفَا بالخَراجِ ومالِكٌ**». وكيف إذا كان الغازي- إلى هٰذا- يدَّعي العِصمة والولاية المطلقة في الأُمَّة، ويرى الناس فئَتَين: سادةً وعبيدًا؟! وإلى جانب ذٰلك تصوُّرات شَعبويَّة مريضة، تنشأ عادةً عن ازدراء الآخَرين، لأسبابٍ قَبَلِيَّةٍ أو اجتماعيَّة، تُخيِّل إلى أصحابها أنْ ليس مَن خالفهم العصبيَّة والانتماء على شيءٍ من قِيَمٍ أو دِينٍ أو خُلق. وتلك شنشنة معروفة، ما زلنا نسمع أمثالها في مجتمعاتنا

المنغلقة، ولا دليل من الواقع على معظم ما يُزعم فيها.

ولئن كانت لها أصولٌ من الصحَّة، فهي خاضعة للمبالغات الفجَّة، بسبب ذٰلك النزوع الثقافي إلى تحقير الآخَرين، وتمجيد الذات. فإذا أضيف إلى هٰذا العاملِ العاملُ المذهبيُّ أو الدِّينيُّ كان ضغثًا على إبَّالة. ثمَّ ما الذي كان للمجاهدين الإماميَّة من دَور في التصحيح والإصلاح؟ هل أقاموا دِينًا هناك، أو نشروا عِلمًا، أو حقَّقوا عدلًا، أو صحَّحوا معتقدًا أو سلوكًا؟ أم فعلوا عكس ذٰلك كلّه؟ لذا لا غرابة أن تُثبت هٰذه الوثيقة أنَّ الهمَّ- كلَّ الهمّ- إنَّما كان يتمثَّل في المطامع التوسُّعيَّة، والأهداف التسلُّطيَّة، وغايات المَذْهَبَة الزَّيديَّة للمسلمين، والشَّرَه إلى ما في أيديهم، وإنْ قلَّ، جِبايةً للأموال إلى الإمام، ممَّا كان يسمِّيه وزبانيتُه بالحقوق والمعاون، ويوصي بعدم التهاون فيه بحالٍ من الأحوال.

٤- وتُسجِّل الوثيقة من ناحية أخرى أنَّ جُلَّ عُملة أهالي

(فَيْفاء) ذٰلك الزمن كانت الدراهم المِصْريَّة، قائلًا: «**وجُلّ دراهمهم المِصْري**». غير أنَّا لا نعرف أَثَرًا لَهَجيًّا لهٰذه المفردة أو اشتقاقاتها في **فَيْفاء**. ومعروف أنَّ النفوذ العثمانيّ من خلال (**مِصْر**) قد عمَّ الشَّرق في تلك القرون[1]، وكانت **فَيْفاء** متَّصلة بتِهامة وأسواقها، كما سبق.

وقد سجَّل (**الجرموزي**) مقاومة أهالي (**فَيْفاء**)

---

[1] هل يشير هٰذا إلى أنَّ نفوذ العثمانيِّين قد بلغ (**فَيْفاء**)؟ ثمَّة أَثَرٌ معروف في (**العَبْسِيَة**) في قمة **فَيْفاء**- يتمثَّل في حِصْنٍ وبِرْكَة ماء مجصَّصة، على طرازٍ غير مألوف في بُنيان **فَيْفاء**- يعزوه بعض الناس إلى بناء (**الأتراك**) العثمانيِّين. وهو ما ذهب إليه (الفَيْفائي، عليّ بن قاسم، «**فَيْفاء**»، مجلَّة «المنهل»، عدد جمادَى الآخرة ١٣٨٨هـ، ص٨٠٩). وإنْ كان (العقيلي، محمَّد بن أحمد، **المعجم الجغرافي للبلاد العربيَّة السُّعوديَّة: مقاطعة جازان (المخلاف السُّليماني)**، ٣٢٢؛ وقارن: م.ن، **التاريخ الأدبي لمنطقة جازان**، ٢: ١٠٢٨) يذهب إلى الجزم، ومن خلال ما وقف عليه، بأنَّ **الأتراك**- على تسلُّطهم على (**الجزيرة العربيَّة**)- لم يغزوا **فَيْفاء** أو يملكوها في جميع عهودهم. وهو ما يؤكِّده البيت السابق لـ(**صلاح الدِّين الجحافي**):

لم تُدَبِّرْ أقطارَها دولةُ (الرُّو م) ولم تَدْرِ ما هُدَى الخُلفاءِ

وكان يشار بـ«**الرُّوم**» في تلك العهود إلى **الأتراك**. ورجَّح (**فِلْبي**) نِسبة حِصْن **العَبْسِيَة** إلى حقبة (**الأدارسة**). (يُنظر: Philby, **Arabian highlands**, 495، وترجمتنا، ٢٠٨).

للمحتلِّ، واصفًا إيَّاها بـ«**الغَدْر**»**!** قائلًا: «**وفيها غَدَروا بالعسكر المنصور، وقتلوا جماعة، نحو الثلاثين النفر، وقُتِل منهم كثير.**» ولا عجب، فهو يكتب باسم العسكر وإمامهم، بل هو أحد عُمَّاله المعيَّنين في بعض الإدارات والقضاء، في مناطق من دولته، كـ(**وصاب**) و(**عتمة**) وكلِّ (**بلاد آنس**). وقد فصَّل (**أحمد بن محمَّد بن صلاح الشَّرفي، -١٠٥٥هـ= ١٦٤٥م**)، في كتابه «**اللآلئ المُضِيَّة في أخبار أئمَّة الزيديَّة**»[1]، ضِمن أحداث ١٠٣٥هـ، بعضَ ما حدث من مقاومات (**آل الحُجْـر**)[2] من (**فَيْـفاء**)، ولاسيما في جهة (**الكَـدَرَة**)، بأعلى جَبَل (**آل المَشْنِـيَة**)، حيث استقرَّ معسكر الغُـزاة. وسيق ذٰلك مع التقليل المعـتاد من خسائر الغُـزاة، مقابل التهويل من خسائر أهل البلاد. ولا غرو، فإن سرعة انسحـاب الغُـزاة من **فَيْـفاء** هو أبلغ شاهـدٍ على الفرق بين

---

[1] مخطوط، ج٣: [غير مرقَّم الصفحات، والشاهد من أحداث ١٠٣٥هـ].

[2] هم، كما تقدَّم: (**آل بِلْحَكَم/ أبي الحَكَم، وآل المَشْنِيَة، وآل الثُّوَيْع، وآل عَبْدِل**).

حقائق التاريخ ووقائعه وسُود الصحائف التطبيليَّة! ولم يكن **الشَّرفيُّ** يستحي من التفاخر بعساكر الإمام وعدوانهم على الآمنين، وارتكابهم القتل، وحَزِّ الرؤوس، ونهب الأموال! ناعتًا قتلَى المعتدين بـ«الشهداء»، وأهل البلاد بـ«أهل الفساد»! كما روَى (**الكبسي**)[1]، مِن بَعْدُ، أمثالَ تلك الأحداث، في صورة أوضح انغماسًا في تملُّق الظالم، تمجيدًا بمظالمه، ما دام إمامًا وحاكمًا، في مثل قوله:

> **«فتقدَّم بهم جَبَل (شراحيل)[2] من (بلاد فَيْفاء)، فالتقاهم أهلُ فَيْفاء، وفيهم شجاعةٌ وإقدامٌ، وهم كَثْرة اجتمعتْ منهم أُلوف مؤلَّفة، ولٰكن لا بنادق معهم، وإنَّما يرمون بالسِّهام والأحجار في الأوضاف، ولا يُخطئون بها. فوقع قتالٌ عظيمٌ، وانهزم أهل فَيْفاء وقُتِل منهم كثير، وتبعهم عسكر ابن الإمام، واستولوا على البلاد، وغنموا ما فيها من الحبوب والآلات والأنعام والحديد والنقود، ثمَّ واجهت تلك القبائل كلّها، ثمَّ وقع نَكْثٌ من بعضهم، فتوافرت عليهم العساكر من كلّ جهة، وانتهبوا أموال الناكثين، وشرَّدوهم في البلاد...».**

---

[1] م.ن.

[2] الصواب: (آل شراحيل).

٣- في أخبار سنة ١٠٧٢هـ= ١٦٦١م:

وفي خبر آخر يورده (**الجرموزي**) في كتابه الآخر «**تُحفة الأسماع والأبصار بما في السِّيرة المتوكليَّة من غرائب الأخبار**»[١]، نقرأ- بأسلوب **الجرموزي** المعهود بتقديس أئمَّته وغَمْط مَن يَشنّ الأئمةُ عليهم البَغْي والعدوان، ممَّا ينعته بـ«**الفتوحات!**»- أنَّه، في سنة ١٠٧٢هـ= ١٦٦١م، كان «**خروج القوّات الإماميَّة إلى (فَيْفاء)**». وذٰلك يوافق عهد (**المتوكِّل إسماعيل بن القاسم**، ١٠٥٤- ١٠٨٧هـ= ١٦٤٤- ١٦٧٦م). وساق المؤلِّف ما يأتي:

> **«ذِكر المَخْرَج المنصور إلى (فَيْفاء) في الخلافة المتوكليَّة، وذٰلك أنَّ أهل بلاد فَيْفاء عادوا لحالهم الأوَّل من الجهل البسيط[٢]، والوقوع في الكُفر إلى غاية من التفريط، وقد تقدَّم صفة بعض أحوالهم في سِيرة مولانا (المؤيَّد بالله)[٣]، فرأى أن يحدِّد مَخْرَجًا ويرسل مِن**

---

[١] (مخطوط)، ٢٨٤ب- ٢٨٧أ.

[٢] البسيط: يقصد الواسع.

[٣] يعني كتابه السابق: «**الجوهرة المنيرة**». و«**المؤيَّد بالله**» إشارة إلى: (**المؤيَّد محمَّد** ←

لديه إليهم محاطًّا[1]، فلما بلغ ما أزمع عليه- حفظه الله- إلى بلاد (صَعْدَة) وجهاتها، وبلاد (صَبْيا) وما والاها، كتب ولاة الإمام وعمّاله أنَّهم يكفونه جهادهم[2]، وفَتْح بلادهم. فأمر الإمام ولده السيِّد الفاضل الكامل (عليّ بن أحمد)، ابن أمير المؤمنين المنصور بالله[3]، بأن يَخرج عليهم بجميع العُمَّال واليَفَعَة من الرجال. ثمَّ إنَّ السيِّد الرئيس الأجل (محمَّد بن الحسين بن أحمد بن الحسين الخواجي)، أمير (صَبْيا) والمخلاف، سارع إلى غزوهم من طريق تِهامة، وله على تلك الأطراف قوَّة شوكة ومغازي[4] وكفاية للإمام في أمثالهم (...)[5] ولمَّا

بن القاسم، ١٠٠٩- ١٠٥٤هـ= ١٦٢٠- ١٦٤٤م)، السابق ذِكره في الغزوة السابقة لجبال (**فَيْفاء**).

[1] المحاطُّ في مصطلح (**الجرموزي**) والدَّولة المتوكليَّة جمع محطَّة، وكانوا يعنون بها: المعسكر. وهو ما شرحتْه محقِّقة كتابه الآخَر «**الجوهرة المنيرة**»، في مثل قولها: «**المحطَّة الحسنيَّة: المقصود بها المعسكر الذي أقامه الحسن خارج أسوار (تعز) لحصارها.**» وسنقف على هٰذا الاصطلاح في مخطوطات أخرى تالية.

[2] كذا، ولعلَّه: «**جهاتهم**».

[3] حسب تأريخ الأحداث- الذي سيذكره في نهاية النصّ، وهو ١٠٧٢هـ= ١٦٦١م- فإنَّه يتحدَّث عن عهد (**المتوكِّل إسماعيل بن القاسم**). وعليه فإن (**عليّ بن أحمد**) المشار إليه هو ابن أخي الإمام المتوكِّل: (**عليّ بن أحمد بن القاسم بن محمَّد**).

[4] كذا**!** والصواب: مغازٍ.

[5] يذكر هاهنا قبل مواصلة خبر العدوان على جبال (**فَيْفاء**) العدوان على بلاد شيخٍ اسمه (**الشيخ مُراد بن يحيَى**)، استباحوا دياره بحُجَّة أنَّه صوفيّ**!**

استتبَّ لمولانا (جمال الدِّين عليِّ بن أحمد) أمرُه، واجتمع عسكره وَصَلَه سادة الشَّام[1] وكبراؤهم[2] إلى هجرة (فَلَلَّة)[3]، ومعه من العسكر نحو ثمان مئة، وبات بها ليلة، وقد وصله مَدَدٌ من الإمام نحو من ثلاث مئة نفر، عليهم الفقيه (حسين بن محمَّد الجملولي)، وفي صحبته صنوه السيِّد المعظّم (عبدالله بن أحمد)، ابن أمير المؤمنين المنصور بالله، والسيِّد العلّامة صارم الدِّين (إبراهيم بن محمَّد بن أحمد بن عِزّ الدِّين)، وانضمَّ إليه من (بني جُماعة) و(بني سويد)، و(بني حذيفة)، و(أهل وادي فَلَلَّة)، والسيِّد العلَّامة المجاهد (المهدي بن الهادي) المعروف بـ(النوعة)، في أكثر من خمسين راجلًا، مؤنهم كلّها منه ومن ماله، وقد كتب الإمام، عليه السلام، إلى السيِّد الأكمل (بدر الدِّين محمَّد بن صلاح بن الهادي النعمي)، والي بندر (جازان) و(أبي عريش) وما والاهما، فخرج من طريق تِهامة في أكثر من ألف نفر... ولمَّا استتبّ الأمر للمَخرج المنصور، أرسل ولده الكامل (عِزّ الدِّين بن

---

[1] «**الشَّام**»، حسب اصطلاحه، يعني: «**الجهات الشَّماليَّة**».

[2] في الأصل: «**وكبرائهم**».

[3] في الأصل: «**فلله**»، بالهاء. ويُلحظ أنَّ الاسم يَرِد بالهاء في مراجع أخرى، والظاهر أنَّه بتاء مربوطة، وإنَّما تُنطق هاءً في الوَقْف. و(**فَلَلَّة**): وادٍ في (**بني جُماعة**)، في الشَّمال الغَربي من (**صَعْدَة**). (انظر: المقحفي، إبراهيم أحمد، **معجم البُلدان والقبائل اليَمَنيَّة**، ٢: ١٢٢٥).

محمَّد بن الحسين)[1] في عسكر، فكانوا في جانبٍ من بلاد تِهامة الملاصقة لبلاد (فَيْفاء). وكتب الإمام، أيضًا إلى القاضي العلّامة (محمَّد بن عليّ بن جعفر)، الوالي على بلاد (رازِح) وما والاه، فانضمّ إلى مولانا جمال الدِّين، في نحو ألف وأربع مئة. نعم! ولمَّا انتهى مولانا جمال الدِّين إلى (رغافة)، عرضَ عليه ما شوَّشه في (صَعْدَة) ممَّا يجب أن يحتاط على حفظه؛ فجعل على المحطّة المنصورة صنوه (عبدالله بن أحمد)- أيّده الله- وعاد إلى صَعْدَة في أنفار من الخواصّ، فقرَّر أعماله واستوثق ممَّا يخاف عليه، وعاد إلى موضعه الأوَّل. وكان لعَوده إلى صَعْدَة ذِكر؛ فرفعت القبائل رؤوسها، وخاف مولانا عبدالله بن أحمد؛ فأحضر من العسكر المنصور مَن ظنّ فيهم الكفاية، وغزا[2] بهم ليلًا إلى أشدّهم فسادًا[3]، وهم [...][4]؛ فاستولى على أنعامهم وأَسَر كثيرًا منهم، وعاد إلى محطّه الأوَّل، فسكنت البلاد، وصلحت الطرقات والأخبار. أخبرني مَن حدَّث عن هٰذه الغزاة أنَّ المذكور حمل بندقه وسيفه، كأحد العسكر، ولبِس نعلَين غريبتَين، وإن أحدهما[5]

---

[1] يبدو أنَّه يشير إلى: (**عِزّالدِّين بن محمَّد بن الحسين بن القاسم بن محمَّد**).

[2] في الأصل: «**غزى**».

[3] لا جَرَمَ، الغزو اللَّيلي سُنَّة مَن يَعرف قدر نفسه من المجاهدين الأبطال!

[4] هنا فراغ.

[5] كذا! والصواب: إحداهما.

انقطعت عليه، فأراد مَن قرب منه أن يصلحها، فقال: أنا أتولَّى ذٰلك فأصلحها، وهو ماشٍ لم يستقم![1] ولهٰذا السيِّد المذكورِ في الشَّام[2] مغازٍ، هو فيها تِلْوُ أخيه؛ فإنَّهما من نُجباء سادات الرجال وفُتَّاكهم[3]. ولمَّا استقرَّت المحاطّ المنصورة في مدينة (جاوي)[4]، أقام نحو خمسة عشر يومًا، وارتحل إلى موضعٍ يُسمَّى (الضربة) من بلاد (بني مُنَبِّه)، وأقام فيها نحوً أربعين يومًا، وأرسل إلى مشايخ[5] بلاد (فَيْفاء)، فوصله بعضهم، وثبَّطوه عن دخول بلادهم، وأعطوه مالًا على ذٰلك.[6] ولمَّا دخل شهر جمادَى الأُولى، وقد كتب إلى السيِّد (محمَّد بن صلاح) ومَن في جانبه يأمرهم بالتقدّم من جهتهم، وعبَّأ الناس، فكان (بنو جُماعة) و(بنو مُنَبِّه) جانبًا، وعَسْكَرُ (غربان) و(بني صريم) جانبًا، وعَسْكَرُ (صُحار)[7] وجمهور عسكره جانبًا،

---

[1] وكأن في هٰذا دلالة على مدى تواضع الرجل؛ بأن يُصلِح نعله بنفسه.

[2] «**الشَّام**» تُطلق في جهات اليَمَن على كلّ ما كان إلى جهة الشَّمال.

[3] الفَتْك من صفات الصعاليك لا من صفات السادة!

[4] سيأتي كلام (**فِلْبِي**) عن أهميَّة قَرية أو مدينة (**جاوي**)، وأنَّها المركز الإداريُّ اليَمَنيُّ المحلِّيُّ، وفيها السُّوق الرئيسة للمنطقة. (انظر: ٢٧٦ من ترجمتنا).

[5] في الأصل: «**مشائخ**».

[6] قد فقِهوا غايته ومَن أرسله! ولو لم تكن تلك هي الغاية، لما قَبِل منهم المال أصلًا.

[7] في الأصل: «**سحار**». وإذا كان نِسبةً إلى (**صُحار بن خَوْلان**)، فهو بالصاد.

وهو وصنوه (عبدالله بن أحمد) في القلب، غير أنَّهما، أطال الله بقاهما، كما قال الإمام الأعظم المنصور بالله:

وأكرهُ كونَ الحُرِّ خلفَ جنودِهِ

وأرضاهُ خِرِّيْتًا[1] لهم مُتقدِّما

أوَّل عسكرهما، ويحملان بندقَيهما، وصعدا في شواهق وأشجار ومضايق، فلم يقف لهم أحد من المفسدين، وطاروا في الجبال، ولم يثبتوا لقتال. ولمَّا انتهوا إلى الموضع المعروف بـ(العَبْسِيَة)، وهو أرفع الجبال وأشمخ القلال[2] من تلك الجهات، واستقرَّت المحطَّة هنالك، وقد هربت القبائل المذكورة، وفرق من العسكر إلى مواضع بالقرب منه لينالوا من الغنائم ما يأكلون، ويحفظون نفوسهم من الغوائل.[3] وقد ترك في مدينة (جاوي) جماعة من العسكر، عليهم السيِّد (محمَّد بن صلاح)، المعروف بـ(ابن قطيطة المؤيدي)، فكان يتردَّد في مواضع لإيصال القوافل والإمداد، وترك في (الضربة) السيِّد (الحسن بن [...]) في عسكر.[4] ذٰلك،

---

[1] في الأصل: «**غريبًا**»، والصواب: «**خِرِّيْتًا**»، أي دليلًا وخبيرًا فطِنًا.

[2] في الأصل: «**الفلال**».

[3] فهو النهب والسلب، إذن، من «**أجناد الحقّ!**»، وإلَّا كيف بمثل ذٰلك الجيش العرمرم، المحتشد يَمَنًا وشامًا، ثمَّ إنَّما ينتهب من أموال الناس ما يأكل وما يحفظ عليه نفسه من الهلاك والغوائل؟**!** هٰذا، وفي الأصل: «**الغنايم... الغوايل**».

[4] في الأصل: «**في عسكر ذٰلك. ولمَّا...**». ولعلّ الصواب كما أثبتنا.

ولـمَّا استقرَّ مولانا، (جمال الدِّين)- أيَّده الله- في الموضع المذكور استأمن إليه قبائل (فَيْفاء) جميعًا إلَّا (آل حُجْر)[1]، فاستحوذ عليهم الشيطان، فغزاهم جنود الحقّ[2]، فمزَّقوهم كل ممزَّق، وشرَّدوهم كلَّ مشرَّد[3]. وكُتبت البُشرى إلى الإمام، فنشرها[4] في الأنام، وقُريت على الخاصِّ والعامِّ، [و]من نسخة ما وردَ إليَّ ما لفظه: بعد الابتداء باسم الله جلّ وعلا والصلاة على عباده[5]، وطُرَّة الكتاب ما لفظه: فالبُشرى المرفوعة ما فتحه الله على الإسلام على يدَي الولد السيِّد العلامة جمال

---

[1] (**آل الحُجْر**): هم قبائل (**آل أبي الحَكَم، وآل المَشْنِيَة، وآل الثُّوَيْع، وآل عَبْدِل**)، كما تقدَّم.

[2] وهٰكذا يصوِّر (**الجرموزي**) مَن يدافعون عن بلادهم، ممَّن اعتُدي عليهم في عُقر دارهم ولم يعتدوا على أحد، بأنَّه قد «**استحوذ عليهم الشيطان**»، أمَّا الغُزاة المعتدون: فهم لديه «**جنود الحقّ**»! وهٰكذا يُزيَّف الحقّ وتُزوَّر كتابة التاريخ! وبذا يضرب **الجرموزي** أقبح الصُّوَر عمَّا تفعله العبوديَّة السياسيَّة بمن يدَّعي العِلْم وأمانة التاريخ، فإذا هو لا يعدو بُوقًا في فم مولاه!

[3] هٰذا الكلام الإنشائي المتهافت موضوعيًّا لا يستقيم مع الواقع الجغرافي لنحو نصف المساحة الجَبَليَّة لـ(**فَيْفاء**)، الذي تقطنه قبائل (**آل الحُجْر**)! فأين مُزِّقوا؟! وأين شُرِّدوا؟! وهم في بلادهم على معاقل الجبال، والغُزاة من تحتهم؟! وكيف تُصبح اليَدُ السفلَى خيرًا وأقوى من اليَدِ العُليا، إلَّا وَفق كرامات الأئمة الخرافيَّة، الخارقة للطبيعة، ومَخْرَقات مؤرِّخهم ومولاهم وعاملهم (**الجرموزي**)، نافث إعلامهم الدعائي السياسي والتاريخي.

[4] في الأصل: «**فبشرها**».

[5] كذا، والصواب: «**خير عباده**».

الإسلام والمسلمين، (عليّ بن أحمد)، ابن أمير المؤمنين (القاسم بن محمَّد)- حفظه الله- من دخوله بجنود الحقّ المنصور بالله إلى جَبَل (فَيْفاء)، واستيلائهم عليه، وعلى جميع ما يتَّصل به من الجبال والجهات، ودخول أهل تلك الدِّيار في الطاعة، وإجابتهم إلى أحكام الحقّ والإسلام، أعزَّه الله تعالى، لم يبق منهم إلَّا طائفة استحوذ عليهم الشيطان، يقال لهم (أهل حُجْر)[1]، فدمَّر الله عليهم بأجناد الحقّ، فمزَّقوهم كلّ ممزَّق، وشرَّدوهم كلّ مشرَّد، وأورثهم الله أرضهم وديارهم وأموالهم[2]، واغتنموا منهم الغنائم، وقطَّعوا منهم الرؤوس والجماجم.[3] وذٰلك بعد أن أعذر إليهم مرَّة

---

[1] الصواب: (آل الحُجْر).

[2] هٰذا التوظيف للآيتين الكريمتين من سورة (الأحزاب، ٢٦- ٢٧): ﴿**وأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ، وقَذَفَ في قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وتَأْسِرُونَ فَرِيقًا، وأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ ودِيَارَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ وأَرْضًا لم تَطَئُوهَا، وكَانَ اللَّـهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا**﴾، يشي بمكنون الخطاب الطائفي، والفكر «الفاشستي»، المتجلببَين بِرداء المذهب الزيدي، اللذَين كانت تنطلق منهما وبهما تلك «**الخَرجات**» التوسعيَّة من حواضن الزيديَّة في (**صَعْدة**) وسواها، سعيًا لتحقيق أحلامٍ تسلُّطيَّة على استقلال الآخرين، حتى في شِعاف الجبال المعزولة. لٰكن سرعان ما تتكشَّف الأحلام عن كوابيس، فيتقهقر الغُزاة من حيث جاؤوا، بخُفَّي حُنين.

[3] هٰذا السجع لا يُغني من الحقِّ شيئًا، فمَن في الجبال، حتى لو كانوا شياهًا شاردة، لا يُنالون ممَّن دونهم بتلك السُّهولة المهوَّلة، توظَّف في سبيلها أداتا الدعاية السياسيَّة الرخيصة والصنعة الإنشائيَّة السمجة. وهي مزاعم لم يكن ←

بعد أخرى، وكرَّر الدُّعاء إليهم كرَّة بعد كرَّة، وذٰلك في يوم الجمعة لعلَّه السادس عشر من شهر جمادَى الأُولى، ختمه الله بكلّ ظفر ونصر. واستقرَّ الولد جمال الإسلام بجنود الحقّ هنالك في نعيم وافرٍ وفضلٍ غامر، لم يمسسهم سُوء، ولا نال أحدًا منهم مكروه، ولا شيك أحدٌ منهم شوكة(!)[1] وقد انضمَّ إلى الولد جمال

لها أيُّ أثرٍ قطّ أو صدى في ذاكرة الفيفيِّين. ولو كانت تلك الفتكات الساحقة التي يصوِّرها (**الجرموزي**)- وهو قابع في مرتعه في بلاطات الإمام- قد وقعت حقًّا، لما امَّحت من ذاكرة الأجيال، ولبقيت حديث الرواة يتوارثونها. بل إنَّه لم يتوارث الناس في (**فَيْفاء**) أيّ خبر، أو بعض خبر، عن هٰذه الغزوات اليمانيَّة الكبرى، والفتوحات الإماميَّة المبينة، على الإطلاق، ولم يسمعوا عنها من أسلافهم، باستثناء ما كان في القرن الماضي من استيلاءٍ على **فَيْفاء**، شِبه سلميّ، وبسبب عُملاء من أهل البلاد، ممَّن كانوا قد تزيَّدوا. ولم تحدث فيها مواجهات تُذكر، ولم تدُم إلَّا بضعة أشهر، كانت مسرحًا ملهاويًّا للعبث بأولئك الغُزاة وتكبيدهم المقالب تلو المقالب، حتى أَجْلَوا، راضين من الغنيمة بالإياب. ولولا التفكُّك القَبَلي، البالغ حدّ الخلاف، ووجود العُملاء والأدلّاء من موالي السادة، ما كان لأولئك قِبَل بالوصول إلى الجَبَل ولا حَوْل. أمَّا هٰذه الأخبار التي يسوقها (**الجرموزي**) في كتبه، فلا ذِكر لها في (**فَيْفاء**) ولم يسمع بها أحد، مع أنَّها ليست بذٰلك التاريخ القديم جِدًّا. ما يدلّ على أنَّها- إنْ صحّت تاريخيًّا- قد شحنها راويها ثمَّ مصنِّفها بمبالغات فجَّة، لا تخفَى مآربها.

[1] قلتُ: وما يضيرهم حتى لو شِيكوا، فكلُّه في سبيل الله! تعالى الله عمَّا يأفكون! أمَّا الشوك، فلعلَّه قد كان من أنواعٍ أخرى؛ لذٰلك لم يستقرّ بهم المقام طويلًا ولا النعيم المزعوم.

الإسلام- حفظه الله- هنالك السيِّد الأمجد المجاهد، (بدر الدِّين محمَّد بن صلاح بن الهادي)- حفظه الله- في جيشٍ منصور بالله، إنْ شاء الله، عظيم، والقاضي العلَّامة (بدر الدِّين محمَّد بن عليّ بن جعفر)- حفظه الله- في جمعٍ مبرور كريم. والتَحقَ بهم أيضًا الشريف الأمجد (عِزُّالدِّين بن محمَّد بن حسين الخواجي)، نائبًا[1] عن أبيه- حفظه الله. واستقرَّت الأحوال هنالك استقرارًا تامًّا، ودخلوا في دِين الله أفواجًا دخولًا عامًّا، ذٰلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولٰكن أكثر الناس لا يشكرون. والولد السيِّد الأمجد فخر الإسلام (عبدالله بن أحمد)، ابن أمير المؤمنين- حفظه الله-[2] مشارك لصِنْوه جمال الإسلام في هٰذه الفتوحات الكريمة، والمواقف الشريفة، فنسأل الله أن يبارك لنا ولكم وللمسلمين في الجميع، فأَمِدُّوهم بالدّعاء، وحسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العليّ العظيم، وصلَّى الله على محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم. بتأريخ شهر جمادَى الأُولى، اثنين وسبعين وألف. ولمَّا صلح أمر

---

[1] في الأصل: «**نايبًا**».

[2] يبدو أنَّ المقصود ابن أخي الإمام المتوكِّل: (**عبدالله بن أحمد بن القاسم بن محمَّد**). وقد اعتاد المصنِّف أن يصف أبناء إخوة الإمام- ومنهم **عبدالله بن أحمد بن القاسم**، و(**عليّ بن أحمد بن القاسم**)- بأنَّهم «**أولاده**». ولا غرو؛ فهو عمُّهم.

بلاد (فَيْفاء)، واطمأنَّ أهلها، ودخلوا دولة الحقِّ وظِلِّها، وقد تعلَّق بكثير من العسكر المرض لمقامهم في الأوهاط المتقدِّم ذكرها، وكان ذٰلك في وقت أيلول، ثمَّ كانوا بعد ذٰلك في الجبال المرتفعة؛ ففشا[1] فيهم المرض، وقد تكاثروا، فاجتمع أهل الرأي من السادات، ورؤساء العسكر إلى مولانا جمال الدين– أيَّده الله– وقالوا: قد أصلح الله، وله الحمد، البلاد، وصدقَ وعده بالنصر لأهل الجهاد، وأن المقام الطويل مع تزايد الأمراض ربما يزهد الأعداء في دولة الحقّ، أو كما قالوا. فكتب إلى الإمام، ملتمسًا رأيه الكريم، وعرض عليه ما تقدَّم من الرأي، وكتب أيضًا إلى عيون السادة والرؤساء، فاستصوب الإمام ذٰلك.[2] ثمَّ إنَّ الإمام طلب وصول مشايخ بلاد (فَيْفاء) جميعًا، فوصلوا إليه أرتالًا، وسارعوا إليه امتثالًا عن أمر مولانا جمال الدِّين، أيَّده الله. ولمَّا وصلوا إلى الإمام، عليه السلام، تألَّفهم،

---

[1] في الأصل: «فشى».

[2] معنى هٰذا أنَّ الفتح العظيم والنعيم المقيم لم يدم غير أسبوع وبضعة أيَّام، حتى تفشَّت الأمراض وظهر الشوك(!)؛ ففضَّلوا ترك النعيم لأهله والانسحاب من حيث جاؤوا! وهي أسرع عمليَّة فتحٍ عظيمٍ واستقرارٍ في نعيمٍ وافرٍ وفضلٍ غامر في التاريخ! فواضحة، إذن، مصداقيَّة «**استقرار الولد جمال الإسلام بجنود الحقّ هنالك في نعيمٍ وافرٍ وفضلٍ غامر، لم يمسسهم سُوء، ولا نال أحدًا منهم مكروه، ولا شيك أحدٌ منهم شوكة!**»

وآنسهم[1]، وأعطاهم، وكساهم، وأقاموا عنده في كبار قبائلهم، وهو مُقْبِلٌ عليهم بالتعليم والإرشاد تاليًا عليهم آيات الله ووعده ووعيده ليوم يقوم الأشهاد. فأثَّر فيهم ذٰلك كثيرًا، واستعمل عليهم عاملًا منهم، وهو [...]، وصَرَفَه معهم إلى مولانا جمال الدِّين، ثمَّ إلى بلادهم. وكتب لعاملهم ولهم ما هٰذا نسخته[...].[2] رجعنا إلى بقاء الإمام في (شهارة) المحروسة بالله، فإنَّه أقام فيها نحوًا من عشرة أشهر، وكان في بقاه فيها أيَّام فتح (فَيْفاء)، كما مرّ. وهمَّ بالتقدّم إلى (ظفير حَجَّة) لزيارة الأئمة... وقد اجتمع إليه أهل تلك المخاليف كبراؤهم وعاميّهم بالنذور الواسعة من النقود والأنعام وغيرهما، والضيافات الكثيرة. وقد جعل ما وصل إليه إلى (كحلان) للأشراف والشرايف من ذُرِّيَّة السيِّد الجليل (الحسن بن الإمام شرف الدِّين)، فاجتمع لهم من ذٰلك كثير، وزادهم إلى ذٰلك ممَّا وصل له إلى (السودة)[3]...».

---

[1] في الأصل: «**أنسهم**».

[2] هٰذه الفراغات في مَواطن مهمَّة من النصّ لا أدري ما سِرّها، وكأنَّها كانت تُمحَى منه.

[3] يبدو أنَّ هٰؤلاء السادة– كما تعبِّر عنهم روايات (**الجرموزي**)– لا يشبعون من أكل أموال الناس بالباطل، ولا يرتوون من مصّ دمائهم، أينما وجدوا إلى ذٰلك سبيلًا! فما يكاد يذكر حادثةً إلَّا أسهب في تقدير ما حصّل الإمام من ←

ومن عجبٍ أن يقع مثل هٰذا التحشُّد الواسع، والتسلُّح الطويل، والتألُّب والتظافُر من كلِّ الجهات، والاستعانة بالشَّام واليَمَن، وبأئمة الدولة وولاتها وأجنادها من كلِّ قُطر، لفتح جبال (**فَيْفاء**)! ثمَّ تأتي البُشرَى الكُبرَى المعلنة، وكأن القوم قد فتحوا جزيرة (**الأندلس**) من جديد! لٰكن الأعجب بعد كلّ هٰذا- وعلى الرغم من تصوير المصنِّف اكتساح الغُزاة الجبال، وزعمه طِيْبَ المستقرّ فيها، والنعيمَ الوافرَ الذي غمرهم في أراضيها- أنَّهم لم يستريحوا لا من وعثاء السَّفَر، ولا من كآبة المنظر، في جهادهم الجبَّار، وفتحهم المبين لصياصي الكُفَّار، سِوى أيَّامٍ غير معدودات، لم تكد تبلغ أسبوعَين، في نهاية جمادَى الأُولى ١٠٧٢هـ. غير أنَّه، إنْ صحَّ خبر ذٰلك الغزو، فلا عجب في الأُولى ولا في الأُخرى؛ فالأُولى؛ لأن تلك هي **فَيْفاء**، أمرها ليس بنُزهة،

الأموال الطائلة. ما يؤكِّد أنَّ ذٰلك كان أكبر همِّه، وغاية ما ينظر إليه. والشواهد في ذٰلك متواترة.

مهما كانت كرامات الأئمة ومعجزاتهم، والأُخرى؛ لأن ذٰلك هو (**الجرموزي**)، وديدنه في بثِّ الهول الدعائي وضخِّ التأييد الإلٰهي المطلَق حول أئمته دائمًا، وفي كلّ حرفٍ من كُتبه المنصبَّة على سِيَرهم.

٤- في أخبار سنة ١٠٨٦هـ= ١٦٧٥م:

وقد بقي تسلُّط الإماميَّة على (**اليَمَن**) وجِهاتِه الشَّماليَّة لجباية الأموال، تحت ذرائع شتَّى. من ذٰلك، بالإضافة إلى ما سبق، ما ساقه (**يحيَى بن الحسين**)[1] في أحداث ١٠٨٦هـ= ١٦٧٥م، حيث قال: «**في هٰذه الأيَّام أمرَ الإمام**[2] **في جميع اليَمَن أن تقوَّم أموال الذِّمِّيِّين وأملاكهم، ويُؤخذ منهم العُشر، فجُمع للإمام شيءٌ كثير من ذٰلك! وفي هٰذه السنة سار (حسن بن الإمام) إلى جهات (فَيْفاء)، أخذ منهم شيئًا**

[1] **بهجة الزمن في تاريخ اليَمَن** (مخطوط)، ٢: ١٠٦أ- ١٠٦ب.

[2] في هٰذا العام (١٠٨٦هـ) كان ما يزال الإمام هو (**المتوكّل إسماعيل بن القاسم**).

من الطعامات؛ لأنَّهم لا يسلِّمون الزكاة، ثمَّ طَلَعَ جَبَل (رازح).» وبالطَّبع هم لا يسلِّمون الزكاة للإمام، ولا بُدَّ- حسب سُنَّة الأئمَّة- أن تسلَّم للإمام في **اليَمَن**، ليتصرَّف فيها هو هناك، لا أنْ يُنفقها المسلمون على الفقراء في بلدهم! تلك الجباية الماليَّة كانت، إذن، هي الغاية العظمى، التي كانت تسوِّغ لهٰؤلاء الأئمَّة شنَّ الحملات العدوانيَّة على الناس النائين الآمنين في ديارهم، وأن يعيثوا في الأرض فسادًا؛ ومن ثمَّ كان الإمام يستحقّ عليها تمجيد الشعراء البلاطيِّين، الذين يسرد (**الجرموزي**) قصائدهم! يفعلون ذٰلك لا دِيانةً، بل سياسة. فالإسلام دعوة، وليس استباحة للدِّيار والأموال، ثمَّ نَعْت ذٰلك بالجهاد والفتوح. سياسة كانوا يتقوَّون من خلالها في مواجهة الأتراك العثمانيِّين جَنوبًا بالتوسُّع شَمالًا؛ بما يحتلُّون من أراضٍ، وما يستولون عليه من أموال، وما يكسبون من مُوالين، طوعًا أو كرهًا، في سبيل دولتهم المنتظرة.

ومهما يكن من غزو، فسرعان ما تحرَّر أهل **(فَيْفاء)** من النفوذ الإماميّ اليَمَنيّ نهائيًّا بعد انتهاء إمامة أخي المؤيَّد: **(المتوكّل إسماعيل بن القاسم بن محمَّد،** -١٠٨٧هـ= ١٦٧٦م).[١] وبذا فإن حُكم إمامة **(اليَمَن)** لـ**(فَيْفاء)** استمرّ من القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي زُهاء ٥٢ سنة: (١٠٣٥– ١٠٨٧هـ= ١٦٢٥– ١٦٧٦م).

٥– في أخبار سنة ١١٧٤هـ= ١٧٦١م[٢]**:**

ثمَّ غزا (فَيْفاءَ) أميرُ (المخلاف السُّليماني)، (الشريف محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن خيرات الحَسني، -١١٩٠هـ= ١٧٧٦م)، في سنة

[١] انظر: العقيلي، محمَّد بن أحمد، **تاريخ المخلاف**، ١: ٣٥٥؛ **المعجم الجغرافي**، ٣٢٢.

[٢] وَهَمَ (العقيلي، **المعجم الجغرافي**، ٣٢٢؛ **تاريخ المخلاف**، ١: ٤٠٣– ٤٠٤) في تأريخ ما أورده نقلًا عن (البهكلي، **خلاصة العسجد**) في أحداث ١١٧٤هـ، فزعم أنَّ الغزو وقع سنة ١١٦٥هـ. وهٰذا خطأ، تناقله عن **(العقيلي)** لاحقوه. فلم تُغْزَ **(فَيْفاء)** سنة ١١٦٥هـ، وإنَّما الصواب– حسب **(البهكلي)**– أنَّ **(الشريف الخيراتي)** غزا **فَيْفاء** سنة ١١٧٤هـ، ثمَّ جاءت الغزوة الثأريَّة، بإلحاحٍ من **(المَكرمي)**، في السنة التالية ١١٧٥هـ، وليس بعد نحو عشر سنواتٍ، كما في كُتب **العقيلي**.

١١٧٤هـ= ١٧٦١م، وكان يتَّخذ من **(أبي عريش)** قاعدته. وكان هٰؤلاء الأشراف بدورهم ولاةً من قِبَل أئمَّة الزيديَّة في **(اليَمَن)**، تتقاضى أُسرتهم- منذ جَدِّهم **(خيرات)**- المعاش بترتيبٍ من أئمَّة الزيديَّة في **اليَمَن.**[1] وكانت غزوة الشريف بجيشٍ من مرتزقة **(يام)**. وقد ساق **(عبدُالرحمٰن بن حسن البهكلي**، ١٢٢٤هـ= ١٨٠٩م)[2] قِصَّة تلك الغزوة، في أحداث ١١٧٤هـ= ١٧٦١م، شهر رجب، قائلًا:

> **«فلمَّا انتهى [الشريف] في رجوعه إلى بَيْش، ترجَّح له قصد جَبَل (فَيْفاء)، بفاءين[3] مفتوحتين، بينهما مثنَّاة**

---

[1] يُنظر: رنتز G. Rentz، **دائرة المعارف الإسلاميَّة**، (جيزان) ١٣: ١١٢.

[2] **خلاصة العسجد**، (مخطوط)، ورقة ٣١/ أ- ٣٢/ أ.

[وقد آثرت الرجوع إلى الوثيقة المخطوطة مباشرةً، وأرى ذٰلك أَولى لمن استطاع إليه سبيلًا؛ فلا يخلو المطبوع من اختلال، من حيث الدِّقَّة في النقل، وقراءة بعض المفردات على نحوٍ صحيح. ونسخة الكتاب في مكتبة جامعة المَلِك سعود بالرِّياض، قسم المخطوطات، (برقم ٧٧٢٢، ف١٦٢١/ ٤، التصنيف ٨, ٩٥٣/ خ.ب)، تعود ملكيَّتها إلى «**المكتبة العقيليَّة**» بجازان.]

[3] في الأصل: «**فيفا بفائين**».

ساكنة، كنية على وزن فَعْلا، كحَمْرا، وسَكْرَا.[1] واضطرب الكلام هل هو المرجِّح لذٰلك أم كبراء بعض (بني يام)؛ لأنَّهم كانوا يظنُّون بذٰلك الجَبَل أموالًا مستكثرة، لكونه لم يكن تحت وطأة أحدٍ من الدُّوَل، ولم يعلموا أنَّ إِبَر النحل دون العسل. والحال أنَّه لم يكن ثَمَّ موجبٌ على قصد أهله؛ لأنَّهم لا يصدر منهم إضرار بأحد من الرعيَّة، وليس لهم قصد إلى الشريف في طلب عطيَّة ولا دفع أَذِيَّة[2]؛ فشاهِد حالهم كما قال بعض البريَّة:

أغنَى الأنام فقيرٌ في ذُرَى جَبَلٍ
لا يَعْرِفُ الوَشْيَ مَنْسُوْجًا ولا التَّاجا

ولٰكنَّها جَرَت الأقدار، وغلب الطمع على (بني يام)، فأوقعهم في البَوار.

عَلِمْتُ يَقِيْنًا أَنَّ ما حُمَّ كَوْنُهُ
فسَعْيُ امرئٍ في صَرْفِهِ غَيْرُ نافِعِ

وكان توجُّه الشريف إلى جَبَل (فَيْفاء) في شهر رمضان العظيم قدره، فنزل بموضع يسمَّى (الرَّقَّة)، قريب من الجَبَل المذكور، وأقام به فيها أحسب ثلاثة [أيَّام]. وكان

[1] كذا. وهو يقصد مقصور (حَمْراء)، ووزن (سَكْرَى). غير أنَّ الصواب أنَّ اسمها: «**فَيْفاء**»، بالمدّ، وإنْ قُصِر الاسم، فإنَّما على سبيل قَصْر الممدود.

[2] يظهر هاهنا منطق الحقِّ والعقل والإنصاف من المؤرِّخ (**البهكلي**)، بخلاف ما رأيناه لدَى (**الجرموزي**)، من قبل. وذٰلك للفارق بين مؤرِّخٍ مستقلّ ومؤرِّخٍ مسيَّس مأجور القَلَم.

لأهل الجَبَل شيخٌ اسمه (قاسم بن أحمد)، ويلقَّب بـ(المُعَكْوِي)، على صيغة اسم الفاعل، يتعلَّق بالنِّجامة والكهانة، ويقال إنَّ له قريبًا من الجِنّ، فربما أخبر بشيء من المغيَّبات![1] فلم يزل يراسل الشريف ويكاتبه في الكَفّ عن القتال، وأنَّه ليس له حُجَّة عند أصحابه، لٰكنَّه لم يُجْدِ كلامه في الشريف، بل صمَّم على قصد الجَبَل المنيف. وكان جَبَلًا شامخًا، شديد الوعورة عظيم الأطوار[2]، هائل الصورة، لا يسلك إليه الماشي على قدمَيه من غير أن يستعين بيدَيه، وربما حَبَا[3] على ركبتَيه! فقسَّم الشريف جنده ثلاث ثُبات، طلعت ثُبَة من الجانب الغَربي، والثانية من الجانب القِبْلي، والثالثة من الجانب اليماني إلى جهة الشَّرق أقرب. وكان البناء بينهم أن يجتمعوا بذروة الجَبَل، وما علموا أنَّ دون ذٰلك

[1] قلتُ: تلك طريقةٌ من التفكير بدائيَّةٌ إزاء ما يَعجز الناس عن تفسيره أو التغلُّب عليه؛ فلمَّا انهزم القوم، عَزَو الأمر إلى جِنّ أهل (فَيْفاء)، وعِلم المغيَّبات، وما إلى ذٰلك من الخُرافات! ﴿**قُل: لَا يَعْلَمُ مَنْ في السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ الغَيْبَ إِلَّا اللَّـهُ، ومَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُون**﴾. (سورة النمل، الآية ٦٥).

[2] «**الأطوار**»، بلهجة (فَيْفاء): الصخور العظيمة. جمع «**طَوْر**». وكأن ذٰلك هو المقصود لدَى (**البهكلي**). واللفظ مستعمل في لهجات جَنوبيَّة أخرى. ونجد أنَّ كلمة (طورَى/ طورَا) في الآراميَّة والسريانيَّة تعني: جَبَل. والطُّور في العربيَّة: الجَبَل؛ ومنه (**الطُّور**): الجَبَل المعروف، قُربَ (**أَيْلَة**). (انظر مثلًا: ظاظا، حسن، **الساميُّون ولغاتهم**، ١٢، ٥٥؛ الزبيدي، (طور)).

[3] في الأصل: «**حبى**».

خَرْطَ القتاد، وذهاب الطارف والتالد. فوقع بينهم وبين أهل الجَبَل قتالٌ شديد، وضربٌ مُبيد، فانهزم أهل الجَبَل في أوَّل النهار، ولم يكن غالب أسلحتهم إلَّا أعواد ليس لها أسنَّة، بل يسلكون[1] رؤوسها حتى تصير في غاية الدِّقَّة والنفوذ، ثمَّ يُضعِفون العُود عند منتهى السليك؛ فإذا أصابوا به أحدًا عند الرمي نَفَذَ فيه، ثمَّ انكسر منتهاه، فلا يُخلَّص من المصاب حتى يشرب بكأس الصَّاب. ومن جُملة سلاحهم الوَضْف[2] بالحجارة، فلا تكاد تخطئ وَضْفَةُ أحدِهم الغرضَ،

---

[1] يَسْلُك، بلهجة المنطقة: يقطع. ويَسْلُكون، أو يُسَلِّكون، هاهنا، بمعنى يشذِّبون رأس العُود، ويَبْرُونه، ويُحَدِّدونه. وفي اللغة: المُسَلَّكُ: النَّحِيفُ. يُقال: رجلٌ مُسَلَّكٌ: أي نَحِيفُ الجِسمِ. وكذٰلك فَرَسٌ مُسَلَّكٌ. وإنَّه لَمُسَلَّكُ الذَّكَرِ، إذا كانَ حَدِيدَ الرَّأس. (انظر: الزبيدي، (سلك)).

[2] الوَضْف: الرَّشْق. والمُوْضَفَة: المِرْجَمَة، وكانت من أسلحتهم. وأَوْضَفَ، يُوضِفُ: رَشَقَ بالحجارة. هٰذا المستعمل في لهجات (**فَيْفاء**). ونجد في معجمات العربيَّة قولهم: أوْضَفَتْ الناقة: إذا خَبَّتْ. فالإيْضَافُ: الإيْجَافُ في الرَّكْض. (انظر: الأزهري، **تهذيب اللغة**؛ الصاحب بن عبَّاد، **المحيط في اللغة**، (وضف)). وقد أهمل هٰذه المادة (الجوهري، **صحاح اللغة**) و(ابن منظور)، كما نبَّه إلى ذٰلك (**الزبيدي**). غير أنَّ من شرحوا «**الإيضاف**» بـ«**الإيْجَاف في الرَّكْض**»، لم يتبيَّنوا سبب تسمية «**الإيْجَاف**» «**إيضافًا**»؟ وما السبب إلَّا لأن الناقة في إيجافها تُوْضِف الحصى بأخفافها. كما قال الشاعر (عَبْدَة بن الطَّبيب، **شِعره**، ٦٤/ ٢٣):

تَرَى الحَصَى مُشفَترًّا عَن مَناسِمِها ... كَما تُجَلْجِلُ بِالوَغلِ الغَرابيلُ

وهٰذا ممَّا حفظته اللهجة وضاع من ذاكرة العربيَّة المدوَّنة.

حتى لقد أخبرني بعض الممارسين لهم من أهل الجهة أَنَّه شاهدَ بعضَهم يعلّق له حلقة صغيرة بمقدار سوار العضد فيرميها بحجر المِيْضَفَة، فيُنفذه منها. وبالجُملة فلهم في ذٰلك أحكام قلَّ أن يصل إليها أحدٌ سواهم من الأنام. ولمَّا طَلَع أصحاب الشريف عند حال هزيمة أصحاب الجَبَل أكثر من نصف المسافة، وحازوا نهبَ جميع ما خلَّفوه وراء ظهورهم من قُرى الجَبَل، وقد أَمِنُوا المخافة، تزايدت[1] عليهم الغارات، ونادى أهلُ الجَبَل يا للثارات، وتكاثروا حتى هالت كثرتُهم جُنْدَ الشريف، ورموهم بتلك الحِراب وحجارة الوَضَف، فنزل بهم الأمرُ المخيف، فولَّوا الأدبار، ورجعوا إلى محلِّهم الذي خَرَجُوا منه، فاستقرُّوا به ولاتَ حين قرار. وهٰذا حال طائفتَين من الثلاث الثُّبات. وأمَّا الثالثة، وهم الطالعون من الجانب اليماني، فإنَّه قُتِل دليلُهم عند أوَّل الطلوع، فبَقُوا أَحْيَرَ من ضَبّ! ولم يتمكَّنوا من النزول والرجوع، وأطبق عليهم مَن في مقابلهم من أهل الجَبَل، فحلَّ بهم الفَشَل والوَجَل، وقُتِل منهم مقتلة عظيمة، فصار سلاحهم، وما أجلبوا به لأهل الجَبَل غنيمة. وبَلَغَني أنَّ المقتول منهم قريب من ثلاث مئة، منهم من قُتل بالسلاح، ومنهم من تردَّى عند الفِرار من الجَبَل فطاح.

---

[1] في الأصل: «فتزايدت». ولا محلَّ للفاء هنا؛ فالجُملة في جواب «لمَّا».

لِلّهِ يَبْقَى على الأَيَّامِ ذو حَيَدٍ
بِمُشْمَخِرٍّ بِـهِ الظَّـيَّانُ والآسُ[1]

ولم يبلغ خبرُهم إلى أصحابهم إلَّا قريب نصف النهار، ولم ينج منهم إلَّا مَنْ أَسْلَمَه القَدَرُ بعد أن كابد أعظم مشقَّة من الفرار. وغَنِم أهلُ الجَبَل من البنادق والسِّلاح ما يعظم خطره، ويصعب حصره. وبعد ذٰلك ارتحل الشريفُ عنهم في آخر الشهر المذكور، ولله عاقبة الأمور. وقد أنشد لسان حاله:

شَتَّانَ ما يَوْمِي على كُوْرِهِ ويَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ[2]

وبعد وصوله إلى (أبي عريش) زَلَّجَ[3] **بقيَّة المحطَّة**[4]**، فساروا بأخسر صفقة. ورفع الشريف إلى (المَكرمي) بجميع ما وقع من الأمر. وكان سلَّاه عن هٰذه القضيَّة العظيمة الشأن بأنَّ الحرب سِجال، والحال كما اعترف الأوَّل إذ قال:**

---

[1] البيت من قصيدة منسوبة إلى (**أبي ذؤيب الهُذَلي**) وإلى (**مالك بن خالد الخُناعيّ**)، في (السكري، **شرح أشعار الهُذَليِّين**، ١: ٢٢٧/ ٨، ٤٣٩/ ٤). وروايته فيه: «**يا مَيّ لَنْ يُعْجِزَ الأَيَّامَ ذو حَيَدٍ**»، و«**يا مَيّ لَنْ يُعْجِزَ الأَيَّامَ ذو خَدَمٍ...**». وللشَّطر الأوَّل روايات أخرى، منها التي رواها المؤلِّف هاهنا. ذو حَيَد: أي وَعْل في جَبَل. والظَّيَّان: ياسمين البَرِّ.

[2] البيت لـ(الأعشى، **ديوانه**، ١٤٧/ ٥٧). وفيه: «**كورها**».

[3] كلمة كأنّها «**زلَّج**». وواضح من السياق أنَّ المقصود أنَّه سرَّح العسكر الذين معه.

[4] المحطَّة في اصطلاح ذٰلك العصر هي- كما سبق-: المعسكر، أو كتيبة الجند.

فيومٌ علينا ويومٌ لنا ويومٌ نُسَاءُ ويومٌ نُسَرْ

ولٰكن (المَكرمي) استعظم هٰذا الأمر الواقع، وأساء في الشريف اعتقاده، وزعم أنَّ له في هٰذه الفعلة إرادة، وأنَّه لم يُرِد بقصد الجَبَل المذكور إلَّا الهضم لـ(بني يام) والإكادة.[١] وهي تهمة لا أصل لها في ما أحسِب، والله أعلم. ولٰكن لسوء ظنِّه اعتقد هٰذا الوقوع الدنيء المتعِب. وأخذ عليه الشريف في التوقُّف عن الحركة

[١] من المفارقة إزاء هٰذا العداء التاريخي لدَى (يام) (**لأهل فَيْفاء**)، ولشيخهم (**قاسم بن أحمد آل المُعَكْوِي المَدَري**)، أنْ نجِد زعمًا لـ(الشَّرفي، م.ن) يَرِد فيه، ضِمن أحداث ١٠٣٥هـ، القول: «**توجَّه السيِّد (عماد الدِّين يحيَى بن لطف الباري) إلى قبيلتَين، إحداها تسمَّى (الأيتام)، وهم زُهاء ثلاث مئة، والأخرى تسمَّى (آل الحرب)** [كُتبت الكلمة: الجرب، وأعلاها تعليق: «**بالجيم، محلَّةٌ هناك معروفة**»، وهو تعليقٌ غير صحيح، بل يبدو تعديلًا لاحقًا لا تعليقًا من قِبَل المؤلِّف؛ فواضح أنَّه يشير إلى (**الأيتام، وآل الحَرِب، وأهل مَدَر، من آل الصَّلْت**) في (**فَيْفاء**)، لا غير]، **وهم زُهاء ثلاث مئة أيضًا، وتوجَّه السيِّد (عبدالرحمٰن) إلى قبيلة تسمَّى (مَدَر)** [هنا تعليق عُلويّ: «**أهل**»]، **وهٰؤلاء الثلاث القبائل لها اسم جمعها يقال لهم: (آل الصَّلْت). يقال: إنَّ أصلهم (آل الصلت من نجران من يام)، والله أعلم. وبقي السيد في رأس جَبَل (حُجْر)، في موضع يُسمَّى (الكَدَرَة)...**». وموضع المفارقة هو الزعم بنسبة **آل الصَّلْت**، وهم من (**ولد عَطاء**) في **فَيْفاء**، إلى (**آل الصلت**) من (**يام**) (**نجران**). ولا يَعْدُو **الشَّرفيُّ** في هٰذا ناقلًا ممَّا قيل ويقال؛ فبنَى ذٰلك الربط الاسمي الاحتمالي البعيد؛ إذ لا يَعرف تاريخَ المنطقة ولا أنسابها. أمَّا التعويل على تشابه الأسماء والمَواطن، فمضلَّة قديمة، طالما توَّهت النسَّابة والبلدانيِّين.

لأخذ الثأر، ورجَّح له البقاء حتى يستعيد للجند من الكفاية والعُدَّة ما يقضي به الأوطار؛ لأنَّه قد أنفق في هٰذا المَخرج جملة مستكثرة من الأموال الجليلة المقدار.»

٦- في أخبار سنة ١١٧٥هـ= ١٧٦١م:

ثمَّ في (شهر صَفَر، سنة ١١٧٥هـ= ١٧٦١م) يورِد (**البهكليّ**)[١] قُدوم (**المَكرمي**) وإلحاحه على الشريف في شنّ هجوم انتقامي على (**فَيْفاء**)، واصفًا ما مُنيَ به الجيش المهاجم من هزيمة نكراء أخرى على أيدي أهل (**فَيْفاء**). فيقول:

«السنة الخامسة والسبعون [بعد المئة والألف] في شهر صَفَر الخير نزل القاضي (إسماعيل المَكرمي) بمحطَّة[٢] من (بني يام) عظيمة لقصد الانتقام من أهل جَبَل (فَيْفاء) بسبب ما حصل منهم في أهل دعوته ورجال نصرته، وخالفَ رأيَ الشريف في ما رجَّحه له من البقاء حتى يصله منه الرأي بالنزول، بعد استعداد ما يحتاج إليه لقتال أولٰئك القوم الذين شأنهم يهول. فشقَّ على الشريف نزوله، ولٰكنَّه لم يَسَعْه إلَّا التلقِّي له.

---

[١] **خلاصة العسجد**، ٣٤ب- ٣٥أ.

[٢] أي: بكتيبة من العساكر، كما سبق.

ولَمَّا وصل إلى شِعْب (الأملح)، قريبًا من مدينة (أبي عريش)، خرج الشريف إلى لقائه، وكلٌّ من الرجلَين ظنُّه بالآخَر غير حَسن؛ فالمَكرمي [يؤمِّل عدم نصيحة الشريف في الأخذ بالثأر][1]، والشريف يعتقد أنَّ المذكور لم يخالف رأيه وينزل في هٰذه الساعة إلَّا محبَّة في الإضرار. ثمَّ أُجمع الرأي منهما على التقدُّم إلى الجَبَل[2]، وقد استعدَّ أهله للقتال، ورغبوا في قتال بني يام أشدّ رغبة لما شاهدوا من تلك الأحوال. وقد حصل على يام من الوجل والفشل ما يجلّ عن الوصف بكلِّ حال. ولمّا وصلوا إليه وهمُّوا بالطلوع لقيهم أهلُ الجَبَل، فانهزموا أقبح هزيمة، ولم يخلص المَكرمي بنفسه إلّا محمولًا على أعناق الرجال، بعد أن قاسَى مشقَّةً جسيمة، ورأى خطوبًا فادحة قادحة مضيمة، ولٰكنَّه لسرعة الفرار كان القتل فيهم أخفّ من المرَّة الأولى؛ فهٰذه بالنظر إلى تلك أخوف حالًا وشانًا، وإنْ كان الحُكم متَّحد في كون الهزيمة تورث مذلَّة وهوانًا. فلمَّا أيقن المَكرمي بعدم القُدرة على الجَبَل، قوَّض خيامه وارتحل. وقد سُلبت جميع آلات دولته من الرايات والطيسان وأثاثه المحتمي به من النحاس ونحوه، حتى البغلة التي يركبها في غالب

---

[1] هٰذه العبارة غير واضحة الخطِّ تمامًا. غير أنَّ المفهوم منها أنَّ المَكرمي يخشى من الشريف عدم دعم توجُّهه للأخذ بالثأر.

[2] في الأصل: «على الجَبَل».

الأوقات، وقنع من الغنيمة بالإياب، وقَهْقَر يضرب أصدرَيه[1] عن تلك الأطواد والشِّعاب! فلم يكن قد صدرَ خلافٌ من أحدٍ من أهل هٰذا الجَبَل، الذي هو من شوامخ الأعلام. وظفِر (ابنُ المُعَكْوِي) بجميع آلات المَكرمي وأثاثه، وأصبح في الجَبَل أميرًا تطيعه أكابر ذكوره فضلًا عن إناثه؛ فما أحقَّه بمخاطبة بعض الأعراب لـ(معن بن زائدة الشيباني)، وقد حالت به الأحوال إلى الجلوس على الأسِرَّة وخضعت له أعناق الرِّجال، إذ يقول:

أتذكرُ إذ قَميصُكَ جِلْدُ شاةٍ
وإذ نَعـلاكَ[2] من جِلْـدِ البعـيرِ
وبـينَ يديـكَ عُكَّازٌ طويـلٌ
تَسُـوْطُ بهِ الكِـلابَ عنِ الهَريـرِ
فسبحانَ الذي أعطاكَ مُلْكًا
وعلَّمكَ الجُلوسَ على السَّريرِ!

والقِصَّة مشهورة مدوَّنة مأثورة. فلمَّا وصل الشريف

---

[1] يقال: قَهْقَرَ قَهْقَرةً: أي رَجَعَ على عَقِبِهِ. ويقال: جاء ينفض أصدرَيه، أو يضرب أصدرَيه: أي يضرب جنبَيه أو عِطفَيه، فارغًا، لا يلوي على شيء، ولم يحقِّق مبتغاه. ويُقال كذٰلك: أسدرَيه، وأزدرَيه. (انظر: ابن منظور، (سدر)).

[2] في الأصل: «**وإذ نعليك**».

و(المَكرمي) إلى قريب المدينة[١]، دخل الشريف إلى بيته بعد أيَّامٍ، على خفية من المَكرمي و(بني يام)، وبقي المَكرميُّ في شِعْب (الأملح)، وذٰلك بسبب المواهمة الحاصلة مع كلٍّ منهما من الآخر، كما سبقت الإشارة إلى ذٰلك في أوَّل الكلام. فعظُم على المَكرمي انفصال الشريف عنه، وزاد ما في نفسه من الوحشة. وعزم الشريف على تزليجه[٢] هو ومن معه من المحطَّة. وشرَط عليهم أن لا يسلّم لهم الزِّلاج[٣] إلّا بعد انفصالهم إلى (حَرَض). فشَقَّ هٰذا على المَكرمي أعظم من الأوَّل، ولٰكن لم تَسَعْه إلّا المساعدة، ورآها أجمل. وعيَّن معه الشريفُ ابنَه الشريفَ (أحمد بن محمَّد)، ومعه جميع ما يحتاجونه من المال والأمتعة المعتادة لذٰلك الحال. فسار معهم وزلَّجهم من هنالك، فانفصلوا إلى (نجران)، وعاد عنهم ابن الشريف وقد قاسى من المشقَّة ما لا يحتمله إنسان.»

[١] يعني: مدينة (**أبي عريش**).

[٢] هٰذه الكلمة «**تزليجه**» تؤكِّد صحَّة قراءتنا لكلمة «**زلَّج**» في النصّ السابق. ومن آثار ذٰلك اللهجيَّة الباقية قول المصريِّين اليوم: أراد أن «**يزحلق**» فلانًا. أي يصرفه.

[٣] يبدو من هٰذه الكلمة أنَّ التزليج لا يكون إلَّا بـ«**زِلاج**»، أي بمقابل. بمعنى أن يدفع لهٰؤلاء الجند المرتزقة حقوقهم في مقابل مشاركتهم في القتال ثمَّ يُصرفون.

ويورد (البهكليّ) في كتابه الآخَر «**نزهة الظريف**»[1]، في أحداث سنة ١١٩٩هـ= ١٧٨٤م، أنَّ أهالي (**أبي عريش**) قَصَدوا جبال (**فَيْفاء**) للاستشفاء من مرض الجُدَري، قائلًا:

> **«وفي السنة التي قَبْلها حدثَ بمدينة (أبي عريش) مرض الجُدَري، وهلك بسببه خلائق كثيرون [...[2]] يستفتون فيها من أكابرهم وعقَّالهم، وكادت المدينة أن تُشرِف على الاندراس، ووقع القطع أنَّ هٰذا الأثر ربما يَستأصل من بها من الأناس. ومن العجائب أنَّه لم يتعدَّ إلى أحدٍ من أهل المِخلاف، حتى القُرَى القريبة من أبي عريش. وإذا فَـرَّ أحدٌ من أهل المدينة أدركه حيثما كان، فيرجع إليها محمولًا، وقلَّ مَن خلص ممَّن أدركه خارجها. وأطبق عقلاء الناس أنَّ هٰذه عقوبة لهم خاصَّة بسبب ما يقع من المَناكِر واتِّباع أحكام الطواغيت وغير ذٰلك ممَّا لا يُمكن حصره، مع كونه يُستشنع ذِكره، نسأل الله العافية في الدارَين. (...)[3]. ولنرجع إلى ما وقع بالمدينة العريشيَّة من ذٰلك الأثر**

---

[1] (مخطوط)، ٤٧- ٤٩.

[2] كلمة غير واضحة.

[3] هنا يسوق قِصَّة لأخيه (**أحمد بن حسن البهكلي**) وما تعرَّض له من حبسٍ في (**اليَمَن**).

الخطير، فإنَّه استمرَّ قريبًا من سنتَين. فكم هلكَ بسببه من كبيرٍ وصغير. وممَّا أُثِر عنهم أنَّهم لَمَّا ضاقت بهم الأحوال وشاهدوا شديد الأهوال، صار بعض جُهَّالهم إلى (قاسم بن المُعَكْوِي) شيخ أهل جَبَل (فَيْفاء)، المارِّ ذِكره في «الخلاصة»، وكان كالمستجير اللائذ به، فأمره أن يذبح أهلُ المدينة رأسًا من البَقَر، كأنَّه على صفة القُربان، ووصفَ لهم صفات لا يحتملها إلَّا أهل الجهالة والطغيان. فسارعوا إلى ذٰلك، وذبحوا ثورًا سمينًا قريبًا من السُّوق، باشَر[1] ذبحه بحضرة جماعة من كبرائهم، فهلكوا بأجمعهم من هٰذا الأثر، وصار شاهد حالهم، كما قال:

المستجيرُ بعمرٍو عند كُربتِهِ
كالمستجيرِ منَ الرَّمضاءِ بالنَّارِ

وما درَى هٰذا المسكين، هو ومن أرسله، أنَّه لا يكشف الضرّ إلَّا الله اللطيف الخبير.»

ويَعِنُّ السؤال هنا عن سبب غزو أمير المِخلاف (**فَيْفاء**)؟ وما صلته بما يذكره (**البهكلي**) عن شيخ **فَيْفاء** من أنَّه كان يتعاطى التنجيم والكهانة؟ وكذٰلك ما ذكره من أنَّ أهل (**أبي عريش**) قَصَدوا شيخ **فَيْفاء** يستشْفون من مرض

[1] أي: الرسول الذي أرسلوه إلى (**ابن آل المُعَكْوِي**).

الجُدَري؛ لما عُرف عنه من تنجيمٍ وكهانة؟ إنْ كانت تواريخ هٰذه الأحداث دقيقة، فترتيبها هٰكذا:

- ١١٧٤هـ= ١٧٦١م: غزوة أمير المِخلاف الأُولى (**فَيْفاء**)، وانتهت بهزيمة الغُزاة.
- ١١٧٥هـ= ١٧٦١م: غزوة أمير المِخلاف الثأريَّة (**فَيْفاء**)، ومعه (**المَكْرَمي**) وقبائل (**يام**)، وانتهت بهزيمة أشدّ هولًا من الأُولى.
- ١١٩٩هـ= ١٧٨٤م: وفْد أهل (**أبي عريش**) إلى شيخ (**فَيْفاء**)، للاستشفاء من مرض الجُدَري، الذي ضَرَبَ مجتمعهم.

أ فكان الدافع لغزو (**فَيْفاء**) حربًا دِينيَّة على أولٰئك «**الجهلة الطُّغاة**»، كما يُستشفّ من كلام (**البهكلي**)، أم لأسباب أخرى؟ فلقد عُرِف عن ذٰلك الشريف الغازي (**محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن خيرات الحَسني**)، كما يشير **البهكلي** نفسه، شنُّ الحملات ذاتُ الدوافع الدِّينيَّة- ظاهريًّا على الأقل- على

بعض أجزاء المِخلاف.[1] إنَّ الأسباب السياسيَّة تستَصحبُ الأسباب الدِّينيَّة، وإنْ كانت هي المحرِّك الأساس.[2] على أنَّ السياسي، وكذا المهووس الدِّيني، يسوِّغان الغزو والقتل واستباحة الحُرمات دائمًا بأيِّ ذريعة ذات صبغة دِينيَّة، كما رأينا في غزوات أئمَّة الزيديَّة في (**اليَمَن**). وهو ما يُعجِب، ويُطرِب، بل يدفع إلى الموالاة، حتى من المغزوِّين المنتهَكين أحيانًا؛ فهٰؤلاء كَفَرَة، وأولٰئك مشركون، فلنفتح ديارهم، ونستحلّ دماءهم، وننتهب أموالهم، ولا كرامة، وليصدح الشعراء

---

[1] كتلك الحملة- التي استعان فيها كذٰلك بمقاتلي (**بني يام**)- والتي جرَّدها على قبائل (**بني شُعبة**)؛ لما كانوا يأخذونه من الجبايات على الحُجَّاج المارِّين ببلادهم، في حجّ ١١٦٩هـ= ١٧٥٦م، أي بين محاولتَيه المذكورتَين لغزو (**فَيْفاء**). كيف لا، وهم قد أساؤوا التعامل مع ركب أهل (**اليَمَن**)، وفيهم السادة آل الإمام، أهل (**كوكبان**)، أولياء نعمة (**الخيراتي**)! (يُنظر: البهكلي، **خلاصة العسجد**، ٢٥ب).

[2] وذٰلك الشريف عينه (**محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن خيرات الحَسني**) هو صاحب صناعة الخوازيق لمعاقبة خصومه. وكان معروفًا بظُلمه وغَدره، حتى ببني أُسرته. كما عُرِف بتهميش أهل المِخلاف في شؤون إدارته، والاستعانة عليهم بالمرتزقة؛ ما كان سببًا في ضِيْق الناس به وبسياسته، ثمَّ بمَن جاء بَعده من آلِه. (يُنظر: العقيلي، **تاريخ المِخلاف**، ١: ٣٨٧- ٤٣٣).

المنافقون، ويكتب المؤرِّخون المأجورون. كلَّا، بل كان الغزو لمطامع ماليَّة. ولقد كان **البهكلي** منصِفًا، بخلاف (**الجرموزي**)، فأثبت أهداف الغزو على أولٰئك النائين في جبالهم، الذين لم يُؤذوا أحدًا، ولا يَدينون بالولاء لأحد. لٰكن- كما قال- «**لأنَّهم كانوا يظنُّون بذٰلك الجَبَل أموالًا مستكثرة، لكونه لم يكن تحت وطأة أحدٍ من الدُّوَل، ولم يعلموا أنَّ إِبَر النحل دون العسل. والحال أنَّه لم يكن ثَمَّ موجب على قَصْد أهله؛ لأنَّهم لا يَصْدُر منهم إضرارٌ بأحدٍ من الرعيَّة، وليس لهم قَصْدٌ إلى الشريف في طلب عطيَّة ولا دفع أذيَّة... ولٰكنَّها جَرَت الأقدار، وغلب الطمع على (بني يام)، فأوقعهم في البَوار.**» وكان هٰؤلاء- كما يبدو من وصف **البهكلي** لعلاقتهم بالشريف- الدولةَ الحقيقيَّةَ في المِخلاف، يوجِّهون دفَّة الأمور حيثما شاءوا.

ثمَّ أ جاء لجوءُ أهل (**أبي عريش**) إلى شيخ (**فَيْفاء**) على خلفية انتصار أهل **فَيْفاء** مرَّتين على أمير المخلاف وجيشه؛ اعتقادًا في أنَّ ذٰلك النصر لم يكن إلَّا بمعونة غيبيَّة خارقة،

من قِبَل الجِنّ؟ أم هي علاقة طبيعيَّة مستمرَّة بين أهل الجَبَل وأهل تِهامة، إنَّما تخلَّلتها غزوتا (**الخيراتي**) المذكورتَين؛ تمامًا كغزواته الأخرى على أهالي تِهامة وعسْفه في سلطانه عليهم؟

أ وجاءت وَصْفَة (**المُعَكْوِي**) للعلاج من الجُدَريّ بدافعٍ ممَّا ظنَّه انتقامًا، أم قضى الله وحده أنْ لا يُجْدي الجهل نفعًا في شفاء مريض؟

أسئلة للتأمُّل في احتمال الإجابات.

ولم تتعرَّض جبال (**فَيْفاء**) و(**بني مالك**) بعدئذٍ لغزوٍ يُذكَر، أو حُكم من خارجها، حتى انضوت تحت الحُكم السُّعودي، ١٣٤٧هـ= ١٩٢٨م. سِوى ما كان من ولاءٍ قلِقٍ (**للأدارسة**)[١] في (**صَبْيا**)، ١٣٢٦ – ١٣٣٨هـ= ١٩٠٨–

---

[١] سُلالة (**أحمد بن إدريس الحَسَني**، –١٢٥٣هـ= ١٨٣٧م). صاحب الطريقة الصُّوفيَّة الأحمديَّة في (**المغرب**). من ذُرِّيَّة الإمام (**إدريس بن عبدالله المحض**). وُلِد بـ(**فاس**)، ثمَّ ارتحل إلى (**مكَّة**)، ثمَّ إلى (**صَبْيا**)، وفيها توفي. وحفيده (**محمَّد بن عليّ بن محمَّد بن أحمد بن إدريس**، –١٣٤١هـ= ١٩٣٢م)، ←

١٩١٩م، لعلَّه إنَّما كان تفضيلًا لحُكمهم على حُكم الإمامة اليَمَنيَّة، في ظلِّ التجاذبات الدوليَّة التي كانت محتدمة إذ ذاك في المنطقة. ثمَّ ما لبثت دولة **الأدارسة** أن انضوت، بنهاية ١٣٣٨هـ= ١٩٢٠م، تحت الحماية السُّعوديَّة، بما تحت نفوذها من بلدان، في مواجهةٍ كانت تهدِّد كيانها مع (**المملكة المتوكليَّة اليَمَنيَّة**).

٧- الاحتلال اليَمَني سنة ١٣٥٢هـ= ١٩٣٣م:

غير أنَّ جبال (**فَيْفاء**) و(**بني مالك**) قد تعرَّضت لاحتلال يَمَني آخَر، في (رمضان ١٣٥٢هـ= ديسمبر ١٩٣٣م)، في تحالفٍ إدريسيٍّ متوكليٍّ، بعد أن نقض (**الأدارسة**) اتفاقهم المشار إليه مع (**ابن سُعود**) للدخول تحت حمايته، ونقضَ

مؤسِّس (**دولة الأدارسة**) في (**جازان**) و(**عسير**). نشرَ طريقة جَدِّه الصُّوفيَّة، وتوسَّلَها إلى السُّلطة. وقد توغَّلتْ حُدودُ نفوذه حتى بلغتْ (**الحُديدة**). (انظر: الريحاني، أمين، **ملوك العَرَب**، ١: ٢٢٧- ٣٩٢؛ الزركلي، **الأعلام**، ١: ٩٥، ٦: ٣٠٣).

(**الإمام يحيَى آل حَميد الدِّين**)[1] كذٰلك ما كان من اعتراف، في ١٣٥٠هـ= ١٩٣١م، بسيادة (**المَلِك عبدالعزيز**) على جبال **فَيْفاء** وبني **مالك**. واستمرَّ احتلال الجبال حتى (صَفَر ١٣٥٣هـ= مايو ١٩٣٤م)[2]، إذ اتَّفقت المملكتان على سحب كلِّ طرفٍ جيوشه من أراضي الطرف الآخَر، وأُبرمت بينهما معاهدة (**الطائف**)، في ٦ صَفَر ١٣٥٣هـ، الموافق ٢٠ مايو ١٩٣٤م. وفي ما يأتي نصُّها[3]:

[1] حَكَمَ: ١٣٢٢- ١٣٦٧هـ= ١٩٠٤- ١٩٤٨م.

[2] تنتمي آخِر الأُسَر الإماميَّة الحاكمة في (**اليَمَن**) أُسرة (**آل حَميد الدِّين**)- التي احتُلَّت جبال (**فَيْفاء**) في عهدها- إلى القاسميِّين أنفسهم، نسبةً إلى (**المنصور القاسم بن محمَّد**)، الذين احتُلَّت **فَيْفاء** على أيديهم خلال القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي.

[3] (**مكتبة المَلِك سلمان**)، قاعة الجزيرة، رقم التصنيف في المكتبة: ٣٤١,٢٥٣٨ س م م. ويمكن مطالعتها على موقع «**قاعدة معلومات المَلِك خالد (الإصدار الأوَّل)، مؤسَّسة المَلِك خالد الخيريَّة**»، على شبكة «الإنترنت»:

http://goo.gl/nYHVZD

ولم يَخْلُ النصُّ من أخطاء طباعيَّة ولغويَّة، وفي أسماء المواضع، جرى إصلاحها هاهنا، وضُبطت الكلمات بالشكل.

معـاهدة (الطـائف)
بين (المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) و(المملكة اليمانيَّة)

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده.

نحن (عبدالعزيز بن عبدالرحمٰن الفيصل آل سعود)، مَلِك (المملكة العربيَّة السُّعوديَّة)، بما أنَّه قد عُقدت بيننا وبين حضرة صاحب الجلالة (المَلِك الإمام يحيَى بن محمَّد حَميد الدِّين)، مَلِك (المملكة اليمانيَّة)، معاهدة صداقة إسلاميَّة وأخوَّة عربيَّة لإنهاء حالة الحرب الواقعة لسوء الحظّ بيننا وبين جلالته، ولتأسيس علاقات الصداقة الإسلاميَّة بين بلادَينا، ووقَّعها مندوبٌ مفوَّض من قِبلنا ومندوبٌ مفوَّض من قِبل جلالته، وكلاهما حائزان للصلاحيَّة التامَّة المتقابلة، وذلك في مدينة (جُدَّة) في اليوم السادس من شهر صَفَر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاث مئة والألف، وهي مُدرجة مع عهد التحكيم والكُتب الملحقة بها فيما يلي:

معاهدة صداقة إسلاميَّة وأخوَّة عربيَّة
بين (المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) و(المملكة اليمانيَّة)

حضرة صاحب الجلالة (الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمٰن الفيصل آل سعود)، مَلِك (المملكة العربيَّة السُّعوديَّة)، من

جهة، وحضرة صاحب الجلالة (الإمام يحيَى بن محمَّد حَميد الدِّين)، مَلِك (اليَمَن)، من جهة أخرى؛ رغبةً منهما في إنهاء حالة الحرب التي كانت قائمة لسوء الحظّ فيما بينهما، وبين حكومتَيهما وشعبَيهما، ورغبةً في جمع كلمة الأُمَّة الإسلاميَّة العربيَّة، ورفع شأنها، وحِفظ كرامتها واستقلالها؛ ونظرًا لضرورة تأسيس علاقات عهديَّة ثابتة بينهما وبين حكومتَيهما وبلادَيهما على أساس المنافع المشتركة والمصالح المتبادلة؛ وحُبًّا في تثبيت الحُدود بين بلادَيهما، وإنشاء علاقات حُسن الجِوار، وروابط الصداقة الإسلاميَّة فيما بينهما، وتقوية دعائم السلم والسكينة بين بلادَيهما وشعبَيهما؛ ورغبةً في أن يكونا عضدًا واحدًا أمام الملمّات المفاجئة، وبُنيانًا متراصًّا للمحافظة على سلامة (الجزيرة العربيَّة)؛ قرَّرا عقد معاهدة صداقة إسلاميَّة وأُخوَّة عربيَّة فيما بينهما، وانتدَبا لذٰلك الغرض مندوبَين مفوَّضَين عنهما، وهما: عن حضرة صاحب الجلالة مَلِك (المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) حضرة صاحب السموّ المَلَكي (الأمير خالد بن عبد العزيز)، نجل جلالته ونائب رئيس مجلس الوزراء، وعن حضرة صاحب الجلالة مَلِك (اليَمَن) حضرة صاحب السِّيادة (السيِّد عبدالله بن أحمد الوزير). وقد مَنحَ جلالة المَلِكَين مندوبَيهما الآنفَي الذِّكر الصلاحيَّة التامَّة والتفويض المطلق. وبعد أن اطَّلع المندوبان المذكوران على أوراق التفويض التي بِيَد كلٍّ منهما، فوجداها موافقةً للأصول، قرَّرا باسم ملكَيهما الاتفاق على المواد الآتية:

المادة الأولى

تنتهي حالة الحرب القائمة بين (مملكة اليَمَن) و(المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) بمجرد التوقيع على هٰذه المعاهدة، وتنشأ فورًا بين جلالة المَلِكَين وبلادَيهما وشعبَيهما حالة سلم دائم، وصداقة وطيدة، وأخوَّة إسلاميَّة عربيَّة دائمة، لا يمكن الإخلال بها جميعها أو بعضها. ويتعهَّد الفريقان المتعاقدان بأن يَحُلَّا بروح الودِّ والصداقة جميع المنازعات والاختلافات التي قد تقع بينهما، وبأن يسود علاقتهما روح الإخاء الإسلامي العربي في سائر المواقف والحالات، ويُشهِدان الله على حُسن نواياهما ورغبتهما الصادقة في الوِفاق والاتفاق سِرًّا وعلنًا، ويرجوان منه سبحانه وتعالى أن يوفِّقهما وخلفاءهما وورثاءهما وحكومتَيهما إلى السير على هٰذه الخطَّة القويمة التي فيها رِضَى الخالق وعِزّ قومهما ودِينهما.

المادة الثانية

يعترف كلٌّ من الفريقَين الساميَين المتعاقدَين للآخَر باستقلال كلٍّ من المملكتَين استقلالًا تامًّا مطلقًا وبملكيَّته عليها؛ فيعترف حضرة صاحب الجلالة (الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمٰن الفيصل آل سعود)، مَلِك (المملكة العربيَّة السُّعوديَّة)، لحضرة صاحب الجلالة (الإمام يحيَى)، ولخلفائه الشرعيِّين باستقلال (مملكة اليَمَن) استقلالًا تامًّا مطلقًا، وبالملكيَّة على مملكة اليَمَن. ويعترف حضرة صاحب الجلالة (الإمام يحيَى بن محمَّد حَميد الدِّين)، مَلِك (اليَمَن)، لحضرة صاحب الجلالة (الإمام عبدالعزيز)، ولخلفائه الشرعيِّين، باستقلال (المملكة العربيَّة السُّعوديَّة)

استقلالًا تامًّا مطلقًا، وبالملكيَّة على المملكة العربيَّة السُّعوديَّة. ويُسقِط كلٌّ منهما أيَّ حقٍّ يدَّعيه في قسم أو أقسام من بلاد الآخَر خارج الحُدود القطعيَّة المبيَّنة في صُلب هٰذه المعاهدة.

إنَّ جلالة (الإمام المَلِك عبدالعزيز) يتنازل بهٰذه المعاهدة عن أيِّ حقٍّ يدَّعيه من حمايةٍ أو احتلالٍ أو غيرهما في البلاد التي هي بموجب هٰذه المعاهدة تابعةٌ (لليَمَن) من البلاد التي كانت بيَد (الأدارسة) وغيرها. كما أنَّ جلالة (الإمام المَلِك يحيَى) يتنازل بهٰذه المعاهدة عن أيِّ حقٍّ يدَّعيه باسم الوحدة اليَمانيَّة أو غيرها، في البلاد التي هي بموجب هٰذه المعاهدة تابعة (للمملكة العربيَّة السُّعوديَّة) من البلاد التي كانت بيد الأدارسة أو (آل عائض) أو في (نجران) و(بلاد يام).

المادة الثالثة

يتَّفق الفريقان الساميان المتعاقدان على الطريقة التي تكون بها الصِّلات والمراجعات، بما فيها حِفظ مصالح الطرفَين وبما لا ضَرر فيه على أيِّهما، على أنْ لا يكون ما يمنحه أحد الفريقَين الساميَين المتعاقدَين للآخَر أقلَّ ممَّا يمنحه لفريقٍ ثالث، ولا يوجب هٰذا على أيِّ الفريقَين أن يمنح الآخَر أكثر ممَّا يقابله بمثله.

المادة الرابعة

خطُّ الحُدود الذي يفصل بين بلاد كلٍّ من الفريقَين الساميَين المتعاقدَين موضَّحٌ بالتفصيل الكافي فيما يلي، ويُعتبر هٰذا الخطُّ حدًّا فاصلًا قطعيًّا بين البلاد التي تخضع لكلٍّ منهما:

يبدأ خطُّ الحُدود بين المملكتَين اعتبارًا من النقطة الفاصلة بين (مَيْدي) و(المُوَسَّم) على ساحل (البحر الأحمر) إلى جبال (تِهامة) في الجهة الشَّرقيَّة، ثمَّ يرجع شَمالًا إلى أن ينتهي إلى الحُدود الغَربيَّة الشَّماليَّة التي بين (بني جُماعة) ومَن يقابلهم من جهة الغَرب والشَّمال، ثمَّ ينحرف إلى جهة الشَّرق إلى أن ينتهي إلى ما بين حُدود (نقعة) و(وعار) التابعتَين لقبيلة (وائلة) وبين حُدود (يام)، ثمَّ ينحرف إلى أن يبلغ مضيق (مروان) و(عَقَبَة رفادة)، ثمَّ ينحرف إلى جهة الشَّرق حتى ينتهي من جهة الشَّرق إلى أطراف الحُدود بين مَن عدا (يام) مِن (همدان بن زيد وائلي) وغيره وبين (يام)، فكلَّما عن يمين الخطِّ المذكور الصاعد من النقطة المذكورة، التي على ساحل البحر إلى منتهى الحُدود في جميع جهات الجبال المذكورة، فهو من (المملكة اليمانيَّة)، وكلَّما هو عن يسار الخطِّ المذكور فهو من (المملكة العربيَّة السُّعوديَّة)، فما هو من جهة (اليَمَن) المذكورة هو: (مَيْدي)، و(حَرَض)، وبعض قبيلة (الحرَّث)، و(المير)، وجبال (الظاهر)، و(شذا)، و(الضيعة)، وبعض (العبادل)، وجميع بلاد وجبال (رازح)، و(مُنبِّه)، مع (عرو آل الشيخ)، وجميع بلاد وجبال (بني جُماعة)، و(صُحار الشَّام)[1]، (يباد) وما يليها، ومحلّ (مريصفة)، من (صُحار الشَّام) وعموم (صُحار) و(نقعة)، و(وعار) وعموم (وائلة)، وكذا (الفرع)

---

[1] في الأصل: «**سحار**»، والصواب بالصاد، نسبة إلى (**صُحار بن خَوْلان**).

مع (عَقَبَة نهوقة)، وعموم من عدا (يام)، و(وادعة ظهران)، من (همدان بن زيد)، هٰؤلاء المذكورون وبلادهم بحُدودها المعلومة، وكلّما هو بين الجهات المذكورة وما يليها ممَّا لم يُذكر اسمه ممَّا كان مرتبطًا ارتباطًا فعليًّا أو تحت ثبوت يد المملكة اليمانيَّة قبل سنة ١٣٥٢، كلّ ذٰلك هو في جهة اليمين، فهو من المملكة اليمانيَّة، وما هو في جهة اليسار المذكورة، وهو (المُوَسَّم)، و(وعلان)، وأكثر (الحرَّث)، و(الخوبة)، و(الجابري)، وأكثر (العبادل)، وجميع (فَيْفاء)، و(بني مالك)، و(بني حَرِيْص)، و(آل تَلِيْد)، و(قحطان)، و(ظهران وادعة)، وجميع (وادعة ظهران)، مع مضيق (مروان)، و(عَقَبَة رفادة)، وما خلفهما من جهة الشَّرق والشَّمال من (يام)، و(نجران)، و(الحضن)، و(زور وادعة)، وسائر من هو في (نجران) من (وائلة)، وكلّ ما هو تحت (عَقَبَة نهوقة) إلى أطراف (نجران) و(يام) من جهة الشَّرق، هٰؤلاء المذكورون وبلادهم بحُدودها المعلومة، وكلّ ما هو بين الجهات المذكورة، وما يليها ممَّا لم يذكر اسمه ممَّا كان مرتبطًا ارتباطًا فعليًّا أو تحت ثبوت يَد (المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) قبل سنة ١٣٥٢، كلّ ذٰلك هو في جهة يسار الخطِّ المذكور فهو من المملكة العربيَّة السُّعوديَّة.

وما ذُكر من (يام)، و(نجران)، و(الحضن)، و(زور وادعة)، وسائر مَن هو في (نجران) مِن (وائلة) فهو، بناءً على ما كان من تحكيم (جلالة الإمام يحيَى) لـ(جلالة المَلِك عبدالعزيز) في (يام)،

والحُكم من جلالة المَلِك عبدالعزيز بأنَّ جميعها تتبع (المملكة العربيَّة السُّعوديَّة)؛ وحيث إنَّ (الحضن)، و(زور وادعة)، ومَن هو مِن (وائلة) في (نجران) هم من (وائلة)، ولم يكن دخولهم في المملكة العربيَّة السُّعوديَّة إلَّا لما ذُكر، فذٰلك لا يمنعهم ولا يمنع إخوانهم (وائلة) عن التمتُّع بالصِّلات والمواصلات والتعاون المعتاد والمتعارف به. ثمَّ يمتدّ هٰذا الخطّ من نهاية الحُدود المذكورة آنفًا بين أطراف قبائل المملكة العربيَّة السُّعوديَّة وأطراف مَن عدا (يام) مِن (همدان بن زيد) وسائر قبائل (اليَمَن) فـ(للمملكة اليمانيَّة) كلّ الأطراف والبلاد اليمانيَّة إلى منتهى حُدود اليَمَن من جميع الجهات. وللمملكة العربيَّة السُّعوديَّة كلّ الأطراف والبلاد إلى منتهى حُدودها من جميع الجهات، وكلّ ما ذُكر في هٰذه المادة من نُقَط شَمال وجَنوب وشَرق وغَرب فهو باعتبار كثرة اتِّجاه مَيل خطّ الحُدود في اتِّجاه الجهات المذكورة، وكثيرًا ما يميل لتداخلٍ ما إلى كلٍّ من المملكتين. أمَّا تعيين وتثبيت الخطّ المذكور وتمييز القبائل وتحديد ديارها على أكمل الوجوه، فيكون إجراؤه بواسطة هيئة مؤلَّفة من عددٍ متساوٍ من الفريقَين بصورةٍ ودِّيَّة أخويَّة بدون حَيْف، بحسب العُرف والعادة الثابتة عند القبائل.

المادة الخامسة

نظرًا لرغبة كلٍّ من الفريقَين الساميَين المتعاقدَين في دوام السلْم والطمأنينة والسكون، وعدم إيجاد أيّ شيءٍ يشوِّش

الأفكار بين المملكتَين، فإنَّهما يتعهَّدان تعهُّدًا متقابلًا بعدم إحداث أيّ بناءٍ محصَّنٍ في مسافة خمسة كيلو مترات في كلِّ جانبٍ من جانبَي الحُدود في كلِّ المواقع والجهات على طولٍ خطِّ الحُدود.

المادة السادسة

يتعهَّد كلٌّ من الفريقَين الساميَين المتعاقدَين بسحب جُنده فورًا عن البلاد التي أصبحت بموجب هٰذه المعاهدة تابعة للفريق الآخَر مع صَون الأهلين والجُند عن كلِّ ضرر.

المادة السابعة

يتعهَّد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن يمنع كلٌّ منهما أهالي مملكته عن كلِّ ضررٍ وعُدوان على أهالي المملكة الأخرى في كلِّ جهةٍ وطريق، وبأن يمنع الغزو بين أهل البوادي من الطرفَين، وبردِّ كلَّ ما ثبت أخذه بالتحقيق الشرعي، من بعد إبرام هٰذه المعاهدة، وضمان ما تَلِف، وبما يلزم بالشرع فيما وقع من جناية قتلٍ أو جرحٍ، وبالعقوبة الحاسمة على من ثبت منهم العُدوانً. ويظلّ العمل بهٰذه المادة ساريًا إلى أن يوضع بين الفريقَين اتِّفاق آخَر لكيفيَّة التحقيق وتقدير الضرر والخسائر.

المادة الثامنة

يتعهَّد كلٌّ من الفريقَين الساميَين المتعاقدَين تعهُّدًا متقابلًا بأن يمتنعا عن الرجوع للقُوَّة لحلِّ المشكلات بينهما، وبأن يعملا جهدهما لحلِّ ما يمكن أن ينشأ بينهما من الاختلاف، سواء كان سببه ومنشؤه هٰذه المعاهدة أو تفسير كلِّ أو بعض موادّها، أم كان ناشئًا عن أيِّ سببٍ آخَر بالمراجعات

الودِّيَّة. وفي حالة عدم إمكان التوفيق بهٰذه الطريقة يتعهَّد كلٌّ منهما بأن يلجأ إلى التحكيم الذي تُوَضَّح شروطه وكيفيَّة طلبه وحصوله في مُلْحَقٍ مرفَقٍ بهٰذه المعاهدة. ولهٰذا المُلْحَق نفس القُوَّة والنفوذ اللذين لهٰذه المعاهدة، ويُحسَب جزءًا منها وبعضًا متمِّمًا للكلّ فيها.

المادة التاسعة

يتعهَّد كلٌّ من الفريقَين الساميَين المتعاقدَين بأن يمنع، بكلِّ ما لديه من الوسائل المادِّيَّة والمعنويَّة، استعمال بلاده قاعدةً ومركزًا لأيِّ عملٍ عُدوانيٍّ أو شروعٍ فيه أو استعداد له ضدّ بلاد الفريق الآخَر. كما أنَّه يتعهَّد باتخاذ التدابير الآتية، بمجرد وصول طلبٍ خطِّيٍّ من حكومة الفريق الآخَر، وهي:

١. أن يكون الساعي في عمل الفساد من رعايا الحكومة المطلوب منها اتخاذ التدابير؛ فبعد التحقيق الشرعي وثبوت ذٰلك، يؤدَّب فورًا مِن قِبَل حكومته بالأدب الرادع الذي يقضي على فعله ويمنع وقوع أمثاله.

٢. وإنْ كان الساعي في عمل الفساد من رعايا الحكومة الطالبة اتخاذ التدابير، فإنَّه يُلقَى القبض عليه فورًا من قبل الحكومة المطلوب منها، ويسلَّم إلى حكومته الطالبة. وليس للحكومة المطلوب منها التسليم عُذر عن إنفاذ الطلب، وعليها اتّخاذ كافَّة الإجراءات لمنع فرار الشخص المطلوب أو تمكينه من الهرب. وفي الأحوال التي يتمكَّن فيها الشخص المطلوب من الفرار، فإن الحكومة التي فَـرَّ من أراضيها تتعهَّد بعدم

السماح له بالعودة إلى أراضيها مرَّة أخرى، وإنْ تمكَّن من العودة إليها، يُلقَى القبض عليه ويسلَّم إلى حكومته.

٣. وإنْ كان الساعي في عمل الفساد من رعايا حكومة ثالثة، فإن الحكومة المطلوب منها، التي يوجد الشخص على أراضيها، تقوم فَوْرًا، وبمجرَّد تلقِّيها الطلب من الحكومة الأخرى، بطرده من بلادها، وعَدِّه شخصًا غير مرغوب فيه، ويمنع من العودة إليها في المستقبل.

المادة العاشرة

يتعهَّد كلٌّ من الفريقَين الساميَين المتعاقدَين بعدم قبول مَن يَـفِرّ عن طاعة دولته، كبيرًا كان أم صغيرًا، موظَّفًا كان أم غير موظَّف، فردًا كان أم جماعة، ويتَّخذ كلٌّ من الفريقَين الساميَين المتعاقدَين كافَّة التدابير الفعَّالة من إداريَّة وعسكريَّة وغيرها لمنع دخول هٰؤلاء الفارِّين إلى حُدود بلاده، فإنْ تمكَّن أحدهم أو كلُّهم من اجتياز خطِّ الحُدود بالدخول في أراضيه، فيكون عليه واجب نزع السلاح من الملتجئ، وإلقاء القبض عليه وتسليمه إلى حكومة بلاده الفارّ منها، وفي حالة عدم إمكان القبض عليه، تُتَّخذ كافَّة الوسائل لطرده من البلاد التي لجأ إليها إلى بلاد الحكومة التي يتبعها.

المادة الحادية عشرة

يتعهَّد كلٌّ من الفريقَين الساميَين المتعاقدَين بمنع الأُمراء والعمَّال والموظَّفين التابعين له من المداخلة بأيِّ وجهٍ كان مع رَعايا الفريق الآخَر، بالذات أو بالواسطة. ويتعهَّد

باتِّخاذ كامل التدابير التي تمنع حدوث القلق أو توقع سوء التفاهم بسبب الأعمال المذكورة.[١]

المادة الثانية عشرة

يعترف كلٌّ من الفريقَين الساميَين المتعاقدَين بأنَّ أهل كلِّ جهةٍ من الجهات الصائرة إلى الفريق الآخَر بموجب هٰذه المعاهدة رعيَّة لذٰلك الفريق.

ويتعهَّد كلٌّ منهما بعدم قبول أيِّ شخصٍ أو أشخاصٍ من رعايا الفريق الآخَر رعيَّةً له إلّا بموافقةِ ذٰلك الفريق، وبأن تكون معاملة رعايا كلٍّ من الفريقَين في بلاد الفريق الآخَر طِبقًا للأحكام الشرعيَّة المحليَّة.

المادة الثالثة عشرة

يتعهَّد كلٌّ من الفريقَين الساميَين المتعاقدَين بإعلان العفو الشامل الكامل عن سائر الإجرام والأعمال العدائيَّة التي يكون قد ارتكبها فردٌ أو أفرادٌ من رعايا الفريق الآخَر المقيمين في بلاده (أي في بلاد الفريق الذي منه إصدار العفو) كما أنَّه يتعهَّد بإصدار عفو عامٍّ شاملٍ كاملٍ عن أفراد رعاياه الذين لجأوا أو انحازوا أو بأيِّ شكلٍ من الأشكال انضمُّوا إلى الفريق الآخَر عن كلِّ جنايةٍ ومالٍ أخذوه منذ لجأوا إلى الفريق الآخَر إلى عودهم، كائنًا ما كان، وبالغًا ما بلغ، وبعدم السماح بإجراء أيِّ نوعٍ من الإيذاء، أو التعقيب، أو التضييق بسبب

---

[١] كذا! وصواب العبارة: «اتِّخاذ كامل التدابير التي تمنع حدوث القلق أو ما يُوْقِع سوءَ التفاهم بسبب الأعمال المذكورة». أو ربما: «تمنع حدوث القلق أو تَوَقُّع سوءِ التفاهم».

ذٰلك الالتجاء أو الانحياز أو الشكل الذي انضمُّوا بموجبه. وإذا حصل رَيْبٌ عند أيِّ الفريقَين بوقوع شيءٍ مخالفٍ لهٰذا العهد، كان لـمَن حصل عنده الرَّيْب أو الشكّ من الفريقَين مراجعة الفريق الآخَر، لأجل اجتماع المندوبَين الموقِّعَين على هٰذه المعاهدة. وإنْ تعذَّر على أحدهما الحضور، فـيُنيب عنه آخَر، له كامل الصلاحيَّة والاطِّلاع على تلك النواحي، ممَّن له كامل الرغبة والعناية بصلاح ذات البَين والوفاء بحقوق الطرفَين، بالحضور لتحقيق الأمر حتى لا يحصل أيُّ حَيفٍ ولا نِزاع، وما يقرِّره المندوبان يكون نافذًا.

المادة الرابعة عشرة

يتعهَّد كلٌّ من الفريقَين الساميَين المتعاقدَين بردِّ وتسليم أملاك رعاياه الذين يُعفَى عنهم إليهم، أو إلى ورثتهم، عند رجوعهم إلى وطنهم، خاضعين لأحكام مملكتهم. وكذٰلك يتعهَّد الفريقان الساميان المتعاقدان بعدم حجز أيِّ شيءٍ من الحقوق والأملاك التي تكون لرعايا الفريق الآخَر في بلاده ولا يعرقل استثمارهما أو أيَّ نوعٍ من أنواع التصرُّفات الشرعيَّة فيها.

المادة الخامسة عشرة

يتعهَّد كلٌّ من الفريقَين الساميَين المتعاقدَين بعدم المداخلة مع فريقٍ ثالثٍ، سواء كان فردًا أم هيئة أم حكومة، أو الاتفاق معه على أيِّ أمرٍ يُخِلّ بمصلحة الفريق الآخَر، أو يضرّ ببلاده، أو يكون من ورائه إحداث المشكلات والصعوبات له، أو يعرِّض منافعها ومصالحها وكيانها للأخطار.

المادة السادسة عشرة

يعلن الفريقان الساميان المتعاقدان، اللذان تجمعهما روابط الأُخوَّة الإسلاميَّة والعنصريَّة العربيَّة، أنَّ أُمَّتهما أُمَّةٌ واحدة، وأنَّهما لا يُريدان بأحدٍ شرًّا، وأنَّهما[1] يعملان جهدهما لأجل ترقية شؤون أُمَّتهما في ظِلّ الطمأنينة والسكون، وأن يبذلا وسعهما في سائر المواقف لما فيه الخير لبلادَيهما وأُمَّتهما، غير قاصدَين بهٰذا أَيَّـةَ عُدوان على أَيَّـةِ أُمَّـة.

المادة السابعة عشرة

في حالة حصول اعتداءٍ خارجيٍّ على بلاد أحد الفريقَين الساميَين المتعاقدَين، يتحتَّم على الفريق الآخَر أن ينفِّذ التعهُّدات الآتية:

أوَّلًا- الوقوف على الحياد التامِّ سِرًّا وعلنًا.

ثانيًا- المعاونة الأدبيَّة والمعنويَّة الممكنة.

ثالثًا- الشروع في المذاكرة مع الفريق الآخَر لمعرفة أنجع الطُّرق لضمان سلامة بلاد ذٰلك الفريق، ومنع الضَّرر عنها، والوقوف في موقفٍ لا يمكن تأويله بأنَّه تعضيد للمعتدي الخارجي.

المادة الثامنة عشرة

في حالة حصول فِتَن أو اعتداءات داخليَّة في بلاد أحد الفريقَين الساميَين المتعاقدَين، يتعهَّد كلٌّ منهما تعهُّدًا متقابلًا بما يأتي:

[1] في الأصل: «أو أنهما»! والصواب: «وأنهما».

أوّلًا- اتخاذ التدابير الفعَّالة اللازمة لعدم تمكين المعتدين أو الثائرين من الاستفادة من أراضيه.

ثانيًا- منع التجاء اللاجئين إلى بلاده وتسليمهم أو طردهم، إذا لجأوا إليها، كما هو موضح في المادَّة (التاسعة والعاشرة) أعلاه.

ثالثًا- منع رعاياه من الاشتراك مع المعتدين أو الثائرين، وعدم تشجيعهم أو تمويلهم.

رابعًا- منع الإمدادات والأرزاق والمؤن والذخائر عن المعتدين أو الثائرين.

المادة التاسعة عشرة

يُعلن الفريقان الساميان المتعاقدان رغبتهما في عمل كلِّ ممكن لتسهيل المواصلات البريديَّة والبرقيَّة، وتزييد الاتصال بين بلادَيهما، وتسهيل تبادل السِّلَع والحاصلات الزراعيَّة والتجاريَّة بينهما، وفي إجراء مفاوضات تفصيليَّة من أجل عقد اتفاقٍ جمركيٍّ يصون مصالح بلادَيهما الاقتصاديَّة، بتوحيد الرسوم الجمركيَّة في عموم البلادَين، أو بنظامٍ خاصٍّ بصورة كافلة لمصالح الطرفَين. وليس في هٰذه المادَّة ما يُقيِّد حُريَّة أحد الفريقَين الساميَين المتعاقدَين في أيِّ شيءٍ حتى يتمَّ عقد الاتفاق المشار إليه.

المادة العشرون

يُعلن كلٌّ من الفريقَين الساميَين المتعاقدَين استعداده لأنْ يأذن لممثِّليه ومندوبيه في الخارج، إنْ وُجدوا، بالنِّيابة عن الفريق الآخَر، متى أراد الفريق الآخَر ذٰلك، في أيِّ شيءٍ، وفي أيِّ وقتٍ. ومن المفهوم أنَّه

حينما يوجد في ذٰلك العمل شخصٌ من كلٍّ من الفريقَين في مكانٍ واحدٍ، فإنَّهما يتراجعان فيما بينهما لتوحيد خطَّتهما للعمل العائد لمصلحة البلادَين التي هي كأُمَّةٍ واحدة. ومن المفهوم أنَّ هٰذه المادَّة لا تُقيِّد حُريَّة أحد الجانبَين بأيِّ صورةٍ كانت، في أيِّ حقٍّ له، كما أنَّه لا يمكن أن تفسَّر بحجز حُريَّة أحدهما أو اضطراره لسلوك هٰذه الطريقة.

المادة الحادية والعشرون

يُلغَى ما تضمَّنته الاتفاقيَّة الموقع عليها في ٥ شعبان ١٣٥٠ على كلِّ حالٍ اعتبارًا من تأريخ إبرام هٰذه المعاهدة.

المادة الثانية والعشرون

تُبرَم هٰذه المعاهدة وتصدَّق من قِبل حضرة صاحبَي الجلالة المَلِكَين في أقرب مُدَّة ممكنة، نظرًا لمصلحة الطرفَين في ذٰلك، وتصبح نافذة المفعول من تأريخ تبادل قرارات إبرامها، مع استثناء ما نُصَّ عليه في (المادَّة الأُولى) من إنهاء حالة الحرب بمجرَّد التوقيع، وتظلّ سارية المفعول مُدَّة عشرين سنة قمريَّة تامَّة، ويمكن تجديدها، أو تعديلها، خلال الستة الأشهر التي تسبق تاريخ انتهاء مفعولها، فإنْ لم تُجدَّد أو تُعدَّل في ذٰلك التاريخ، تظلّ سارية المفعول إلى ما بعد ستة أشهر من إعلان أحد الفريقَين المتعاقدَين الفريقَ الآخَر رغبته في التعديل.

المادة الثالثة والعشرون

تُسمَّى هٰذه المعاهدة بـ«معاهدة الطائف». وقد حُرِّرت من نسختَين باللغة العربيَّة الشريفة، بيَدِ كلٍّ من الفريقَين الساميَين المتعاقدَين نسخة، وإشهادًا بالواقع وَضعَ كلٌّ من المندوبَين المفوضَين توقيعه.

وكُتب في مدينة (جُدَّة)، في اليوم السادس من شهر صَفَر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاث مئة والألف.

(التوقيع) خالد بن عبدالعزيز آل سعود
(التوقيع) عبدالله بن أحمد الوزير

وبعد هٰذا جرى عقد (**عهد التحكيم بين المملكة العربيَّة السُّعوديَّة ومملكة اليَمَن**). وعُدَّ هٰذا العهد جزءًا متمِّمًا لمعاهدة (**الطائف**)، يظلُّ ساري المفعول مدَّة سريان المعاهدة. كما تُبودلت المكاتبات بين (**الأمير خالد بن عبدالعزيز**) و(**السيِّد عبدالله الوزير**) بشأن أمورٍ تتعلَّق بالمعاهدة، ومنها تسليم (**الأدارسة**)، وإخلاء الجبال السُّعوديَّة من الوجود اليَمَنيّ، وإطلاق رهائن أهلها فورًا. وبعد اطِّلاع (**المَلِك عبدالعزيز**) على المعاهدة، وعَهْد التحكيم، والمكاتبات بين الطرفَين، جرَى

إقرارها وتوقيعها. وكان توقيع المَلِك إيَّاها بقصره في مدينة **الطائف**، بتأريخ ٢٥ صَفَر ١٣٥٣هـ، الموافق ٨ يونية ١٩٣٤م.[١]

وفي أعقاب ذٰلك جاء مشروع ترسيم الحُدود بين (**السُّعوديَّة**) و(**اليَمَن**)، الذي كان هو الهدف الأساس وراء رحلة (**فِلْبِي**) وتأليف كتابه الذي نحن بصدده.

-٢-

وكان قد بدأ اهتمامي بترجمة القسم الخاصّ بجبال (**فَيْفاء**) و(**بني مالك**) من كتاب (**فِلْبِي**)، «**مرتفعات الجزيرة العربيَّة**»، منذ وقتٍ مبكِّر، وعلى جه التقريب في سنة ١٩٨٢م. وأَفدتُ منه في رسالتي لنيل درجة الماجستير، التي أعددتها ما بين عامَي ١٩٨٥ و١٩٨٨.[٢] إلَّا أنَّ شواغل شتَّى، منها أعباء دراسيَّة وأخرى عمليَّة، أبطأت بإنجاز هٰذه الترجمة. إضافةً

---

[١] انظر تفاصيل ذٰلك: م.ن.

[٢] وذٰلك في وصف (**لُعْبَة القُلَة**)، الواردة في (**شِعر ابن مُقْبِل**)، وقد وصف (**فِلْبِي**) مشاهدته مباراة فيها في (**جبال فَيْفاء**)، ويسمُّونها: «**مُزاقَرَة**». (انظر: Philby, 493؛ الفَيْفي، عبدالله بن أحمد، **شِعر ابن مُقْبِل**، ١: ٤٤٤– ٤٤٥).

إلى أنني أدركتُ منذ قاربتُ هٰذا النصَّ أنَّ ترجمته ليست بالأمر الهيِّن، إذا أُريدَ أنْ تأتي الترجمة دقيقةً مفيدةً، لا شِبْه ترجمةٍ آليَّة. ذٰلك أنَّ النصَّ حافلٌ بإشارات تاريخيَّة، ودِينيَّة، وجغرافيَّة، وبيئيَّة، وثقافيَّة، تجعل إخراجه إلى العربيَّة عملًا بحثيًّا في تلك الضروب المعرفيَّة المختلفة كافَّة. لأجل ذٰلك حاولتُ أن تأتي ترجمتي مصاحَبةً بالتحقيق، وبخاصة لأسماء المواطن، والإشارات التاريخيَّة والثقافيَّة، مع شروحٍ وتعليقاتٍ على ما لا فائدة فيه للقارئ دون شرح وتعليق.

-٣-

ولعلِّي أقف هنا للتعبير عمَّا تبدَّى لي، على صعيد الممارسة الترجميَّة نفسها، من خلال هٰذه التجربة الخاصَّة في ترجمة هٰذا النوع من التأليف المتشعِّب الروافد، تاريخيَّة وجغرافيَّة وثقافيَّة. فإذا كان (**طٰه عبدالرحمٰن**) قد ذهب إلى أنَّ للترجمة ثلاثة مسالك، هي:

١ - ما يسمِّيه: الترجمة التحصيليَّة،

٢- والترجمة التوصيليَّة،

٣- والترجمة التأصيليَّة،

فإني سأضيف ضربًا رابعًا، هو:

٤- (الترجمة التفصيليَّة)، إذا جارينا هٰذه المجانسة بين المصطلحات.

وهو يعني بالترجمة التحصيليَّة: تلك الترجمة التي تُسمَّى بالترجمة الحرفيَّة، المعنيَّة بوضع المقابل اللغوي لكلمات النصِّ الأصل. والترجمة التوصيليَّة: تلك الترجمة المعنيَّة بأمانة توصيل المعنى الأصلي للنص. والترجمة التأصيليَّة- التي يَعُدُّها نظريَّةً من وضعه للترجمة المثاليَّة- هي: ترجمةٌ اجتهاديَّةٌ تأويليَّة. وتتوخَّى إبداع نصٍّ موازٍ للنصِّ الأصل، لا تنحبس في وضع المقابِلات الحرفيَّة، ولا المقابِلات المعنويَّة، وإنَّما تقدِّم قراءةً تفاعليَّةً مع النصِّ المترجَم.

لٰكن هل ذٰلك كافٍ؟

إذا كان الضربان الأوَّلان يسعيان إلى نقلٍ آليٍّ لمبنَى

النصِّ المترجَم أو معناه، بمهنيَّة أكاديميَّة أمينة، فإن الضرب الثالث «التأصيلي» يخون الأمانة، ليُنتِج نصَّه الموازي. وهو لا يصلُح في كلِّ الأحوال سبيلًا للترجمة، وإنْ صلُح في ترجمة النصوص الأدبيَّة، وما شابهها. وقد كان (**طٰه عبدالرحمٰن**) يناقش أمر ترجمة «**القرآن المجيد**» في سياق حديثه عن تلك الضروب من منهجيَّات الترجمة.[1]

أمَّا الترجمة التفصيليَّة، التي نقترحها، فإنَّها تحاول الجمع بين أمانة الترجمة والتصرُّف فيها، مع إعطاء القارئ معارف إضافيَّة، لا غنَى له عنها لاستيعاب خلفيَّاتٍ كثيرةٍ متعلِّقةٍ بالنصِّ المترجَم. ذٰلك بحيث يستطيع قياس المسافة بين الأصل المترجَم وموقف المترجِم منه، فيدرِك على وجه التقريب ما جاء في الأصل المترجَم، وما تكتنفه من ملابسات وظِلال لغويَّة أو معرفيَّة أو ثقافيَّة، لتتكامل

[1] جاء هٰذا في محاضرة له بمعهد الحضارة في (**جامعة الزيتونة**)، بـ(**تونس**)، في ١٨/ ٦/ ٢٠١٣، تحت عنوان «**القرآن والترجمة**». وتُمكن مشاهدتها على موقع «اليوتيوب».

الصورة لدَى المتلقِّي. وهو ما تسترفد فيه الترجمةُ، ولا بُدَّ، حواشي الشرح والتحقيق لقضايا لغويَّة ومعلوماتيَّة تُضيء النصَّ وتُجلِّي آفاقه. ولعلَّ أكثر النصوص استدعاءً لمنهاج الترجمةِ هٰذا ذٰلك النوع من النصوص المستعاد عَبر الترجمة. وأعني بـ«**النصِّ المستعاد**»: النصَّ الذي كُتب عن ثقافة المترجِم بلغةٍ أخرى، ثمَّ جاء ليستعيده مترجَمًا إلى ثقافته، كما هو الحال في هٰذه التجربة المتعلِّقة بترجمة ما كتبه (**فِلْبِي**) عن رحلاته في (**جزيرة العرب**).

-٤-

ومؤلِّف الكتاب- على غناه عن طول التعريف- هو: (**هاري سانت جون بريدجر فِلْبِي Harry St. John Bridger Philby**، ١٤ رجب ١٣٠٢- ٩ ربيع الآخِر ١٣٨٠هـ= ٣ أبريل ١٨٨٥- ٣٠ سبتمبر ١٩٦٠م)، المعروف بـ(**جاك**). وكان قد تَسمَّى، في غضون حياته في (**السُّعوديَّة**)، بـ(**الحاج**

عبدالله فِلْبِي)، إذ أعلن عن اعتناقه الإسلام سنة ١٩٣٠. وُلِد في مكانٍ يُسمَّى (**سانت جون**)، بـ(**سيلان/ سريلانكا**)، حيث كان أبوه تاجرَ (**بُنٍّ**). وتُوفي في (**بيروت**)، ١٩٦٠، عن زُهاء ٧٥ عامًا.

دَرَس في مدرسة (**وستمنستر Westminster**)، ثمَّ في كليَّة (**الثالوث الأقدس: ترينتي Trinity**)، بجامعة (**كمبردج**)، وتخرَّج فيها ١٩٠٧. كما دَرَس في **كمبردج** اللغتَين (**الفارسيَّة**) و(**الهندوستانيَّة**). ليلتحق بعد ذٰلك بالخدمة البريطانيَّة في (**الهند**)، ممضيًا أربع سنوات في **الهند**، خلالها دَرَس اللغتَين (**البنجابيَّة**) و(**الأورديَّة**). ثمَّ تعلَّم (**اللغة العربيَّة**)، ودَرَس «**القرآن المجيد**»، ليرحل في بعثةٍ إلى (**البَصْرة**)، ١٩١٥، ثمَّ إلى (**الجزيرة العربيَّة**)، ١٩١٧.

وقد توثَّقتْ علاقته بـ(**المَلِك عبدالعزيز آل سُعود**) منذ وقتٍ مبكِّر، فمنحَه التسهيلات اللازمة من أجل القيام برحلاته واستكشافاته في (**الجزيرة العربيَّة**).

إنَّه المسيحيُّ، ثمَّ المُسْلِم. البريطانيُّ، المُعارض لـ(**بريطانيا**). الجنديُّ الاستعماريُّ، المتَّهمُ بالضُّلوع في الجاسوسيَّة، والتخطيط لتهجير الفلسطينيِّين لتوطين (اليهود) بأرضهم. العالِـمُ الموسوعيُّ، والغامضُ، الموصوفُ بغرابة الأطوار، المشبَّهُ برجلٍ من العصر الفكتوري.[1] بَيْدَ أنَّ ما يعنينا منه هاهنا: أنَّه الرحَّالة الأعظم في (**جزيرة العَرَب**).

-٥-

والمستر (**فِلْبِي**) هو- على حدِّ عِلمنا- أوَّل رحَّالة زار جبال (**فَيْـفاء**) و(**بني مالك**). ولم يسبقه أحدٌ إلى ذٰلك قطّ، لا من (**العَرَب**) ولا من الغَرب ولا من سِواهم، بمَن في ذٰلك (**الهمداني، ٢٨٠- ٣٤٥هـ تقريبًا= ٨٩٣- ٩٥٦م**).

وبالرغم من أنَّ مُواطِنَه الرحالة البريطانيّ (**وَلْفرِد ثَـسِيجَر، ١٩١٠- ٢٠٠٣**) قد أشار إلى (**فَيْفاء**) في بحثه الذي نشره ١٩٤٧، في «**المجلَّة الجغرافيَّة**» التي تُصدرها

[1] انظر: Monroe, Elizabeth, **Philby Of Arabia**؛ بِدْول، روبن، **الرحالة الغَربيُّون في الجزيرة العربيَّة**، ٩٠- ١٠٢؛ حمَّاد، خيري، **عبدالله فيلبي قطعة من تاريخ العرب الحديث**؛ الزركلي، خير الدِّين، **الأعلام**، ٨: ٦٣- ٦٤.

الجمعيَّة الجغرافيَّة المَلَكيَّة في **(لندن)**، وعنوان بحثه «**رحلةٌ في تِهامة وعسير وجبال الحجاز**»، ومع أنَّ رحلة **ثَـسِيجَر** لاحقة لا سابقة على رحلة **فِلْبِي**، غير أنَّ الراجح لدينا أنَّ **ثَـسِيجَر** لم يصعد جبال **فَيْفاء**، وإنَّما- ربما- مَرَّ بسفوح **فَيْفاء** مرورًا. وإنْ كان ينصُّ على وصوله إلى **فَيْفاء** بقوله: «**في شهرَي يونية ويولية سنة ١٩٤٧م، سافرتُ على جمل عن طريق الساحل من (القُنفذة) إلى (صَبْيا) و(جيزان)**[١]**، ثُمَّ من (أبي عريش) إلى (جَبَل فَيْفاء)، ومن هنا صعدتُ إلى (جَبَل بني مالك)، ثُمَّ من (جبال آل تَلِيْد) المشابكة والعديمة المنافذ إلى (ظهران الجَنوب).**»[٢] ذٰلك أنْ ليس **لثَـسِيجَر** ذِكر في ذاكرة **(الفَيْفِيِّين)**؛ فلم أقف على أنَّ أحدًا قد سمع باسمه قطّ، أو بزيارته. والحقُّ أنَّه في نَصِّه السابق لا يشير إلى أنَّه قد صعد جبال **فَيْفاء** أصلًا، بل جبال **بني مالك**، وكأنَّه يُشير إلى أنَّه

[١] كذا وردَ الاسم، والصواب: **(جازان)**. (انظر: «التعليقات»، نهاية الترجمة: (*٢)).

[٢] ثَـسِيجَر، ١٢٢.

وصلَ إلى حُدود **فَيْفاء** فقط. ولذٰلك كلِّه فقد أشار إلى **فَيْفاء** عَرَضًا في رحلته، حيث قَفَزَ فجأةً إلى ذِكرها في فقرةٍ قصيرة، أَوْرَدَ فيها معلومات عامَّة ومعروفة، لا تنمُّ على أنَّ صاحبها قد زار **فَيْفاء** بالضرورة، في قوله:

> **«ويقع جَبَل (فَيْفاء) على الحُدود اليَمَنيَّة، وعلى ارتفاع ٦٠٠٠ قَدَم، وهو مكتظٌّ بالمدرَّجات التي يُزرع فيها شجر (البُنّ)، و(الموز)، وثمر (البَبْو)[١]، و(العِنَب)، و(الرُّمَّان)، و(الخوخ)، و(البرشومي)، و(الذُّرَة)، و(البُرّ)، و(الشَّعير). ويجاوره جَبَل (بني مالك) على ارتفاع ٧٦٠٠ قَدَم، والزراعة فيه أيضًا على شكل مدرَّجات، حيث يُزرع فيه شجر البُنّ، والموز، والذُّرَة، والبُرّ، والشَّعير. أمّا إمدادات الماء فهي غير كافية في كلا الجَبَلَين، وعليه فإن قِربة الماء الكاملة تُعطي، في جَبَل فَيْفاء يوم السُّوق، مردودًا قدره أربعة ريالات.»**[٢]

---

[١] كذا وَرَدَ في الترجمة. وهو يقصد «**البابای**». ويسمَّى في (**فَيْفاء**): «**عَنْب**»: بفتح العين وسكون النون، وينطقونه: «**عَمْب**». ويُسَمَّى في (**تِهامة جازان**) وبعض (**اليَمَن**): «**عنبرود**».

[٢] م.ن، ١٠٧.

ويمكن أن يكون **ثَسِيجَر** قد استقى هٰذه المعلومات من (**فِلْبِي**) تحديدًا؛ فلقد أشار إلى أنَّه قد أفاد من **فِلْبِي** كثيرًا، قائلًا:

> **«لقد تكرَّم (السيد هـ.ج.ب.فِلْبِي) بمقابلة وتصحيح كتابة الحروف العربيَّة بالحروف اللاتينيَّة لجميع الأسماء العربيَّة في هٰذا المقال، فأنا معترف بجميله وفضله على مباشرته لهٰذا العمل، خاصَّة بعد أن رأى عددًا من الأخطاء التي كانت موجودة حقًّا. كما أَوَدُّ أيضًا أن أعترف بجميله في وضع مخطَّطِ رحلته من (جازان) إلى (اللِّيْث) بين يَدَيَّ، وسماحه لي بأن أضيف جزءًا كبيرًا منها إلى خريطتي.»**[1]

ومهما يكن من أمر، فإن رحلة (**ثَسِيجَر**) لا تضيف جديدًا في التعريف بـ(**فَيْفاء**) و(**بني مالك**)، اللهمّ إلَّا الإشارة إلى ارتفاع سِعر قِربة الماء في **فَيْفاء** إلى أربعة ريالات،

[1] م.ن، ١١٢.

في سنة ١٩٤٧، في حين ذكر (**فِلْبِي**)[1]، قبل ذٰلك بنحو عشر سنوات، ١٩٣٦، أنَّ سِعرها في قِمَّة الجَبَل لم يكن إبَّان الأزمات المائيَّة يزيد على نصف ريال.

ولَمَّا زار (**فِلْبِي**) جبال (**فَيْفاء**) و(**بني مالك**)، كانت ردود أفعال الناس هناك يغلب عليها الاستغراب والاستنكار؛ فتلك أوَّل زيارة لغَربيٍّ إلى تلك الشِّعاف. كما أنَّ القوم لم يَشهدوا من قَبل مثل تلك المعدَّات التي جلبها معه، ولم يسمعوا بها، ولاسيما «**الراديو**»، الذي لم يجدوا تعليلًا لما يَصدر عنه من أحاديث وأصوات، إلَّا أنَّهم عزوها إلى عالم الجِنّ. وقد عبَّرَ عن تلك المشاعر المتضاربة جَدِّي الشاعر (**عليّ بن سالم آل حالية الخُسافي الفَيْفي**، رحمه الله)، إذ أنشدَ في سُوق (**النَّفِيْعَة**)، في حشدٍ من الناس:

---

[1] See: **Arabian highlands**, 496.

يا لابَتِيْ نبِّـهْتِ انا في حالي المَنامْ   وجا المنبِّـهْ قالَ ليْ: آتفْهَمِ الكلامْ
وتْصَدِّقِ اليَقِيْنْ
حِلِّيَةْ فَـيْـفَا خَسَـــارَةْ   خَلْف تصويرِ امْنَصارَةْ
ما بَقِيْ شَوْرٍ يَزِيْنْ
والحَقِيْقِ اللِّي معَ اللهْ قِدْ دَرَى بُو[1]

ثمَّ أتبعه بـ(**الدِّلْع**) التالي- و**الدِّلْع** لديهم من ألوان الإنشاد-:

خِلْتِ بَرَّاقٍ على الدّنيا بِدِيْمَتُو   لَوْ ثلاثينْ عام تِتْغَازَرْ مَعِيْنَـتُو
ما يَخْلُفُو ظَما
مِنْ عـلى ارضِ الشَّـامْ لاحِـي   للـيَمَـنْ ذي كــانْ صاحِـي
سَيْلِ يَدْمُرْ كلِّ مالِ
والبَحرْ يرْتَجّ مِنْ قُوَّةْ طُلُوْعُو[2]

---

[1] ومعنى النصّ: أنَّ الشاعر نُبِّهَ من منامه الحالي اللذيذ، وقال له المُنَبِّه: «**أ تفهم الكلامَ؟ وتصدِّق اليَقينَ؟.. خسارةٌ أن يَحُلّ المرءُ في جبال (فَيْفاء) بعد أن صوَّرها النصارَى (إشارة إلى المستر فِلْبِي!)، ولم يَعُد هنالك من رأيٍ يَصْلُح أو مشورة تُتَّبع**: «شَوْر». **ومهما يكن من أمرٍ، فالحقيقة التي مع الله (أي في عِلْم الله)، لا يعلمها إلَّا هو.**» إذ لم يَتقبَّل الشاعر ما تقبَّله غيره وصدَّقه، وكأن زيارة (فِلْبِي) وتصويره **فَيْفاء**، لأوَّل مرةٍ في تاريخها، كان نذير شُؤْم، لا يعلم عواقبه إلَّا الله، وكان هٰذا في نظر ذٰلك الجيل مؤشِّرًا على نهاية الزمان.

[2] خِلْت: لمحتُ وشِمْتُ، أو ظننتُ، فهو كتعبير (**النابغة الذبياني**): «**وَإِنْ خِلتُ**
←

-٦-

وترجمتنا هٰذه هي للفصلَين (السابع والعشرين والثامن والعشرين) من كتاب (فِلْبِي) «**مرتفعات الجزيرة العربيَّة Arabian highlands**». الأوَّل مُعَنْوَن بـ«**جبال تِهامة**»، وفيه الحديث التفصيلي عن جبال (**فَيْـفاء**) و(**بني مالك**)، في حين يتطرَّق الفصل الآخَر إلى «**حُدود المرتفعات**»، معرِّجًا على النقاط الحُدوديَّة السُّعوديَّة اليَمَنيَّة. والفصلان يشملان، بحسب تأريخ

أَنَّ الـمُنتَأى عَنكَ واسِعُ». بَرَّاق: لمع بَرْق. دِيمتو: دِيْمَتُهُ. لو: لهُ. تِتغازَر: تتكاثف غزارتُها. مَعِيْنَتُو: مَعِيْنَتُهُ أو مَعِيْنُهُ، أي غَيثه. ما يخلفو: لا يخْلُفُهُ أو يَعقبهُ. ظما: ظمأ. لاحي: لاحَ. ذي: الذي. صاحي: صاحٍ أو صَحْوٌ. طُلُوْعُو: طُلوعُهُ، أي السيل الجارف الذي صوَّره. وحول هٰذا النمط الشِّعري، ولهجات (فَيْفاء)، انظر محاضرتي بعنوان «***لهجات فَيْفاء: جذور العربيَّة***»، في (مركز المَلِك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميَّة، بالرِّياض)، التي أُلقِيَتْ مساء الثلاثاء ٢٥/ ١/ ١٤٣٣هـ= ٢٠/ ١٢/ ٢٠١١م، والمنشورة في ((المحرَّم- ربيع الأوَّل ١٤٣٣هـ= ديسمبر- فبراير ٢٠١٢م)، («مجلَّة الدراسات اللغويَّة»، م١٤، ع١، (مركز المَلِك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميَّة، بالرِّياض)، ص ص٢٦٥- ٢٨٦)). ويمكن الحصول على نسختها الرقميَّة عبر موقع «إرشيف الإنترنت» العالمي: https://archive.org/details/FaifaDialects

المؤلِّف، الفترة الممتدَّة من (صباح يوم السبت الخامس من شهر شوَّال ١٣٥٥هـ، الموافق التاسع عشر من ديسمبر ١٩٣٦م)- يوم أن انطلقَ في رحلته من إمارة **(جازان)**- إلى (يوم الخميس، السابع عشر من شوَّال ١٣٥٥هـ، الموافق الحادي والثلاثين من ديسمبر ١٩٣٦م)، وهو يودِّع مرتفعات الحُدود إلى منخفضاتها.

والاقتصار على ترجمة الفصلَين هو للآتي:

١- لما ذكرناه من أنَّ الهدف لم يكن الترجمة فحسب، ولٰكن أيضًا دراسة أحوال المنطقة في تلك الحقبة التاريخيَّة التي قام **(فِلْبِي)** فيها برحلته، وتحقيق ما تضمَّنه نصُّه من معلومات مهمَّة عن جبال **(فَيْفاء)** و**(بني مالك)** تحديدًا.

٢- لأهميَّة ما تضمَّنه هٰذان الفصلان تاريخيًّا وجغرافيًّا وسياسيًّا؛ من حيث كونهما يصفان منطقةً حُدوديَّة بين **(المملكة العربيَّة السُّعوديَّة)** و**(دولة اليَمَن)**.

٣- يتطرَّق هٰذان الفصلان لمنطقةٍ من أكثر المناطق في

(**الجزيرة العربيَّة**) غموضًا ونُدْرَةَ معلومات. وقد كانت زيارة (**فِلْبِي**) لتلك الجبال هي الأُولى من نوعها لرحَّالة أعجمي أو عربي، ولعلَّها الأخيرة من قِبَل المستشرقين.

٤- إنَّ ابن المنطقة هو أَولى بتناول مثل هٰذا الموضوع، تحديدًا؛ لمعرفته من البيئة ما لا يعرفه غيره، بل قد لا يمكن لغيره أن يتمثَّله، وإنْ كان عالمًا. ولا مبالغة في القول إنَّها لن تتأتَّى ترجمةُ مادَّةٍ كمادَّة هٰذين الفصلَين ترجمةً صحيحة، بالدِّقَّة والعُمق المطلوبَين، إلَّا لابن تلك الدِّيار، ولاسيما أنَّ وصف المؤلِّف يجيء مليئًا بالإشارات الاجتماعيَّة، والأسماء الجغرافيَّة، والاستعمالات اللهجيَّة. ولعلَّ أبناء الجهات الأخرى التي تضمَّن الكتاب الحديث عنها هم كذٰلك أدرَى بشِعابها، وأَولى بترجمة ما يتعلَّق من الكتاب بجهاتهم.

٥- إنَّ الكتاب المترجَمَ منه هٰذان الفصلان ليس بكتابِ عِلْمٍ بَحْتٍ، ولا أدبٍ عامٍّ، ولا كتاب رحلاتٍ سياحيَّة، وإنَّما هو كتابٌ تاريخيٌّ، جغرافيٌّ، لُغويٌّ، ثقافيٌّ. ومن ثَمَّ فإن ترجمته ليست بترجمةِ نصٍّ من لغةٍ إلى أخرى، كغيره من النصوص، بل هي ترجمة كتابٍ موسوعيٍّ، بما تعنيه الكلمة من معنى، يتعذَّر في كثير من الحالات على غير أبناء المكان إدراك إشاراته. وتستلزم الترجمة، والحالة هٰذه، معرفةً تاريخيَّةً وجغرافيَّةً وثقافيَّةً دقيقةً جِدًّا، لتكون ترجمةً بحثيَّةً تحقيقيَّةً مفيدةً ومضيفة. ولذٰلك أرى أنْ ليس المهمُّ أنْ يُترجَم كتابٌ ككتاب (فِلْبِي) كاملًا من قِبَل مترجمٍ واحد، بل أن يَفْرُغ لكلِّ فصلٍ منه، أو جملة فصول- تناولت منطقةً ما- أحدُ أبناء تلك المنطقة، العارفين بأحوالها وتاريخها، وأنْ يقتصر على منطقته بالترجمة

والتحقيق والاستقصاء. وعندئذ يمكن أن نُخرِج مثل هٰذا الكتاب إخراجًا عِلْميًّا قيِّمًا، يُكمِل جهد المؤلِّف ويقوِّمه. وهٰذا منهاجٌ يُكسِب الترجمةَ قيمةً عِلْميَّة تتجاوز نقلَ نصٍّ من لُغةٍ إلى لُغة.

٦- فوق ما تقدَّم، فإن هٰذين الفصلَين يكتسبان أهميَّتهما الخاصَّة من حيث يحملان زُبدة ما تمخَّض عن الكتاب من ترسيم الحُدود بين (**السُّعوديَّة**) و(**اليَمَن**)، وذاك هو الهدف الأساس وراء الرِّحلة والكتاب، وبأمرٍ من (**المَلِك عبدالعزيز آل سُعود**).[1]

-٧-

ولقد كان (**فِلْبِي**) في عامَّة أسلوبه يسعَى إلى استعمال إنجليزيَّةٍ تراثيَّةٍ وأدبيَّةٍ، تبدو غريبةً بعض الشيء، تَتباهَى باستعمال لغةٍ مُبهرجةٍ أكثر من مُؤلِّفين أحدث. فمع غزارة المعلومات التي يسوقها، وحرصه، كما قال، على «**أن يتحدَّث**

---

[1] انظر: بِدْول، ٩٩.

عن كلِّ شيء»، فقد كانت كتاباته مطعَّمة بالتعبيرات اللاتينيَّة، وغير اللاتينيَّة، بسبب تعليمه «الكلاسيكي»، كما يلفت إلى ذٰلك (**بِدْول**)[١]، في تعليله لهٰذه الظاهرة الأسلوبيَّة. وهٰذا ما كان يمنح أسلوبه رهافة تعبيريَّة تستدعي مراعاة الظِّلال الدِّلاليَّة في عباراته لدَى الترجمة. من شواهد ذٰلك عبارته في وصف النساء الجَبَلِيَّات في (**فَيْفاء**)، ونعت صَلابتهن مع خِفَّتهنَّ في الحركة، قائلًا:

«They were certainly good mountaineers and sound of limb and wind.»[2]

وذيل جملته عبارةٌ تشير إلى النشاط البالغ وسرعة الإنجاز. فـ«Sound» يُمكن أَن تَعني: الحالة الجيِّدة في بعض السِّياقات، و«Wind» قد تُستعمل لتعني: «النَّفَس»، وذٰلك في تعبيرٍ شاعريٍّ أو أدبيٍّ، لا في لغةٍ اعتياديَّة. وفي هٰذا السِّياقِ أراد القول: إنَّ أولٰئك النِّسوة كُنَّ في حالة صِحيَّة جيِّدة، وقد

---

١ ٩٨.

2 Philby, 489.

كان بإمكانه أن يقول، في لغةٍ أكثر شيوعًا: « **sound of mind and body**»، «**صحيحات العقول والأبدان**»، أي أنَّهنَّ نشيطات قويَّات البِنية، ولا صعوبة لديهنَّ في التكيُّف وأداء الأعمال الشاقَّة؛ كان بإمكانه ذٰلك لولا الظاهرة الأسلوبيَّة المشار إليها، التي تُذكِّرنا بأسلوب (**إرنست همنغواي Ernest Hemingway**)، مثلًا، أو (**ريموند كارفر Raymond Carver**)، اللذَين ربما كتبا بأسلوبٍ أصبح شعبيًّا جِدًّا في النِّصف الأخير من القرن العشرين.

ومن أمثلة ذٰلك عبارته:

«**…slept the sleep of the just.**»[1]

وهي عبارةٌ تُشْبه في الأدب الإنجليزي ما يعادل العبارة الشعبيَّة العربيَّة: «**نامَ في العَسَل**». وفيها إشارة ضِمنيَّة إلى راحة البال، وكأنَّها تُعادل الأمثولة العربيَّة، مع الفارق: «**عَدَلْتَ، فأَمِنْتَ، فنِمْتَ**».

وإلى جانب تلك الظواهر الأسلوبيَّة يُلحظ أنَّ (**فِلْبِي**)

---

[1] 510.

كثيرًا ما ينكِّر أسماء المواضع. ما يستدعي التوثُّق من صِحَّة الاسم في تلك الديار، بقدر المستطاع. ناهيك عن الظواهر الصوتيَّة في نقل التسميات العربيَّة، ممَّا حرص المترجم على تحرِّي الصواب فيه في مَواطنه من الترجمة، والتنبيه إلى بعض ملابساته.

-٨-

ولقد كنتُ سُررتُ كثيرًا إبَّان صدور الترجمة العربيَّة لكتاب (**فِلْبِي**)، «**مرتفعات الجزيرة العربيَّة**».[١] إلَّا أنَّ تلك الترجمة خيَّبت توقُّعاتي؛ فبمراجعة الفصلَين السابع والعشرين والثامن والعشرين تحديدًا ألفيتُها- مع الأسف- ترجمةً سقيمةً جِدًّا. هٰذا على الرغم من الإشارة في «**كلمة الناشر**» إلى أنَّها تَـمَّت «**بإشراف لجنة عِلْميَّة متخصِّصة**»، والزعم في تقديمها أنَّه قد اعتُمِد في تصحيحها على «**زيارة أغلب المناطق التي جاءها فيلبي، والالتقاء بأعيان ومتعلِّمي تلك**

[١] الطبعة الأُولى (مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥م).

النواحي، ثم السماع منهم حول ما أورد هٰذا الرحَّالة عن بلادهم وتصحيح ما وقع فيه من أخطاء.» ويا ليت شِعري، لو لم تكن ثمَّة لجنة إشرافٍ عِلْميَّة متخصِّصة، ولم يعتمد التصحيح على زيارة المناطق ومعرفة الحقائق من أهلها، كما قيل، كيف كانت حال تلك الترجمة ستبدو؟!

لقد ألفيتُ تلك الترجمة متَّسمة بعيوب، من أبرز ملامحها، إجمالًا:

١- ركاكة الأسلوب العربي، مع الأخطاء اللغويَّة والنحويَّة والصياغيَّة الكثيرة.

٢- عدم التوافر على الدِّقَّة في نقل المعنى في كثيرٍ من المَواطن، أو الصِّحَّة في نقل أسماء بعض الأماكن.

٣- كان يظهر أحيانًا حذفٌ من نصّ (**فِلْبِي**)، ربما لأسباب من التحرُّج من ذِكْر ما يشير إليه، أو لسهوٍ، أو سقطٍ، أو لأسباب أخرى.

٤- بدا لي مرَّاتٍ أنَّ العمل كان خليطًا من ترجمة النصّ وشرحه، أو التعليق عليه، وذٰلك في «المتن» نفسه؛ لأنَّها كانت تَرِد عبارات مقحَمة عليه، وربما وردت جُملٌ كاملة، ليست في الأصل.

لأجل ذٰلك فإن قارئ تلك الترجمة كثيرًا ما سيجد نفسه في معمَّيات أُسلوبيَّة، واضطرابات معلوماتيَّة، من الخَطَل أن يبني عليها معرفةً بحقيقة ما أورده المؤلِّف، ناهيك عن الحقائق الواقعيَّة أو الجغرافيَّة أو الثقافيَّة التي يَعرض لها. فكانت تلك الملحوظات وراء استمراري في ترجمة النصِّ، والمضيّ في نشر ما يعنيني منه، وما أستطيع وفاءه حقَّه من البحث والتحقيق.

أَجَل، لقد وجدتُ أنَّ الترجمة المنشورة توشك أن تكون مستعجِمةً في كثير من الأحيان، أو ضعيفة الأُسلوب، حتى لا يكاد يفهمها القارئ دونما رجوعٍ إلى الأصل؛ من حيث جاءت أقرب ما تكون إلى ترجمةٍ حَرفيَّة،

وفَوريَّة، فيها التسرُّع، وعدم مراعاة الحِسِّ العربي في التعبير عن المعاني. ولا غرو فإن عمليَّة الترجمة تظلُّ، في نهاية المطاف، ضربًا من فنِّ التأويل للمعاني الواردة في لغة المصدر، بما يلائمها مع لغة الهدف، وليست بنقلِ المقابلات القاموسيَّة، التي قد تتعدَّد، أو ربما تتضادّ؛ بما يَنتج عنه ما ليس له صدًى دلاليٌّ ولا إيحائيٌّ في اللغة المترجَم إليها. وهٰذا ما طغَى على تلك الترجمة؛ فبدت بمثابة ترجمةٍ آليَّةٍ حاسوبيَّةٍ، لم يُعمِل فيها المترجِم مَلَكَته اللغويَّة الخاصَّة، ليصل بها مرتبةً مناسبةً بين الترجمة والتعريب.

وفيما يلي عَرْضٌ تمثيليٌّ لجُملةٍ من الظواهر المشار إليها، بما تنطوي عليه من مآخذ محدَّدة. وسوف يقف القارئ على سائرها في مَواضعه من هٰذا الكتاب، أو في التعليقات الختاميَّة:

١) ثَمَّة أخطاء في قراءة بعض الكلمات؛ فمثلًا تَرِد كلمة

muggy، بمعنى «**رطب حار**»، في كتاب (**فِلْبِي**)[1]، ليترجمها المترجِم إلى: «**موحل**»![2] وذٰلك لأنَّـه قرأها «muddy»!

٢) يُلحظ أنَّ المترجِم كان يقف عند كل جُملةٍ لوحدها، كما لو لم يكن بينها وبين مجاوراتها من الجُمل روابط؛ ممَّا يجعل المعنى العامَّ يتفكَّك، ويتهلهل، وينفصم عن سياقه. وهي ظاهرةٌ عامَّة، سيجد القارئ شواهدها في مَواطن شتَّى من مقارناتنا خلال الترجمة.

٣) يُلحظ الحذف، المتعمَّد أحيانًا، من كلام المؤلِّف. وفي هٰذا إخلال بالأمانة العِلْميَّة، وأمانة الترجمة. مثال ذٰلك تلك الصورة التي نقلها (**فِلْبِي**)[3] عن أهالي (**فَيْفاء**)، إذ قال: «**وكان يحمل معظمُهم عُصِيًّا طِوَالًا- وبعضهم كانت لديه بندقيَّةٌ بدلَ**

[1] 487.

[2] انظر: ترجمة العبيكان، ٢: ٩١٢.

[3] 489.

العَصا– يضعها بشكلٍ أُفقيٍّ على كِلتا الكَتِفَين من خلْف الرَّقَبة، رافعِين أَذْرُعَهم من فوقها، مُدَلِّين أيديهم مِن أمامها. فيبدو مظهرُهم من الخلْف أو الأمام في شكل صليبٍ واضح.» فقد أُسقطت الجملة الأخيرة من الترجمة![1] وماذا في قوله: **«فيبدو مظهرهم من الخلْف أو الأمام في شكل صليبٍ واضح»**؟! فتلك حقيقة، وهي طريقةٌ قديمةٌ معروفةٌ في حمل العُصِيّ، كان (**العَرَب**) يسمُّونها: «**التشبيج**».[2] أمَّا إنْ كان التحفُّظ على ما قد يحتمله النصُّ من توهُّم (**فِلْبِي**) أنَّ وراء ذٰلك السلوك بُعْدًا دِينيًّا صليبيًّا، فما بالحذف يكون العلاج لمثل ذٰلك التصوُّر، بل بمناقشته، بعيدًا عن حساسيَّةٍ بلا معنى.

---

[1] انظر: ترجمة العبيكان، ٢: ٩١٦.

[2] انظر: ابن منظور، (ثبج).

وكذا قال (**فِلْبِي**)[1] حول لباس أهالي (**فَيْفاء**):

«In the chill of the early mornings they covered their upper body with a piece of cloth, which during the heat of the day they detached to warp round their loins over their kilt-like loin-cloth.»

فجاءت ترجمة (العبيكان)[2] هٰكذا: «**كانوا يغطون الجزء الأعلى من أجسامهم مع برودة الصباح بقطعة قماش، وعندما تشتد الحرارة يلفّونها حول الأُزُر التي تغطي عوراتهم.**»

والترجمة الصحيحة هي: «**في بُرودة الصباحات الأُولى يُغَطُّون أعلى أجسادهم بقِطَعٍ من القماش، ويُزيلونها خلال ارتفاع درجة الحرارة في النهار، ليَلُفُّوها حول خصورهم، من فوق أُزُرِهم الشبيهة بالتنانير (الأُسكتلنديَّة).**» وهنا يُلحظ حذفٌ من

[1] م.ن.

[2] ٢٢: ٩١٦.

الأصل المترجَم، وهو حذفٌ لما يحمل معلومة مهمَّة: «**أُزُرهم الشبيهة بالتنانير الأُسكتلنديَّة**». وإلى جوار ذٰلك إضافةٌ تزيُّديَّة، لا معنى لها في الترجمة، هي عبارة: «**التي تغطي عوراتهم**».

٤) وفي مقابل الحذف، فإن المترجِم قد يتصرَّف في النصِّ ليقول كلامًا من عنده، لا علاقة له بالنصِّ المترجَم. مثال ذٰلك أنَّ (**فِلْبِي**) ذكَر أنَّ الناس في (**بني مالك**) كانوا «**يتبادلون من (خاشِر) القِيْل والقال اليوميَّ مع جماعةٍ على قِمَّة (فَيْفاء).**» فجاءت الترجمة لتقول: إنَّهم «**كانوا يتبادلون الإشاعات... إلى أهلهم عند قمة فيفاء.**»[1] فإذا الأمر فيه «**إشاعات**»! وقد صار أهل **خاشِر** «**عند قِمَّة فَيْفاء**»!

٥) بل قد تَجِد إقحامَ جُمَلٍ شارحةٍ على النصِّ، غير واردةٍ في النصِّ الإنجليزي. وكان يجب أن يأتي مثل ذٰلك في

---

[1] ترجمة العبيكان، ٢: ٩٤٦.

الحاشية، لا في المتن. من هٰذا تعريفه بالمكان المسمَّى **(مَجْمَع الأودية)**.[1]

٦) تتضمَّن تلك الترجمة ضروبًا من الإيهام، تُجافي الحقيقة، بل تُجافي ما قال المؤلِّف. انظر مثلًا ترجمة قول **(فِلْبِي)**[2]:

«Here we were entertained by the local head-man Mufarrih am Jaru, who claimed to be the principal chieftain of Bal Ghazi...».

على النحو الآتي: «**لقد أكرم الشيخ المحلي وفادتنا هنا، وكان اسمه مفرح أم جرو، ويزعم أنه الشيخ الأساسي لقبيلة بني الغازي.**»[3]

والحقّ أنَّ الترجمة الدقيقة لما قاله **(فِلْبِي)** هي: «**هنا استُضِفنا من قِبَل شيخ المنطقة (مُفَرِّح امْجَـرُو)، الذي يُعَدّ شيخ شَمْل (بني الغازي/ بَلْغازي).**»

---

[1] انظر: م.ن، ٢: ٩٠٣. وتفصيل تعليقنا على ذٰلك في موضعه من الترجمة.

[2] 485.

[3] ترجمة العبيكان، ٢: ٩٠٩.

والمسألة في خَلَل الترجمة الحرفيَّة هنا لا تقتصر على افتقارها إلى الدِّقَّة اللغويَّة والتعبيريَّة، بل إنَّ فيها إلى ذٰلك تزيُّدًا، وإيهامًا بأشياء غير حقيقيَّة. فالمؤلِّف لم يقُل: «**أكرم الشيخ المحلي وفادتنا**»، وإنَّما أشار إلى نزولهم في ضيافته. ولقبُ الشيخ ليس: «**أم جرو**»! بل: «**اِمْجَـرُوْ**»، أي «**الجَرْوُ**»؛ فـ(اِمـ) هي (الـ) التعريف، في لهجات تلك الدِّيار. كما لم يقُل: إنَّ (**مُفَرِّح امْجَـرُو**) «**يزعم أنه الشيخ الأساسي لقبيلة بَلْغازي**»؛ ففي هٰذا إيهام بأنَّ الشيخ مدَّعٍ كونه شَيْخًا على (**بني الغازي/ بَلْغازي**)، وهٰذا خلاف الحقيقة، وخلاف ما أراد قولَه المؤلِّف، بل خلاف ما قاله بالفعل، من أنَّ **مُفَرِّح امْجَـرُو** «**يُعَدُّ**»، أو «**يَتَسَنَّم تلك المكانة**».

وهٰذا نموذج، نكتفي به هاهنا، من نظائر لا حصر لها، يجدها القارئ مبيَّنة في مواضعها من الترجمة.

٧) وممَّا يلفت النظر في تلك الترجمة استعمال علامات الترقيم بطريقةٍ لا تتَّفق مع الأصل، ولا تتَّبع طريقةً تخدم فهمَ القارئ لعلاقات الجُمل بعضها ببعض، بل تُورِثه تشوُّشًا في الفهم وتَعْمِيَة. من أمثلة ذٰلك أنَّ (**فِلْبِي**)[١] قال، ما ترجمته:

> **«ثمَّ التففنا متَّجهِين إلى أعلى (السَّرْب)، وهو الشِّعْب الثالث الذي أوصلَنا بتسلُّقٍ شاقٍّ لُمدَّة نِصف ساعةٍ إلى بـرَك (الوُغْرَة) الصخريَّة العظيمة. والكَلمة «وُغْرَة» تعني عادةً في هٰذه المنطقة، وببساطة، بِرْكَةً صخريَّةً، يُضاف إليها اسم الشِّعْب الكائنة فيه- عند الضرورة- لتمييز كلِّ واحدة بعينها.»**

فكيف جاء النصّ في ترجمة (**العبيكان**)، وبعيدًا عن المقابِل العربي للجُمل والعبارات؟ لقد جاء بهٰذه الصورة:

[1] 490.

«ثم استدرنا عند مسيل السَرِبْ، وهو مسيل ثالث أوصلنا خلال نصف ساعة قضيناها في صعود شاق إلى البرك الصخرية العظيمة في الوغرة، تتكرر كلمة الوغرة كثيرًا في هٰذه المنطقة! تعني بركة صخرية يضاف إليها اسم المسيل التابع لها- وذٰلك عند الضرورة- لأجل تحديد أي منها هو المقصود.»[1]

فمع ركاكة الترجمة، وعُجمة التراكيب، لا ندري ما الذي حَشَرَ علامة تعجُّبٍ في منتصف جُملة؟! وإنَّما أشار (**فِلْبِي**) إلى هٰذا الاسم، ثمَّ حاول شرح معناه المقصود لدَى أبناء المنطقة، ولم يتعجَّب منه، أو من تكراره، حسب ما ظهر به النصُّ في تلك الترجمة!

٨) هٰذا، وربما زادت بعض تعليقات المُراجِع الطِّينَ بِلَّة! من ذٰلك، على سبيل المثال، قوله، تعليقًا على

---

[1] ترجمة العبيكان، ٢: ٩١٧.

قول (**فِلْبِي**) عن تجربة مَرَّ بها على الحُدود اليَمَنيَّة، لدَى الأعمدة الحُدوديَّة بين (**آل يحيَى**) و(**بني خَوْلِي**): «**وقد كانت هٰذه أسوأ تجاربي في الجبال العربية**»، فعلَّق المُراجِع:

> «وقوله إن رحلته في بلاد فَيْفاء وما حولها من «أسوأ تجاربي في الجبال العربية»، ربما يعود إلى بعض الأسباب منها:
> أ. صعوبة أرض فَيْفاء، فالصعود إليها والنزول صعبٌ جدًّا، وهٰذا مما جعل فيلبي يعاني من السير في هٰذه البلاد.
> ب. انغلاق أهل فَيْفاء وما حولها على أنفسهم، ربما كانت سببًا آخر حتى جعلت فيلبي يجد صعوبة شديدة في التعامل مع سكان تلك البلاد. (ابن جريس).»[1]

وهٰذا غريب؛ فالرجل لم يكن هاهنا يصف

[1] م.ن، ٢: ١٠٠٧، ح١.

وجوده في أرض (**فَيْفاء**)، بل على الحُدود اليَمَنيَّة. ولقد ذكر بنفسه أسباب قوله بسوء تلك التجربة، دون حاجة إلى تفسير؛ وذٰلك للطقس والظلام ووعورة المكان الذي كان فيه. فهو يتحدَّث عن معاناةٍ محدَّدةٍ في مكانٍ محدَّدٍ، لا تحتمل التعميم، لا مكانًا ولا زمانًا. لٰكن الغرابة تتلاشى حين نجد هٰذا اللَّبس العجيب في معرفة ما يتحدَّث عنه (**فِلْبِي**) في تعليقٍ آخر، يقول: «**وهٰذا الحد يقع بين آل يحيَى من بني مالك (فَيْفاء!) السُّعوديَّة، وبني آل جلحاء من بني خَوْلي (اليمن).**»[1] فها قد أصبح (**آل يحيَى**)، بل قبائل (**بني مالك**) كلُّها، جزءًا من (**فَيْفاء**)**!**[2]

وهٰذه الظواهر في ترجمة الكتاب من الكثرة والتنوُّع

---

[1] م.ن، ٢: ١٠٠٨، ح١.

[2] وهو يكرِّر ذٰلك في مواضع أخرى من تعليقاته على الترجمة، فمثلًا يذكر (م.ن، ٢: ١١٥١، ح١) أنَّ «**جبل طلان يوجد في ديار بني مالك من أرض فيفاء**»**!**

بحيث لا يمكن الإلمام بها هاهنا جميعًا. وإنَّما عِلاجها في إعادة ترجمة الكتاب، وَفق منهجيَّة تجمع بين تحرِّي الدِّقَّة في الترجمة، مع شرح الغوامض، وتحقيق المعلومات. وهٰذا ما أدعو إليه، وأَعَدُّ اشتغالي للنهوض بذٰلك في الفصلين المتعلِّقين بـ(**جبال فَيْفاء وبني مالك**) خطوةً تطبيقيَّةً على الطريق في هٰذا المشروع. ولعلَّ بعض أبناء المناطق الأخرى التي تطرَّق إليها الكتاب، ممَّن تتوافر فيهم الكفاية العِلْميَّة لاستكمال ما يتعلَّق بمناطقهم، أن يتصدَّوا لترجمة الفصول الخاصَّة بمناطقهم، حتى يتكامل الكتاب في صورته العِلْميَّة المفيدة. أو لعلَّ جهة تتبنَّى هٰذا المشروع وتندب إليه من الكفاءات ما يحقِّق الهدف المنشود. ويزيد في ضرورة ذٰلك ما كان يقع فيه (**فِلْبِي**) نفسه من أخطاء معلوماتيَّة أو معرفيَّة؛ لعدَّة أسباب، منها:

- ما كان يتَّصف به من تعجُّلٍ، مع حِرصٍ على ذِكر كلِّ شاردةٍ وواردة.

- ما كانت فيه من حِدَّة، ربما دفعتْ مرافقيه إلى اختلاق معلوماتٍ يتخلَّصون بها من إلحاحه وتقريعه.[1]

- ربما تعمَّدَ بعضُهم تضليله، سُخريةً، أو انتقامًا، لمعاملته الشديدة معهم. فمع تقدير ما قد يكون بين المتزامنين من أسباب التنافس وبين المتزاملين من عوامل التَّلاحي، فقد تردَّدَ وصفُ (**فِلْبِي**)، ممَّن عَرفوه عن قُربٍ، بأنَّه صعب التعامل، غضوب، ذو طبعٍ نَزِق، كثيرًا ما يتنافر مع مرافقي حملاته.[2]

-٩-

وقد اعتمدتُ في ترجمتي هٰذه على طبعة الكتاب وَفق المعلومات الآتية:

---

[1] انظر: بِدْول، ٩٩.

[2] وهٰذا ما شَهِد به (**إبراهيم بن جميعة**)، رئيس تشريفات (**المَلِك عبدالعزيز**)، الذي كان أمير حملته إلى (**وادي الدواسر**)، فوقع بينهما ما وقع من خِلاف. ولا يكتفي (**فِلْبِي**) بسوء تعامله ذاك، بل يذهب يدوِّن ذَمَّه، لأولٰئك الذين احتفوا به وساعدوه ورافقوه، خلال كُتبه. (انظر ما سجَّله حول أخلاقه تلك: الريحاني، أمين، ٢: ٥٧٦). وانظر شاهدًا بيِّنًا على ذٰلك في ما وصف به **فِلْبِي** الشيخَ (**فرحان بن جبَّار اِمْداهمَة**)، شيخ (**أهل حَبْس**). (ص٣٠١ من ترجمتنا).

Philby, H. ST. J. B. (1952). **Arabian Highlands**. (ITHACA, New York: Cornell University Press).

في حين ذُكر في ترجمة **(مكتبة العبيكان)**[1] أنَّهم اعتمدوا على ترجمة ١٩٧٦م. والواقع أنَّها صورةٌ طِبق الطبعة الأُولى نفسها، التي جاءت بتقديم (**فِلْبِي**)، بتأريخ ٦ مايو ١٩٤٤، في (**١٨ أكول رود، جَنوب غَرب لندن**)، وبتصديره الذي كتبه في (**مكَّة المكرَّمة**)، بتأريخ ١٦ سبتمبر ١٩٥١. بل إنَّ بين يديَّ الآن آخِرَ إصدارٍ للكتاب، في ٢٠١٠، وحين نتفحَّصه نلفيه صورةً طِبق الأصل من طبعة ١٩٥٢. فآثرنا، على كلِّ حال، اعتماد تلك الطبعة الأُولى التي صدرت في حياة المؤلِّف، بتقديمه وتصديره وتحت نظره.

ولقد اجتهدتُ في تصحيح الأسماء الواردة في الفصلَين محلّ الترجمة. كما بذلتُ في تحديد النقاط الحُدوديَّة قصارَى الطاقة، بحسب ما هو معروف في تلك المناطق، وما استقرَّ عليه ترسيم الحُدود بين (**السُّعوديَّة**) و(**اليَمَن**)، وَفق معاهدة (**الطائف**).[2]

---

[1] انظر: ١: ١١.

[2] للاستزادة حول (العلاقات السُّعوديَّة اليَمَنيَّة)، فإنَّ من الدراسات العِلْميَّة ←

وكنتُ أترجم النصَّ ترجمتَين: ترجمةً أوَّليَّة، تسعى إلى أن تكون أمينةً في نقل مادَّة النصِّ بالإنجليزيَّة، ومحاولةً أخرى لتعريب النصِّ، بما يُكسِبه حِسًّا خاصًّا، يصل إلى قارئٍ عربيّ. وهو ما كان يقتضي استبعاد أشياء من الترجمة، مفهومة، لا حاجة لقارئٍ عربيٍّ إليها، أو إضافة إيضاحات، يستدعيها السياق، لا غِنى عنها لفهم المعنى، وكانت تُجعل بين معقوفتَين [...]، إنْ بَدَتْ أهميَّةٌ لذٰلك. هٰذا فضلًا عن الحواشي الضروريَّة لشرحٍ أو تعليقٍ أو استدراك.

وقد أضفنا تلك اللقطات التصويريَّة، التي التقطها (فِلْبِي)، في مواضعها من الترجمة، على الرُّغم من عدم وضوح بعضها؛ لتواضع الآلة التصويريَّة التي التُقِطت بها.

التي يمكن أن نحيل القارئ إليها: رسالة ماجستير، تحت عنوان «**العلاقات السُّعوديَّة اليَمَنيَّة في الفترة من ١٩٣٢م إلى ١٩٥٣م**»، للباحثة (**مروَى سليمان عبدالحفيظ رضوان فايد**)، تقدَّمتْ بها إلى (قسم التاريخ (تاريخ حديث ومعاصر)، كليَّة الآداب، جامعة الزقازيق، جمهوريَّة مِصْر العربيَّة، ٢٠٠٤). وذٰلك لما لها من طابعٍ عِلْميٍّ- غير مسيَّس، ولا قُطريّ- مع توافرها بين يدَي المهتمّ في نسخةٍ رقميَّةٍ على شبكة «الإنترنت».

ويُلحَظ أنَّها كانت تُدرَج في كتابه في غير مواضعها، إنْ من الصفحات أو حتى من الفُصول، مع تنبيهه إلى الصفحات التي تتعلَّق بها. فاستحسنَّا أن تَرِدَ مصاحبةً للسِّياق الذي يُشار إليها فيه.

وتَدين الترجمةُ بالعِرفان للصديق الباحث (**الأستاذ حسن فرحان المالكي**)، الذي تفضَّل، مشكورًا، بقراءة مسودة الترجمة، وأبدى ملحوظات قيِّمة وتعليقات مفيدة، وبخاصَّةٍ في ما يتعلَّق من النصِّ بدِياره، في جهات جبال (**بني مالك**) وأسماء المواضع فيها. وقد أُثبِتَ ذٰلك في حواشي الترجمة، محصورًا بين قوسَين مربَّعين [...]، مرموزًا إلى **الأستاذ حسن** بـ(ح.م). وحيثما أُشير في الحواشي إلى «**المالكي**»، فهو المقصود.

وربما استحسن القارئ لو أنَّ الترجمة زُوِّدت بخرائط إيضاحيَّة. وعلى الرغم من أنَّ ذٰلك ليس من عمل الترجمة، بل من عمل التحقيق، فقد كان محلَّ الاهتمام بادئ الأمر،

غير أنَّه عُدِلَ عنه لسببٍ عَمَليٍّ ظاهر. هو أنَّ الحاجة إليه باتت اليوم منتفية؛ لأنَّه ممَّا تخطَّته تقنية العصر، في ظِلِّ شبكة «الإنترنت» التي تُمكِّن المهتم من الاطِّلاع على ما شاء من خرائط تفصيليَّة عن أيِّ مكانٍ، بل على مَشاهد أرضيَّةٍ حيَّة. وهو ما لا يمكن أن يحيط به كتاب، أو أن يُغني غناءه.

تبقى الإشارة إلى أنَّ جميع حواشي الترجمة- بما تضمَّنته من تعريفات، وتحقيقات، وشُروح- بالإضافة إلى التعليقات المفصَّلة الختاميَّة، هي من وضعنا، باستثناء ما نَبَّهنا فيه إلى خلاف ذٰلك.

آمِلًا أن يكون في هٰذا الجهد ما يفيد القارئ والباحث، ويضع لَبِنَةً في ترجمة أعمال الرحَّالة (فِلْبِي)، على النحو الذي أراه ضروريًّا لطبيعة تلك الأعمال، أسلوبًا وموضوعًا.

أ.د/ عبدالله بن أحمد الفَيْفي

(عضو مجلس الشورى السعودي- الأستاذ بجامعة المَلِك سعود)

٨ شعبان ١٤٣٥هـ= ٦ يونية ٢٠١٤م

جبال فَيْفاء وبني مالك

والمرتفعات الحُدوديَّـة السُّعوديَّـة اليَمَنيَّـة

من رحلة (فِلْبِي) في «مرتفعات الجزيرة العربيَّة»

(السبت ٥- الخميس ١٧ شوَّال ١٣٥٥هـ= ١٩- ٣١ ديسمبر ١٩٣٦م)

ترجمة، وتحقيق، وتعليق:

أ.د/ عبدالله بن أحمد الفَيْفي

الفصل الأوَّل

جبال تِهامة

جبال تِهامة

١- في الطريق إلى (فَيفاء):

كانت الراحة، والطعام الجيِّد، والحمَّام البحري في (**جازان**)[*٢]، قد فعلتْ فعلها في إنعاشي من تعب الجولة الرمضانيَّة الطويلة، فكنتُ متهيِّئًا تمامًا لمغامرات أخرى. وفي صباح التاسع عشر من ديسمبر أخذتُ حمَّامي المعتاد بعيدًا عن الرصيف البحري، ثمَّ مضينا جميعًا إلى الإمارة لتناول إفطارٍ دَسْم، على رأس قائمته ألذُّ أنواع (**الكعك**)[١]، الذي أعدَّته مضيفتنا[٢]، مع (**العسل**)[٣].

[١] Cakes: بالعربيَّة (**الكَعْك**)، وهو: أرغفة الخُبْز. وقيل: الكلمة فارسيَّة معرَّبة. قال الشاعر:

يا حَبَّذا الكَعْكُ بلَحْمٍ مَثْرودْ،

وخشْكُنانٌ بسَويقٍ مَقْنُودْ

(انظر: ابن منظور، (كعك)). ويقصد (**فِلْبِي**): أقراص الخُبز المحلِّي. فيما جاء في (ترجمة العبيكان، ٢: ٩٠١): «**الكيك**»!

[٢] إشارة إلى أنَّ الخُبز من إعداد المرأة (المضيفة)، ربَّة البيت أو غيرها.

[٣] سقطت إشارة المؤلِّف إلى «**العسل**» من ترجمة (**العبيكان**).

ومن ثَمَّ غادرنا (**محمَّد بن ماضي**)[1] ومَن دُعي إلى الإفطار من الرسميِّين الآخَرين، وعُدنا لنضع اللمسات الأخيرة على استعداداتنا للرحيل إلى (**فَيْفاء**). كان الأمير قد جعل تحت تصرُّفنا سيَّارةً وشاحنةً للمرحلة الأُولى من الرِّحلة، مسافةً تصل إلى سفوح الجبال، حيث كانت قد أُعِدَّت- في قَرية (**العَيْدابي**)[*٣]- الترتيبات لتزويدنا **بـ(الحُمُر)** و(**الجِمال**) لبقيَّة الرِّحلة. وكان الوقت بعد الظُّهر تمامًا حينما أتممنا ترتيب العَفْش الذي كنَّا سنأخذه من الأمتعة التي سنتركها وراءنا.

لقد اتَّبعنا الطريق الرئيس إلى حدِّ (**صَبْيا**)[2]، آخذين الأمور برفق، وكان التوقُّف بين وقتٍ وآخر، كي أُدَقِّق أُولى مؤشِّرات الاتِّجاه في بوصلتي، ولذا فقد استَغْرَقْنا ساعتَين بالتَّمام حتى وصلنا إلى منزل (**ابن غُنَيْم**)، حيث زجَّينا نِصفَ ساعةٍ لتناول القهوة والشاي قبل استئناف المسير.

---

١ (**محمَّد بن عبدالعزيز الماضي**): أمير المنطقة إذْ ذاك. عُيِّن سنة ١٣٥٥هـ، وهي سنة زيارة (**فِلْبِي**). وكان الأمير قبله: (**عبدالله بن عقيل**).

٢ مدينة (**صَبْيا**) على نحو ٤٠ كيلًا، شَمال شَرق مدية (**جازان**).

ثمَّ مضينا على طريق (**الحُسَيْنية**)[1] حتى بلغنا جهة (**مسجد الخواجية**)، تمامًا بَعْد المَفْرَق (**بين صَبْيا الجديدة**[2] **وبيت السيِّد**)، واتَّجهنا بعد ذٰلك مباشرةً تقريبًا بطريق السيَّارة إلى اليمين، نقطع خطَّنا في صحراء جرداء ذات كثافة من عُشب الثِّمام، متَّجهين صَوْبَ الطَّرَف الشَّمالي من قَرية (**الحُسَيْني**)، وهي مجموعة كبيرة من عُشَشٍ كخلايا (**النحل**) تُغَطِّي نحو مِيْلٍ مربَّع. ثُمَّةَ هبطنا قاعًا وَعِرًا نوعًا ما إلى الضِّفَّة اليُمنَى من وادي **صَبْيا**، حيث مَضَيْنا مُصْعِدِين خلال أَحراجٍ كثيفةٍ من أشجار (**السَّيال**)[3](*[4])،

---

[1] (**الحُسَيْنية**): قَرية على نحو ٢١ كيلًا من (**صَبْيا**). وينطقون الاسم: الحُسَيْنية، ولعلَّ أصله: الحُسَيْنِيَّة.

[2] (**صَبْيا**): مدينة أسَّسها (**دريب بن مهارش الخواجي**)، ٩٥٨هـ= ١٥٥١م، و(**صَبْيا الجديدة**) تقع شَرقها، أسَّسها (**محمَّد بن عليّ الإدريسي**)، ١٣٣٨هـ= ١٩١٩م. وقد اتَّصل ما بين المدينتَين الآن.

[3] Acacia. و(**السَّيَال**): شجرٌ شوكيٌّ. ينمو في الأودية والخبوت. (يُنظر حوله: الأصمعي، **النبات**، ٢٣؛ أبو حنيفة، **النبات**، ٥٣؛ ابن منظور، (سيل)). وهناك مَن يقابل Acacia بـ: (**سَنْط**)، أو (**خرنوب**)، أو (**سَلَم**). وفي (العبيكان، ٢: ٩٠٢): تُستعمل كلمة: «**طَلْح**». وتلك الأسماء المختلفة إنَّما هي لأنواع من الطَّلْح، فهناك: (**طَلْح السَّلَم**)، و(**طَلْح السَّمُر**)، و(**طَلْح السَّيَال**)، وكأن بعض تلك الأسماء مترادفات لهجيَّة لمسمًّى واحد. فاخترنا ←

و(**العَلْب**)[1]، و(**الأراك**)[2]، و(**الطَّرْفاء**)[3]، والنباتات البَرِّيَّة الأخرى، عابرين قُرَيَّةً من أكواخ «**العُشَش**»[4]، اسمها (**خَمِين**)[5]. وكان هناك مقدارٌ حَسَنٌ من مزارع (**الدُّخْن**) حول المكان على جانبَي القناة المائيَّة المشجَّرة بشكلٍ كامل، حيث تبدو أحيانًا أقرب ما تكون إلى غابةٍ منها إلى مجرًى

هنا الاسم المستعمل في المنطقة. (وانظر تفصيلًا في «التعليقات»، نهاية الترجمة: (٤*)).

[1] (**العَلْب**): نوع من (**السِّدْر**). والعَلَبُ: الصَّلابَةُ، والشِّدَّة، والجُسُوء. يقال: عَلِب النَبَاتُ عَلَبًا فهو عَلِبٌ: جَسَأَ، والعِلْبُ: مَنْبِتُ **السِّدْر**. (انظر: الزبيدي، (علب)).

[2] جمع (**أراكة**)، شجرة طويلة ناعمة كثيرة الورق والأغصان، عودها ضعيف، تنبت في التهائم. (انظر: ابن منظور، (أرك)). وقال (أبو حنيفة، ٢): «**هي أفضل ما استيك بفرعه وبعِرْقه من الشجر، وأطيب ما رعته الماشية رائحةَ لبن.**»

[3] (**الطَّرْفاء**): واحدته طَرَفَة، وبها سُمِّي الشاعر الجاهلي المعروف. وللطَّرْفاء ورق كالخوص. (انظر: الأصمعي، **النبات**، ٢٨، ٣٤). قال (أبو حنيفة): «**الطَّرْفاء من العِضاه، وهُدْبُه مثل هُدْب (الأَثْل)، وليس له خَشَب وإنَّما يخرج عُصِيًّا سَمْجَة في السماء، وقد تتحمَّض بها (الإبل) إذا لم تجد حمضًا غيره.**» (ابن منظور، (طرف)). وفي (العبيكان، ٢: ٩٠٢): «**الطرفاد**»!

[4] جمع: عُشَّة، وهو بيتٌ من القَشّ، على شكل عُشِّ الطائر. ولهٰذا سمَّوه: عُشَّة. يُبتنَى في التهائم من منطقة (**جازان**)، لا في المرتفعات.

[5] Khamin.

مائيّ. وكان علينا أن ننحرف بعيدًا عن خطِّ هٰذه القناة لتجنُّب تلكم العوائق. وقبل مُضيِّ وقتٍ طويلٍ وصلنا إلى قَرية (**جُخَيرة**)[١]، بعُشَشِها المتبعثرة حولها في غَيْضَةٍ منتشرةٍ من شجر (**الدَّوْم**)، حيث شاهدتُ وسطها أكوامًا من قَصَب **الدُّخْن** مركومةً في أكداس[٢].

وتصل هاهنا لابَـةُ[٣] (**عَكْوَة**)[٤](*٥) إلى حافَّة القرية،

---

[١] أورد المؤلِّف الاسم هٰكذا: Juhaira. والمعروف أنَّ هناك قَرية اسمها: (**جُخَـيرة**)، قرب (**العَكْـوَتـين**). فلعلَّه حدث خطأ إملائي أو مطبعـي، بحـذف حرف K قبل h. إلَّا أنَّ المؤلِّف يكرِّر هٰذا الاسم في مواضع لاحقة. وهناك قَرية اسمها: (**الجحيرة**)، تابعة لمحافظة (**العارضة**). لٰكنها ليست منه بسبيل.

[٢] لعلَّه يعني بما سمَّاه «**أكداس** ricks» ما يُسمَّى باللهجة المحلِّية: «**مراميد**»، جمع: مِرْماد. ذٰلك أنَّهم يجمعون القَصَب في حِزَم كبيرة، تُسمَّى واحدتُها: «**حِدْرَة**»، ويُسمَّى ذٰلك العمل: «**التحدير**»، ثمَّ يَضمُّون تلك الحِزَم، أو «**الحِدَر**»، لتكوِّن ما يُشبه هَرَمًا من الحِدَر، وهو ما يسمُّونه: «**مِرْمادًا**». وفي (العبيكان، ٢: ٩٠٢): «**أعواد الدّخن**»! وليس (**للدُّخْن**) أعواد، بل قَصَب.

[٣] **Lava-field.** وهي في العربيَّة: اللَّابَة، أي الحَرَّة، المتكوِّنة عن مُخلَّفاتٍ بركانيَّة. فآثرنا إعادة الكلمة إلى أصلها العربي.

[٤] (**عَكْوَة**): أَكَمَةٌ، ذات فوَّهة بركانيَّة، تُرى من بعيد مربَّعة الشكل. وتَبْعُد عن (**صَبْيا**) نحو ١٥ كيلًا شَرقًا، على طريق **صَبْيا** إلى (**العَيْدابي**). وشَمال عَكْوَة ←

وذٰلك في جُرف مقداره عشرون قَدَمًا، يمتدُّ شَرقًا وغَربًا.[1] وبين تلك اللَّابة البركانيَّة والضِّفَّة اليُمنَى من الوادي- التي تَبعُد مسافة زُهاء ١٠٠٠ ياردة- كانت أكوام عظيمة من الطَّمْي قد تراكمت عَبْرَ الحِقَب، وكان طريقنا يَتَّخذ مسلكه خلال ذٰلك كلِّه حتى وصلنا إلى القناة المائيَّة ثانيةً، حيث يلتفُّ جُرفُ اللَّابة ليكوِّن الضِّفَّة اليُمنَى من تلك القناة، وفي الجوار تعلو أشجار (**الأراك**) و(**السَّيَال**) قُرابة ثلاثين قَدَمًا، بنطاقٍ كثيف على طُول سفح ذٰلك الجُرف. على أنَّ الجُرف سرعان ما ينعطف بعيدًا إلى الشَّمال مارًّا بقريةٍ

أَكَمَةٌ بركانيَّة أخرى أصغر، ويُطلق عليهما اسم: (**العَكْوَتَين**). وتُطِلَّان على قَرية اسمها (**جُخَيْرة**). وقد انداح عن فوَّهة **عَكْوَة** الفَحْم البركانيّ إلى مسافات نائية، يُرى في شكل أحجار بازلتيَّة، تُرافق السائر على الطريق، ولاسيما من الجهة الجَنوبيَّة. (يُنظر: العَقيلي، محمَّد بن أحمد، **التاريخ الأدبي لمنطقة جازان**، ١: ٨٧). (وللتفصيل، انظر «تعليقاتنا»، نهاية الترجمة: (٥*)).

[1] في (العبيكان، م.ن): «**واتصلت حافة حقل الحمم البركانية مع حافة القرية عبر الأزمان**»! ويبدو هنا خلطٌ طباعيٌّ بين هٰذه الجملة وما بعدها، فعبارة «**عبر الأزمان**» لا معنى لها.

صغيرةٍ تُسمَّى **(جرّ مسعود)**[١]، وسط مزيد من أكوام الطَّمْي[٢] مغطَّاة بأنواع النباتات المعروفة في المنطقة. هنا، ولدَى نقطةٍ ما، أصبح الطريق في غاية السُّوء، مقطَّعًا بسبب الأمطار أو السيول؛ ممَّا اضطرنا إلى التوقُّف ريثما تُجرَى بعض الإصلاحات المؤقَّتة قبل مواصلة المسير.

وتُعرف هٰذه البُقْعَة من أكوام الطَّمْي[٣] مع الدغل الذي فيها بـ**(الخَـروجَة)**[٤]. وكان السطح الظاهر مرملًا، ولٰكن السَّير شاقٌّ جِدًّا في الممرَّات الضيقة بين تلك الأكوام[٥]، فيما كانت تُضيف

---

[١] Jarr Mas'ud. تقع قَرية **(جَرّ مسعود)** شَرق قَرية **(جُخَيْرَة)**، وتُعرف بـ**(الجَـرّ الأسفل)**، بينها وبين **جُخَيْرَة** نحو كيلَين من الأمتار. وعن **جَرّ مسعود** شَرقًا جَـرٌّ آخر اسمه **(جَرّ جبريل)**، ويُعرف بـ**(الجَرّ الأعلى)**.

[٢] more silt-mounds. وفي (العبيكان، م.ن): «**الكثير من الروابي الطينية**»**!**

[٣] هنا أيضًا نجد في (العبيكان، ٢: ٩٠٣): «**الروابي الصغيرة**»**!** ولا ندري ما «**الروابي الصغيرة**»؟**!** فالرجل إنَّما يتحدَّث عن «**أكوام الطَّمْي**»، لا عن «رواب»، لا صغيرة ولا كبيرة**!**

[٤] al Kharuja. وفي بلاد **(بني الغازي/ بَلْغازي)** مكان يسمَّى: **(الخرشة)**.

[٥] تتكرَّر هنا كذٰلك عبارة «**الروابي الصغيرة**» في ترجمة (العبيكان، م.ن)**!**

مزيدًا من العوائق حقولٌ من أجذام **(الدُّخْن)**[١] و**(السِّمْسِم)** متبعثرة حول المنطقة. وفي الوقت الملائم[٢] وصلنا إلى ملتقَى قنوات مائيَّة متدفِّقة، لدَى موضع يسمى: **(مَجْـمَـع الأوديـة)**[٣].

---

[١] Millet stubble. ولم تَرِد الإشارة إلى كلمة «**أجذام**» في ترجمة (العبيكان، م.ن)، وإنَّما ذُكِرَت «**حقول الدُّخْن والسِّمْسِم**». و«**الأجذام**»، فوق أنَّها في نصِّ (**فِلْبِي**)، هي السبب في ما أشار إليه من صعوبة السَّير هناك، لا حقول (**الدُّخْن**) و(**السِّمْسِم**)! والجِذْم، والجُذَامة: أصل الزَّرع الذي يبقَى في الأرض بعد الحصاد، والجمع: جُذُوم، وأجذام. ويُطلق عليه في لهجة (**فَيْفاء**): «**جِذْمِيّ**»، وجمعه: «**جَذامْيَة**».

[٢] In due course. وفي (العبيكان، م.ن): «**وصلنا نهاية الأمر**».

[٣] في هٰذه الجملة وَرَدَت في (العبيكان، م.ن) إضافات غريبة، وغير مذكورة في نصِّ (**فِلْبِي**)، مع حذف جزء من اسم الوادي، هٰكذا: «**وصلنا نهاية الأمر إلى موقع ملتقى مجاري سيل يسمى المجمع [غالبًا!]، [وقد سمي بذٰلك لأنه تجتمع فيه أودية صَبْيا ودامس وقصى[!] وتكوِّن مجرًى واحدًا].**» فلم يذكر اسم الوادي: (**مَجْمَع الأودية**)، كما ذكره **فِلْبِي**، ولا ندري من أين أتت كلمة «**غالبًا**»؟ أمَّا إقحام الجملة الأخيرة، فمن الواضح أنَّه للشرح، وهي غير واردة في النصِّ الإنجليزي، وكان يمكن أن توثَّق في الحاشية. والعبارة واردة تقريبًا في كتاب (العقيلي، **التاريخ الأدبي لمنطقة جازان**، ١: ٩١)، وهٰذا نَصُّها: «**يلتقي أوَّلًا وادي دامس بوادي صَبْيا، ويكونان مجرى واحدًا، وترفدهما عِدَّة شعوب قبل الالتقاء وبعد الالتقاء، ثم يلتقيان بوادي قصي جَنوبًا في موقع يسمى (مجمَّع [كذا بتشديد الميم] الأودية)، ومن بعد ذٰلك لا يُعرف إلّا بوادي صَبْيا.**»

عـند هٰذه النقطـة يُقـبِل شِـعْب (**قَصْي**)[1] من الجهة الشَّماليَّة الشَّرقيَّة، متَّصلًا بوادي (**صَبْيا**)، الآتي من الجهة الشَّماليَّة، مارًّا بقُريَّة (**أُمِّ غَلَف**)[2]، الواقعة على مسافة ٥٠٠ ياردة، نحو أعلى الوادي. وعَبْر ملتقَى الطُّرق هٰذا واصلنا صعودنا بجهد إلى عَرْصَةِ شِعْب (**قَصْي**) الحصباءِ، حتى ظهرنا منه على ضفَّته اليُمنَى، لنشقَّ طريقنا بين غابةٍ منتشرة من آجام (**الأراك**)، تتخلَّلها حقولٌ مسيَّجَةٌ من **الدُّخْن** هنا وهناك[3]. وبدأ الطريق يلتفّ الآن فوق سهلٍ حصبائيٍّ متموِّج متدرِّج في ارتفاعه بين القناتَين المائيَّتَين، ويمكن تمييزه بخاصَّة لمقبرته الواسعة جِدًّا، بقبورها ذات الشواهد الحَجَريَّة المنخفضة، التي يظهر أنَّها لتلبية حاجات القُرَى

---

[1] كذا ضَبْطُ الاسم: بفتح القاف وسكون الصاد، كما ننطقه في (**فَيْـفاء**). ولعلَّ الاسم من قَصِيَ الشيءُ فهو قَصِيٌّ، أي بَعُدَ فهو بعيد. ربما سُمِّي هٰذا الوادي بذٰلك لبُعده، أو لبُعد مَصبِّه. وقد وَرَدَ لدَى (**فِلْبي**): Qissi، وتابعه مترجم (العبيكان، م.ن)، فضبطَ الكلمة: «**قِصِي**».

[2] Umm Ghalaf. وفي (العبيكان، م.ن): «**أم الغلف**»، بالتعريف. وستأتي الإشارة بعد قليل إلى قَرية في (**بني الغازي/ بَلْغازي**) تُعرف باسم: (**اِمْغَلْفَة**).

[3] في (العبيكان، م.ن)، «**ذات مدرجات وسدود للدخن**»!

الصغيرة المذكورة وقرية أخرى على مسافةٍ أعلى وادي **صَبْيا** على ضِفَّته اليُمنَى، باسم: **(سَمْرَة)**[1]. وهنا كان مستوى الأرض قد بدأ بالارتفاع تدريجيًّا، وأصبح المسير على هٰذه الأرض الحصباء أشقَّ من أيِّ وقتٍ مضَى، متناثرة فيها مساحات كثيفة من أشجار **(السَّيال)**، و**(البَشَام)**، و**(الصبَّار)** من النوع اللِّيفي[2]، فضلًا عن العُشْب الذي ينمو في شكل أجمات تَطْلُع من كُتَلِ الطَّمْيِ والرمل. ومن هٰذه الأرض الأرفع أشرفنا على صفوفٍ كثيفةٍ من الأشجار والشجيرات تَسِم عرض الواديَين من كلِّ جانب وبينهما مسافةٌ فاصلةٌ بمقدار مِيل.

وكانت أرض تلك البلاد قد أخذت تدريجيًّا تُصبح متقطِّعة[3] فيما دَنَوْنا من حافَّة سفوح الأَكَمات، التي كانت ممكنة

---

[1] Samra.

[2] في (العبيكان، م.ن)، «**أشجار الطلح والبشام والصبار- من نوع السيال-...**»! ولا تسأل: كيف يكون الصبَّار من نوع السَّيال؟!

[3] في (العبيكان، م.ن)، «**بدأت أسطح البلاد تتفكك تدريجيًا**»!

الرؤية أمامنا، آخذةً في لَفِّ خطٍّ اتِّجاهنا ذات اليمين[١]. كان طريقًا مقفرًا، متعرِّجًا، ذا دغل ضئيل، مقطَّعًا بعددٍ من خطوط تصريف المياه، والمكان كلُّه معروف باسم (**رقبة مُسَيْحِلة**)[٢]، وهو مغطًّى بكمٍّ وافرٍ من (**الشُّطْب**)[٣]. وامتدَّ بعد مسافةٍ قصيرةٍ لسانٌ من الحجارة البركانيَّة ناتئًا على مرتفَعٍ طوله مِيل، وتلك (**طلعة تُـرَبَـة**)[٤]، ومن السفوح تقريبًا حتى طريقنا، فما وراء ذٰلك، صار السهل المتعرِّج

---

[١] في (العبيكان، م.ن)، «**وهي تطوق خط تقدمنا على اليمين**»!

[٢] Raqbat Musaihila.

[٣] Palmetto: ضرب من (**النخل**)، قصير مروحي السعف. (انظر: البعلبكي، **المورد**، (Palmetto)). ويُسمَّى بلهجة (**فَيْفاء**): (**شُطْب/ شُطُب**)، جمع: **شُطْبِـيَـة**. والكلمة فصيحة، جاء في (الأزهري، **تهذيب اللغة**، (شطب)): «**قال اللَّيث: الشَّطْبُ...: سَعَفُ النخل الأخضر، الواحدة: شَطْبَة؛ ولذٰلك قيل للجارية الغَضَّةِ التَّارَّة الطويلة: شَطْبَة، وفرس شَطْبَة. وفي حديث أُمِّ زرع**: «**ابن أبي زرع كمَسَلِّ شَطْبَة**». **قال: قال أبو عبيد: الشَّطْبَـةُ ما شُطِبَ من جريد النخل، وهو سعفه، شَبَّهَـتْه بتلك الشَّطْبَـة، لنعمته واعتدال شبابه... وقال ابن السكِّيت: الشَّاطبة التي تعمل الحُـصْرَ من الشَّطْبِ، ... وواحد الشَّطْب شَطَـبَـة، وهي السعفة.**»

[٤] Tal'at Turaba. في (العبيكان، ٢: ٩٠٤): «تلعة تُربة»**!** وكذا تأتي تسميتها في مواضع أخرى منه.

مخطَّطًا بخطوطٍ منخفضةٍ من الحجارة البركانيَّة في تموُّجات متعاقبة. كان المرتفعُ الحقيقيُّ الأوَّلُ من السفوح الخارجيَّة التي علينا أن نَعبرها: جَبَلَ **(مشاف)**[١]، حيث وجدتُ أنَّ أقلَّ قِمَّة ارتفاعًا فيه تجعلنا على ارتفاع ٦٠٠ قَدَم تقريبًا فوق سطح البحر. إنَّ وادي **(قَصْي)**[٢] يمتدُّ بعيدًا جِدًّا الآن عن طريقنا، التي تقطعها- وسط التموُّجات البركانيَّة في الأمام- قناةُ **(لَـحْجَة عضَد)**[٣]، منحدرة لتلتقي بوادي **قَصْي** على مسافة أميالٍ إلى الجَنوب الشَّرقي. لقد توارى الآن وادي **(صَبْيا)**، المصعِّدُ خلفنا في السفوح، عن رؤيتنا. ولعلَّ مصدره يكمن في مكانٍ ما على جوانب جَبَل **(الرَّيْث)**.[٤]

---

[١] وَرَدَ الاسم هٰكذا: Mashath، وفي (العبيكان، م.ن): «**جبل مشاف: هو الاسم الصحيح، وليس مشاث، كما أورده فيلبي. (ابن جريس)**». من جانب آخر، وردت في ترجمة العبيكان هنا عبارات لا أصل لها في الأصل المترجَم، هٰكذا: «**علينا صعودها [غير معروف، ويغلب على الظن أنه] (جبل مشاف)**». فما جعلناه بين القوسين المربَّعين لا وجود له في نصّ (فِلْبِي).

[٢] وهنا يرد الاسم في (العبيكان، م.ن): «**قسي**»!

[٣] Lahjat ‘Udhad.

[٤] غريب هٰذا القول «**لعلَّ مصدره [وادي صَبْياء] يكمن في مكانٍ ما على جوانب**
←

على ضِفَّة الغابة الكثيفة لـ(**لَـحْجَة عضَد**)، التي تابعنا الصعود بها لبعض المسافة، بدأنا نصادف قُطعانًا من (**الأغنام**)، بشارةً بقرب وصولنا إلى مناطق مأهولة؛ فالوقت إذ ذاك كان ساعةً متأخِّرةً من النهار. وقد لَحَظْتُ أنَّ عددًا من أشجار (**السَّيَال**) في هٰذه المنطقة كانت متأثِّرة بنموٍّ كثيفٍ لنباتات طفيليَّة كـ(**الهَـدال**)[١]. ثمَّ وصلنا بعد هنيهة إلى بدايات محارث

جَبَل الرَّيْث». فمآتي وادي (**صَبْياء**) متعدِّدة، وتمتدُّ إلى جبال (**اليَمَن**)، ولا تنحصر «**في مكانٍ ما على جوانب جَبَل الرَّيْث**»، وقد أشار المؤلِّف نفسُه آنفًا إلى بعضها. ذٰلك أنَّ من روافده وادي (**قَصْي**)، ومآتيه من جبال (**بني الغازي/ بَلْغازي**)، ومن مآتيه كذٰلك جبال (**هَرُوْب**) الجَنوبيَّة، وجبال (**آل الصُّهَيْـف/ اِمْستُهَيْف**)، وجبال (**المَحْشَر**). ومن روافده أيضًا وادي (**دامس**)، الذي يأتي من جبال (**مَنْجِد**) وجِهات **هَرُوْب**. ويلتقي وادي **صَبْيا** بوادي **دامس** ووادي **قَصْي** في الموضع المسمَّى بـ(**مجْمَع الأودية**)- شَرق قَرية (**جَرّ جبريل**)، أو (**الجَـرّ الأعلى**)- ليتشكَّل من ذٰلك كلّه ما يُعرف بوادي **صَبْيا**.

[١] Mistletoe: (**الهَدال**)، (**الدِّبْق**)، وهو نوعٌ من النباتات الطفيليَّة. وقيل **الهَدال**: جمع هَدالة، شجرةٌ تَنبت في (**السَّمُر**)، ليست منه، وتَنبت في (**اللَّوْز**)، و(**الرُّمَّان**)، وفي كلِّ شجرة، وثمرتها بيضاء. وقيل: **الهَدالة** كلُّ غُصنٍ نَبت مستقيمًا، في (**طَلْحة**)، أو (**أَراكة**)، كأنَّها مخالفة لسائرها من الأغصان. وربما دَاوَوْا **بالهَدال** قديمًا من السِّحْر والجُنون. **والهَدال**، أيضًا: ضَرْبٌ من شجر (**الحجاز**)، له ورَق عِراض أَمثال الدَّراهِم الضِّخام، لا يَنبت إلَّا مع أَشجار
←

(العَيْدابي) ومزارعها، وهي حقولٌ من **(الدُّخْن)** الأقلُّ كثافة، تمتدُّ مدرَّجاتُها جزئيًّا- مُزَوَّدَةً بالزُّبْر[1]- إلى أعلى الأَكَم السفحيَّة الخارجيَّة المنخفضة، وجزئيًّا في حِياضٍ أضيق عند سفوح تلك الأَكَم. تألَّفتْ القريةُ نفسها- التي تقع على ارتفاع ٩٠٠ قَدَمٍ فوق سطح البحر، وهي على ارتفاعِ منطقةِ **(الحَقْوِ)** نفسِه تقريبًا- من ثلاث مجموعات منفصلة من العُشَش[2]، المصنوعة من فروع الشجر، وبجوار أُولى تلك المجموعات-- وكانت تتكوَّن من ثماني عُشَش صغيرة، مسيَّجة بسياجٍ داخليٍّ وآخر

(السَّلَع)، و**السَّمُر**. يَسْحَقه أهلُ **(اليَمَن)** ويطبخونه. (انظر: ابن منظور، (هدل)).

[1] terraced: في إشارة إلى ما يُعرف بلهجة المنطقة بـ«**الزُّبر**»، جمع «**زَبِيْر**»، وهو ارتفاعٌ ترابيٌّ ممتدٌّ، تُحاط به المدرَّجات الزراعيَّة من خارجها، ليكون عَـقْمًا يحفظ عليها ماءها. وسُمِّي بذٰلك لكونه كومةً ترابيَّةً ضخمةً تُتَّخذ لتقوية المدرَّجة الزراعيَّة وحِفْظ مائها؛ ففي العربيَّة: **الزَّبير**: الضخم، المكتنز، والشديد القويّ، والزَّبْر: رَكْم الشيء بعضه على بعض. (انظر: الزبيدي، (زبر)).

[2] في (العبيكان، م.ن): «**أعشاش**»! وإنَّما الأعشاش للطيُّور. وقد سبق وصفنا العُشَش، جمع: عُشَّة. (راجع: ١٢٦).

خارجيٍّ-- حَطَطْنا رحالنا مخيِّمِين لليلتنا. كانت القرية صغيرة جِدًّا، وتمثِّل مركزًا صغيرًا جذَّابًا في (**بني الغازي/ بَلْغازي**)[١]. وقبائل **بَلْغازي** فرعٌ من (**خَوْلان**)، ولها أيضًا القرية الكبرى في (**الحِنَّاية**)[٢]، على مسافةٍ في الأمام. ويبدو أنَّ هٰذه القبائل قريبة الانتماء إلى فرع (**اليَهَانِيَة الخَوْلانيِّين**) في (**فَيْفاء**)[٣]. وكانت تَشْغَل المراكزُ الصغيرةُ المتبعثرةُ في **العَيْدابي**–

---

[١] لا نجد وصفَ **فِلْبِي** هٰذه القرية بأنَّها «**تمثِّل مركزًا صغيرًا جذَّابًا في بَلْغازي**» في ترجمة (**العبيكان**)!

[٢] في قَرية (**الحِنَّاية**) مقرُّ شيخ (**بَلْغازي**).

[٣] تنقسم (**خَوْلانُ**) إلى قسمَين كبيرَين: (**فَرُوْد**)، و(**اليَهَانِيَة**)، نِسبةً إلى جَدٍّ اسمه (**فَرُوْد**)، وآخر اسمه (**هانئ**)، من نسل (**خَوْلان بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة**). فـ(**بَلْغازي**) من **فَرُوْد**، وأهل (**فَيْفاء**) من **اليَهَانِيَة**. لذٰلك قال (**فِلْبِي**) ما قال، مِن أنَّ قبائل **بَلْغازي** «**قريبة الانتماء إلى فرع اليَهَانِيَة (الخَوْلانيِّين) في فَيْفاء**». وقبائل **فَرُوْد**، هي: **بنو الغازي** (**بَلْغازي**)، و(**آل الصُّهَيْف**)، وأهل (**الرَّيْث**)، و(**بنو معين**)- شَرقًا من جَبَل (**العبادل**)- وقبائل (**آل معوّض**)-- وتشمل: (**مَنْجد**)، ويطلق عليهم «**الحساب**»، وهم: (**بنو قراد**)، و(**بنو مجهل**)، و(**بنو أحمد**)-- ثمَّ (**الصهاليل**)، و(**هَرُوْب**)، و(**بنو امْشَيخ**)، أعلى وادي (**قَصْي**)، وهم غير (**آل اِمْشَيخ**) التابعين (**لليَمَن**). أمَّا قبائل **اليَهَانِيَة**، فهي: أهل **فَيْفاء**، و(**بنو مالك**)، و(**حَرِيْص الحَشَر**)، وهم من **بني مالك**، و(**حَرِيْص اليَمَن، الحميرة**)، و(**قَيْس**)، و(**عَبْس**)، و(**بَيْش**)، ←

التي بَدَتْ قريتُنا هٰذه كُبراها- غَوْرًا سطحيًّا، يفصل أرضَ **(الحباطة)** المرتفعة البركانيَّة-- التي كُنَّا قد اجتزناها من مشارف **(طلعة تُرَبة)** قُدُمًا-- عن الأَكَمات السفحيَّة الفِعليَّة، التي بَدَتْ مكوَّنَةً من طبقات **(الصخر المتبلِّرة)**[1].

كان الرجل الذي أرشدنا الطريقَ عَبْر تلك المسافة الطويلة من **(صَبْيا)** شيخًا عجوزًا يُدعَى **(عبدالله خَبَّاش)**، من أهالي **(جُخَيرة)**[2]. ولم تكن معرفته بالبلاد واسعة، ولٰكنَّه- لكي يغطِّي نقطة ضعفه الخطيرة هٰذه- أَحْضَرَ إليَّ قطعةً من حَجَرٍ أسود، قائلًا إنَّه موجود من نوعها في جِحَرةٍ صغيرةٍ بين ضلوع جبال **(الحباطة)**، وهو يُستعمل محليًّا كُحْلًا، أو إِثْمِدًا للأعين. وبدا لي ذٰلك الحَجَر كالـ**(منغنيز)**.

و(**الحُسَيني**)، و(**آل جابر**)- بجَبَل (**سَلَى**)- و(**بنو ودعان**)، بجَبَل **سَلَى**، و(**العبادل**)، و(**سُفيان**)، وقبائل (**العارضة**)، و(**آل تَلِيْد**). هٰذه قبائل **فَرُوْد** و**اليَهَانِيَة** السُّعوديَّة.

[1] الشِّسْت schist.

[2] راجع حاشية سابقة (ص١٢٧) حول إيراد المؤلِّف الاسم على أنَّه: Juhaira، وهو **جُخَيرة**.

كان شيخ (**بني الغازي/ بَلْغازي**) المحلِّي- أو «**العسكري**»[١] كما كان يُحِبُّ أن يدعو نفسه- شخصًا اسمه (**يزيد**)، وعندما كنتُ اسْتَرِق السَّمْعَ إلى دليلنا وهو يوجِّه إليه الأسئلة على نحوٍ متواصلٍ حول أسماء المعالم المختلفة على مرمَى البَصَر بصدد إِطْلاعي عليها، قَرَّرْتُ أنَّه من الأجدَى الحصول على معلوماتي مباشرةً كما هي «**من فم الحصان**»[٢]. وعلى هٰذا فقد صُرِفَ (**عبدالله**) بريالٍ، مقابِل أتعابه، وأُرسِل قافِلًا مع السيَّارات العائدة، في الوقت الذي وافق فيه **يزيد** تلقائيًّا ليحلَّ محلَّه[٣]. وقد أرسلتُ كذٰلك (**ابن هُطَيل**)[٤] ليحصل لي على بطاريَّة لجهاز الراديو، الذي لسببٍ

---

[١] في (العبيكان، ٢: ٩٠٥): «**عسكري جندي**»**!** ذٰلك أنَّ (**فِلْبِي**) أشار إلى أنَّ الرجل يُحِبّ أن يُدعَى «**عسكريّ**»، فنقل اللفظ العربي بحروفه، ثمَّ شَرَحَ الكلمة بأنَّها تعني «**جنديّ**».

[٢] تعبيرٌ يعني استقاء المعلومات مباشرة من مصدرها الأصلي.

[٣] جاء في ترجمة (العبيكان، م.ن): «**وافق يزيد في تطلع على أن يحل مكانه**»**!** ولستُ أدري من أين أتت عبارة «**في تطلع**»، وما معناها هاهنا؟**!** فما جاء في الأصل هي كلمة «**readily**»، أي تلقائيًّا، أو بسهولة، أو بسرور، أو بلا تردُّد.

[٤] Ibn Hudhail. وجاء في ترجمة (العبيكان، م.ن): «**ابن هذيل**». إلَّا أنَّ كتابة ←

ما- ربما للارتجاج الشديد الذي كان يحدث في أثناء الطريق- كان متعطِّلًا لحظة الوصول إلى المخيَّم. وهٰذا كان أمرًا جدَّ ضروريٍّ؛ لأنَّه من دون توقيتٍ دقيقٍ، لم يكن للمرء أن يأمل في ضبط المواضع، وقد كنتُ أريد، بصفةٍ خاصَّةٍ، أن أقوم بذٰلك من (**فَيْفاء**) على نحوٍ دقيقٍ؛ حيث إنَّ **فَيْفاء** مَعْلَمٌ بالغُ الأهميَّة. وبالرغم من هٰذا، فقد كان عليَّ أن أفعل المستحيل؛ ذٰلك أنَّ **ابن هُطَيل**، حتى لو وَجَدَ بطاريَّةً جاهزةً في (**جازان**)، فالمحتمل أنَّه لن يتمكَّن من اللحاق بي لبضعة أيامٍ قادمة.

مبكِّرًا في صبيحة اليوم التالي، وتمامًا حينما كانت الشمس تُطِلُّ على كَتف القُلَّة النائية لجَبَل (**العُرِّ**)، قليلًا جهة الجَنوب الشَّرقي، أخذتُ أستيقظ على صوت مناحات حادَّة ومسعورة في المجمع السكاني الصغير الأقرب إلى مخيَّمنا. وبالاستفسار عن الأمر جاءت المعلومات بأنَّ

(**فِلْبِي**) الاسمَ تُقرأ على أنَّه أشبه بـ«**هُطَيل**» منه بـ«**هذيل**».

عجوزًا طاعنة في السِّنِّ كانت قد ماتت، وقد ظلَّ عويل المناحة العُرفيَّة عليها مستمرًّا دون فُتور لأكثر من ساعة. لقد كان- أو هٰكذا بدا- مجرَّد تظاهُرٍ بالحُزن من خلال وَلْوَلَةٍ منظَّمة، بصِدقٍ شعوريٍّ فاتر.[١] وعلى الرغم من ذٰلك، فقد كُنَّا، بعد هُنيهةٍ، على أُهبة التحرُّك من جديد، مغادرين القرية لمأتمها؛ ولحُسن الحظِّ فقد أبدى (**يزيدُ**) عدمَ رغبةٍ في البقاء هناك لحضور تلك المراسم.

كانت قناة (**عُضَد**) أكبر قليلًا من وادٍ صغير[٢]، وهي شديدة الانحدار، تهبط من تلقاء ثنيَّةٍ في السُّفوح الجبَليَّة الخارجيَّة؛ لٰكنَّنا- عمَّا قليل بعد مغادرتنا المخيَّم- عُدنا مرَّةً أخرى إلى وادي (**قَصْي**)، وها نحن هٰؤلاء الآن نصعد

---

[١] لهٰذه الممارسة من النَّدْب وظيفتها النفسيَّة، التي عبَّر عنها (هيجل) بالحاجة إلى «**مَوْضَعَة**» الألم، لتخفيف وطأته على النفس. أي تحويله إلى موضوعٍ خارجيٍّ، لفصله عن الشخصيَّة. (انظر مثلًا: هيجل، **المدخل إلى عِلْم الجَمال**، ٥٢). أمَّا الدِّين، فيرى العِلاجَ على نحوٍ مختلف؛ فنهَى عن النواحة، وجَعَلَ العِلاج في الإيمان، وإلقاء الهَمِّ النفسي على مفرِّج الهموم.

[٢] في ترجمة (العبيكان، ٢: ٩٠٦): «**بدأ مجرى عَضَد كأنه مسيل صغير**»!

ضِفَّته اليُمنَى في الاتجاه الشَّمالي الشَّرقي، وسط منطقة نباتيَّة سفحيَّة كثيفة بشكلٍ واضح، بما في ذٰلك (**صَبَّار**) خشن ذو زهرٍ أصفر، يُسمَّى (**شَرْماء**)[1]، و(**عَدَن**)[2] ذو زهرٍورديٍّ اللَّون غريب المظهر، وهو مصدرٌ لبخورٍ زكيٍّ، وينمو إلى ارتفاع يصل ما بين ستَّة أقدامٍ إلى اثني عشر قَدَمًا، مستدِقًّا تدريجيًّا من لَدُن قاعدته الدرنيَّة المنتفخة إلى أطرافه العُليا. وفي الوادي نفسه- ولدَى هٰذه النقطة منه- يجري تيارُ غَيْلٍ متدفِّق في قاعٍ حصباويٍّ، مستمرًّا لبعض المسافة إلى الأسفل وصولًا إلى قريةٍ صغيرةٍ تُسمَّى (**الحِمَى**)، عند الحافَّة من مرتفع (**الحباطة**). وهٰذه القرية الصغيرة لـ(**بني عَبْس**)، من

[1] Sharma. وفي (العبيكان، م.ن): «**صبار الشيمة**»**!** وربما لم تكن الكلمة لا «**شرماء**» ولا «**شيمة**» وإنَّما قصد: «**صَبَّار البرشوم/ البرشومي**»، كما يُسمَّى في بعض جهات (**تِهامة**) و(**عسير**)، ويُسمَّى في جبال (**فَيْفاء**): «**بَلَس التـُّرْك**»، وهو: (**التِّين الشوكي**).

[2] Adan (Adenium). و(**العَدَن**): من الأشجار المنتشرة في جَنوب (**شِبه الجزيرة العربيَّة**) عمومًا، وبالاسم نفسه. وله استعمالات طِبِّـيَّة. وربما خلطَ المؤلِّف بين ما يُعرف بـ«**البخور العَدَني**»، نسبةً إلى مدينة (**عَدَن**)، و(**شجر العَدَن**)؛ فزعمَ أنَّ هٰذا الأخير مصدرٌ لبخورٍ زكي.

(قحطان)، وينتمون إلى أهل **(الحَقْو)**. وكانت غابة **(قَصْي)** مليئة بالطيور، وبدا اللافت من بينها بوجهٍ خاصٍّ طائر **(العَجَلة)**[١]، ويُسمَّى هنا **(بو مِعْوَل) [أبو مِعْوَل]**. ويَكثر هناك أيضًا، وبشكلٍ ظاهر، **(اليَـمَام ذو الذيل الطويل)**[٢]، وطائر **(التُّمَّرَة**[٣] **الأسود)**. وكذا رأيتُ بعضًا من طائر **(أبي**

---

[١] 'Ajala'. ولم يَرِد في ترجمة **(العبيكان)** ما أشار إليه **(فِلْبِي)** من أنَّ هٰذا الطائر كان لافتًا بوجهٍ خاصٍّ من بين الطيور هناك. وإنَّما مرَّت إلماعة في تلك الترجمة إلى «**الكثافة**». فإذا كان المقصود وجود ذٰلك الطائر بكثافة، فثَمَّة- إلى غرابة التعبير بـ«**كثافة**»- فارق بين كون الطائر رائعًا لافتًا conspicuous في تلك المنطقة، وهو ما ذكره **فِلْبِي**، وكونه موجودًا بكثرة. وطائر **(أبي مِعْوَل)** يسمَّى في **(فَيْفاء)**: «**مِعْوَل**». وهو طائر ذو منقارٍ كبيرٍ مقوَّس. ومِن هٰذا لعلَّها اشتُقَّت تسميته بـ«**مِعْوَل**»، لمنقاره الشبيه بالمِعْوَل. يصيح بصوتٍ حزين أيَّام القَحط، رافعًا رأسه إلى السماء. وتَزعم الحكايةُ الشعبيَّةُ في **فَيْفاء** أنَّه إنَّما يَستدِرُّ بصياحه السماءَ لتُمْطِرَ، فيظلُّ في صياحه هٰذا حتى تنزل له من السماء قطرةُ ماءٍ، لتَخْرُجَ منه وقد صارت قطرةَ دَم. وسيأتي **فِلْبِي** على بعض أوصافه في كتابه. (انظر: Philby, 598, 602).

[٢] long-tailed dove. وهو هنا يُشير إلى ما يُعرف في **(فَيْفاء)** بـ«**الوَطَف**»، جمع «**وَطَفَة**». وهو **(اليَمام)**، أو **(الحَمام البرِّي)**. وجاء في ترجمة (العبيكان، ٢: ٩٠٧) على أنَّه: «**القنبرة**»**!** وإنَّما **القُنبرة** أو **القُبَّرة** ضربٌ من العصافير، لا من **(الحَمام)**.

[٣] black sunbird. وتُعَرَّف **(التُّمَّرَة)** على أنَّها: طائر مغرِّد جميل. وكأنَّ ما يشير إليه المؤلِّف هنا هو الطائر المسمَّى في جبال **(فَيْفاء)**: **(الوِيَّة/ اِمْوِيَّة)**. سُمِّي بهٰذا لأنَّه يُصدِر صوتًا كأنَّه: «**وِيُّوْ وِيُّوْ وِيُّوْ**».

مطرقة) قربَ الماء، كما رأيتُ أحد أعشاشها الكبيرة الغليظة فوق إحدى الشجر. ووَفقًا لما ذَكره **(يزيدُ)** فإنَّ وادي **قَصْي** استمرارٌ لقناة **(المُجُوَّة)**[١]، التي يصل أعلاها إلى قُرب منبع **قَصْي** في الجُرف العظيم[٢] الذي كنتُ قد شاهدته من مَـمَرِّ **(عَلْبَيْن)**[٣].

نحن الآن في المنطقة السفحيَّة تحديدًا، وقريبًا سنكون قد عبَرْنا واديَ **(قَصْي)**، وغَديرَ مُرْتَفَعِهِ البالغِ عرضه عشرون

---

[١] Am Jawwa. جاء الاسم في طبعة (العبيكان، م.ن): «**الجَوَّة**»، بفتح الجيم. والاسم حسب منطوق الناس هناك بضمِّ الجيم. ثمَّ وَرَدَ، تعليقًا في الحاشية: «**أعالي وادي الجوة يتبع لقبائل قحطان في بلاد السراة، وتخترق هٰذا الوادي طريق متوسطة الصعوبة تسلكه السيارات من السراة إلى أرض تِهامة. (ابن جريس).**» وجدير بالإشارة أنَّ هناك مواضع عِدَّة باسم «**الجُوَّة**»، منها وادي **(الجُوَّة)** المجاور لـ**(فَيْفاء)** أيضًا.

[٢] هنا تأتي الترجمة في **(العبيكان)** باختصارٍ مخلٍّ، هٰكذا: «**استمرار لوادي الجَوّة، الذي ينبع من الجرف الذي شاهدته عند ممر عَلبين**».

[٣] Albain'. ووَرَدَ في طبعة (العبيكان، م.ن، ح٢)، تعليقًا: «**ممر علبين أحد المنافذ بين السعودية واليمن في بلدة ظهران الجنوب لقبائل وادعة. (ابن جريس).**» والحقُّ أنَّ مآتي وادي **(قَصْي)** من جبال **(بني الغازي/ بَلْغازي)**، وجبال **(هَرُوْب)** الجَنوبيَّة، وجبال **(آل الصُّهَيْـف)**، وجبال **(المَحْشَر)**.

باردة، والمتدفِّقِ على شَطِّه الحصبائي، متَّجهًا نحو قَرية (امْرَماد)[١] الصغيرة ومحارثها، وهي قريةٌ أخرى من قُرى (**بني الغازي/ بَلْغازي**). وكان قِسمٌ آخَر من القرية ممتدًّا عن يسارنا، وبين قِسمَي القرية وادٍ صغير، عميقٌ نسبيًّا، ذو ضِفَّتَين بارتفاع ١٠٠ قَدَمٍ من طبقات صخريَّة، ومنه تبطَّنَتْ طريقُنا، مُصعدةً تدريجيًّا إلى ثَنيَّةٍ على سلسلةٍ منخفضةٍ من الأَكَم في بلدةٍ قاحلةٍ جرداء إلى حدٍّ ما[٢]. لقد غادرنا الآن وادي **قَصْي** وراءنا، مواجَهِين بسِلسلةٍ من الرَّوابي والإكام المنخفضة الواقعة مباشرةً على وُجهة سيرنا الشَّرقيَّة باتِّجاه وادي (**شَعِيْب عَيْبان**). وقد بَدَتْ على ذُرَى الرَّوابي والإكام مجموعةٌ من القُرَى الصغيرة هنا وهناك، مثل (**خُطوة**

---

[١] Umm Ramad. كذا وردَ الاسم لدَى (**فِلْبِي**)، بما يُقابل: (**أُمّ رمَاد**). وهي قَرية (**امْرَماد**)، من قُرَى (**بَلْغازي**).

[٢] في ترجمة (العبيكان، م.ن) لهٰذه الجملة إخلال. فهي لا تشير إلى ما ذكره المؤلِّف من أنَّ الوادي الصغير يمتدّ «**بين قِسمَي القرية**». وفي الوقت نفسه نجد في تلك الترجمة القول: إنَّه «**يفصل ضفَّتي الوادي الشست**»! وما أشار المؤلِّف إليه هو أنَّ الضِّفَّتَين تتكوَّنان «**من طبقاتٍ صخريَّة (أي شست)**».

عافية)[1]، على مسافة نحو ثلاثة أميال، وقَرية (**امْغَلْفَة**)، وهي قريةٌ بالغة الكِبَر، على مسافةٍ إلى يميننا، مُشرِفةً على مجرَى وادي (**عَيْبان**). لقد كنَّا بَعَثْنا الجِمال مع أمتعتنا في عُهدة (**سَعْد**)، كي تصل بأقصى ما تستطيع من سرعةٍ إلى المحطَّة التي سنبيتُ فيها ليلتنا، فيما شكَّلتْ قافلةُ حُمُرِنا صورةً لطيفةً وهي تتَّخذ سبيلَها على الأَكَمات السَّفحيَّة المنخفضة ومن خلالها. وكان تشكيل هٰذه البُقْعَة من الأرض يبدو في هيئة مجموعةٍ كبيرةٍ من القِباب[2] من مختلف الأحجام، متراصَّة معًا في غير نظام، مفصولًا ما بينها بسلسلةٍ من الشِّعاب الصغيرة، تجري متحدِّرةً إلى داخل **شَعِيْب**[3] **عَيْبان**. أحد

---

[1] Kadarat ‘Afiya. كذا، والقرية المعروفة في (**بَلْغازي**): «**خُطوة عافية**».

[2] في ترجمة (العبيكان، ٢: ٩٠٨) وصفٌ للقِباب هنا بـ«**القباب الكبيرة**». وهٰذا ما لم يقله المؤلِّف، وإنَّما وَصَفَ مجموعة القِباب بأنَّها مجموعة كبيرة.

[3] «**شَعِيْب**» هنا بمعنى: شِعْب، وهو الاسم الفصيح للوادي الضيِّق، المشار إليه بـ«**الشِّعِيْب**» في الدارجة؛ فيما للشَّعِيْب في الفُصحى معنى آخر، هو: المزادة المشعوبة، أو من أديمَين. (انظر مثلًا: ابن منظور، (شعب)).

تلك الشِّعاب (**شَعِيْب مَعْرُوْك**[1])- وعلى ضِفَّتَيه بعض المحارث لأهل (**الحِنَّاية**)- ومن ذُروة الأَكَمَة، الواقعة بعد هٰذا الشِّعْب، أطللنا على خِضَمٍّ وادي **عَيْبان**، حيث يتدفَّق [**شَعِيْبُ مَعْرُوْك**].

وإزاء الخلفيَّة الباهرة للجبال الضخمة، يُمكن للمرء أن يرَى الآن- في الأماكن القريبة، الدانية منَّا والنائية الشاهقة فوقنا، وتحت حِجابٍ كثيفٍ متقطِّعٍ من السحاب المتحرِّك- سِتَّ قُرًى[2]، في مساحةٍ نِصفُ قُطْرِها مِيلان، معظمُها تُتوِّج أعالي الرَّوابي والأَكَم من سُفوح الجبال. وإلى الجَنوب تقع قَريةُ (**امْغَلْفَة**)، لدَى سفح كُتلةٍ صخريَّةٍ منخفضةٍ على شكل هَرَم، وقريةُ (**خُطوة عافية**). وأمامنا

---

[1] Ma‘ruk.

[2] في ترجمة (العبيكان، م.ن) استُخدم تعبير «**نِصف دستة من القُرى**»! في ترجمةٍ فارسيَّةٍ للكلمة الإنجليزيَّة Dozen! فـ«**دَسْتَة**»: معرَّب «**دَسْتَجَة**»، بالفارسيَّة، أي: حُزْمَة. (انظر: الزبيدي، (دستج)). ويُطلقها العامَّة على ما يضمّ (١٢ عنصرًا) من شيء، كما يُطلقون كلمة «**دَرْزَن**»، بمعنى Dozen.

جَنوبًا شَرقًا، وعلى أعلى منحدر الضِفَّة القُصوى من (**عَيْبان**)، تناثرت كُبرَى هٰذه القُرى، وهي قَرية (**الحِنَّاية**)، مع قُرَيَّة (**الحَشْوَة**)[1]، الواقعة بين **الحِنَّاية** و(**معتقة**)[2]، وهٰذه الأخيرة مستوطنة مهجورة على قُلَّة أَكَمَةٍ مخروطيَّةٍ صغيرة. وفي الدائرة القُصوَى جهة الشَّمال الشَّرقي تقع قُرَيَّتا (**الحَرْف**) و(**ثاهِر الغَدِيْر**)[3] على سِلسلة إكامٍ إلى نحو ثلاثة أميال خلفنا، بالإضافة إلى قَرية (**شهران**) فوق سِلسلة إكامٍ أخرى، وبها بعض المدرَّجات ذات الزُّبر الغليظة لحفظ مياه

---

[1] Hajwa. كذا، والقَرية المعروفة في (**بَلْغازي**): قَرية (**الحَشْوَة**)، لا «**الحَجْوَة**». وفي (العبيكان، م.ن) ذُكرت: «**خطوة الحجوة**». ولم تَرِد كلمة «**خطوة**» لدَى (**فِلْبي**) **هاهنا**. وفي هٰذا خلطٌ بين اسم (**خُطوة عافية**) وقَرية **الحَشْوَة**.

[2] تقع قَرية (**معتقة**) قريبًا من (**مركز بَلْغازي**) في (**عَيْبان**).

[3] Dhahr al Ghadir. واسم القَرية (**ثاهِر الغَدِيْر**). وأصل الاسم: (**ظاهر، أوظَهْر، الغَدِيْر**)، إلَّا أنَّ الظاء تُنطق حسب لهجات تلك المناطق ثاء. والثَّاهِر، كما في لهجات (**فَيْفاء**): مدرَّجة واسعة ظاهرة. والظَّهْرُ من الأَرض، في العربيَّة: ما غلظ وارتفع، والبطن ما لانَ وسَهُلَ ورَقَّ واطْمأَنَّ. والظَّواهِرُ: أَشراف الأَرض. وظاهر الجَبَل أَعلاه، وظاهِرَةُ كُلِّ شيءٍ أَعلاه، استوَى أو لم يستو. (انظر: ابن منظور، (ظهر)).

الأمطار، حيث كانت المحاصيل قد أينعت من فوقها. ومعظم بيوتهم هاهنا أكواخٌ حجريَّةٌ منخفضةُ الارتفاع[1]، مع عشوائيَّاتِ عُشَشٍ مصنوعةٍ من أغصان الشجر، متناثرة فيما بين تلك الأكواخ.

سُوق البلدة لهٰذه المنطقة السفحيَّة هو: **(سُوق عَيْبان)**، أو **(سُوق الخميس)**، ولم يكن يقع- ولبالغ الغرابة- في وادي **(عَيْبان)**، بل في وادي **(جَوْرَاء)**[2]، لدَى قَدَمَيْ ذٰلك الجانب العظيم الرئيس من جَبَل **(فَيْفاء)**[3]. ويتَّصل شِعْب **عَيْبان** بأكبر القنوات المائيَّة في ما يلي

[1] لم تَرِد في ترجمة **(العبيكان)** هٰذه الإشارة إلى أنَّ البيوت الحَجَريَّة في تلك البلدات «**منخفضة الارتفاع**».

[2] **(جَوْرَاء)**: الوادي المعروف، المقابل لوادي **(ضَمَد)**. والناس ينطقون الاسم هناك بالقصر: «**جَوْرَا**»، وكأن ألفه ألف قَصْر: «**جَوْرَى**». وفي نُطقهم إمالة لحركة الراء. لكن لعلَّ أصل الاسم: «**جَوْرَاء**». وربما كان معناه: وادٍ كثير الماء. فقد جاء في اللغة: أنَّ السيل الجَوْر: المفرط الكثرة، الذي لا يُرَدُّ على أدراجه. والجَوَار، والجِوَرّ: كذٰلك. (انظر: الزمخشري، **أساس البلاغة**؛ ابن منظور، (جور)).

[3] المنطقة الواقع فيها السُّوق يُطلَق عليها، عمومًا: **(عَيْبان)**. وكان السُّوق يُسمَّى: **(سُوق القاط)**، نسبةً إلى «**شَعِيْب القاط**»، الذي ستَرِد الإشارة إليه بعد صفحات. ولوجود السُّوق في هٰذا المكان ضرورته لتوسُّطه بين جبال **(فَيْفاء)**، و**(بني مالك)**، و**(بني الغازي/ بَلْغازي)**، وغيرها من الجهات.

حافَّة السُّفوح الجَبَليَّة وإلى الأعلى من نقطة تقاطُعه مع وادي (**ضَمَد**)، الذي- كما رأينا من قبل- يجري صَوْبَ البحر غير بعيدٍ إلى الشَّمال من (**جازان**). ولا يرتفع موقعُ **عَيْبان**- بضِفافه العميقة، وغاباته الكثيفة، وقناته ذات الثلاثين ياردة- كثيرًا عن سِلسلة إكام (**الحَرْف**). وبوصولنا إلى **عَيْبان**- وذٰلك عن طريق وادٍ صغيرٍ ضحلِ الماء، كثِّ الأشجار- هبطنا بالوادي متَّجِهين نحو البئر المبنيَّة واسعةِ الشَّفير المسَّماة (**امْغاوية**)[١]، الواقعة على الضِّفَّة اليُسرَى، التي تسلَّقناها إلى (**الحِنَّاية**)[٢].

وهنا استُضِفنا من قِبل شيخ المنطقة (**مُفَرِّح امْـجَرُو**)، الذي يُعَدّ شيخ الشَّمْل لقبيلة (**بني الغازي/ بَلْغازي**)، التي أبدا أنَّها تُعادِل في أهميَّتها أهميَّة (**اليَهَانِيَة**) في (**فَيْفاء**)، و(**بني**

---

[١] Mughawiya. وفي (العبيكان، ٢: ٩٠٩): «**الغاوية**». والمؤلِّف إنَّما يقصد: «**بئر امْغاوية**»، حسب الطريقة اللَّهجيَّة في تلك المنطقة للتعريف بـ(الـ). أمَّا (**الغاوية**)، فقرية حُدوديَّة مع (**اليَمَن**)، بين جَبَل (**الدُّود**) شَرقًا وجَبَل (**دخان**) غَربًا. ولا علاقة لها بالمكان الذي كان المؤلِّف فيه، ولا بالبئر المعروفة إلى اليوم في وادي (**عَيْبان**)، إلى جوار جَبَل (**المشاف**).

[٢] أُضيفت هنا في (العبيكان، م.ن): عبارة «**مرّة أخرى**»، وكأنَّهم قد صعدوا إلى (**الحِنَّاية**) مرَّة سابقة! وهو ما لم يقله المؤلِّف.

حَرِيْص)، و(**بني مالك)**، وسائر الفروع من (**خَوْلان)**.[١] وقد قَدَّمنا القهوةَ والشايَ على وجبة الطعام- وهما مادَّتان نادرتان في القُرَى الأكثر فقرًا- وذٰلك في مستظلٍّ مسيَّجٍ، بدا أنَّه يُعَدُّ مركزًا عُموميًّا للناس، وكان الجوُّ لطيفًا فيه على نحوٍ مُريح.[٢] ويُطلِقون على المدرَّجات الزراعيَّة في هٰذه الجهات

---

[١] في ترجمة (العبيكان، م.ن): «**لقد أكرم الشيخ المحلي وفادتنا هنا**». وفي هٰذا تزيُّد على ما ذَكَرَه (**فِلْبِي**). وإنَّما ذَكَرَ أنَّهم أصبحوا في ضيافة الشيخ. (انظر: Philby, 485). وجاء فيها لقب الشيخ هٰكذا: «**أم جرو**»! والصواب: «**امْجَـرُوْ**»، أي «**الجَرْوُ**»؛ فـ(امـ) هي (الـ) التعريف. وكذا ورد فيها: «**ويزعم أنه الشيخ ...**»! في ترجمة حرفيَّة للفعل «**claim**». وهي تُوْهِم أنَّه مدَّعٍ كونه شَيخًا عليهم! والمؤلِّف يريد القول: إنَّه «**يُعَدُّ**»، أو «**يتسنَّم تلك المكانة**».

[٢] وَرَدَ في ترجمة (العبيكان، م.ن): «**لقد وفرنا تَزوّدنا بالبن مقابل وجبة الطعام- وهٰذه بضائع نادرة في القرى الفقيرة- وذٰلك في داخل خيمة من القضبان**»! وهي ترجمة سقيمة وخاطئة. لأنَّها، أوَّلًا، زعمتْ أنَّ الأمر «توفير». وإنَّما أُشير إلى أنَّها قُدِّمت **القهوة والشاي**. وقد سَمَّت «**القهوة**» «**بُنًّا**». وإنَّما قُدِّمت **قهوة البُنّ لا البُنّ** نفسه! وأغفلتْ ذِكر «**الشاي**» أصلًا. وقالت: «**في مقابل وجبة الطعام**»، وكأنَّها كانت عمليَّة مقايضة! وإنَّما أُشير إلى تقديم ذٰلكما المشروبَين مع الطعام. ثمَّ قالت: «**وهٰذه بضائع نادرة**»، بما يوهم بأنَّ النُّدرة تشمل الطعام أيضًا، والمؤلِّف إنَّما قصد: القهوة والشاي، تحديدًا. ثمَّ سَمَّت المكان «**خيمة**»، وإنَّما أشار المؤلِّف إلى مستظلٍّ، أو سقيفة shelter. وهٰكذا تمضي تلك الترجمة، ارتجالًا واعتباطًا.

دَمُّونًا (والجمع دمامين)[1]؛ وهي مُنشأة بصفةٍ عامَّةٍ أسافل المجاري من وِديان المياه الصغيرة، المتشكِّلة من [مياه] ثَنِيَّات الآكام، وغالبًا ما تبدو [تلك الدمامين] ذات منظرٍ بالغ الروعة، مع سقائفها الحَجَرِيَّة المستديرة الصغيرة، المنعزل بعضها عن بعض، أو في مجموعات من اثنتين أو ثلاث، وذٰلك كي تُلائم مراقبي المحاصيل.[2]

لقد كان الجوُّ حارًّا، وكان الوقتُ مساءً هامِدًا، وكُنَّا نُجهِد أنفسنا مصعدين أَكَمَةً وهابطين واديًا، حتى بلغنا- وعلى نحوٍ شِبهِ فُجائيٍّ- إلى طريقٍ عريضٍ تمامًا، متدرِّجًا، تؤدِّي نهايته السُّفلَى إلى داخل وادي (**جَوْرَاء**)، من جهة (**مُعْتِقَة**)، التي تقع الآن على مسافة نِصف مِيلٍ تقريبًا إلى يسارنا، والتي كانت خرائبها تمثِّل

---

[1] Dammun، Damamin. وفي (العبيكان، م.ن): «**دموم**»!

[2] أشار المؤلِّف هنا إلى أنَّ سبب بناء تلك السقائف بشكلٍ دائريٍّ لكي تُلائم مراقبة المحاصيل. في حين وَرَدَ في (العبيكان، م.ن): أنَّ ذٰلك «**لسكن مراقبي المحصول**». وما ذٰلك ما أراده المؤلِّف بتلك الإشارة.

بقايا من مركزٍ عسكريٍّ قديمٍ (**للإدريسي**).[1] كانت الضِّفَّة اليُمنَى من **جَوْرَاء** هاهنا جُرفًا منحدِرًا إلى حدٍّ ما، بعُمق ١٥٠ قَدَمًا، ذا طريق يؤدِّي من أسفله إلى الوادي العريض- الذي يَتدفَّق في سيله، مباشرةً، غديرٌ على درجةٍ من الأهميَّة يقع في إحدى المرتفعات- محفوفًا الوادي بضِفَّتين عُشبيَّتَين تنحدران وصولًا إلى قِطَعٍ صغيرة من الآجام. لم تكن جِمالنا قد تجاوزت هٰذا المكان، على الرغم من أنَّها كانت قد أمضت وقتًا طويلًا منذ انطلاقتها، وكنَّا نحن قد ضيَّعنا بعض الوقت في أثناء الطريق. ولكي أمنح الجِمال طاقةً أخرى للانطلاق، فقد قَرَّرْتُ أن نستريح لبعض الوقت مع (**مُفَرِّح**) في هٰذه المنطقة المريحة، وكان الرجل قد رافقنا من (**الحِنَّاية**). لقد كان **مُفَرِّح** مُتْعَبًا، ويبدو

---

[1] وقع في ترجمة (العبيكان، ٢: ٩٠٩- ٩١٠) حذفٌ من كلام المؤلِّف في هٰذه الجملة. فقد حُذفت كلمة «**وادٍ**»، من قوله: «**وهابطين واديًا and down dale**». وكلمة dale: بلغة الشِّعر، وفي شَمال (**إنجلترا**) خاصَّة، تعني: واديًا. (انظر: البعلبكي، (dale)). وإذا كانت عبارة «**up hill and down dale**»، التي أتت في كلام (**فِلْبِي**)، قد تَرِد مجازًا، وتعني: «**في كلِّ اتِّجاه**»، فإنَّها هاهنا واردة على الحقيقة.

مريضًا، ولعلَّه كان ضحيَّةً لمرض السُّلِّ، ومع هٰذا فهو يعزو[١] حالته إلى الحُمَّى، وهي حالةٌ مألوفةٌ في هٰذه القُرَى المعتمِدة على مياه الغَيل من وديانها. كان يبدو أنَّ سيل **جَوْرَاء** من الامتداد بمكانٍ، ويحتلُّ مساحةً تمتدّ على طول الأماكن التي نزلنا فيها كافَّة. لقد اغتنمتُ الفُرصة لأحصل على حمَّامٍ جيِّدٍ في المياه الباردة المنعِشة هناك. ثمَّ أُدِّيَـتْ صلاة الظُّهر والعَصْر[٢] على قِطعةٍ جميلةٍ من مَرْجٍ أخضر ناعمٍ على حافَّة الغدير.

كانت الساعة تُشير إلى الرابعة عصرًا عندما امتطينا الحُمُرَ واستأنفنا مسيرنا إلى أعلى الوادي، بمحاذاة المنحدرات السحيقة للجزء الرئيس من جَبَل (**فَيْفاء**)، تلك المنحدرات التي تَنْصَبُّ نزولًا إلى مجرَى الوادي الواقع على طول جانبنا الأيمن. على تلك المنحدرات، وأينما وَلَّى المرءُ نظره، بدا هنالك ما يشبه المجمَّعات السكنيَّة، قِلاعًا صغيرة–

[١] في (العبيكان، ٢: ٩١٠): «**يعزي**»، والصواب: «**يعزو**».
[٢] afternoon prayers. وواضح أنَّه يشير إلى أداء صلاتَي الظُّهر والعَصْر جَمْعًا. فيما جاءت في ترجمة (**العبيكان**) الإشارة إلى «**صلاة الظُّهر**» فقط.

بالأحرى- أكثر من كونها بيوتًا، وهي بصفةٍ عامَّةٍ تَنتصب بشكلٍ ينفرد فيه أحدها عن الآخَر، على ذُروةٍ ما أو على رَبْوَة، لٰكنَّها أحيانًا تكون في شكل مجموعاتٍ صغيرة، وذٰلك حيثما كان امتداد الأرض مناسبًا.[١] لم يسبق لي قطُّ أنْ رأيتُ أيَّ مشهدٍ كهٰذا من قَبل. إنَّ **فَيْفاء** مدينةٌ جَبَلِيَّةٌ بمنازلها المتناثرة على رقعةٍ واسعةٍ في كلِّ المواقع الملائمة، على حين كانت المساحاتُ الأرضيَّةُ المتخلِّلةُ عامرةً بالمدرَّجات الزراعيَّة، مدرَّجةً[٢] فوق مدرَّجة، بدءًا من حافَّة الجَبَل السفلَى

---

[١] الواقع أنْ ليس امتداد الأرض وحده السبب. بل من الأسباب أن تكون تلك المجمَّعات السكنيَّة لأُسرة واحدة غالبًا. لأن كلَّ أُسرةٍ هناك تنفرد عادةً بمنزلها، أو منازلها، وبمزرعتها في جزءٍ من الجَبَل، وليست ثَمَّة مجمَّعات سكنيَّة، أو قُرى لعِدَّة أُسَر، كما في بعض الجهات الأخرى من جَنوب **(الجزيرة العربيَّة)**. والسبب الآخَر يعود إلى ضِنانة أصحاب الأرض بأماكن دون أماكن عن أن تُبنَى فيها المنازل؛ لاستغلالها في الزراعة؛ فإذا كانت الأُسرة كثيرة الأفراد، بَنَوا منازلهم في شِقٍّ من بلادهم، ووفَّروا سائرها للزراعة. ذٰلك هو ما يحكُم توزيع الأبنية في الجَبَل.

[٢] تُسمَّى المدرَّجة بلهجة **(فَيْفاء)**: «**حَيْفَة**»، جمعها: حِيَاف، وسيذكرها المؤلِّف لاحقًا.

إلى أعلى قِمَّة فيه. ويُعتقد محليًّا أنَّ لأهالي **فَيْفاء** ٦٠٠٠ منزلٍ كتلك المنازل، وأستطيع بلا تَرَدُّد تَصُوُّرَ أنَّ ذٰلك كذٰلك، وأن سكان **فَيْفاء**، إذن، يُقدَّرون بقرابة ٢٥٠٠٠ نَسَمة[١].

لقد كنَّا على غَيْل (**جَوْرَاء**) فوق مستوى سطح البحر بارتفاع نحو ١,٢٠٠ قَدَمٍ، وكان أعلى وادي سُوق (**عَيْبان**) أكثر ارتفاعًا من ذٰلك بنحو ٢٥٠ قَدَمًا، فيما تقع قِمَّة (**فَيْفاء**) على ارتفاع ٥,٧٠٠ قَدَمٍ فوق سطح البحر. ولا بُدَّ أنَّ محور جَبَل **فَيْفاء** الرئيس- من الشَّمال الشَّرقي إلى الجَنوب الغَربي، أي بين وادِيَي **جَوْرَاء** و(**ضَمَد**)[٢]- كان بطول خمسة أميالٍ تقريبًا، بمقطعٍ عَرْضِيٍّ أقصى ربما بَلَغَ ثلاثة أميال. ونِصف المنطقة الإجمالي على الأقلِّ كان- قَطْعًا- عامرًا بالمنازل أو المدرَّجات الزراعيَّة.

---

[١] أبناء (**فَيْفاء**) اليوم- من مقيمين فيها وخارجها- يبلغ تعدادهم زُهاء ٢٠٠,٠٠٠ (مئتَي ألف نَسَمة).

[٢] نقرأ في ترجمة (العبيكان، ٢: ٩١١): «**نهري جوراء وضمد**». وليسا بنهرَين، وما ثمَّةَ من أنهار. أمَّا كلمة river، التي استعملها المؤلِّف، فمِن مرادفاتها: وادي، أو wadi، المنتقلة إلى الإنجليزيَّة من العربيَّة.

سائِرينَ أحيانًا في الوادي، وعَبْرَ امتداداتٍ ناتئةٍ معترضةٍ أخرى من قاعدة جَبَل (**فَيْفاء**)، عَبَرْنا حافَّة الجُرف من أَكَمات (**مُعْتِقَة**) على اليسار، حيث تجري منها القناةُ المائيَّةُ القَهْقَرَى، في انعطافٍ حادٍّ بين ضِفافٍ عالية. وإلى الأعلى مررنا بقُرَيَّة (**المَرْمَى**) على قُنَّة الذِّراع[1] الجَبَلي الأيسر- مع حقولٍ مدرَّجة وقَصْرٍ مشيدٍ ببناءٍ حَجَرِيٍّ جيِّدٍ- مرورًا بحُصونٍ دائريَّةٍ، تَحرس طَرَف **فَيْفاء**. على طول الطريق كان سيل الوادي[2] يسير معنا، وبيوت الحَجَر في [قَرية] (**الحَشْوَة**)[3] تنتصب فوق الذِّراع الجَبَلي الأيمن إلى الأعلى

---

[1] Bank. ويقصد هاهنا ما يُطلق عليه بلهجة (فَيْفاء)، وكذا في الفصحى: ذِراع. والذِّراع: الضِّلْع الناتئ المستطيل في جانب الجَبَل، الممتدّ طَرَفُه كالذِّراع، مُطِلًّا على أكثر من جهة.

[2] يظلّ مترجم طبعة (العبيكان، م.ن) يشير- في ترجمةٍ آليةٍ- هاهنا إلى: «**النهر الجاري**»! ما يوهم القارئ، الذي لا يعرف المكان، أنَّ الرجل يتحدَّث عن أنهار!

[3] Hatwa، كذا، وفي (العبيكان، م.ن): «**خطوة**». وإنَّما هي قَرية «**الحَشْوَة**» نفسها، التي كتبها من قبل: Hajwa. تفسير هٰذا أنَّ (**فِلْبِي**) سَمِعَ اسم «**حَشْوَة**»، فكتبه: Hajwa، بحرف (j)، ثمَّ وَقَعَ خطأ مطبعي في حرف (j)، فحُوِّل إلى (t)؛ فصار الاسم: Hatwa.

قليلًا، على حين استلقت قُرَيَّتا (**سِرِّ اِمْقَرِع**) و(**القَزَعَة**)[1] على الأذرع الجَبَلِيَّة المقابلة، وراء **الحَشْوَة**. كانت حقولهم غالبًا في الوادي، لٰكنَّهم أنفسهم قد استقرُّوا على القِمَم المُطِلَّة عليها- تَجَنُّبـًا، فيما يبدو، لحُمَّى (السَّدَم)، الموبوءة بها أوديةُ الغَيْل هٰذه[2]. وكانت امرأةٌ تجلب الماء لأُسرتها من بِرْكَةٍ محفورةٍ في الرَّمل[3] بعيدًا عن جدول الماء، فتوقَّفتُ لأشرب من «**شِقْفَةٍ**»[4] كانت تستخدمها لغَرف الماء إلى قِربةٍ معها.

---

[1] جاء في (ترجمة العبيكان، م.ن): «**قريتا سر أم القرع**»**!** وما كذٰلك الاسم، بل هو: «**سِرّ امْقَرِع**»، ولم يورده (**فِلْبِي**) كذٰلك، بل كتبه هٰكذا: « **Sirr am Gharra**». ولم يَرِد ذِكرٌ لقرية «**القَزَعَة**» في ترجمة (**العبيكان**) نهائيًّا**!**

[2] يشير هنا إلى أهالي تلك الناحية من أسفل الجبال، أمَّا أهالي الجبال العُليا، فليسوا كذٰلك.

[3] جاء في ترجمة (العبيكان، م.ن): «**من بركة نحتتها من داخل الرمل**»**!** وفضلًا عن عدم مناسبة التعبير بـ«**النحت**» هاهنا، ولا القول: «**من داخل الرمل**»، فإن الترجمة تُوهم بأنَّ المرأة نفسها هي التي احتفرت البِرْكَة**!** ولعلَّ المقصود بـ«**برْكَة الماء**»: غديرٌ من الغُدران.

[4] الشِّقْفَة: نِصف قَرَعَة، مُعدَّة إناءً، تُصاحب قِربةَ الماء، كانوا يستخدمونها لغَرْف الماء ولشُربه بها. وهنا نجد أنَّ ترجمة (العبيكان، م.ن) استعملت «**القَرْع**»، قائلة: «...**الماء الذي احتفظت به في القَرْع التي تستخدمها**». ما يوقع القارئ في لَبْسٍ كبيرٍ حول مقصود المؤلِّف.

وفيما أعطيتُ المرأة ريالًا مقابل حفاوتها، عَبَرْتُ المكان، فبلغتُ عمَّا قليل إلى المزارع الأُولى من الحقول[1] في المنطقة الواقع فيها (**سُوق عَيْبان**)- تلك الحِياض المسيَّجة بطَمْي الوادي، ذات الحقول، حَجَرِيَّةِ الحوائط- تعلو مُنحدَر الذِّراع الأيمن خلفها في شكل مدرَّجات. لقد كانت قُرَيَّةً بائسةً، ذات أكواخٍ حَجَرِيَّةٍ، يتكوَّن الواحد منها من طابقٍ واحد، تقع على صَعيدٍ مستوٍ، على ارتفاع قرابة ثلاثين قَدَمًا فوق وادي (**جَوْرَاء**)، وذٰلك في الزَّاوية المشكَّلة من ضِفَّة **جَوْرَاء** والضِّفَّة اليُمنَى لشِعْبٍ يُسمَّى (**شَعِيْب القاط**)[2]، يهبط من قِمَّة (**خَدُور**)[3] المجاورة، التي مِن خلفها ترتفع أَكَمات (**مَصِيْدَة**) ذاتُ الذُّرَى الثُّلاثيَّة وكُتلة جَبَل (**صُماد**)

---

[1] في الأصل: dyked basins. وحسب لهجة تلك المنطقة يسمُّونها: «**مَعاميل**»، جمع: «**مِعْمال**»؛ من حيث هي حقولُ عمَلٍ وحِراثة.

[2] Sha'ib al Qat. وفي (العبيكان، ٢: ٩١٢): «**شعيب القات**»! وصِحَّته: «**القاط**». وكان (**سُوق عَيْبان**) يسمَّى: «**سُوق القاط**».

[3] Khadur. وثَمَّة، في بلاد (**بَلْغازي**)، قَرية بهٰذا الاسم: (**خَدُور**).

المنفصلة. وأكواخ **سُوق عَيْبان**- المبعثرة في مجموعاتٍ قليلةٍ من أربعةٍ أو خمسة- كُلُّها دائريَّة، ذات أسقفٍ طينيَّةٍ[1] مستويةٍ، مسندةٍ بروافد خشبيَّة[2]. ويتكوَّن السُّوق من فضاءٍ مفتوحٍ صغيرٍ بين القُرَيَّة وسَفح الأَكَمَة، وهو مجهَّزٌ بصفٍّ مزدوجٍ طويلٍ من الأكشاك، منفصلٍ بعضها عن بعض بفواصل حَجَرِيَّة منخفضة، لٰكنَّها مظلَّلة بالقَشِّ الشائع الاستعمال لهٰذا الغَرض، مسانَد بعوارضَ خشبيَّةٍ من فروع أشجار (**العَلْب**) و(**البَشَام**) ذي العَرْف الطيِّب. وكانت جوانب الأَكَمَة مُغطَّاة بشكلٍ كثيفٍ بِشُجيرات تَحْمِلُ ثمارًا عُلَّيْقِيَّة، تُشبه التُّوت، تُسمَّى (**مَظّ**)[3].

---

[1] يُشير هنا إلى تطيين الأسقف، وهو ما يُسمَّى بلهجة (**فَيْفاء**): «**التَّقْيِيْر**». أي طلاء السقف المسقوف بعيدان الأشجار، وسَدِّ الفراغات فيما بينها، بالطِّين المعجون بروث البقر. وجاء في ترجمة (العبيكان، م.ن): أنَّ الأسقف «**من اللَّبِن**»! وهٰذا غير واقعيٍّ، ولا ما قَصَدَه (**فِلْبِي**) بعبارة: «**mud roofs**».

[2] Rafters. لعلَّه يعني بـ«**الرَّوافد الخشبيَّة**» ما يُعرف في لهجة المنطقة بـ«**العِتَاب، جمع: عَتَـبَة**»، وهي عمودٌ خشبيٌّ يكون في وسط الدارة يُسند سقفها.

[3] (**المَظُّ**): ربما سُمَّاه (**العَرَب**) قديمًا: (**رُمَّان البَرِّ، أو شجره**). وهو يُزهِرُ كثيرًا، فتُقبِل عليه (**النحْل**)، فيجُودُ منه عَسَلُها. ويُسمَّى عَسَله: (**المَذْخ**). ولا يُنْتفع ←

وأَمام القَرية يتَّجه شِعْب (**بَيْضَان**) بصورةٍ حادَّةٍ من أسفل منحدَر جَبَل (**فَيْفاء**)، ليَنْفُذ حتى يَدخُل وادي (**جَوْرَاء**)، في مُثَلَّثٍ[1] عريضٍ كثيف الشجر، مسوَّاةٍ أرضه بشكلٍ واسعٍ للزراعة؛ كما أنَّ شِعابًا أصغر كثيرة تحدَّرت أيضًا إلى داخل الوادي عن كلا الجانبَين في هٰذه النقطة- التي ينتهي لديها امتدادُ نِصفِ ميلٍ أعلى القَرية- وذٰلك في انحناءٍ شديدٍ، جِهةَ اليَمين، حول جُرفٍ ناتئ. كانت غِلالةٌ رقيقةٌ نديَّةٌ من ضَبابٍ على جانب الجَبَل تَحْجُبُ عن رؤيتنا قِمَمَ **فَيْفاء**، إلَّا أنَّ كُلَّ مكانٍ، بل كُلّ نقطةٍ صغيرةٍ في مكانٍ مُشْرِفٍ، قد بَدَت- وعلى طول الطريق صُعُدًا- عامرةً بمنزل. لقد كان الجوُّ هادئًا وهامدًا في الوادي، جِدَّ رَطْبٍ

بحَمْلِه. ومنابت **المَظِّ**: الجبال. قال (**أبو ذؤيب الهُذَلي**):

يَمانِيَة أَحْيَا لَهَا مَظَّ (مَأْبِدٍ)

و(آلِ قَراسٍ) صَوْبُ أَسقِيَةٍ كُحلِ

(يُنظر: أبو حنيفة، ٢٦٧). وشجر **المَظِّ** من الأشجار المنتشرة في جَنوب (**شِبْه الجزيرة العربيَّة**) عمومًا، وبالاسم نفسه.

[1] Delta.

وحارٍّ[1]؛ لأننا كنَّا بشكلٍ كاملٍ محاصَرين بين المرتفعات على الضِّفَّة اليُمنَى والجوانب الشاهقة من **فَيْفاء**. كانت درجة الحرارة الدُّنيا في اللَّيل ٦٣، في حين كانت تقريبًا ٦٨ درجةً في الليلة التالية؛ فقد كان علينا أن نقضي كامل اليوم التالي في هٰذا المكان؛ نظرًا لعدم وصول الحَمَّالين الذين كان يُنتظر وصولهم من **فَيْفاء** لحَمْل أمتعتنا.

لم يكن أهلُ سُوق **(عَيْبان)** مثيرين للاهتمام، لٰكنَّهم قَدَّموا إلينا جَدْيًا سمينًا من أجل عَشائنا، وعددًا من الدجاجات، بقيمة ريالٍ واحدٍ لخمس دجاجات، لعَشاء الليلة التالية.[2] على أنَّ **(يزيد)**- الذي كان قد رافقنا من **(العَيْدابي)**- كان متلهِّفًا للعودة إلى البيت[3]؛ من أجل حضور

---

[1] في (العبيكان، م.ن): «**موحِلًا**»**!** ذٰلك أنَّ ما وَرَدَ في الأصل: «**muggy**»، ويبدو أنَّ المترجِم تَصَوَّرها: «**muddy**»**!**

[2] في (العبيكان، ٢: ٩١٣): «**لم يكن زوار سوق عيبان... غير أننا ابتعنا**»**!** في حين أنَّ (فِلْبِي) يشير إلى «**أهل سُوق عيبان**»، أي مَن نزلوا لديهم في ذٰلك المكان، وأنَّهم «**قدَّموا إليهم جَدْيًا...**». «**The people of... they produced...**».

[3] في (العبيكان، م.ن): «**إلى وطنه**»**!**

جنازة السَّيِّدة العجوز التي كانت قد ماتت ذٰلك الصَّباح، وليتلقَّى تعازي الزُّوَّار المتوقَّع حضورهم. لم يكن ليبقَى حتى لتناول العَشاء، فمضَى مبتهجًا بمكافأة ريالَين مقابلَ أتعابه بدلًا من ريالٍ واحدٍ كما كان الشَّرط بيننا. أمَّا (**مُفَرِّح**)، ورجل آخر من (**الحِنَّاية**)- ولم يكن أحدٌ منهما من الخدمة لنا بمكان- فقد تَعَشَّيا معنا[1]، قبل أن يأخُذا سبيل مغادرتهما كذٰلك، مع إجازة كُلٍّ منهما بريالٍ مقابل عمل يومه. بعدئذٍ- ويا لَدهشتي وبهجتي!- وجدتُ أنَّ جهاز الراديو الخاصَّ بي قد صَلُح، بطريقةٍ غير قابلةٍ للتَّعليل، من عُطْلِهِ في اللَّيلة السَّابقة، وأخذ يَشتغِل[2] بشكلٍ اعتياديٍّ تمامًا.

وهٰكذا فقد صار بإمكاني أن ألتقط أخبار العالم

---

[1] في (العبيكان، م.ن) إشارة إلى: «**طعام الغداء**»! فيما الكلام هنا عن «**العَشاء**». وعجيبٌ هٰذا الخَلْط؛ ولاسيما أنَّ السِّياق كلَّه عن «**الليل**»، و«**العَشاء**»... إلخ.

[2] تعبيرنا بـ«**يَشتغِل**» في مقابل: «**Functioning**». وهو أنسب مِن: «**يعمل**». وهٰذا التعبير الدارج فصيحٌ، ومُعبِّرٌ بدِقَّة عن المعنى هاهنا. لذٰلك يُقال في العربيَّــة الفصحى: «**اشتغلَ فيه السمُّ**»، أي سَرَى، أو «**اشتغلَ الدواءُ**»، أي نَجَعَ. (انظر: الزبيدي، (شغل)).

كالمعتاد، فيما رتَّبتُ المقتنيات من حصيلة يومِي ووضعتُ عليها العلامات، بما في ذٰلك عيِّناتي الأُولى من (**طائر الفردوس (صائد الذُّباب)**)[1]، الذي كان الذَّكَر منه ذا ذيلٍ أبيض طويلٍ بدرجةٍ مفرطة، و(**طائر الصُّرَد**)[2]، الذي لم أُصادفه من قبل. وكنتُ أيضًا قد أحرزتُ أثناءَ النهار عيِّنةَ طيورٍ من (**حَجَل الصَّخر العربيِّ العاديِّ**)[3]، وطيورًا أخرى عديدة. وكنتُ قد توفَّرتُ على مجموعةٍ كبيرةٍ من مقتنيات الزهور والحياة النَّباتيَّة المحلِّيَّة الغنيَّة، التي بدا، بجلاء، أنَّ الناس في هٰذه المناطق لا يقدِّرونها حقَّ قَدرها لاستخداماتهم العمليَّة- على أنحاء علاجيَّةٍ بسيطةٍ[4] أو طِـبِّـيَّة- وإنَّما لجانب الزِّينة الشكليَّة فيها[5]. مهما يكن من

[1] *Ichitrea viridis ferreti*.

[2] *Ichagra percivali*.

[3] *A. melanocephala*.

[4] Pastoral.

[5] بل لقد كانوا يعتمدون في معظم علاجاتهم على تلك الزهور والنباتات، كـ(**الخُزام**)، و(**الخِروع**)، و(**السَّنة**)، وغيرها. لٰكن المؤلِّف ظنَّ بأهل تلك البقاع الجهل المُطْبِق!

حال، فإن عددًا كبيرًا من الرِّجال الذين رأيتهم خلال النهار كانوا يلبسون أكاليل النباتات العِطريَّة الخضراء، إمَّا على رؤوسهم أو مَجْدولةً بشعورهم[١]، على حين لَبِس آخرون قُبَّعات[٢] فخمة إلى حدٍّ ما من الطُّفْي ذات أطرافٍ مُنتصبةٍ

---

[١] هٰذه الطريقة من وضع عصائب للرؤوس من النباتات العِطريَّة كانت منتشرةً في مناطق مختلفة من جَنوب (**الجزيرة العربيَّة**). يذكرها مثلًا (ثَسِيجَر، ٩٦، ١٠٣) في بلاد (**غامد**) و(**زهران**)، كما يذكرها في تِهامة. وتُسمَّى عصائب الرأس عمومًا، بلهجة المنطقة: «**عَكَاوٍ**»، جمع «**عِكَاوَة**». ينطقون الكاف صوتًا شبيهًا إلى حدٍّ ما بالجيم المعطَّشة، يُشْبه نطقَ بعض اللهجات العراقيَّة حرفَ الكاف، في صوتٍ مزيجٍ من السين والجيم والشين. و«**العِكَاوَة**»: عصابة، شِبهُ عِقالٍ لرأس الرجل أو المرأة، وقد تُجْدَل من النباتات العِطريَّة. والعَكْوَةُ والعُكْوَةُ في العربيَّة: ما يُفتل نحو ذٰلك الشكل الموصوف في العِكاوة، وعَكَتِ المرأة شَعْرَها إذا لفَّتْه ولم تُرْسِلْه. (يُنظر: ابن منظور، (عكا)).

[٢] ومن هٰذه القُبَّعات نوعٌ يُسمَّى بلهجة المنطقة: «**مظلَّة**»؛ لأنَّها للتظليل من الشمس. على أنَّ من عجائب ترجمة (العبيكان، ٢: ٩١٣- ٩١٤) ما ذُكر هنا في ترجمة كلام (**فِلْبِي**)، حيث جاء: «**يرتدي آخرون قبعات مهيبة (من سعف النخل) مع ريش طيور كبيرة قائمة**». فأوَّلًا، ما أشار إليه **فِلْبِي** هو أنَّها مصنوعة من الطُّفْي، جمع: طُفْيَة، وهو: الخُوص. وليس ثَمَّة (**نخل**) أصلًا في تلك الدِّيار. وإنَّما يُؤخذ الطُّفْي من شجر (**الدَّوْم**) الذي يكثر في التهائم. ثمَّ ما «**ريش الطيور الكبيرة القائمة**»؟ أ هو يَصِف (**الهنود الحمر**)، أم أهالي تِهامة (**جازان**)؟! لعلَّه إنَّما يقصد أطراف تلك القبَّعات. وربما كان يشير إلى ما قد يجعلونه من أعقاذ (**الكاذي**) منتصبةً فوقها. ومن أين جاءت صفة «**قائمة**»؟ إنَّها خطأٌ مطبعيٌّ عن «**قائمة upstanding plumes**».

طويلة. لقد كان هناك عنصرٌ رائعٌ في اللِّباس بين هٰؤلاء النَّاس، وهو ما يفتقر إلى مثله مستوطنو الصَّحراء.

ويُعَدُّ وادي (**جَوْرَاء**)- بدءًا من سُوق (**عَيْبان**) فقَرية (**بَيْضَان**) الواقعة على مسافةٍ أعلى قليلًا عن الوادي المقابِل لها في الأسفل- حَدَّ (**بني الغازي/ بَلْغازي**) الجَنوبي. وبَدَا أنَّ حَدَّهم شَمالًا وادي (**قَصْي**) وسِلسلة مرتفعات (**مَصِيْدَة**) التي منها إلى سُوق **عَيْبان** تمتدُّ حُدودُهم الشَّرقيَّة.



٢- جبال (فَيفاء):

في الصباح كان يغلِّف (**فَيْفاء**) غطاءٌ كثيفٌ من السحاب، من أعلى الجَبَل منحدِرًا إلى نحو ارتفاع ١٠٠٠ قَدَمٍ من الوادي. وقد أثار أحاسيسي اليَقْظَى صوتُ مزمارٍ لراعٍ أَخَذَ يَبعث نَغَمًا رقيقًا من طَرَف الجَبَل. كُنَّا قد توقَّعنا أن يكون الحمَّالون معنا عند الفجر، لٰكنَّ هٰذا ما لم يكن بالإمكان الركون إليه بالنظر إلى الحقيقة المهمَّة المتمثِّلة في أنَّ اليوم هو يوم الاثنين، ومن ثَمَّ فهو يوم السُّوق: (**سُوق الاثنين**) في **فَيْفاء** نفسها. على أيـَّة حال، لم يصل الحمَّالون، ولمـَّا كان كلُّ النقل إلى أعلى الجَبَل مقصورًا على الحمَّالين؛ لأن النقل بواسطة الحيوانات على الطُّرق المنحدِرة لم يكن عمليًّا، فقد كان علينا أن نتحلَّى بالصبر. وبالمناسبة، كنتُ قد أُخبرت بأنَّ معظم الحمَّالين سيكونون من النساء[١]،

---

[١] في ذٰلك الزَّمَن كانت المرأة في (**فَيْفاء**) تُكافح في الحياة، كالرَّجل، ولم تكن مُدَجَّنةً، كحالها اليوم. وكانت لها شخصيَّتها القويَّة المستقلَّة. على أنَّ هناك ←

وكنتُ أتساءل عمَّا إذا كُنَّ سيُثبتن كفاءة ككفاءة أَخَواتهنَّ من جبال (**الهملايا**)، حيث إنَّ النساء هناك مؤهَّلات حقًّا للنهوض بأعباء بُطوليَّة مدهشة في نقل الأثقال. عندما وصلتْ جماعةُ الحمَّالين في صباح الغَدِ الباكر كان عدد الرِّجال فيها كعدد النساء- نحو اثني عشر شخصًا من كلا الجنسين- وبعض هٰؤلاء النِّسوة كُنَّ صغيراتٍ ضئيلاتِ البِنية، لا يزيد طول إحداهن عن ثلاثة أقدامٍ وستِّ بوصات.[1] كُنَّ جميعًا يلبسن ثيابًا فضفاضة بشكلٍ كُلِّيٍّ تَصِل إلى أسفل الرُّكبة، فيما كان الرِّجال عُراةَ الأجسامِ إلَّا ممَّا يَستر العَورة. ولـمَّا حان الوقت لتوزيع

أعمالًا كانت معيبةً على المرأة مزاولتُها، وأعمالًا مزاولتها معيبة على الرجل، في المقابل.

[1] استعملتْ ترجمة (العبيكان، م.ن) تعبير: «**درزن**»، كالعادة، في مقابل «**اثني عشر**». ومع عُجمة اللفظ، لا أرى مناسبة استعماله في الإشارة إلى البَشر. وكذا استعملتْ في وصف النساء عبارة: «**متناهيات في الصِّغَر**»! بما قد يوحي بالحاجة إلى (**ميكروسكوب**) لرؤية أولئك النسوة «**المتناهيات في الصِّغَر**»! والواقع أنَّ (**فِلْبِي**) إنَّما استعمل لفظ «**diminutive**»، مشيرًا إلى ضآلة أجسادهنَّ، إضافةً إلى أنَّهنَّ كُنَّ- فيما يبدو- صغيرات السِّن.

الحُمُول، كان من نصيب الرِّجال جهاز «**الراديو**» وإحدى المعدَّات الثقيلة أو اثنتان. حقيقةً، ما كنتُ أعتقد أنَّ أيـًّا من أولٰئك النِّسوة باستطاعتها حمل تلك الأجهزة الثقيلة، ومع ذٰلك فإنَّهن- تحت حمولاتهنَّ الأخفِّ- قد مشين في رشاقةٍ ونشاطٍ، وهُنَّ يُؤرجِحْنَ أيديهنَّ[١]. لقد كُنَّ بحقٍّ جَبَلِيَّاتٍ جيِّدات، شبيهة إحداهُنَّ في خِفَّتها بِغُصْنٍ في هَبَّة ريح[٢].

في أثناء ذٰلك كنتُ قد قضيتُ اليوم السَّابق في تَجوالٍ عشوائيٍّ حول المكان، مصطحبًا مسدَّسًا وشبكةَ صَيدٍ

---

[١] «**with a swinging springy gait**». وعبَّرنا عن ذٰلك بما نعرفه من هيئة المرأة في مثل الحالة التي يصفها المؤلِّف، من أرجحة يديها يَمْنَةً ويَسْرَةً في أثناء السير.

[٢] عبارته: «**sound of limb and wind**». وهي تشير إلى النشاط البالغ وسرعة الإنجاز. أراد القول: إنَّ أولئك النِّسوة كُنَّ في حالةٍ جيِّدةٍ، وأنَّهنَّ نشيطاتٌ قويَّات البِنية، ولا صعوبة لديهنَّ في التكيُّف وأداء الأعمال الشاقَّة. وقد علَّقنا في مقدّمة الترجمة على هٰذه الحالة وأمثالها في أسلوب (**فِلْبِي**). فيما اكتفت ترجمة (العبيكان، ٢: ٩١٥) بالقول: «**لقد كنَّ متسلقات جبال ماهرات**»**!** وكأن الكلام عن (رياضة تسلُّق الجبال)!

للفَرَاشات، مستكشِفًا إحدى الطُّرق أعلى الوادي، وشِعْبَ (**بَيْضَان**) الكَثَّ الشجر، الذي تمتَّعتُ فيه بقيلولةٍ هادئةٍ في تعريشةٍ من غابات (أراكٍ) متشابكٍ مع (**الغَلْفَة**)[1] الطُّفيليَّة

---

[1] هٰكذا جاء الاسم: «**غَلْفَة Ghalfa**». ولعله أوردَ الاسم على السَّماع، مع أنَّهم يُسمُّون تلك النَّبْتَة: «**الغَلِـْف**»، (بسكون اللام وكسرها)، على صيغة الاسم العربيَّة القديمة. على أنَّ هناك في تسمياتهم: (**الغَلْفَق**)، و(**الغَلِـْف**)، وهما نبتتان متشابهتان، متسلِّقتان، أوراقهما عريضة ملساء، كالأَكُفِّ، وتَكثران في جَنوب (**شِبه الجزيرة العربيَّة**). الأُولى (**الغَلْفَق، جمع غَلْفَقْيَة**) تُؤْكَل، بعد طبخها، ومذاقها حامض. وتُسمَّى طبختها: «**غَلْفَقَة**». ولعلَّها الواردة في معجمات العربيَّة، قائلين إنَّها: تنبت في الماء، لها وَرَقٌ عِراضٌ. قال الشاعر:

ومَنْهَلٍ طامٍ عليه الغَلْفَقُ ... يُنيرُ، أو يُسْدِيْ به الخَدَرْنَقُ

(انظر: ابن منظور، (غلفق)). ولا يَنبت **الغَلْفَق**- المسمَّى بهٰذا الاسم في لهجات (**فَيْفاء**)- في الماء بالضرورة، لٰكنَّه يتطلَّب مكانًا راويًا بالماء. أمَّا **الغَلْف**، فوصفَه اللغويُّون بأنَّه شجرٌ يُدْبَغُ به مثل (**الغَرْف**)، وقيل: لا يُدْبغُ به إلَّا مع **الغَرْف**. قالوا: و**الغَلِفُ**، بكسر اللَّام: نبتٌ شبيهٌ بالحَلَق، ولا يأْكله إلَّا (**القُرود**). (انظر: م.ن، (غلف)). والواقع أنَّ الناس كانوا يأكلونه في سِني القحط والجوع الشديد. وهو بالغ الحُموضة، وذو مذاقٍ حرَّاقٍ جِدًّا، فتُسْلَقُ أوراقه، ثمَّ تُهرس بعد تصفية مائه، ويُضاف إليه بعض الطحين أحيانًا، وقد يُضيفون اللَّبَن والملح والفلفل، ويُسمُّون أكلته تلك: «**جِهْدَرًا**». ووَرَدَ في حاشية ترجمة (العبيكان، م.ن) تعريفٌ بـ«**الغَلْف**» يطابق وصف: «**الغَلْفَق**». على أنَّها أحالت القارئ، قائلة: «**انظر: كتاب النبات للدينوري، وبخاصة الجزءان الأول والثاني**» (كذا!) ومعروف أنَّ كتاب (أبي حنيفة الدينَوري، ←

التي تنمو بكثرةٍ في كلِّ مكان. ذكَّرتْني الكتلةُ العظيمةُ من (**فَيْفاء**) كثيرًا بجَبَل (**هِرمون**)[1]، بدون ثلوجه[2]؛ فهي ذُروة عظيمة، أو هضبة تُساندها من جميع الجهات دعائم هائلة من الصَّخر العمودي شديد الانحدار. كانت في **فَيْفاء**، مع ذٰلك، تلك الأطواق المكتظَّة من المدرَّجات التي أذهلتني. على المنحدرات السُّفليَّة كانت المدرَّجات تَظهر على نحوٍ متقطِّع- نوعًا ما- أمَّا الجزء العُلوي من الجَبَل، على ارتفاع ٣٠٠٠ قَدَمٍ على الأقلِّ، فكان حشدُ المدرَّجات متَّصِلًا. إنَّ

النبات) مفقود من المكتبة العربيَّة، وليس منه إلَّا (الجزء الثالث والنِّصف الأوَّل من الخامس). (انظر توصيفه في ثَبْت المراجع). وليس في المتبقِّي منه وصفٌ «**للغَلْف**»، بل «**للغَلْفَق**»، وعلى نحوٍ عَرَضيٍّ، ووَصَفَه بأنَّه: «**العَرْمَض**»، أي (**الطُّحلب**). (انظر: ٣: ٢٥٢، ٥: ٣٠٩).

[1] هناك جَبَل (**هِرمون Hermon**): أحد أجمل الأماكن في العالَم، يقع في جَنوب (**سان فرانسيسكو**) في (**الولايات المتَّحدة الأميركيَّة**)، على محيط (**الباسفيك**). وقد تكون الإشارة إلى (**جَبَل حرمون**)، المسمَّى (**جَبَل الشيخ**)، بين (**سوريَّة**) و(**لبنان**)، وهو مكلَّل بالثلج، فشُبِّهَ بالشيخ الأشيب.

[2] في ترجمة (العبيكان، م.ن) أُضيفت كلمة «**قلنسوته**»: «**بدون قلنسوته الثلجية**». وليست في الأصل.

تلك المدرَّجات لتُظهِر بالتأكيد حُبَّ العمل لدَى أهل الجَبَل والمغامرةَ وإتقانَ الصَّنْعة، وذٰلك على عكس التراخي والكسل الظَّاهر على أهل وادي (**بَيْش**). لٰكنَّني فُوْجِئْتُ بفشلهم الذَّريع تقريبًا في استغلال وادي (**جَوْرَاء**) نفسه وغَيْله الوفير الدَّائم الجَرَيان. وتعليلُهم الخاصُّ هو أنَّهم لا يملكون القُدرة الكافية على التَّصرُّف مع الفيضانات الموسميَّة التي تتحدَّر أحيانًا بكمياتٍ هائلةٍ فتجرف في طريقها أيَّ شيءٍ سوى أضخم العقبات.[١] ومع ذٰلك، فلا يسعني إلَّا أنْ أتخيَّل يومًا ما- ربما في مستقبلٍ غير بعيد- إذ تُوَظِّفُ (**الحكومةُ السُّعوديَّةُ**) طاقاتها لتسخير أودية الجَبَل العظيمة هٰذه في نوعٍ من أنظمة الرَّيِّ الواسعة، تشمل

[١] لستُ أدري ما وجه استغراب (**فِلْبِي**) هاهنا، ووصف أهل الجَبَل بالفَشَل الذريع؟ هل كان يتصوَّر أنَّ بإمكان المواطنين في أعالي شِعاف الجبال الإفادة من ماء (**جَوْرَاء**) للسُّقيا والرَّيّ في الجَبَل؟! أم كان يرى تركَهم الجبال والاتِّجاه إلى الوادي؟ أم أنَّه يقصد باستغرابه أهالي المناطق السُّفلَى المجاورة للوادي؟ ذٰلك أنَّ استغلال ماء **جَوْرَاء** أمرٌ لا تَقْدِر عليه إلَّا الدَّولة، كما ذَكَرَ في الجملة اللَّاحقة. لٰكنَّ ما تَنبَّأَ به لم يَحدُث منه شيءٌ حتى الآن!

منخفضات تِهامة كاملةً، عَبر مِساحةٍ من الأرض قد تبلغ في اتِّساعها حجمَ (**الدِّلتا المصريَّة**).[١]

كان أهالي (**فَيْفاء**) مُحِبِّين للاطِّلاع والتساؤل، مختلفين بذٰلك تمامًا عن سِواهم في (**شِبه الجزيرة العربيَّة**).[٢] كانوا ربما وقفوا ثابتين في أماكنهم[٣] محدِّقين إِليَّ بحِدَّة إذا مَرَرْتُ بهم، حتى إذا جاريتهم بالوقوف والالتفات نحوهم بدأوا يتململون كالأطفال، وانصرفوا فجأةً، كأنَّما كانوا قد نَسُوا شيئًا ما. وكان يحمل معظمُهم

---

[١] في الأصل: «**Yet I could not but imagine...**»، فجاءت ترجمة (العبيكان، ٢: ٩١٥- ٩١٦) لتقول: «**وحتى الآن لا أستطيع أن أتخيل...**»، والصواب: «**لا أستطيع (إلَّا) أنْ أتخيَّل**». كما استُعملت عبارة «**ترويض هٰذه الأودية**»! ولا أدري كيف «**تُروَّض**» الأودية؟!

[٢] أُضيفَ في ترجمة (العبيكان، ٢: ٩١٦): وصفهم بـ«**هادئين**»، والمؤلِّف إنَّما قال: «**They were curious people, quite unlike any others in Arabia**»، أي أنَّه رآهم «**مختلفين تمامًا عن غيرهم في شِبه الجزيرة العربيَّة**». فجمعتْ ترجمةُ (**العبيكان**) بين عبارتَي: «**هادئين**»، و«**تمامًا**»، في مقابل «**quite**»!

[٣] في ترجمة (العبيكان، م.ن): «**يمكنهم الوقوف دون حراك**»!

عُصِيًّا طِوَالًا- وبعضهم كانت لديه بندقيَّةٌ بدلَ العَصا- يضعونها بشكلٍ أُفقيٍّ على كِلتا الكَتِفَين من خلف الرَّقَبة، رافعِين أَذْرُعَهم من فوقها، مُدَلِّين أيديهم مِن أمامها. فيبدو مظهرُهم من الخلف أو الأمام في شكل صليبٍ واضح[١]. وهم في بُرودة الصباحات الأُولى يُغَطُّون أعلى أجسادهم بقِطَعٍ من القماش، ويُزيلونها خلال ارتفاع درجة الحرارة في النهار، ليَلُفُّوها حول خصورهم، من فوق أُزُرِهم الشبيهة بالتنانير (**الأُسكتلنديَّة**)[٢].

---

[١] هي طريقة مُريحة في حَمل العَصا أو البندقيَّة، ليس إلَّا. وهي معروفة قديمة، كان يُسمِّيها العرب: «**التَّشْبيج**». (انظر: ابن منظور، (ثبج)). وقد حُذِف التشبيه بشكل الصليب من ترجمة العبيكان نهائيًّا! وليس ذٰلك من أمانة الترجمة. ثمَّ إنَّ التشبيه بشكل الصليب، في ذاته، لا شيء فيه لدَى المُسلم. وأنْ يُوحِي الشكلُ إلى المؤلِّف- ذي الخلفيَّة النصرانيَّة- بعلاقةٍ دِينيَّةٍ ما: أمرٌ طَبَعيّ.

[٢] Kilt، و«**الكِلْتيَّـة: تنُّورة ذات ثنيات طُوْليَّـة (يرتديها الرجال في أُسكتلندة وأفراد الفِرَق الأُسكتلنديَّة في الجيش البريطاني)**». (البعلبكي، (Kilt)). وهو يعني هنا ما يُعرَف بلهجة (**فَيْفاء**)، وفي اللغة العربيَّة، بالمِلْحَفَة، وجمعها: ملاحِف. وقد حَذفتْ ترجمةُ (**العبيكان**) هٰذا التشبيه للملاحف بالتنانير (**الأُسكتلنديَّة**)! وهٰذا تصرُّف غير مفهوم! في حين تحرص تلك الترجمة على ←

أيقظني وصول الحمَّالين مبكِّرًا إلى حدٍّ ما في صباح الثاني والعشرين من ديسمبر. وبرزتْ الآن ذُرَى (**فَيْفاء**)، حادَّةً جِدًّا وصافيةً في نطاقٍ واسعٍ من الجَبَل خالٍ من الضَّباب، بين طبقةٍ كثيفةٍ من سحابةٍ عاليةٍ وطَوقَين كبيرين من الضَّباب، أخذا تدريجيًّا في تسلُّق الجَبَل من الوديان عن كلا الجانبين.[١] ثمَّ إذا بالمشهد كاملًا قد اختفَى فجأةً بالتقاء الغَيم والضَّباب؛ ولـمَّا انطلقنا عند الساعة ٨:١٥ صباحًا، لم نَعُد قادرين على مشاهدة شيءٍ من الجزء العُلوي من الجَبَل. كانت هناك في الجوِّ لمسةٌ مميَّزةٌ من رطوبةٍ، لٰكنَّه لم يكن هناك إلَّا ندًى طفيفٌ جِدًّا في أثناء الليل. وافق ذٰلك اليوم بداية الشهر الثامن من

إضافة ما هو بَدَهيٌّ، وإنْ لم يذكره المؤلِّف؛ فتُعرِّف «**الأُزُر**»، مثلًا، بأنَّها «**التي تغطي عوراتهم**»!

[١] تُراوِح ترجمة (العبيكان، م.ن) في نقل هٰذا الوصف بين (الحَرفيَّة) و(عدم الدِّقَّة)؛ ولذا نقرأ: «**في حزام من الهواء الخالي من الضباب... جدران من ضباب كثيف**»!

رحلاتي، وقد أمدَّني [هٰذا الشهر]، من وجوهٍ عِدَّةٍ، بالأكثر امتيازًا من تجاربي كلِّها. كانت الأثقال قد حُمِلَت على المناكب، بغير قليلٍ من التوتُّر والصخب؛ وانطلقنا، تاركين الجِمال والحُمُر لتتَّخذ طريقها أعلى وادي (**جَوْرَاء**) إلى ملتقًى محدَّدٍ، حيث كنَّا سنلتقي بها بعد يومَين.

اتَّبعنا الضِّفَّة اليُسرَى من القناة المائيَّة لمُدَّة عشرين دقيقة، عابرِين مَفْتَحَيْ شِعْبَين صغيرَين، هما (**قَعْصِن**)[1] و(**جَيْران**)[2]، نسير خلال العُشب والنباتات التي كانت ما تزال مبتلَّةً بالنَّدَى، ثمَّ التففنا متَّجهين إلى أعلى (**السَّرْب**)، وهو الشِّعْب الثالث الذي أوصلَنا بتسلُّقٍ شاقٍّ لمُدَّة نِصف ساعة إلى بِـرَك (**الوُغْرَة**)[3] الصخريَّة العظيمة.

---

[1] Qu'asan. ويُنطق الاسم باللهجة: «**قَعْستِن**»؛ كطريقتهم في لهجات تلك الجهات من نُطق الصاد (س ت). وهو من مآتي وادي (**جَوْرَاء**).

[2] Jairan.

[3] ثَمَّةَ وُغْرَتان: وُغْرَة العُيون المائيَّة الحارَّة، التي تُقصَد للاستشفاء، وتُعرف بـ(**وُغْرَة بني مالك**)، تقع أسفل جبال (**بني مالك**)، في أحد الشِّعاب بين أَكَمات صخريَّة، أُقيمت عليها مؤخَّرًا مسابح للقاصدين. وعيون ماءٍ أخرى، ←

والكلمة «**وُغْرَة**» تعني عادةً في هٰذه المنطقة، وببساطة، بِرْكَةً صخريَّةً، يُضاف إليها اسمُ الشِّعْب الكائنة فيه- عند الضرورة- لتمييز كلِّ واحدةٍ بعَينها. وتمتدُّ هٰذه البِرَك الصخريَّة بعرض الوادي، أعلى منحدرٍ كبيرٍ وأسفله، وهي بارتفاع ١٠٠ قَدَمٍ وسعة ٥٠ ياردة، عميقة صافية وممتلئة بالسَّمَك الصغير.[١] لقد كانت تلك البِرَك متَّصلةً عن طريق ساقيةٍ ضيِّقةٍ لمسقطٍ مائيٍّ يَصبُّ على سطحٍ صخريٍّ شديد التحدُّر- وهو سطحٌ صخريٌّ متبلِّـرٌ، ذو لونٍ أزرق ناصعٍ قد صقله الماء- حيث تنهمر المياه إبَّان الفيضان[٢] من فوقه، كأنَّها صورةٌ مصغَّرةٌ لشلَّالات

غير حارَّة، تُسمَّى الوُغْرَة أيضًا، تقع في (**السَّرْبَة**)، وهي التي يتحدَّث عنها المؤلِّف هاهنا.

[١] في ترجمة (العبيكان، م.ن) جُعِل قياس البِرَك المذكور هنا قياسًا للمنحدر الواقعة فيه، أو «**الجُرف**»، كما في الترجمة! ووُصفت البِرَك بأنَّها «**شفَّافة**»، بمعنى «**صافية**» الماء!

[٢] جاء في ترجمة (العبيكان، م.ن) أنَّ هٰذا يحدث «**أثناء السيول**»! والواقع أنَّ (**فِلْبِي**) كان يتحدَّث عن أوقات فيضان تلك العيون بالمياه، «**flood time**»، لا عن السيول.

(**نياقرا**)[١]. كانت وَهْدَةً جَبَلِيَّةً جميلةً تلك، ذات غاباتٍ ملتفَّةٍ بأشجار هائلة، تَسَاقَطُ جذورُها العاريةُ بالنَّدَى وسط نباتات (**السَّرْخَس**)[٢] وأنواع النباتات الأخرى، فيما تتشابك فوق أغصانِها المنتشرةِ الأوراقُ المختلفةُ و(**الهدالُ**)[٣]. وكان مَسْلَكُنا أعلى الشِّعْب مسدودًا بجُرف، تحاشيناه، لنصل إلى الضِّفَّة العُليا اليُمنَى من مَفْتَح **السَّرب**[٤]، المُصْعِد شَرقًا في اتِّجاه الجَبَل. وبعد بُرهةٍ من اتِّباعنا هٰذا الطريق أَخَذَ يَصْعَد بنا إلى ذٰلك الشِّعْبِ الرافدِ

---

[١] تُعَدُّ شَلَّالات (**نياقرا**) من أكبر الشَّلَّالات في العالم، تقع في جَنوب (**كندا**) على الحُدود مع (**الولايات المتَّحدة الأميركيَّة**).

[٢] ذَكَرَ هنا أَنَّ النَّدَى يتساقط من تلك الأشجار «**وسط نباتات السَّرْخَس**»، في حين نجد في (ترجمة العبيكان، م.ن): «**تقطّرت الرطوبة من جذورها العارية، ومن السراخس...**». و(**السَّرْخَس**): بالإنجليزيَّة fern، ويُسمَّى كذٰلك: (**الخنشار**). واسمه العِلْمي: Polypodium. وله فوائد طِبيَّة عديدة.

[٣] (**الهَدال**): نباتٌ طُفيليّ. (سبق وصفه).

[٤] الناس في تلك الجهات يستعملون كلمة «**مَفْتَح**» للتعبير عن بداية الوادي، وهو ما عَبَّر عنه (**فِلْبِي**) هاهنا بـ Sarb gorge. وسيستخدم لاحقًا، في سياقٍ شبيهٍ، كلمة: Mouth. وهٰذا التعبير «**مَفْتَح امْسَرب**» قد ارتبط كثيرًا في استعمال الناس في تلك الجهات بوادي (**السَّرب**) تحديدًا.

في (**مِيْرَدَة**)[١]، الذي بالتفافةٍ غادرناه لنسلُك شِعْب (**سَبْجة**)[٢]، وهو شِعْبٌ آخَر في الجهة الشَّماليَّة الشَّرقيَّة. وهنا كنَّا ما نزال على المنحدرات الأكثر انخفاضًا وسهولة من (**فَيْفاء**)، أي على ارتفاع قُرابة ٣٠٠ قَدَمٍ فقط من وادي (**جَوْرَاء**)، بعد مسيرٍ متعثِّرٍ لقُرابة ساعة. كانت هٰذه الأرض الكثيفة الشجر، شِبه الاستوائيَّة، مليئةً بالطيور، والفَرَاش والحَشَرات الأخرى؛ لٰكنَّني إجمالًا لم أَرَ سِوى قطيعٍ صغيرٍ واحدٍ من (**قِرَدَة الرُّبَاح**)[٣] في منطقة **فَيْفاء**، ولعلَّ مَرَدَّ ذٰلك إلى وجود الإنسان الدائم هناك.

لقد تسلَّقنا الآن على مكانٍ منحدِرٍ إلى حدٍّ ما، يُمثِّل حَرْفًا ذا نتوءٍ[٤] بين (**مِيْرَدَة**) و(**سَبْجة**)، لنصل إلى قَرية

---

[١] Mirada. وفي (العبيكان، ١: ٩١٨): «**مروة**». وهو تطبيع (**مردة**)، الذي ستستعمله تلك الترجمة في الإشارة إلى: Mirada، لدَى (**فِلْبي**).

[٢] Sabja.

[٣] Baboon. قِرْدٌ أفريقيٌّ آسيويٌّ، ضخم. (See: **The Newbury House Dictionary of American English**, (baboon)).

[٤] هٰذه العبارة «**يُمثِّل حَرْفًا ذا نتوء**» ساقطة من ترجمة (العبيكان، م.ن).

(**السَّرْبَة**) الصغيرة، وهي مجموعة من الأكواخ الدائريَّة المنخفضة، ذات السقوف الطينيَّة[1]، قُطْر أحدها نحو عشرة أقدامٍ، تقع على قِمَّة سِلسلةٍ من الإكام، مُشْرِفَةٍ من كلا جانبيها على الوديان الواقعة على انخفاض ٢٠٠ قَدَمٍ أسفل منَّا. و**مِيْرَدَة** نفسها منقسمة من لَدُن الوادي المقابِل لها، المسمَّى (**جُرْفة**)[2]، وذٰلك بنتوءٍ شبيه [بذٰلك المشار إليه بين **مِيْرَدَة وسَبْجة**]، وتُعَدّ الرابط لجميع هٰذه المجاري المائيَّة الواقعة أعلى شَلَّال (**الوُغْرَة**) الذي يُشكِّل قناة (**السَّرْب**). وخلال هٰذه النتوءات الصخريَّة المتجاورة الواقعة تحت مستوَى قُريَّة [**السَّرْبَة**] بقليلٍ تتقاطع (**الصخور المتبلِّرة**) مع نِطاقٍ من (**المَرْل**)[3] الأصفر

---

[1] إشارة إلى ما وردَ وصفُه في تعليقٍ سابقٍ من عمل الأَسْقُف بالطِّين، وهو ما يُسمَّى بلهجة (**فَيْفاء**): «**التَّقْيِيْر**».

[2] Jurfa.

[3] (**المَرْل Marl**): طينٌ غنيٌّ بكربونات الكالسيوم، يُستخدم سمادًا. ومنه أنواع. وحجر **المَرْل** يتكوَّن من كميَّات متساوية تقريبًا من كربونات الكالسيوم والطِّين، وهو رسوبيٌّ، ينشأ من طبقات تتكوَّن بفعل تراكم الصُّخور ←

والبنفسجي، بسَماكةِ اثني عشر قَدَمًا تقريبًا، وهو يُشْبه، على ما أعتقد، ترسُّبات (**المُغَر: البوكسيت**)[١]، التي سبق أن وجدناها في أجزاء أخرى من هٰذا الرِّيف الجَبَلي. لقد كان من الواضح أنَّ هٰذا الصخر يمثِّل نوعًا من الصخور المتحوِّلة- ربما تكوَّنت الصخرة منه من طبقةٍ من (**الـمَرْمَر**) تقع تحت (**الصوَّان**)[٢] الرمادي وفوق (**الصخر المتبلِّر**)- ويبدو أنَّ هٰذا النوع الصخري ينتهي وجوده حوالَى هٰذه النقطة التي وصلنا إليها.[٣]

والأجزاء المعدنيَّة. وتتكوَّن معظم صخور **المَرْل** على حواف بحيرات المياه العذبة. وتُستخدم صخور **المَرْل** بطُرق عديدة، اعتمادًا على ما تحتويه من شوائب. وتحتوي صخور (**مَرْل الرِّمال**) الخضراء على الكثير من الفوسفور والبوتاس، ويستخدمها المزارعون سمادًا. وتحتوي صخور (**مَرْل الأصداف**) على العديد من أصداف الأحافير التي تُستخدم أحجارًا للزِّينة. وتَستخدم شركات الإسمنت صخور **المَرْل** في عملياتها الصِّناعيَّة. (انظر: مجموعة مؤلِّفين، **الموسوعة العربيَّة العالميَّة**، ٢٣: ١٣٥ (المَرْل)). وقد جاء في ترجمة (العبيكان، م.ن) بلفظ «**المَرْمَل**»، في المتن والحاشية!

[١] Mughar (bauxite). و(**البوكسيت**): صخرٌ يُستخرج منه الألمنيوم.

[٢] Granite.

[٣] قُوبلت كلمة «**الـمَرْمَر marble**» في ترجمة (العبيكان، ٢: ٩١٩) بـ«**الرخام**».
←

تنتهي قِمَّة (**السَّرْبَة**) عند جُرفٍ مرتفع، ٢٤٠٠ قَدَمٍ فوق مستوى البحر، شَرق القَرية، التي أَطْلَلْنا من فوقها في خطٍّ مستقيمٍ تمامًا على شَلَّال (**الوُغْرَة**)، وعلى نقطة انطلاقنا من سُوق (**عَيْبان**). وإلى جهة الجَنوب مِنَّا، على حافَّة منحدرٍ أسود حادٍّ[١] يُطِلُّ على شِعْب (**جَرْبَة**) في الأسفل، تقع قَريةٌ تحمل ذٰلك الاسم نفسه، ذات حقولٍ مدرَّجةٍ تتسلَّق سَفح الأَكَمَة من خلفها[٢]. وقد رأيتُ على المسار الآخَر أسفلَ مِنَّا نِسوةً من المجموعة اللاتي يحملن أمتعتنا وهُنَّ يَسِرْنَ نحو قَرية **جَرْبَة**، متَّخِذاتٍ على ما يبدو طريقًا أقصر للوصول إلى الطريق الرئيس المقابِل قُربَ **جَرْبَة**. كُنَّ يَسِرْنَ بخطواتٍ واسعةٍ إلى غايتهنَّ،

وقُوبلت إشارة المؤلِّف إلى أنَّه: «**يبدو أنَّ هٰذا النوع الصخري ينتهي وجوده حوالَى هٰذه النقطة التي وصلنا إليها**» بـ«**الذي يبدو أنه ينتهي عند هٰذه المرحلة**». فلا يتَّضح ماذا كان يعنيه المؤلِّف بـ«**هٰذه المرحلة**»؟

[١] في ترجمة (العبيكان، م.ن): «**على حافة حرف أسود**»!

[٢] في ترجمة (العبيكان، م.ن) «**بحقولها ذات المدرجات الصاعدة والتل من ورائها**»!

ويغنِّين في أثناء ذٰلك، غير عابئاتٍ- فيما يبدو- بأعبائهنَّ، على حين كان الرِّجال بأحمالهم الأثقل خلفهن بمسافةٍ بعيدةٍ جِدًّا. فما زلنا متسلِّقين على طول الطريق المتعرِّج، الذي لم يَعُدْ حادَّ الانحدار كثيرًا لأنَّه أخذ يتدرَّج في ارتفاعه من مستوى إلى آخَر. كانت هنالك مدرَّجات زراعيَّة على جانبَينا تحت هٰذا المستوى[١] الذي وصلنا إليه- لٰكنَّ طريقنا لم يكن ليدخل بنا حقًّا وسط الجزء الرئيس من المدرَّجات المحروثة حتى وصلنا إلى ارتفاع زُهاء ٣,٠٠٠ قَدَمٍ فوق مستوى البحر- تلك المدرَّجات التي تبدو متَّصلة بشكلٍ خاصٍّ بالصوَّان الأكثر نعومةً في المنحدرات العُليا[٢]. وكانت المدرَّجات نفسها- المحيطة

---

[١] في ترجمة (العبيكان، م.ن): «**عند هٰذا الارتفاع**»! مع أنَّ (Philby, 491) قال: «**below this level**».

[٢] كلام (**فِلْبِي**) هنا- معبِّرًا بـ«**...associated with**»- لا يخلو من لَبس. فهو يحتمل دِلالتَين:

- أنَّ تلك المدرَّجات متواصلة إلى الصخور الصوَّانيَّة في المنحدرات العُليا.

←

بالأَكَم- لا تعدو في عَرضها بصفةٍ عامَّةٍ بِضعَ خطوات، تفصل الحيطانُ المساندةُ [الحِرارُ][1] إحداها عن الأخرى، متفاوتة الارتفاع، من قَدَمين إلى أربعة أقدام. ومع ذٰلك، فإن المدرَّجات في بعض الحالات من الاتساع الأكبر بمكان، ذات حيطان بقدر ثمانيةٍ إلى عشرة أقدامٍ ارتفاعًا. والمُتصوَّر أنَّ هٰذه العوامل تعتمد على طبيعة المنحدرات.

توقَّفنا لالتقاط أنفاسنا على صخرةٍ بارزةٍ ضخمةٍ، تقع على زُهاء ٣٧٠٠ قَدَمٍ ارتفاعًا عن سطح البحر، حيث ينتهي بصفةٍ كُلِّيةٍ (**ذِراعُ السَّرْبَة**) لدَى قَدَم كَتفٍ جَبَليَّة هائلةٍ، تَنْحَطُّ إلى هٰذه النقطة من الشَّرق الجَنوبي. مِن هنا أَطْلَلْنا جَنوبًا، وعلى طول خاصرة (**فَـيْفاء**)، على

- أنَّها مستندة على تلك الصخور في استمداد مياهها، وفي ثباتها على قاعدتها الصخريَّة الممتدَّة.

وكلتاهما دلالةٌ صحيحة، على كلِّ حال.

[1] «**الحيطان، والحيطان المساندة supporting walls**»، تعني بلهجة المنطقة: «**حِرار المِحْيَاف**»؛ فـ«**حائط**» بلهجتهم: «**حَرَّة**»، جمعها: حِرار.

قَرية (**عَيْن امِّبْرَا**)[١] الصغيرة ومدرَّجاتها الزراعيَّة، التي تمتدُّ من ورائها قَريةٌ أخرى، لا تعدو مجموعةَ ملاحق[٢] حول قَلعةٍ سكنيَّةٍ جذَّابة، معروفة بحِصْن (**القَهَبَة**)[٣]. وهناك قلعةٌ شبيهةٌ وسط الحقول عند النقطة التي توقَّفنا لديها، ذات ضريحٍ مبنيٍّ، بارتفاع قَدَمين ونِصف القَدَم وعَرض قَدَمين، يقع على قارعة الطريق، وتُسمَّى تلك القلعة (**دَحْبة**)[٤]. وأعلى من ذٰلك المكان بقليلٍ وصلنا إلى

---

[١] Ain Mabra'. ولعل الكلمة الأخيرة تعني ذٰلك الشجر المُسَمَّى (**امّبْرَا/ الإبراء**)، مفرده: برايَّة أو إبرايَّة، وهو شجر (**الجُمَّيْز**) الضخم. وفي (العبيكان، ٢: ٩٢٠): «**عين مبراه**».

[٢] Outhouses. وفي ترجمة (العبيكان، م.ن): «**مراحيض**»!

[٣] Husn al Qahaba. ويميِّز (**فِلْبِي**) في كتابته بين هٰذا المكان al Qahaba وبين (**القَهَبَة**) في (**بني مالك**)، التي يكتبها هٰكذا: al Qahba، وكأنَّ منطوق الاسم (**القَهْباء**). (See: Philby, 498). على أنَّ هناك عَددًا من البيوت والأمكنة في (**فَيْفاء**) و**بني مالك** بهٰذا الاسم. منها في **فَيْفاء**: **القَهَبَة**: بيتٌ قديمٌ، في (**بُقْعَة الدَّثْنَة**)، في جَبَل قبيلة (**آل ظُلْمَة**)، في الجبال العُلْيا، و**القَهَبَة**: بيتٌ في (**بُقْعَة الضَّحْي**)، في جَبَل (**آل المَشْنِيَة**)، في الجبال السُّفلى، و**القَهَبَة**: أعلى جَبَل (**آل شراحيل**).

[٤] Dahba.

(**سلَعي**)[١]، وهو مجموعةٌ من ستَّة أبراجٍ مستديرةٍ في حافَّة بعض المدرَّجات الزراعيَّة، حيث كانوا يحرثون الأرض استعدادًا لموسم بَذْر (**الشَّعير**) المُقْبِل. وعلى مسارنا أعلى من ذٰلك المكان، بارتفاع زُهاء ٤٠٠٠ قَدَمٍ فوق مستوى البحر، انتصبتْ قريةُ (**الحَدِيرة**)[٢] الرائعة جِدًّا، مُلقيةً بظِلالها إزاء أبراج (**المحْمَاة**)[٣] و(**الغاوي**)[٤]، الواقعة أعلى قليلًا فوق المنحدَر إلى الجَنوب، على حين تبرز إلى الناحية الشَّرقيَّة الأبراجُ المشابهةُ في (**الغارِب**)[٥] و(**أوباسة**)[٦].

---

[١] Sila'i. كذا أورد المؤلِّف الاسم. ولا يُعرف مكان هناك باسم «**سَلَعي**»، بل «**اِمْسَلَعْيَة**». أمَّا (**آل امْسَلَعِيّ/ آل السَّلَعِيّ**)، ففخذ من قبيلة (**آل الخُسافِيَة**)، من قبائل (**آل عُبَيْد**) في (**فَيْفاء**)، في شَرق الجَبَل الأعلى. ولا علاقة لهم بالسياق. وقد أُضيفت في ترجمة (العبيكان، ٢: ٩٢٠) كلمة «**قرية**» إلى «**سَلَعي**»، والمؤلِّف لم يذكرها.

[٢] Hadira. وفي (العبيكان، م.ن): «**حيدرة**»!

[٣] Mahma. ويُلحَظ أنَّ المؤلِّف يُنكِّر بعض الأسماء؛ فنجتهد في ذِكرها بحسب المستعمل.

[٤] Ghawi.

[٥] Gharib.

[٦] Aubasa. وفي (العبيكان، م.ن): «**العَبْسية**»! ولا علاقة لهٰذا المكان بـ(**العَبْسِيَـة**)، ←

لقد أخذنا الآن في الاقتراب من قِمَّة المنطقة التي نحن فيها، والتي كانت مجرَّد مدرَّجاتٍ زراعيَّةٍ بأعدادٍ كبيرةٍ ومبانٍ متناثرةٍ، متنوِّعةِ الأشكال من الأكواخ إلى القِلاع الـمَهيبة. وحيث وصلنا إلى (جارة)[١]، على ارتفاع ٤٦٠٠ قَدَمٍ فوق البحر، بَدَتْ المدرَّجات في الجهة الأعلى مِنَّا وكأنَّها محتشدة بالناس، وسرعان ما اتَّضح أنَّ كلَّ سكَّان المنطقة كانوا قد اجتمعوا ليُرَحِّبوا بنا. كانوا يُرَحِّبون بنا بمَرَحٍ صاخبٍ[٢]، مُطلِقين أَعْيِرَةً ناريَّة من بُندقيَّات (مَسْكيت)[٣] قديمة من كلِّ الأنواع، وذٰلك من

الواقعة في قِمَّة (**فَيْفاء**). وسيورد اسمها لاحقًا، هٰكذا: ‘Absiya’. (See: Philby, 494).

[١] Jara. وعبارة «**وحيث وصلنا إلى جارة**» ساقطة من ترجمة (العبيكان، م.ن)! وجاءت العبارة هناك: «**لقد بدت المدرجات تعج بالبشر في «الدواير» التي ترتفع...**»!

[٢] with a ragged feu de joie.

[٣] Musket. و(**المَسْكيت**): بندقيَّة قديمة الطراز، كانت عادةً تُستخدم عسكريًّا لسلاح المُشاة. وهٰذا النوع من البندقيَّات لا تُطلَق نيرانها بالزِّناد، وإنَّما عن سبيل فتيلٍ بطيءِ الاشتعال. (يُنظر: تَسِيجَر، ١١١). وهي المُسمَّاة: (**الهَطْفاء**).

قِبَلِ حَرَسِ شرفٍ كبيرٍ مُتقدِّم على المدرَّجات السُّفلَى من القلعة، خَلْفَ الشيخ المحلِّي، المدعو (**جابر**)، الذي تَقدَّم الآن للتَّرحيب بنا إلى أملاكه[1]. ولقد بدأنا الآن نرى أيضًا بعض القُرَى الجَبَلِيَّة المتعدِّدة من بلاد (**بني مالك**) في سِلسلة الجبال الواقعة وراء (**فَيْفاء**) إلى الشَّمال الشَّرقي، التي كان علينا زيارتها عمَّا قريب. ومن هٰذه القُرَى (**خُطَيْبَة**)[2]، الجديرة بالذِّكر بوصفها موقعًا لمركز إمارة **بني**

---

[1] جاء في ترجمة (العبيكان، م.ن) في مقابل «**to welcome us to his domain**»: «**لإدخالنا في مملكته**»! فأيُّ «**مملكة**» هناك؟! من الواضح أنَّ الآلة هي التي تُترجِم هنا، لا العقل البَشري!

[2] Khutaiba. وفي (العبيكان، ٢: ٩٢١): «**ختيبة**». وتُرجمت police-post إلى «**مركز الشرطة**»، فيما كانت العبارة تعني في ذٰلك العهد: «**الإمارة**». على أنَّ موقع الإمارة- كما سيذكر (**فِلْبِي**) في موضع لاحق- في (**القَهَبَة**)، لا في (**خُطَيْبَة**)؛ حيث قال في الحديث عن (**بني مالك**): «**كان موقع إمارة بني مالك The Bani Malik police-post في ناحية قَرية القَهَبَة**...». (Philby, 501). وهو ما أكَّده لي (**الأستاذ حسن فرحان المالكي**)؛ ذاكرًا أنَّ الإمارة كانت في «**قَرية القَهَبَة، التي لا تُرَى من (فَيْفاء)، وتَحُوْل خُطَيْبَة بين فَيْفاء والقَهَبَة، وتمتاز خُطَيْبَة فقط بوجود قلعة أثريَّة**». فهل كان في **خُطَيْبَة** مركزُ شرطةٍ أو موقعٌ للإمارة حين زار **فِلْبِي** المكان؟ أم هو سهوٌ منه؟ أو ربما خلط بين **خُطَيْبَة** Khutaiba و**قَهَبَة** Qahba؟

مالك. ومن هٰذه النقطة كذٰلك رأيتُ أَوَّل أَحْرَاجِ (**البُنِّ**)[١] في **فَيْفاء**، على حين بدأتْ تظهر الآن أيضًا أشجار (**العَرْعَر**). كان هناك كذٰلك موكبٌ من (**اليساريع**)[٢] في طابورٍ، بطول قَدَمين تقريبًا، يَكدح عبر الطَّريق- يُقال إنَّها تبعث بوهجٍ فُسفوريٍّ ليلًا[٣]- هٰذا في الوقت الذي كان قد شكَّل حَرَسُ شرفنا، وبالطَّبع كلُّ السكَّان في مَدَى النَّظَر، موكِبًا نظيرًا، خَلْفَنا وأمامَنا، لمرافقتنا أعلى الطَّريق المتعرِّج خلال منطقتهم المحدَّدة الخاصَّة، مغنِّين في أثناء مشيهم لحنًا حزينًا إلى حدٍّ ما، أشبه ما يكون تقريبًا بلحنٍ جنائزيٍّ عسكريّ[٤].

---

[١] في (العبيكان، م.ن): «**أول شجرة بن**»! مع أنَّ المؤلِّف يتحدَّث عن مشاهدة «**أوَّل أَحْرَاج البُن، coffe-buches**»، لا «**شجرة**» واحدة.

[٢] في (العبيكان، م.ن): «**اليراسيع**»!

[٣] لعله رأى حَشَرةً تُعرف في المنطقة باسم: «**سِقْدَاني**»، والجمع: «**سَقَدَّيْنَة**». وتكون، كما وَصَفَ، **يساريع** مستطيلة، ولها وهجٌ مضيءٌ كالكهرمان، يُرَى في الظلام، ينبعث منها ومن أَثَر ممشاها أو احتكاكها بالأشياء.

[٤] كلُّ الألحان الشَّرقيَّة حزينة، جنائزيَّة وغير جنائزيَّة!



(فَيْفاء): بيت (امْنَقِيْل). ويظهر الحشد القَبَلي وهم يُؤَدُّون أناشيدهم الترحيبيَّة.

(تصوير فِلْبِي)

كانت محطَّتنا التالية: **(النَّقِيْل)**، وهو قلعة كبيرة بعض الشيء[1] وسط الحقول المتجاورة، تقع على ارتفاع ٥٠٠٠ قَدَمٍ، حيث قوبِلنا ثانيةً من قِبَل السكَّان المتجمِّعين هنالك مع حَرَس شرفٍ، في نحو ٢٠٠ رجلٍ، أَطلقوا وابِلًا من الرَّصاص مرحِّبين بنا، إذ تقدَّم شيخُهم لتحيَّتنا. هٰذا الشيخ لم يَكُ بشخصٍ آخر سِوى **(الشيخ عليّ بن يحيَى)** لا غير، أحد الزعماء الرئيسيِّين

[1] في ترجمة (العبيكان، م.ن): أنَّ النَّقيل «**أكبر القلاع**...»! وإنَّما وَصَفَها **(فِلْبِي)** بأنَّها «**largish**»، لا «larger»! والواقع أنَّ **(النَّقِيْل)** بيتٌ صغيرٌ نِسبيًّا، لا قلعة كبيرة، فضلًا عن أن يكون من أكبر القلاع. وصورته تُغنِي عن وصفه. فهو البيت الدائري في منتصف الصورة.

لـ(**فَيْفاء**)[1]، وقد أشار ليدلَّنا إلى قصره العائلي، وهو بِنايةٌ تكاد تكون حِصْنًا كبيرًا، تُسمَّى (**مَرْوَح**)[2]، في الطَّرَف الأقصى الشَّمالي لِقِمَّة **فَيْفاء**، التي تناثرت على طول امتدادها الكبير مبانٍ شبيهة.



(**مَرْوَح**)، بيت (**الشيخ عليّ بن يحيَى آل سَنْحان**)، والمسجد خلفه.
(تصوير فِلْبي)

تشكَّل الآن الموكبُ الجديدُ في كلا جانبَيه من مجموعتنا

---

[1] بل كان (**عليّ بن يحيَى آل سَنْحان**، -١٣٦٤هـ= ٤٤/ ١٩٤٥م) شيخ الشَّمْل لقبائل (**فَيْفاء**) يومئذ، وفي أُسرته مشيخة الشَّمْل في **فَيْفاء** إلى اليوم. وإنْ كانت الجبال السُّفلَى من **فَيْفاء**، قد سَعَتْ في بعض الفترات إلى الاستقلال بمشيخة شَمْلها. وربما كان هٰذا قائمًا في ذٰلك التاريخ، وأنَّ (**فِلْبي**) يومئ إليه، أو أنَّها عدم دِقَّة منه في معرفة الأمر.

[2] في ترجمة (العبيكان، م.ن): «**المروح**»، والصواب «**مَرْوَح**»، دون تعريف. وهو ما ذكره المؤلِّف. وهو بيت الشيخ، في بُقعة (**آل سَنْحان**)، غَربيّ جَبَل (**آل عُبَيْد**) من (**فَيْفاء**).

القليلة والمتواضعة[1]، محتشدةً مع الشيخ وبعض حاشيته؛ وواصلنا مُصْعِدِين تلتفُّ بنا الطريقُ على طول المسار الذي يقودنا عَبر مدرَّجاتٍ زراعيَّةٍ من فوقنا ومن أسفل منا.



(فَيْفاء): مسيرة رجال القبائل في خَطَّين مزدوجَين.

(تصوير فِلْبي)

وتَحرَّك المستقبلون في خَطٍّ مزدوجٍ طويلٍ، مغنِّين أناشيدهم في أثناء سيرهم، حتى وصلنا في الوقت المناسب- الساعة الثالثة عصرًا تقريبًا- إلى مركز الإمارة الواقع على الهضبة الواسعة من قِمَّة الجَبَل- وإنْ لم تكن تلك بأعلى قِمَّة في

[1] في ترجمة (العبيكان، م.ن): «**حول أجسامنا النحيلة**»! والمؤلِّف لم يكن يتحدَّث هنا عن نحول أجسامهم، بل عن صِغَر مجموعتهم.

(**فَيْفاء**)- فأعلى قِمَّة في **فَيْفاء** كانت إلى الشَّمال الشَّرقي، على بُعد نِصف مِيْلٍ تقريبًا، مُتَوَّجَةً بأنقاضٍ لِحِصْنٍ قديمٍ، تُسمَّى (**العَبْسِيَة**).



(**فَيْفاء**): الجيش القَبَلي الجَبَلي في استقبال (**فِلْبِي**)، لعلَّ ذلك في (**سُوق النَّفيعة**).
(تصوير فِلْبِي)

ويتكوَّن مركز الإمارة نفسُه- الواقع على ارتفاع زُهاء ٥٢٠٠ قَدَمٍ فوق سطح البحر- من قَلعةٍ على الطِّراز النموذجي في **فَيْفاء**، مع عددٍ من الملاحق[١] والمباني المنفصلة،

---

[١] في ترجمة (العبيكان، ٢: ٩٢٢): «**بها العديد من المراحيض**»! وما علاقة الموضوع بـ«**المراحيض**»؟! إنَّما كان المؤلِّف يشير إلى تلك المباني الملحقة بمبنى الإمارة الرئيس: «**outhouses**».

متجاورة تحت ظلالٍ وارفة لشجرة (**أثأبٍ**)[١] هائلة (تُسمَّى هنا: **تالِق**)[٢]، ذات جذورٍ كبيرةٍ جِدًّا، تُفَرِّع وسطَ الهواء بغصونها الكثيفة الكبيرة.[٣] كان مركز الإمارة في موضعٍ

---

١ banyan.

٢ الواقع أنَّ «**الأثأب**» نوعٌ من الشجر و«**التَّالِق**» نوعٌ آخَر. و(**الأثأب**) شجرٌ معروفٌ في (**فَيْفاء**) باسمه نفسه، لٰكنَّهم ينطقونه «**أَثَب**»، واحدته: «**أَثَبَة**». و«**البانيان**»، الذي ذكره المؤلِّف، هو شجر **الأثأب**، (حسب: البعلبكي، (banyan)). أمَّا (**التَّالِق**)، فواحدته: **تالْقَة**، أو **تالِقْيَة**. وهو شجرٌ يكبر جِدًّا، ويعمِّر؛ فربما عاشت الشجرة منه مئات السنين. ليس له ثمرٌ يؤكل، وإنَّما يُستفاد من ظِلاله الوارفة، ومن أوراقه للماشية، ومن حطبه للطبخ، ومن أخشابه لصناعة الأبواب والمعدَّات المختلفة. ويُعرَف بالاسم نفسه في منطقة (**عسير**) أيضًا، وتشتهر به هناك (**قَرية آل يزيد**)، وتلفت أشجارُه النظرَ. (عن هٰذا انظر: جريدة «المدينة»، (السُّعوديَّة)، الأربعاء ١٦ جمادَى الأولى ١٤٢٤هـ، ع١٤٦٩٣، ص٢١). ويُطلَق عليه في (**اليَمَن**): «**تالوق**». ولم أقف على أصل تسميته. وربما كانت لتسميته علاقة بضخامة أشجاره وتألُّقها؛ أي أنَّه من مادة «**ألق**». (يُنظر: ابن منظور، (ألق)). والشجرة التي يشير إليها المؤلِّف هي (**تالقة**) معروفة كانت هناك، أدركتُ وجودها!

٣ في ترجمة (العبيكان، م.ن): «**وعليها كتل من الجذور المتدلية في الهواء من أفرعها الضخمة سميكة الأوراق**»! فكيف تكون الجذور كُتَلًا؟! وكيف تتدلَّى الجذور في الهواء من أفرعها الضخمة؟! إنَّها لترجمة سورياليَّة عجيبة!

متصدِّرٍ رائعٍ، يُطِلُّ على بلادٍ زراعيَّة كثيفة[١]، خُصِّصتْ بشكلٍ رئيسٍ في هٰذه المنطقة المرتفعة لزراعة (**البُنِّ**)، و(**القات**)، و(**الموز**)، أمَّا الحقول السُّفليَّة، فجُعِلَتْ لزراعة (**القمح** و(**الشَّعير**) فقط. وينمو هنا أيضًا (**الفول**) عريض الأوراق، ذو السِّيقان الجارية على حيطان المدرَّجات[٢]، حيث يتسلَّق عليها كـ(**الكَرْم**)[٣]. كانت هناك مساحة مستوية نوعًا ما قرب موقع الإمارة، محدودة من أحد جوانبها بمقبرة، في حِين جُعِلَ باقيها لأنشطة يوم السُّوق المحلِّي (**سُوق الاثنين**)، وفيه عددٌ قليلٌ من الأكواخ المكشوفة لاستخدامها دكاكين.

كان (**عبدُالهادي**)[٤]، أميرُ الإمارة، شابًّا جادًّا نشيطًا،

---

[١] في ترجمة (العبيكان، م.ن): «**تطل إلى أسفل على المدرجات المتراكبة**»! فهل «**الإطلال**» يكون إلَّا إلى أسفل؟! ثمَّ كيف تتراكب المدرَّجات؟!

[٢] أي: (**حِرار الحِياف**)، بلهجة (**فَيْفاء**)، جمع: (**حَرَّة**).

[٣] ويُشير بوصفه هنا إلى ذٰلك النوع من (**الفُول**) المسمَّى في (**فَيْفاء**): «**قِشْد**». وقد تُرجِم في طبعة (العبيكان، م.ن) إلى: «**فاصوليا**»، وهٰذا غير صحيح! وإنَّما هي ترجمةٌ آليَّةٌ للفظة «**bean**» دون معرفةٍ بيئيَّةٍ بما يشير المؤلِّف إليه.

[٤] هو (**عبدالهادي بن سريع**).

وهو من أبناء (**روضة سدير**)[1]، كـ(**محمَّد بن ماضي**) أمير (**جازان**). وقد بدا راضيًا إلى حدٍّ ما بنصيبه في هٰذه النُّقطة المعزولة البعيدة، وسط حشدٍ من القبائل، هي بالتَّأكيد لا تعدو كثيرًا في نظره جماعاتٍ همجيَّة[2]. وطِبْقًا للتصنيف العَقَدِيّ المحلِّي فإنَّ هٰؤلاء النَّاس ينتمون إلى المذهب السُّنِّيِّ الشافعيِّ، إلَّا أنَّ **الأمير عبدالهادي**- الذي كان بالمناسبة شخصًا مُتزمِّتًا[3] إلى حَدٍّ ما في المسائل الدِّينيَّة- يرفض هٰذا الرأي وينعتهم بأنَّهم «**زَيديُّون**» (**شِيعة**)؛ وذٰلك على أساس ممارساتهم الدِّينيَّة. على سبيل المثال، يحتجُّ **عبدالهادي** بأنَّهم يُصَلُّون بشكلٍ انفراديٍّ مثل (**الزُّيُوْد**) وليس في جماعة؛ وأنَّ أذانهم يتضمَّن تلك الصِّيغة المخالفة: «**حَيَّ على خير الأمل**»، (أي: «**هَيَّا إلى الأمل في الأشياء الجيِّدة**»)، بدل كلمة «**العَمَل**»،

---

[1] في (ترجمة العبيكان، م.ن): «**الروضة في سدير**»!

[2] حُذِفتْ هٰذه العبارة الأخيرة من ترجمة (**العبيكان**).

[3] هٰذا الوصف جاء في (ترجمة العبيكان، م.ن): «**حاذقًا وحازمًا**»!

التي تُعطي دلالة: «**هَيَّا لنعمل الأعمال الجيِّدة**»[١]؛ وأخيرًا [يحتجُّ على صحَّة رأيه فيهم] بأنَّهم يُصَلُّون وَفق ما يُلائم كُلَّ واحدٍ منهم، بَدَلًا من الصَّلاة في الأوقات المفروضة، وهم في الوقت نفسه يَجمعون أيضًا صَلاة الظُّهر مع العصر، والمغرب مع العشاء، وهي ممارسةٌ مسموحٌ بها لدَى السُّنَّة في السَّفَر فقط[٢].

---

[١] هٰذا ما قاله (**فِلْبِي**) وشَرَحَه. ويبدو أنَّه لم يفهم أساس الخلاف، وهو أنَّ عبارة «**حَيَّ على خير العمل**» إضافةٌ في الأذان في المذهب الزَّيْدي، غير واردة في أذان السُّنَّة. فهٰذا أساس المسألة، لا حكاية «**الأمل**» و«**العمل**». أمَّا نُطق «**العمل**»: «**الأمل**»، فيقع بأثَر لَهَجي في (**اليَمَن**) فقط، حيث يَنطق بعضُهم العين همزة، وهي ظاهرة صوتيَّة غير موجودة في لهجات (**فَيْفاء**). وعليه، فربما كان ذٰلك مستنكَرًا في الأذان لدَى أصحاب المذهب الزَّيْدي أنفسهم، لا لدَى (**عبدالهادي**)، الذي كان حتمًا يستنكر الصيغتين معًا! وقد وَرَدَ في حاشية (ترجمة العبيكان، ٢: ٩٢٣) نَفْيُ القول بانتشار المذهب الزَّيْدي في تلك الدِّيار، واستعمال «**حيَّ على خير العمل**» في الأذان، إلَّا في قِلَّةٍ قليلةٍ من الناس. والحقّ أنَّ هٰذا النفي غير صحيح واقعيًّا.

[٢] من الواضح أنَّ الأمير كان ينطلق في أحكامه من نزعةٍ مناطقيَّة، لا من تعصُّبٍ مذهبيٍّ فقط! ذٰلك أنَّه كما كان المذهب الزَّيْدي منتشرًا في بعض المناطق الجَنوبيَّة، بحُكم المجاورة (**لليَمَن**)، فقد كان المذهب الشافعي منتشرًا كذٰلك. لٰكنَّه أراد تعميم الحُكم بمذهبٍ يراه وَصْمَة دِينيَّة! أمَّا المذهب الزَّيْدي- قبل حركة (**الشيخ محمَّد بن عبدالوهَّاب**)، وما تلاها من سيادة المذهب الحنبلي في ←

وفي الحقيقة، ربما لم يكن (**الخَوْلانِيُّون**) يأخذون دِينهم بجِدِّيَّة كبيرة، وما يزالون فيما يبدو يمارسون بعض الممارسات الوثنيَّة الموروثة عن أسلافهم[١]. إنَّ حُبَّهم الأشياء الساطعة اللون- وكأنَّ أحدهم طائر (**الزاغ الزرعي**، أو **غراب الزيتون**)[٢]- ليبدو أَثَرًا من مثل تلك النزعة القديمة[٣]؛ لأنَّه-- في الوقت الذي يمكن تفسير استخدامهم أكاليل النباتات العِطريَّة التي يضعونها في شعورهم، كما وصفناها من قبل، بأنَّه يعود

(**السُّعوديَّة**)- فقد كان كأيِّ مذهبٍ إسلاميٍّ آخر، تأخذ به جماعات هنا وهناك، حتى في (**نجدٍ**) نفسها. جدير بالإشارة في خلفيَّة هٰذا السياق أنَّ سيرة الأمير وجنوده لم تكن مرضيَّةً بين أهالي (**فَيْفاء**)، ما حمَلَ شيخ الشَّمْل على طلب تغييره درءًا للفتنة، فعُيِّن بديلًا عنه (**رشيد بن خثلان**). وكان (**عبدالهادي**)، بسبب مشكلاته مع الأهالي، قد تَعَرَّض لإطلاق عيارٍ ناريٍّ ذات مرَّة، وحُرِق مجلسه في الإمارة.

[١] كان يَحسُن بـ(**فِلْبِي**) أن يُمثِّل على ما قال، وإلَّا فليست حالة (**الخَوْلانيِّين**) إذ ذاك ولا أهالي هٰذه المناطق الجَنوبيَّة ببِدْعٍ من حالة أهالي (**الجزيرة العربيَّة**) عمومًا، التي كان يقطنها الجهل والخوف والمرض.

[٢] Jackdaw: طائرٌ يُعرَف بحُبِّ الألوان الساطعة. والمؤلِّف يُشبِّه هنا حُبَّ الناس في (**فَيْفاء**) الألوانَ الساطعةَ بحُبِّ ذٰلك الطائر.

[٣] أي النزعة الوثنيَّة التي أشار إليها.

لأُسس صحيَّة غالبًا[١]، وذٰلك بوصف تلك الأكاليل طاردة للجراثيم-- فليست هناك مَيِّزة شبيهة محتملة يمكن أن تُعْزَى إليها زِينات الشَّعَر الأخرى التي سبق أن لَحَظْتُها في البداية، والمستعملة في هٰذه المنطقة المرتفعة من (**فَيْفاء**)[٢]. فأَيُّ قُصاصةٍ من القماش لها بريقٌ لونيٌّ، أو خِرقةٍ ما، يمكن أن تُصبح لديهم مستخدَمةً بتلك الطريقة [في التَّزَيُّن]، في حين يعتمدون كثيرًا على الوَرَق الأصفر المُقوَّى لعُلَب (**سجائر القشرة الذهبية**)[٣]، والأغطية ذات اللَّون الوضَّاح لعُلَب الحَلْوَى الكرتونيَّة، للأغراض الزَّخْرَفِيَّة أيضًا.

---

[١] في (ترجمة العبيكان، م.ن) هاهنا اضطرابٌ صياغيٌّ، هٰكذا: «**قد يكون لإكليل الأعشاب العطرية... يقبل التفسير**».

[٢] واضحٌ أنَّ (**فِلْبِي**) كان يقيس الناس بعَينٍ إنجليزيَّة! فطبيعيٌّ من أُناسٍ محرومين من زينة الحياة، لا يعرفون كثيرًا من الألوان ولا الأشكال ولا الزخارف، أن ينبهروا لها إذا رأوها، ويتَّخذوها للتَّزيين. إلَّا أنَّه يفسِّر الموضوع تفسيرًا ميثولوجيًّا، بأنَّ وراء أَكَمَته ما وراءها من رموزٍ وعقائد وثنيَّة أُسطوريَّة! لربما يُذكِّر ذٰلك القارئَ بأُمثولة تلك المَلِكَة التي تساءلتْ عن شكوى شعبٍ فقيرٍ جائعٍ: «...**ولِـمَ لا يأكلون كيكًا؟!**».

[٣] Gold Flake. وسمَّتْها (ترجمة العبيكان، م.ن): «**سيجار البحاري**».

وأمرٌ آخر من بقايا العصور الغابرة يمكن أن يُمثَّل عليه بما لا أستطيع إلَّا أنْ أَصِفه كشكلٍ محلِّي من لُعبة **(الكريكت)** ذات الصِّيت المعروف. خلال فترة ما بعد الظهيرة شاهدتُ مباراة كانت تدور في تلك اللُّعبة. يَستعمل البادئُ في اللَّعِب عَصًا طولها قُرابة (٣٠ بوصة)، قاذِفًا قطعةَ عُوْدٍ أقصر (٤- ٦ بوصات) عاليًا، ثمَّ يضربها بعصاه بقُوَّةٍ جهةَ اللاعبين، الذين تكون مُهِمَّتُهم التِقافها بقِطعةٍ من القماش، تُمْسَك مفتوحةً بكِلتا اليدَين، فيَردُّونها بأسرع ما يمكن إلى لاعب البداية، الذي يخرج من اللُّعبة إذا فشل في رَدِّها بعَصاه. والألعاب البدائيَّة من هٰذا النوع مألوفةٌ بين الأطفال في **(الجزيرة العربيَّة)**، ولعلَّها تحمل بشكلٍ واضحٍ أصولًا لبعض أساليب لُعَبنا الأكثر تطوُّرًا- ذٰلك أنَّه في النهاية، فإنَّ لُعبةً كلُعبة **(البولو)**[١] إنَّما جاءت من بلاد

---

[١] Polo: لُعبةٌ رياضيَّة، شبيهةٌ بـ(**الهوكي**)، تُمارَس على مُتون (**الخيل**)، بمضارب طويلة وكُرَة خشبيَّة. وتعني الكلمة أيضًا: (**كُرَة الماء**). (انظر: البعلبكي، (Polo)).

(فارس)[١] أو **(الصِّين)**- غير أنَّه كان مفاجئًا بعض الشيء الوقوف على أيِّ شيءٍ من هٰذا القَبيل على ذُرَى هٰذا الجَبَل النائي. وهٰذه اللُّعبة تُسمَّى: «**مُزَاقَـرَة**»[٢].

كنتُ قد أشرتُ سابقًا إلى أهل **(فَيْفاء)** بوصفهم يمثِّلون **(اليَمَانِيَة)** من **(خَوْلان)**، غير أنَّ مجموعة **اليَمَانِيَة** تَضُمُّ في حقيقة الأمر نِطاقًا أوسع من الفروع، تشمل **(بني مالك)**، و**(بني حَرِيْص)**، و**(بني جُماعة)**، بالإضافة إلى أهل

---

[١] في ترجمة (العبيكان، ٢: ٩٢٤): «**كان أصل لعبة البولو هو الشام**»!

[٢] لعلَّ **(للمُزاقَرة)** طُرُقًا أخرى، ولٰكن المعروف من ذٰلك أنَّهم يُسنِدون العُود الصغير- ويُسمَّى «**مِزْقَرَة**»- إلى مكانٍ ناتِئٍ من الأرض، ثمَّ يضربون طَرَفَه الأعلى، فيستدير ويرتفع، فيَعترضه اللَّاعب بضربةٍ قويَّة. ويُحاوِل اللَّاعب المقابِل إمساك **المِزْقَرَة**، فإذا استطاع عُدَّت له نُقطة، ولَعِبَ مكان لاعب الإرسال، وإلَّا أخذها وقذفها إلى حُفرةٍ تكون وسط الملعب. فإذا وَقَعَتْ **المِزْقَرَةُ** في الحُفْرة، عُدَّتْ له نُقطة أيضًا، ولَعِبَ مكان المُرسِل، لٰكن المُرسِل من جهته يُحاول أن يتلقَّفها بعَصاه لكيلا تَقَعَ في الحُفْرة، فإذا تمكَّن، كَسِبَ نُقطةً وسجَّل على نِدِّه نُقطة. وعلى هٰذا يستمرُّ اللَّعِب. ولُعبة «**المُزاقَرة**» في **(فَيْفاء)** هي ما كانت تُسمَّى عند **(العَرَب)** بلُعبة «**القُلَة**». (انظر: الفَيْفي، عبدالله بن أحمد، **شِعر ابن مُقْبِل**، ١: ٤٤٤- ٤٤٥). وكان **(فِلْبِي)** مغرمًا بلُعبة **(الكريكت)**، ويتابعها عبر جهاز الراديو الذي يصطحبه دائمًا. (انظر: بِدْول، ٩٨). ولعلَّ في هٰذا دافعًا خاصًّا لاهتمامه بلعبة **المُزاقَرة** في جبال **فَيْفاء**.

فَيْفاء. وينقسم الأخيرون إلى قسمَين رئيسَين: **(آل عُبَيْد)**[1]، ويَحتلُّون تقريبًا النِّصف الشَّرقيَّ من الجَبَل، و(**وَلَد عطا**)[2]، وهم باقي الجَبَل. وهٰؤلاء [جميعًا] ينقسمون إلى فروعٍ وأُسَرٍ عديدة، حَمَلتْ أسماءها البروجُ التي يقطُنونها أو القُريَّات التي يعيشون فيها[3]. ومن الواضح أنَّ اسم كُلِّ مجموعةٍ يَدلُّ على رابطتها النَّسَبيَّة، على أنَّه إلى هٰذه اللحظة [من بحثي في شأن الأنساب] فإن الفرع الوحيد منهم- كما أستطيع أن أؤكِّد- الذي لديه ادِّعاءٌ ما بأنَّه قد أَوْلَى الموضوعَ اهتمامًا خاصًّا في

---

[1] يذكر الكُنية هنا بصيغة (**أهل عُبَيْد**)، والصحيح: (**آل عُبَيْد**).

[2] في (العبيكان، م.ن): «**آل عطا**». وهٰذا خطأ، فهم لا يُسمَّون كذٰلك في (**فَيْفاء**)، ولم يَرِد اسمُهم كذٰلك لدَى (**فِلْبِي**).

[3] الواقع أنَّهم يُسمُّون منازلهم «**بيوتًا**»، وإنْ كانت على شكل أبراجٍ متفاوتة الطول والفخامة، ولا يُطلِقون اسم «**قَرية**» على المجمَّعات السكنيَّة- إنْ وُجدت- وإنَّما هناك أماكن بأعيانها باسم «**القَرية**»؛ ذٰلك لأن بيوت (**فَيْفاء**) متناثرة غالبًا على أجزاء الجبال، لا تُشكِّل قُرًى، ولا قُرَيَّات. غير أنَّ «**القَرية**» قد تُطلَق- حسب اللهجة- على أيِّ مبنى ضخم، أو مجموعة أبنيةٍ متلاصقةٍ من بيتٍ واحد.

هٰذا الوقت، هو: قبيلة (**آل بِلْحَكَم**)[١]، من **وَلَد عَطا**، التي تَحتلُّ الذُّرَى الثلاث الشَّرقيَّة[٢] من قِمَّة **فَيْفاء**؛ ولهٰذا فَهُم يتمتَّعون بموقعٍ مُستقِلٍّ، يمنحهم تَبَعًا لذٰلك حيثيَّةً اجتماعيَّةً مُتفرِّدة. لا يبدو أحدٌ يحمل أيَّ فكرةٍ واضحةٍ عن تسلسل الأنساب في عشائر أهل **فَيْفاء**، ولم أستطع اكتشافَ شيءٍ حول (**عُبَيْد**) أو (**عَطَا**)، الجَدَّين الأَعْلَيَين اللَّذين ورَّثا اسمَيهما لقِسْمَي أهل **فَيْفاء**: **آل عُبَيْد** و**وَلَد عَطَا**.

لم يكن (**الشيخ عليٌّ**) نفسه يتجاوز بتسلسل نَسبه أربعة أجيالٍ في عائلته الشخصيَّة- (**عليُّ بن يحيَى بن شريف بن جابر بن عليٍّ**)- الذي يقفز منه قُرونًا ليصل إلى (**سَنحان بن فرحان**)، ثُمَّ مِن ثَمَّ يقفز قُرونًا أخرى إلى (**خَوْلان بن عمرو**)، وهو المطلوب إثباته. ولم تكن لدَى الشيخ أَيَّةُ

---

[١] في الأصل: «**قبيلة بني الحَكَم**»، والصواب: (**آل بِلْحَكَم**)، حسب لفظهم، أو (**آل أبي الحَكَم**). وكأنَّه يشير إلى أنَّ **آل بِلْحَكَم** هم القبيلة الوحيدة التي وَجَدَ أنَّها قد أَوْلَت معرفةَ نَسبها اهتمامًا خاصًّا يستحقّ الذِّكْر.

[٢] الصواب: «**الغَربيَّة**».

معلومات موثوقة حول موقع (**عُبَيد**) و(**عَطَا**) من شجرة النَّسَب، أكثر من كونهما كليهما (**ابنَي أحمد**)، بل لم يَبْدُ جِدَّ مهتمٍّ بالموضوع. لقد كان الشيخ كَهْلًا فاتِنًا، بقَدْرٍ واسع من كياسة العالَم العتيق، الذي تخطَّت الحضارة الحديثة في كلِّ أنحاء العالَم خطوطَ دفاعاته الأخيرة، بما أنَّ الأجيال الجديدة قد انتهى بها المطاف إلى جهل الماضي أو التنكُّر له[١]. وعلى الرغم من كلِّ سِنِيِّ عُمره، كان (**عليٌّ**) متوثِّبًا وبصحَّة جيِّدة، يسعَى معنا، بل لقد كان- واثق الخطوة- على رأس حاشيته من (**النَّقِيْل**) إلى الإمارة، ثمَّ لاحقًا كان بصُحبتي

[١] عبارته هي: **«as the new generations come forward that knew not Joseph»**. وهي مأخوذة عن (**الكتاب المقدَّس، العهد القديم**، سِفر الخروج، الإصحاح الأوَّل: عبارة ٨)، حيث يرد: **«Now there arose a new king over Egypt, who didn't know Joseph»**، أي: «**ثُمَّ قام مَلِكٌ جديد على مِصْر، لم يكن يَعْرِف يُوسف.**» وتُضرب العبارة، على سبيل الـمَثَل، لنسيان الماضي والتنكُّر له؛ حيث جاءت في سياق الحديث عن هبوط (**يعقوب**) وأبنائه أرضَ (**مِصْر**) على (**يُوسف**)، وكيف أنَّها تعاقبت الأجيال حتى جاء (**فرعونٌ**) جديدٌ لم يَعْرِف **يُوسف**، معرفةَ الإجلال والتقدير، فاستعبد (**بني إسرائيل**).

صعودًا إلى (**العَبْسِيَة**)، بعد وليمةٍ فاخرةٍ كان (**عبدالهادي**) قد أعدَّها لضيافتنا، مع أنَّ الوقت كان قد أدرك العصر قبل أن نصل للاستمتاع بتلك الوليمة. ولـمَّا أبديتُ لهُ وُجهة نظري- ونحن نسير- بأنَّ أمثاله وأمثالي قد بلغنا من العُمر ما لا يَسمح لنا بسرعة الصعود في مثل تلك الأَكَمات، تَوقَّف مَلِيًّا ثمَّ التفتَ إليَّ بلمحةٍ ساخرةٍ في عينه:

ـ «**كم عُمرك؟**»، سألني، كالشَّاكِّ.

ـ «**خمسون**»، أجبتُ.

ـ «**أوه!**»، قال، «**أنا أكبر منك بقليل. عُمري ستُّون**».

ولقد كان بالتأكيد لا يَقِلُّ عن السبعين، بل ربما فوق ذٰلك ببضع سنين، لٰكن ذٰلك العجوز الجليل يَسُوْس رعاياه العَصِيِّين «**كبطريرك**». وقد قابلتُ كذٰلك شيخًا آخَر اسمه (**جابر**)[1]- شيخ السُّوق (الواقع في منطقة الإمارة) وناحية

---

[1] يبدو أنَّه يشير إلى: (**جابر بن أسعد بن سليمان بن يزيد بن مسعود الأبياتي**)، وهو شيخ قبيلة (**الأبيات**)، إذ ذاك.

العَبْسِيَة- أَفْتَى سِنًّا [من **الشيخ عليّ**] لٰكنَّه أقلُّ جاذبيَّةً، بل هو- وَفقًا لوُجهة نظر (**عبدالهادي**)- رجلٌ غير مريحٍ للتعامل معه؛ إذ كان ممتعضًا من حلول سُلطة حكوميَّة مستقرَّة في تلكم الجبال البِكر العاتية. وخلال حرب (**اليَمَن**)، كان [ذٰلك الشيخُ] قد قام بدَور المؤيِّد والمحرِّض (**للسيِّد عبدالوهَّاب**)[1] وثائرين آخرين من (**الأدارسة**)، يوم أن كانت (**فَيْفاء**) تستدعي مراقبةً دقيقةً بوصفها مركز اضطرابات محتملة.

---

[1] هو: (**عبدالوهَّاب بن محمَّد بن عليّ الإدريسي**). كان من قادة الجيش اليَمَني الذي احتلَّ جبال (**فَيْفاء**) سنة ١٣٥٢هـ= ١٩٣٣م. وكانت الإمامة اليَمَنيَّة المتوكِّليَّة تُطالب مشيخة **فَيْفاء** بالتبعيَّة لـ(**آل حَميد الدِّين**)، منذ ما قبل ١٣٤٧هـ= ١٩٢٨م، وتُمارِس عليها الترغيب والترهيب، ومن هٰذا الأخير الاتِّهام «**بكُرْه آل البيت**»، لٰكنَّ **فَيْفاء**، لِولائها لـ(**ابن سعود**)، رفضت. فشُنَّ الهجوم اليَمَني على جبال **فَيْفاء**، في (رمضان ١٣٥٢هـ= ديسمبر ١٩٣٣م). وعلى الرغم من مقاومة أهالي **فَيْفاء**، فقد مَكَّـنَتْ الجيشَ اليَمَنيَّ كثافتُه وعُدَّتُه من احتلال الجبال ومن أَخْذِهم عددًا من رجالات القبائل رهائن. (راجع ما جاء في مقدّمة الترجمة حول هذه الأحداث: ٦٢- ٠٠).



(**فَيْفاء**): الحُصون على حوافِّ القِمَّة الرئيسة، وبيت (**الشيخ جابر بن أسعد الأبياتي**) أقصَى اليسار.

(تصوير فِلْبي)

لقد أراد (**عبدالهادي**) أن ينزل فريقي في مركز الإمارة وحوالَيها، حيث ينبغي لنا أن نكون- على الأقل- في مُستكَنٍّ من طَلِّ الليل في الجبَل. إلَّا أنَّني شَرَحْتُ له مُسَوِّغاتي الجغرافيَّة للرغبة في التخييم على القِمَّة نفسها، وقد نَزَلَ عند رغبتي عن طيب نفسٍ تامٍّ، شريطة موافقتي على أن ننزل إلى مركز الإمارة لتناول وجباتنا اليوميَّة. كان الوقت بعد الخامسة مساءً لمـَّا اتَّخذنا طريقنا صاعدين الجَبَل لنَجِد موقِعًا

مستويًا لا بأس بمُلاءمته للتخييم[1]، وذٰلك أسفل ذُرْوَة القِمَّة بنحو خمسين قَدَمًا (٥٨٠٠ قَدَمًا فوق سطح البحر)، تلك الذُّرْوَة التي كانت مجرَّد أنقاضٍ من حِصْنٍ أصليٍّ، ربما كان يعود إلى حقبة (**الأدارسة**). لقد كان الحِصْنُ- أو بالأصحِّ كان قديمًا- مربَّعًا، وهناك أنقاضٌ ضخمة لمبنًى من الصَّوَّان الجرانيتي، يرتفع بمحيطٍ جداريٍّ، ذي نتوءاتٍ تحصينيَّةٍ دائريَّةٍ في كُلِّ رُكن. وقد كان بالطبع مهجورًا بالكامل ومغطًّى تمامًا بِدَغَلٍ من النباتات والحشائش.

وما كِدنا نَحُطُّ في المخيَّمِ حتى اجتاحتْ الغُيومُ المكانَ من خلالنا، حاجبةً الرؤية عن كُلِّ الأشياء. ومع هٰذا، ففي المساء، لاحقًا، بَدَتْ الغُيومُ وقد استقرَّت في غطاءٍ كثيفٍ أسفل مستوَى ذُروة القِمَّة بقليل، فيما كانت السماء فوقنا صافيةً تمامًا. بَدَتْ تراكماتُ الغُيوم الكثيفة من حولنا

[1] كان تخييمه- كما ذكر لي والدي، رحمه الله- في مكانٍ يُسمَّى: «**ثاهِر امْقِبْلِـي**»، ناحية جَبَل (**آل الداثِر**). و«**الثاهِر**» في اللهجة: مدرَّجة (أو «**حَيْفَة**»، بلهجة المنطقة) واسعة ظاهرة. وقد مرَّ الشرح اللغوي لمثل هٰذه المفردة.

متحرِّكةً في اتجاهاتٍ مختلفة، فالأقرب منها كانت مُيَمِّمَةً جَنوبًا، في حين كانت تلك الأبعد، جِهةَ تِهامة، متحرِّكةً في الاتجاه المعاكس. وبدا كأنـَّنا نطفو على مُحيطٍ من الغَيم، ينساق في اتجاهاتٍ مختلفةٍ بفِعل الرِّياح. إلَّا أنَّ قِطَع الضَّباب صارت عمَّا قليل تُغَلِّفنا في غُلالةٍ سائلةٍ رقيقةٍ بَلَّلَتْ كُلَّ شيءٍ، ومع هٰذا فقد كان استقبالُ الرَّاديو ممتازًا جِدًّا، وعلمتُ بفوز (**إنجلترا**) في المباراة التجريبيَّة الثانية في (**أستراليا**). وفي صباح اليوم التالي كانت الأرض حوالينا وفُرُشُنا وكلُّ شيءٍ مُبَلَّلًا، مع جَوٍّ باردٍ رَطْب. كانت درجةُ الحرارة ٥٧ درجة فهرنهايت فقط، وقد كانت خلال الليل تنخفض إلى ٥٢ درجةً، لٰكن الجَوَّ عمَّا قليلٍ سيُعاود الدِّفْءَ؛ ذٰلك أنـَّني كنتُ أتطلَّع نحوَ الشمس وهي تبزُغ من خلف القِمَم الجَبَليَّة في الجهة الشَّرقيَّة الجَنوبيَّة[1]، طافِيَةً على القِطَع الضَّبابيَّة الممتدَّة الطويلة، التي غَطَّت بالكامل كُلَّ المنحدرات والأودية أسفل مِنَّا. وهٰذا الطَّوق الغمامِيُّ الشامل معروفٌ لدَى الأهالي

[1] كذا! ولا أدري كيف أصبح شروق الشمس من الجهة الشَّرقيَّة الجَنوبيَّة؟!

هاهنا باسم «**عَمَايَة**»، أي غَمَام؛ لأنَّه يَحْجُب العالَمَ عن مدَى الرُّؤية البَصَرِيَّة[1].

ومَرَّة أخرى، بَعْدَ يوم لَطيفٍ، حَجَبَتْ الغُيومُ المشهدَ كاملًا قُبيلَ الغُروب بنحو ساعةٍ[2]، على أنَّها بَرَزَتْ في وقتٍ لاحقٍ من الليل الذُّرَى العظيمة- بما في ذٰلك (**العَبْسِيَة**)-

---

[1] «**العَـمَايَة**»: الضَّباب في لهجة (**فَيْفاء**). والكلمة عربيَّة صحيحة، فالعَمايَة: المضلَّة التي لا يُهتدَى فيها، يقال: «**هو في عَـمَايَةٍ**»، أي في ضَلالة. «**والعَـمَايَة، والعَمَاءة- والجَميعُ: العَـمَاءُ-: السَّحابَةُ الكَثِيْفَةُ السَّوْداءُ، وقيل: هي الجَهَامُ.**» (انظر: ابن عبَّاد، الصاحب، **المحيط في اللغة**، (عمي)). وقال أهل **فَيْفاء**: هي الضَّباب. ولـمَّا ذَكَر (**فِلْبِي**) أنَّ «**هٰذا الطَّوق الغماميَّ الشامل معروفٌ لدَى الأهالي هاهنا باسم** «**عَمَايَة**»»، جاءت ترجمة (العبيكان، ٢: ٩٢٧) فحرَّفتْ الكلمة إلى «**عماة**»! ثمَّ علَّق (**ابن جريس**) في الحاشية، مشيرًا إلى أنَّ **فِلْبِي** ذكَرَ الكلمة بلفظ «**عَمَايَة**»، وأن «**لفظة** «**عماة**» **تكاد تكون دارجة عند معظم سكّان جَنوبي البلاد السعودية**»! فلماذا يحرَّف ما ذكره المؤلِّف، وهو الصحيح في دارجة **فَيْفاء**؟! ولماذا، وقد شكَّ أرباب الترجمة المذكورة في صحَّة ما أورده **فِلْبِي**، لم يَتثبَّتوا؟! بل لم يكتفوا بافتراض ما زعموه من أنَّ «**عماة**» تكاد تكون دارجة عند معظم سكَّان جَنوبي (**السُّعوديَّة**)، بل فرضوه على سائر أولئك السُّكَّان! لقد كان أضعف ما تقتضيه الأمانة أن يُثبتوا ما ذكره المؤلِّف: '*Amaya*'، حسبما ذكره، ثمَّ يعلِّقوا عليه.

[2] جاءت ترجمة (العبيكان، م.ن) هنا بهٰذه الصياغة الركيكة: «**ثم حجبت السحب مرة ثانية- بعد يوم صافٍ- كل المنظر ومدة ساعة قبل الغروب.**»

كأنَّها جُزُرٌ في بحرٍ هادئٍ مُسْتَوٍ من الغَمام الأبيضِ، مُضَاءً بلَمسةٍ ماسيَّةٍ من القَمَر الذي يقترب الآن من تمامه بَدْرًا.[١] بإمكاني أنْ أَرَى بوضوح امتدادَ (**جَبَل الأَسْوَد**/ «**مَسْوَد**») يلوح حول الإكام العُليا من (**النَّظِيْر**)[٢] و(**رازح**)[٣]، تلك النقاط الحُدوديَّة الجَبَليَّة من (**اليَمَن**) المُطِلَّة على السفوح المتاخمة، في حين تبرز على الجانب الآخَر الذُّرَى العظيمة لجبال (**الحَشَر**)[٤] و(**بني مالك**). وكُنَّا قد نزلنا إلى مركز الإمارة لتناول العَشاء بُعيد المغرب، وعُدْنا مع عَدَدٍ من الزائرين الذين كانوا تَوَّاقين إلى سماع أخبار العالَم، والموضوع المهمُّ الوحيد الذي كان تلك الليلة هو اكتمال المفوَّضيَّة

---

[١] كان قُدوم (**فِلْبِي**) في الصيف. وواضح من صُوَره أنَّ البلاد كانت جافَّة، وكأنَّها كانت في أيَّام «**الغُبْرة**». ومع ذٰلك كانت الأجواء لطيفة حسب وَصفه.

[٢] هٰكذا يُكتب الاسم، بالظاء. ولعلَّه بالضاد، لا بالظاء، وذٰلك من النَّضَارة والخُضرة والنعيم. لٰكنَّنا سنلتزم بالإملاء الشائع للاسم.

[٣] جَبَل (**رازح**): يُنسب إلى (**رازح بن خَوْلان بن عمرو بن الحاف**)، مشهور قرب مدينة (**صَعْدة**). ويُرَى من (**فَيْـفاء**) رأيَ العين.

[٤] هٰكذا يسجِّل (**فِلْبِي**) اسم (**الحَشَر**): Hashr.

المَلَكيَّة السامية في (**فلسطين**)[1] من مهمَّتها لأخذ الآراء المحلِّـيَّة وجلائها الوشيك.

كنتُ قد أمضيتُ اليوم متجوِّلًا خلال المدرَّجات، حيث وجدتُ أعدادًا لا بأس بها من أشجار (**القُطن**)، ناميةً في شكلٍ عشوائيٍّ، بطول شجيرات صغيرة[2]. ويُقطَف **القُطن** للاستعمال المحلِّي، لٰكن الأشجار تُترك من سَنةٍ إلى سَنةٍ، ويبدو أنَّه يُزهر عادةً في هٰذا الجوّ. وأشجار (**التَّبْغ**) كذٰلك كثيرة جِدًّا، وإنْ كانت زراعته لا تحظَى رسميًّا بالتشجيع. وكان (**العَرْعَر**) كثيرًا هناك، و(**الصَّنُوْبَر**)[3]

---

[1] في ترجمة (العبيكان، ٢: ٩٢٨) حُذفت كلمة «**فلسطين**»، وجاءت العبارة بصيغة : «**انتهاء اللجنة الملكية من مهمتها**».

[2] المعروف أنَّ شجر (**القُطْن**) يكبر، حتى يكون كشجر (**المشمش**)، ويُعمِّر إلى عشرين سنة، وأجوده أحدثه. (وانظر في هٰذا: ابن منظور، (قطن)).

[3] هٰكذا كتب المؤلِّف الكلمة بين قوسين San‘abar، بشَولة قبل a الثانية، «**سَنَعْبر**»، في مقابل كلمة Cypress، أي (**صَنَوْبَر**). وتُرجم كذٰلك في (العبيكان، م.ن) إلى: «**شجرة السرو (السَّنَعْبِر)**»! لٰكن «**السَّنَعْبِر**» غير **الصَّنَوْبَر**، أو (**السرو**)، وهو نبتةٌ لا شجرة، وهو ما يُسمَّى في بعض مناطق (**الحجاز**): «**سَنَعْبُق**»، ويُسمَّى: «**سُنُعْبُر**»، في (**عسير**). وقد تحدَّث عنه ←

بأغصانه ذات الرائحة النفَّاذة. وهناك أيضًا بعض أشجار (**الخَوْخ**)، ليست بأعداد كثيرة جِدًّا لٰكنَّها الآن في أوان إزهارها. و(**الموز**) المحلِّي قصير الثمرة، سميكها، أصفر. وهو من نوعيَّةٍ رديئةٍ مقارنةً مع **الموز** ذي الحبَّة الطويلة الرفيعة الخضراء، الذي يُستورد بأسعار مرتفعة من (**النَّظِيْر**)

بالتفصيل (قشاش، أحمد، **النبات في جبال السَّراة والحجاز**، ١: ٤٨٨- ٤٩٥). إلَّا أنَّه قال إنَّه «**الرَّنْد**»، ذو الرائحة الطيِّبة، في حين أنَّ «**السَّنَعْبِر**» في (**فَيْفاء**) يُشْبه، في الشكل، ما يُسمى «**السَّنَعْبُق**»، وإنْ كان (**قشَّاش**) يصف **السَّنَعْبُق** أيضًا بأنَّه: شجيرةٌ عِطريَّة! وليس كذٰلك «**السَّنَعْبِر**»، وليست رائحته بطيِّبة. على أنَّه من المؤكَّد أنَّه نوع من الفصيلة الشَّفويَّة Labiatae، ومن نوع ما يُسمى «**السَّنَعْبُق**» Plectranthus asirensis. فلعلَّ (**فِلْبِي**) سمع الناس تقول «**سَنَعْبِر**»، فأحبَّ- كعادته- أن يُظهِر أنَّه قد عرف بعض الألفاظ من لهجة المنطقة، فوقع في هٰذا الخطأ المضحك؛ لأنَّ **السَّنَعْبِر**: اسم نبتةٍ شتَّان بينها و**الصَّنَوْبَر**. وأمَّا **الصَّنَوْبَر** (Cypress)، فأغلب الظن أنَّه ما يُسمَّى بلهجة المنطقة: «**الرُّقَّع**». على أنَّ ممَّا يدلّ على تعدُّد ما قد يُطلق عليه «**الصَّنَوْبَر**» ما يجيء في بعض معاجم العربيَّة- كما في (ابن منظور، (صنبر))- من أنَّ **الصَّنَوْبَر**: «**شجر مخضرّ شِتاء وصيفًا. ويقال: ثَمَرُه، وقيل: الأَرْزُ الشجرُ وثَمَرُه الصَّنَوْبَرُ... أَبو عبيد: الصَّنَوْبَرُ ثمر الأَرْزَة، وهي شجرة، قال وتُسمى الشجرة صَنَوْبَرَةً من أَجل ثمرها.**» هٰذا، وإنَّما كانوا يستخدمون أوراق **السَّنَعْبِر** للاستجمار! وعلى الرغم من هٰذا فإن اللهجات تتفاوت، فليس بعيدًا أن يكون المؤلِّف سمع مَن يُسمي أوراق **الرُّقَّع** «**سَنَعْبِرًا**».

وضواحيها. والحُبوب هنا تشمل **(الدُّخْن)** بكميَّات كبيرة، وكذٰلك **(الشَّعير)**، وقليلًا من **(الحنطة)**، وتحصل الحكومة منها على غَلَّةٍ سنويَّةٍ إجماليَّةٍ تُقَدَّر بـ١٢٠٠ ريالٍ بحساب عُشْرِ الغَلَّة. هٰذا هو مبلغ المال الصافي الذي يُتَحَصَّل عليه عَقِبَ دفع تكاليف التحصيل، والذي يأخذ شكل مخصَّصاتٍ بنِسَبٍ مئويَّةٍ لأشخاص متعدِّدين، مُراعًى في ذٰلك اختلاف مستوياتهم في هٰذه العمليَّة. إذ يُقَسَّم الحَبُّ إلى عَشْر كُوَمٍ تحت إشراف خبراء التقدير **(الخرَّاصين)**، ويَختار كبيرُ القوم المحلِّي في كلِّ منطقةٍ إحدى الكُوَم للحكومة. ويُدَقَّق في إجراءات هٰذا العمل من قِبَل الشيخَين الرئيسَين **(لآل عُبَيْد)** و**(وَلَد عَطا)**، اللذَين- بناءً على تقريرهما- يُورَّد سهم الحكومة إلى المستودع الرسمي، مخصومًا منه ١٠٪ لشيخ الشَّمْل، ونِسبة ١٠٪ أخرى للشيخ المحلِّي، و٥٪ لخبراء التقدير. وهٰكذا، فإن السهم الحكومي الصافي يعادِل ثلاثة أرباع العُشْر من كاملِ المحصولِ الحُبوبيِّ. ولـمَّا كانت

قيمة هٰذه الكمِّيَّة هي ١٢٠٠ ريالٍ- من متوسِّط قيمة محصولٍ سنويٍّ كاملٍ يبلغ زُهاء ١٦٠٠٠ ريالٍ- فإنَّها لا تُعَدُّ كمِّيةً كبيرة على سكَّانٍ يقدَّرون بـــ٢٥٠٠٠ نسمة. وهناك- طبعًا- بالإضافة إلى ذٰلك محاصيل أخرى؛ غير أنَّ محصول **(البُنِّ)** ليس بالوافر، وإنَّما يُزَوِّد الحكومةَ بنحو ٥٠ ريالًا في السَّنة فقط، فيما الفاكهة مُعفاةٌ من النظام الضَّريبي.

إنَّها لحقيقة غريبة حقًّا أن تعاني **(فَيْفاء)** كثيرًا من نُدرة المياه، وذٰلك على الأقل في أجزائها العُليا، حيث يبدو أنْ ليس لديهم لا آبار ولا حتى صهاريج لحفظ ماء المطر. وإنَّما يعتمد إمداد المياه بشكلٍ كبيرٍ على جهود النساء، اللائي يجلبنه بالأَدَاوَى من الصُّدوع والبِرَك المختلفة في الأجزاء العُليا من وديان عديدة، وذٰلك لبيع الإداوة الواحدة بثُمْن ريال- وهو السِّعر الحاليّ وقتَ زيارتي **فَيْفاء**- أو بسِعرٍ أكثر من ذٰلك في موسمٍ أكثر جفافًا، حينما يتطلَّب الأمر غالبًا أن تَرِدَ النساءُ موارِدَ أبعد في أسفل الجَبَل، جهةَ مَعَايِن

(الوُغْرَة)، التي لا تنضب على ما يبدو. وفي مثل هٰذه الأزمنة قد يرتفع سِعر الماء على قمَّة الجَبَل بقدر نِصف ريال للإداوة.[١]

والمساكن في **(فَيْفاء)** من أنواع عِدَّة، فمنها: «**الدارة**»[٢]،

---

[١] وما زالت معضلة المياه في **(فَيْفاء)** وما جاورها على ما كانت عليه، بعد ما يقرب من قرنٍ من زيارة **(فِلْبِي)** إلى جبال **(فَيْفاء وبني مالك)**. المياه التي هي أساس الحياة ما زال الاعتماد فيها على ماء السماء، على الرغم من اتساع الحاجة إليها في تلك الجبال التي أصبحت مدينة، أو بالأحرى مدائن متفرِّقة. فلا مياه تحليةٍ هناك، ولا سُدود، ولا آبار ارتوازيَّة. حتى الآبار، التي كان الناس قديمًا يستمِدُّون منها مياه شُربهم، قد اندثرت، ولم يُستفَد من المياه الجوفيَّة قَط. بل صارت الآبار ملوَّثةً بمياه المجاري، حيث لا شبكة للصرف الصِّحي كذٰلك. والمياه التي تُجلَب من الأودية بالصهاريج- ضمن سُقيا **فَيْفاء** المجانيَّة التي جاءت بتوجيهٍ مَلَكيٍّ، منذ١٤١١هـ= ١٩٩١م- لا تَصلُح للشُّرب؛ لعدم نقائها، ولما هي محمَّلة به من أوبئة الوديان. وهي إلى ذٰلك لا تشمل إلَّا مَن كان بيته على طريقٍ من الطُّرق الرئيسة للسيَّارات. وهٰؤلاء لا يمثِّلون غير نِسبةٍ ضئيلةٍ جِدًّا من أهالي **فَيْفاء**.

[٢] جاء في ترجمة (العبيكان، ٢: ٩٣٠): «**فمنها ما هو عشّة صغيرة**»! عِشَّة في جبال **(فَيْفاء)**؟! مع أنَّ (Philby, 496) ذكر: «**دارة**: **the small single-story round**». ولا وجود لعِشَش في الجبال بحالٍ من الأحوال. لٰكن ذٰلك المترجِم لا يفرِّق بين الجبال والتهائم؛ فما دام الكلام عن مكانٍ تابعٍ لمنطقة **(جازان)**، فقد خُيِّل إليه أنَّ البيوت هناك عِشَش في كلِّ مكان! أمَّا «**الدَّارَة**»، فبناءٌ دائريٌّ مكوَّنٌ من طابقٍ واحد. وهٰكذا صار **(الإنجليز)** أدرى ببيئات **(الجزيرة العربيَّة)** من **(العـرَب)**!

ذات الطابق الواحد الصغير، أو الكوخ المربَّع، المبني بحجارة، ذو سقف من الطِّين[١]، ومنها البُرج، المستدير الصغير من طابقَين[٢]، ثمَّ هنالك القصور، شِبه القلاع، الأكثر إتقانًا، المكوَّنة من طابقَين وثلاثة طوابق، مبنيَّةً من حجارة. ويبدو هٰذا النوع الأخير خاصًّا بجزء البلاد هٰذا، وهو يستحقُّ وصفًا[٣]. ويتناقص اتِّساع البناية الدائريَّة تدريجيًّا بدءًا من قاعدةٍ واسعةٍ وصولًا إلى سقفٍ أضيق جِدًّا. وتُسقَف غُرفة الطابق الأرضي الكبيرة الوحيدة بالطِّين فوق العوارض الخشبيَّة، وهي ذات مَنْفَذٍ في إحدى زاوياها يُمكِّن من الصعود إلى الدَّوْر الأعلى بسُلَّمٍ أو

---

[١] ليس من الطِّين، بل مسقوف بأعواد الشجر والحجارة، ومغطًّى بالطِّين.

[٢] هٰذا النوع يسمُّونه: «**المفتول**». وهو بيتٌ دائريٌّ، من طابقَين أو أكثر. ويمثِّل طراز البناء السائد في (**فَيْفاء**).

[٣] هٰذا النمط الأخير هو الذي يسمُّونه «**قَرية**»، وهو شِبه قصرٍ كبير. وأكثر وجوده في شَرق الجَبَل الأعلى وغَربه، كما يوجد في بعض جهات الجَبَل الأسفل. لٰكنه أقلّ انتشارًا من أنماط البيوت الأخرى، بطبيعة الحال. عِلمًا أنَّ (**فِلْبِي**) لم يتعدّ في اطِّلاعه جهةَ (**العَبْسِيَة**)، وطريقه منها وإليها.

درجاتٍ طينيَّةٍ[1] بارزةٍ من الحائط. أمَّا [دارتا] الطابق الثاني والثالث- وهما لجلوس مالك البيت وعائلته- فتُسقفان جزئيًّا فقط؛ بحيث تصلهما كلتيهما التهويةُ والإضاءةُ، فضلًا عن المطر.[2] لٰكن ميِّزة هٰذا الترتيب تزداد أهميَّةً من حيث إنَّ الغرفتَين [دارتَي الطابق الثاني والثالث] منفتحتان حقيقةً في اتجاهَين مختلفَين، ومن المفترض أنَّ ذٰلك للسماح للعاملِين في المنزل باختيار استعمال أيٍّ منهما وفقًا للأحوال الجويَّة لأيِّ وقتٍ أو يوم. فعلى سبيل المثال، إذا كانت الشمس مشرقةً في داخل الغرفة العُليا، فإنَّ الغرفة السفليَّة تكون في الظِّلِّ؛

---

[1] هي في الحقيقة حَجَريَّة لا طينيَّة، لٰكنَّها قد تكون ممرَّجةً بالطِّين، فتبدو للناظر طينيَّة. والتَّمريج، بلهجة (**فَيْفاء**): الطِّلاء بالطِّين.

[2] جاء في ترجمة (العبيكان، م.ن): «**بمعنى أن يكون وسيلة لدخول الهواء والضوء دون الأمطار.**» وهي ترجمة غير دقيقة لما ذكره (**فِلْبِي**)، ومخالفة للواقع! ذٰلك أنَّ الغرفة من الغرفتَين الموصوفتَين- ويسمُّونها «**مِشْرَاح**»- هي: طبقة في أعلى البيت الدائريِّ، تكون ذات شُرفة مفتوحة تُطِلُّ على الخارج، بحيث يسقفون نِصفها ويتركون النِّصف الخارجي متنفَّسًا، ومتشمَّسًا، يجلسون فيه أو يُطِلُّون منه. وبذا تسقط الأمطار في جزئها المكشوف. وقد يكون للبيت مِشْراحان، أعلى وأسفل، كما وَصَفَ المؤلِّف، وكلٌّ واحدٍ يُطِلُّ في اتِّجاه.

وإذا كان المطر يضرب في واحدة فإن الأخرى تكون جافَّة. إنَّ تأثير هٰذه الميِّزة الفريدة للهندسة المعماريَّة المحلِّيَّة هي أن تُعطي هٰذه القصور مظهرًا مَلْوِيًّا أو لَوْلَبِيًّا، يكون جذَّابًا جِدًّا في محاذاة حقول المدرَّجات الزراعيَّة. وفي بعض الحالات فإنَّ الطابق الأعلى المفتوح جزئيًّا يكون سقفُه مجرَّدَ فروعٍ مقطوعة من أشجار، غير أنَّ السقف في حالات أخرى يكون مُسَوًّى بالطِّين[١]. وكلُّ البنايات من حجارة، لٰكن الأكثر أُبَّهة منها[٢] يكون بواجهات ذات طبقةٍ خارجيَّةٍ سميكةٍ من الطِّين. أمَّا النوافذ، فلا تُعَدُّ- فيما يبدو- جِدَّ ضروريَّة.

يتسلسل محور قِمَّة جبال (**فَيْفاء**) وقُـنَـنُها الخمس الرئيسة من الشَّمال الشَّرقيِّ إلى الجَنوب الغَربيِّ، وذاك بين واديَي (**جَوْرَاء**) و(**ضَمَد**) السحيقَين، اللذَين تتدفَّق

[١] أي أنَّ السقف «مُقَـيَّر»، بلهجة (فَيْفاء).

[٢] في ترجمة (العبيكان، م.ن): «**غير أن الطموحة منها...**»! ولا أدري كيف يكون البيت طَموحًا؟!

روافدُهما على الجانبَين. ولا يتَّصل أيٌّ من هٰذين الواديَين بجُرف **(السَّراة)**، وإنَّما مصادرهما كليهما تعتمد على الروافد، أو على مياه السُّفوح الجَبَليَّة لجبال **(بني مالك)**، حيث يتحدَّر من الجُرف وراءها وادي **(دَفَا)**، حتى يتَّصل بوادي **(بَيْش)**. ويتشكَّل وادي **جَوْرَاء** من شِعْبَين عظيمَين، هما **(عَرَقِي)** و**(طِيَة)**[1]، المتحدِّرين على التَّوالي من الزاوية المتشكِّلة من جبال **(بني مالك)** والجزء الرئيس من جَبَل **(الحَشَر)**: **(بني حَرِيْص)**. وذٰلكما الشِّعْبان يَستمِدَّان مياههما بدَورهما من الروافد الشَّماليَّة لجَبَل **الحَشَر**. ويقع ملتقاهما الذي يُشكِّلُ **جَوْرَاء** على مسافةٍ تبْلغ بضعة أميال فقط إلى شَمال مرمَى

---

[1] ‘Araqi ، ‘Ti. [و**(عَرَقِي)** يُنطَق بلهجة الأهالي: «**عَرَقِيْن**». نِسبة لموضع في الوادي شَمال شَرق **(الداير)**، فسُمِّي الوادي به لشهرة الموضع، و**عَرَقِي** قَريةٌ مشهورةٌ في شِعب صدر **(جَوْرَاء)**، فيها مستوصف **(بني مالك)** حاليًّا. وهي من المواضع القليلة في **(السُّعوديَّة)** التي توجد فيها شجرة **(اللَّبْخ)** النادرة المهدَّدة بالانقراض. وأمَّا **(طِيَة)**، فبكسر الأول وفتح الثاني، بلا شدَّة. وهو وادٍ غَرب **بني مالك** على الحُدود مع **(بَلْغازي)**. (ح.م)]. ولمَّا كان أصل اسم **عَرَقِيْن**: **عَرَقِيٌّ**، كما نُقدِّر، فقد التزمنا بتسميته حسب الأصل. ويُلحظ أنَّ المؤلِّف يضع الشَّولة «‘» في بعض الأسماء، مثل (**طِيَة** ‘Ti) و(**دَفَا** ‘Dafa)، واهِمًا أنَّ في الاسم صوت (عَين)؛ فمَن لا يعرف الاسم الصحيح يظنَّه: «طِيع»، و«دَفَع».

بَصرنا من (**العَبْسِيَة**)، وذٰلك قُرب قاعدة الخاصرة الشَّماليَّة من **فَيْفاء**. وينبع وادي **ضَمَد** من لَدُن حافَّةٍ منخفضةٍ وضيِّقةٍ نِسبيًّا، فاصلةٍ رأسه عن قناة وادي (**دَفَا**)، الذي كان علينا إتيانه في الوقت المناسب. وتتحدَّر الأطرافُ الخارجيَّةُ شديدةُ الانحدار لقُنَّة المرتفع العظيم- المشكِّلةُ للجهات المحاذية لقمم جبال **بني مالك**- بروافدَ عِدَّة تُمِدُّ وادي **ضَمَد**، وذٰلك إمَّا مباشرة أو من خلال قناةٍ كبيرةٍ تُسمَّى (**الفَرْع**)[1]، تَسْتَفْرِغ من خلال عَدَدٍ من الشِّعاب- كـ(**الجِنِّـيَة**)، و(**الجُوَّة**)، و(**الخَبْيَة**) وغيرها- مياهَ سُفوحِ الإكامِ الجَنوبيَّةِ من **بني مالك** صوبَ منعطف وادي **ضَمَد**، إذْ يَلتفُّ على طول الأنف البارز لجَبَل (**العِزَّة**). ويستقبل **ضَمَدُ** أيضًا مَصَبَّ الحاجِر الأعلى لإكامٍ- كـ(**كَتْفَة**)[2] وغيره-

---

[1] في ترجمة (العبيكان، ٢: ٩٣١): «**الفِرَعْ**»! وهو ضبط غير صحيح.

[2] Katfa. وتُنطق التسمية بلهجة المنطقة: «**جَتْفَة**»، بقلب الكاف صوتًا بين الجيم والشين، كالعادة في لهجتهم. و(**كَتْفَة**) جَبَلٌ شاهقٌ، على الشريط الحُدودي بين (**السُّعوديَّة**) و(**اليَمَن**)، منبسطٌ من أعلاه.

وذٰلك على جانبه الآخَر بطول الحُدود اليَمَنيَّة. وفي النهاية يخرج وادي **جَوْرَاء** و**ضَمَد** مُلْتَقِيَيْن في مكانٍ ما على سهل تِهامة، وذٰلك فيما وراء القُنَّة الجَنوبيَّة الغَربيَّة من **فَيْفاء**. إنَّ قِمَمُ **جبال بني مالك**- وهي جَبَل (**آل عليّ**)[1]، و(**حَبْس**)، و(**آل سَلْمَى**)[2]، وكذٰلك جَبَل **الحَشَر**، بالإضافة إلى (**هَجِيْدَة**) بشكلها الهرميِّ الهائل المُطِلِّ وراء الفجوة بين تلك الجِبال- تُغطِّي ثُمْنَ[3] دائرةِ البوصلة عَبر الشَّمال. على حين يَتسلسلُ خلفَ القِمم المشار إليها- مشكِّلًا شاطئَ وادي **دَفَا** الأيمن- المَدَى الأعلى من (**ظَهْرَان**)، (أو «**ثَهْرَان**» طِبقًا للهجة المحلِّيَّة)[4]، مُتَّصِلًا في امتداده بالحافات الأوطأ من (**الرَّبُوْعَة**)

---

[1] كذا يَرِد الاسم لدَى (**فِلْبِي**): «**al ‘Alil العَليل**». [وقبيلة (**آل عليّ**) لا يقال لها (**قبيلة آل عَليل**) ولا (**عَليل**)، وإنَّما نِسبة الشخص إلى قبيلة **آل عليّ**: (**عَليليّ**)، على غير قياس. (ح.م)].

[2] ahl Salma. والصواب: «**آل** (لا أهل) **سَلْمَى**». ومثل هٰذا متكرِّر لدَى (**فِلْبِي**) في مواطن أخرى.

[3] في (ترجمة العبيكان، م.ن): «**مسافة الربعية**».

[4] هٰذا الإيضاح لنُطق اسم (**ظَهْرَان**) ذَكَرَه المؤلِّف في موضعٍ لاحقٍ من هٰذه الفقرة، والأَولى ذِكْرُه لدَى وروده أَوَّل مرَّة، فنُقل إلى هنا. [و(**ثَهْرَان**): جَبَل ←

(أو **رَبْوَى؟**)[١]، المعترِضةِ من الشَّمال إلى الشَّمال الشَّرقيّ. وبعيدًا إلى يمين هٰذه المواضع- مستلقيًا في الخلف تمامًا- امتدَّ جُرفُ (**مَرْع**)[٢] البركانيُّ المسطَّحُ، الذي يُلحظ مباشرةً من الجانب الآخَر كالمستلقي جَنوبَ شِعْبِ (**عَلْبَيْن**). ويقع في المَدَى الأبعد إلى الجَنوب الشَّرقي نطاقُ جَبَل (**الأَسْوَد**)، متضائلًا تدريجيًّا باتجاه (**رازِح**) فـ(**النَّظِيْر**). في حين تَسُدُّ الفجوةَ الشاسعةَ بين تلك الجبال سِلسلةُ **كَتْفَة** الحُدوديَّة العالِيَة، ممتدَّةً عَبر (**مُنَبِّه**)- (**العُرِّ**)، و(**سَلَى**)- وصولًا إلى حافَّة تِهامة. وعلى الجانب الآخَر (الشَّمالي)، فإنَّ خطَّ جبال (**بني مالك-الحَشَر**) يَظلُّ متواصلَ الالتفاف عَبر: (**مَنْجِد**)[٣]،

يُرى من (**فَيْفاء**) خلف جَبَل (**طَلَّان**)، ويقع شَمال شَرق **طَلَّان**. (ح.م).]
وسنستعمل من الآن الأصل الصوتيَّ الفصيح لا اللهجيَّ في هٰذا الاسم، وهو **ظَهْرَان** لا **ثَهْرَان**، حيثما جاء ذِكْرُه.

[١] Rubu‘a (? or Rabwa). هٰكذا تشكَّك (Philby, 498) في الاسم. [واللفظ الصحيح (**الرَّبُوْعة**) وليس **ربوى**. (ح.م)].

[٢] Mar‘a. وفي (ترجمة العبيكان، ٢: ٩٣٢): «**مرعة**». [والصواب: (**مَرْع**). (ح.م)].

[٣] ذُكِر الاسم هٰكذا Munjid، وهو ما تُرجِم في (العبيكان، م.ن، وغيرها) إلى: «**مُنْجِد**»، بضمِّ الميم. والصواب: (**مَنْجِد**)، بفتح الميم.

و(**قَرْنة**)، و(**الرَّيْث**)، و(**مَصِيْدَة**)، ومَواطن أخرى؛ ليستكمل، في السُّفوح الجَبَليَّة من تِهامة، حزامَ **فَيْفاء** الجَبَليّ. وتُعَدُّ **هَجِيْدَة** ضِمن منطقة (**بني الغازي/ بَلْغازي**)، ومع ذٰلك فهي منفصلة عن حُدودها الرئيسة، كما تَمَّ وصفها. في حين أنَّ **ظَهْرَان** و**الرَّبُوْعَة** مستوطنتان من قِبَل (**آل تَلِيْد**)، وهم فرعٌ من (**بني جُماعة**)، الذين يقع موطنهم الرئيس إلى الجَنوب من الإقليم التابع لدولة (**اليَمَن**). وباتِّجاه الجَنوب مِنَّا يُمْكِنني أن أرى قَريةَ (**صَيَّابَة**)[١]، التي تعود إلى فرعٍ منفصلٍ من **بني حَرِيْص**. وتقع القَرية على ضِفَّة وادي (**جازان**)، في مُلتقاه مع شِعْب (**الفَرْشَة**)، الذي ينطلق على شِعْبٍ مُنخفضٍ، حاملًا مُنْحَدَرُه الأقربُ مياهَ شِعْب (**الهَيْجَة**)، مُتَّجِهًا إلى الأسفل حتى يتَّصل بوادي **ضَمَد** إلى جهة الجَنوب مِنَّا. ولاستكمال الصورة المرئيَّة من **فَيْفاء**، فإن بُركانَي

---

[١] Saiyaba.

(عَكْوَة)[١] كليهما يَبرزان بشكلٍ واضحٍ تمامًا، وذٰلك إلى جَنوب الجهة الغَربيَّة قليلًا، فيما لا نستطيع أن نرى **(الحُسَيْنية)** أو **(صَبْيا)** أو أيَّ جزءٍ من البحر. وإلى يمين امتداد **عَكْوَة** قليلًا- وبالطبع في مكانٍ أقرب إلينا أكثر- تقع قريةُ **(العَيْدابي)** الصغيرة، التي كُنَّا قد زرناها منذ وقتٍ قريبٍ جِدًّا. هٰكذا كان المشهد من **فَيْفاء**.

وكان هدفنا القادم مجموعة القُرَى السُّفْلِيَّة من القطاع الرئيس **لجَبَل (بني مالك)** حول **(القَهَبَة)**[٢]، التي لم تكن بدَورها مرئيَّةً من **(العَبْسِيَة)** مع أنَّ العديد من الأماكن المجاورة تُـرَى بارزةً تمامًا بشكلٍ واضحٍ فوق الآكام. ومن بين تلك الآكام **(خاشِر)**، و**(الظَّاهِر (اِمْثاهِر))**[٣]، و**(الذِّراع)**[٤][(٦*)]،

---

[١] يُطلَق عليهما عند التثنية: **(عَكْوَتَين)**.

[٢] Qahba.

[٣] Dhahr.

[٤] Dhira‘. وكثيرًا ما تَرِد الأسماء مجرَّدة من (الـ التعريف) لدَى **(فِلْبي)**، وليست كذٰلك في استعمال الناس. وهناك عدد من الأماكن في **(فَيْـفاء)** و**(بني مالك)** وما جاورهما تُضاف إليها كلمة «**ذِراع**»؛ لأنَّها واقعة في ذِراع. ←

و(**خُطَيْبَة**)[1]. وكان الحمَّالون الضروريُّون- وهم رجالٌ فقط هٰذه المرَّة- قد طُلِبوا من قِبَل (**عبدالهادي**) ليلًا، وجَعلوا يَصِلون في الوقت الذي كانت الشمس قد جفَّفت أمتعتنا المُبَلَّلَة بالنَّدَى في الصباح من (**ليلة ميلاد المسيح**). كان الأَجْر المفترض للرِّجال والنِّساء الذين حَمَلوا متاعنا من سُوق (**عَيْبان**) إلى القِمَّة هو نِصف ريالٍ فقط لكُلِّ واحد،

والذِّراع، كما جاء في تعليقٍ سابق، هو: الضِّلْع الناتئ المستطيل في جانب الجَبَل، كالذِّراع، مُطِلًّا على أكثر من جهة. لٰكنَّه عادةً لا يُميَّز إلَّا بالإضافة، ولعلَّه يقصد هاهنا ذِراعًا يُسمَّى: (**ذِراع آل اِمْبارِج، أو البارك**). والتعبير بالذِّراع عن الضِّلْع الجَبَلي مستعمل في (**اليَمَن**) كذٰلك. وفي الفصحى الذِّراع كذٰلك: الضِّلْع من جَبَل. (للتفصيل، انظر «التعليقات»، نهاية الترجمة، (*٦)).

[1] الغريب أنَّ الاسم وَرَدَ في (ترجمة العبيكان، ٢: ٩٣٣): «**حصيبة**»، وفي مواضع أخرى يَرِد: «**ختيبة**»، كما في (٢: ٩٢١)، وتارة ثالثة يَرِد: «**خطيبة**»، (٢: ٩٦٧)، وكأنَّها ثلاثة مواضع! وكذا تَرِد في فهرس الأماكن من الكتاب بأسمائها الثلاثة: **قرية ختيبة، وتل حصيبة، وخطيبة!** وكلا «**حصيبة**» و«**ختيبة**» لا علاقة له لا بما أورده (**فِلْبي**)، بلفظ: Khutaiba، ولا باسم المكان المعروف في (**بني مالك**). ولذا فإن القارئ لن يعرف، من خلال تلك الترجمة، عن أيِّ مكانٍ كان **فِلْبي** يتحدَّث.

وكنتُ- للخجل الشديد- قد ضاعفتُ مكافأتهم عندما وصلنا. وفي هٰذه الأماكن كانت كَرْوَة حمارٍ لعمل يومٍ كاملٍ (بما في ذٰلك خدمات مالِكِه) نِصف ريالٍ فقط، أمَّا الجَمَل فيُكلِّف ضِعف ذٰلك. حقًّا إنَّ نفقات السَّفَر في هٰذه البلاد لم تكن عاليةَ الكُلْفَة.

تَقَدَّمَنا (**الشيخُ عليٌّ**) إلى قلعته في (**مَرْوَح**) للإعداد لضيافتنا اللائقة بوصولنا. لذا انطلقنا مع الحَمَّالين هابطِين نُتوءًا صخريًّا منحدِرًا شَمال شَرق (**العَبْسِيَة**) فاصِلًا رأسَي الواديَين، (**ذَبُـوْب**)[1] و(**الفَرْع**)، اللذَين يُفرِغان روافد (**فَـيْفاء**) إلى (**ضَمَد**) و(**جَوْرَاء**) على التوالي.

استغرقْنا نِصفَ ساعةٍ تقريبًا من السَّير الشاقِّ حتى وصلنا (**مَرْوَح**)، وبَرَزَتْ قلعتُه ومسجدُه اللافتُ للنظر بشكلٍ رائعٍ على الذُّروة الأخيرة لقِمَّة (**فَيْفاء**) في نهايتها الشَّماليَّة. تَقَعُ أسفلَ مِنَّا قَريةُ (**رَحْبان**) على الجانب

[1] Zabub.

الأيمن من [وادي] (**الخَبْيَة**)[1]، الذي يَفْصِل **فَيْفاء** عن (**بني مالك**). ووراء جانبه الآخَر، أي على الحافَّة الأُولى من **جَبَل بني مالك، تجثم** القَريةُ الكبيرةُ (**رَيْدَة**)- وغالبًا ما تُسمَّى (**رَيْدَة العِزَّة**) لتمييزها عن **رَيْدَةٍ** أخرى فيما يلي (**ضَمَد**)[2]- على حين تقع قُرَيَّة (**الجِنِّيَة**)[3] تحتنا على حافَّة

---

[1] (**الخَبْيَة**): وادٍ لا ينقطع ماؤه، يفصل (**فَيْفاء**) عن (**بني مالك**)، جهة (**العِزَّة**)، أي جَنوب شَرق **فَيْفاء**.

[2] [المشهور في (**بني مالك**) رَيْدَتان، الأُولى (**رَيْدَة العِزَّة**)، والثانية تقع شَمالًا منها، وهي أعلى قِمَّة في جبال (**آل خالد**)، قرب (**الشاهِر**). و(**رَيْدَة الشاهِر**) تُشرف على وادي (**ضَمَد**) جَنوبها وشَرقها؛ فلعلَّها المقصودة، ويدلُّ على ذٰلك كلامُه التالي بأنَّ (**الجِنِّيَة**) تقع على حافة (**وادي رَيْدَة**)، وهو المشهور بوادي (**قيار**). (ح.م).] ويبدو هٰذا الاسم «**رَيْدَة**» شائعًا في جَنوب (**الجزيرة العربيَّة**) عمومًا لقُرًى متعدِّدة، منها مثلًا (**قَرية رَيْدَة**)، على مقربةٍ من (**صنعاء**). وكذا في منطقة (**عسير**). وأشهرها (**رَيْدَة تِهامة عسير**).

[3] [(**الجِنِّيَة**): وادٍ، وليست هناك قَرية [باسم «**الجِنِّيَة**»]، بل على ضفَّتَي الوادي مجموعة قُرًى وبيوت. أعلى هٰذا الوادي يأتي من جَبَلَي (**حراز**) و(**روحان**) وينتهي بـ(**الجَشَّاء**)، وينتهي وادي **الجَشَّاء** إلى وادي (**الخَبْيَة**). وهٰذه الأودية المتوسِّطة نِسبيًّا (**الجِنِّيَة، الجَشَّاء، الخَبْيَة**) تمتدُّ من الشَّمال إلى الجَنوب، وتصبُّ في (**ضَمَد**) جَنوبًا. وهٰذه الأودية المتَّصلة هي أقصى غَرب (**بني مالك**). ليس بعدها من الأودية إلَّا وادي (**جُوَّة آل شراحيل**). وهو يلتقي معها في **الخَبْيَة**. (ح.م)].

واديها، مع (**رَوْحان**) على حَرْفٍ خلفها، وقُرًى أخرى **لبني مالك** إلى يمينها، سبقتْ ملاحظتها من (**العَبْسِيَة**). ولرعايتنا، رافَقَنا المسيرَ أميرُ المركز (**عبدالهادي**)، ومعه (**جابر**) شيخ (**وَلَد عَطا**)[1]، حتى وادي (**جَوْرَاء**)، حيث سنتحوَّل إلى ضيافة **بني مالك**. وقد أبدى (**الشيخُ عليٌّ**) رغبته في احتجازنا في **مَرْوَح** لوليمة، لٰكنَّا اعتذرنا بأنَّنا على موعدِ التقاءٍ بشيوخ **بني مالك**. لذٰلك زجَّينا من الوقت في **مَرْوَح** قُرابةَ ساعة، اجتمعنا خلالها مع **الشيخ عليٍّ** في غرفته العُلْوِيَّة، النِّصف مفتوحة[2]، التي منها عَيَّنَ لي المعالم المختلفة للبلاد، مُتَّفِقًا في ذٰلك عمومًا مع تلك المعلومات التي كنتُ قد جمعتها من قِبَل دليلي في **العَبْسِيَة**.

وفيما ضيَّفنا (**الشيخُ عليٌّ**) بالقهوة وبعض المرطِّبات

---

[1] يشير إلى: (**جابر اِمْسالم: جابر بن سالم بن جابر المَشْنَوِي**، -١٤٠٥هـ=١٩٩٥م)، الذي تولَّى مَنصِبَ الشَّيخ في قبيلة (**آل المَشْنِيَة**) في السنة نفسها التي زار فيها (**فِلْبِي**) جبال (**فَيْفاء**)، ١٣٥٥هـ= ١٩٣٦م.

[2] تُسمَّى بلهجة (**فَيْفاء**): «**المِشْرَاح**».

الخفيفة، أخبرني بحكايةٍ غريبةٍ وشُؤْمِيَّةٍ بعض الشَّيء[١]، ربما على أمل أَنَّني قد أكون قادرًا- من خلال اهتمامي بالطُّيور- على تأويلها له. حكى الشيخ أَنَّه ذات يومٍ جميلٍ في (**شَعبان**)، أو قبل ذٰلك بنحو شَهرين، كان يجلس على سريره المصنوع من الحِبال[٢] في غرفته تلك نفسها عندما لاحظ عاليًا جِدًّا في السماء (**نَسْرًا**)- وقد سمَّاه بهٰذا الاسم: «**نَسْر**»، وهي كلمة تُطلَق كذٰلك على (**العُقاب**)[٣]- كان يحوم فوق قلعته. وببُطءٍ جعل **النَّسْرُ** يَنْحَطُّ

[١] لعلَّ الشيخ إنَّما كان يحكي عن رُؤيا مناميَّة.

[٢] يُسمَّى بلهجة (**فَيْفاء**): «**قِعَادَة**».

[٣] (النَّسْر vulture) و(العُقاب eagle): طائران متشابهان، من فصيلةٍ واحدة، متداخلا الدِّلالة لدَى (**العَرَب**) وغيرهم، وقد يُطلَق على كليهما اسم: «**نَسْر**». غير أنَّ **النَّسْر** vulture اسمٌ يُطلَق غالبًا على ذٰلك الجارح الأكبر حجمًا، طويل العُنق، آكل الجِيَف، وهو لا يعيش إلَّا في أعالي القِمم حيث لا يصل الإنسان. على حين أنَّ اسم **عُقاب** eagle يُطلَق على جارحٍ أصغر، صائد. والشيخ يشير حتمًا إلى **النَّسْر** vulture، لا **العُقاب** eagle، فهٰذا الأخير يُسمَّى بلهجة (**فَيْفاء**): «**اِمْصايد**»، أي: الصائد. وكلا الطائرين يلازمان رمزيَّة القُوَّة والحرب لدَى **العَرَب** عمومًا. (انظر: الفَيْفي، عبدالله بن أحمد، **شِعر ابن مُقْبِل**، ١: ٣٧٥- ٣٧٦). وهما بتلك الرمزيَّة في ثقافاتٍ أخرى أيضًا؛ إذ يُتَّخذ **العُقاب** رمزًا لقُوَّة الدولة في عددٍ من الثقافات، كالثقافة الأميركيَّة، التي تشتهر فيها رمزيَّة «**العُقاب الأميركي**». كما رَمَز **النَّسْر** في الميثولوجيا العربيَّة ←

في تحويمات واسعة، حتى وَلَجَ الغرفة وحَطَّ على السرير إلى جانب الشيخ، تعلوه سِيْما الصداقة الوادعة والثِّقة. إلَّا أنَّه لمـَّا صَعَدَ الخَدَمُ[1] استجابةً لنداء الشيخ لرؤية ما كان يحدث، جعل ذٰلك الطائر الضخم يتَّخذ موقفًا عدوانيًّا وحال دون اقترابهم. وفي النهاية، وبمحاولاتٍ أخرى، استطاعوا حمل الطائر على الابتعاد عن السرير جهةَ الشُّرفة المفتوحة، فطار من هناك، بعد فترة، مستمرًّا في دورانه وتحويمه على البيت، حتى غاب عن الأنظار. ولم يُعاود الظهور مرَّة أخرى. لقد كانت حادثةً

لآلهة (**الشمس**)، على واجهة المقابر بـ(**مدائن صالح**)، وهو يمثِّل المعبود النبطيَّ (**ذا الشَّرَى**). (انظر: الأنصاري، عبدالرحمٰن الطيب، **مواقع أثريَّة وصُوَر من حضارات العرب في المملكة العربيَّة السُّعوديَّة**، ٢٤، وموسكاتي، سبتينو، **الحضارات الساميَّة القديمة**، ٢٥٦). وأغلب الظنِّ أنَّ **العُقاب والنَّسْر**، بوصفهما معبودَين، هما المشار إليهما في الآية القرآنيَّة: بـ«**يعوق ونَسْر**»، (سورة نوح، الآية ٢٣). وكانا كذٰلك من المعبودات اليَمَنيَّة العتيقة. (انظر: الفَيْفي، عبدالله بن أحمد، **مفاتيح القصيدة الجاهليَّة**، ١٩٠- ١٩١). لذٰلك كلِّه لا غرابة أن يرتبط **النَّسْر** في مِـخيال الشعوب، طبيعيًّا ورمزيًّا، بأحلام القُوَّة وغموض المجهول.

[1] لعلَّه يقصد: أهل بيته.

غريبةً، ولدَى مؤمنين بالخُرافات يمكن فقط أن تكون لها دِلالةٌ على أمرٍ واحد. ولٰكن، لمـَّا لم أَكُن مؤمنًا بالخُرافات، وكنتُ أرى هٰذا الرجل العجوز ما يزال حيًّا يُرزق وفي صحَّةٍ ممتازةٍ على ما يبدو؛ فقد كان بوسعي أنْ أُجيب بأنَّ تلك الحادثة إنَّما كانت في رأيي مجرَّد حادثةٍ غريبةٍ وبدون أيِّ معنى[1].



[1] أي أنَّ حكاية (النَّسْر) تلك يمكن تأويلها- عند مَن يؤمن بالخُرافات- على أنَّها إيذانًا بدُنوِّ أجل الشيخ.

٣- إلى (بني مالك)[١(*٧)]:

أخذنا الإذن من (**الشيخ عليٍّ**)، وانطلقنا مباشرةً قُبيل الظُّهر نازلين المسارَ المتعرِّجَ الحادَّ الانحدار، المحفوفَ على مسافاتٍ منه بـ(**الصبَّار (الكَرَاث)**)[٢]، ببراعمه الباهتة ذات اللون البُنِّيِّ المُشْرَب حُمرة، والمليئة بمادَّة حليبيَّة من نوعيَّةٍ

---

[١] (**بنو مالك**) هٰؤلاء خَوْلانِيُّون، وهم أبناء عمٍّ أهالي (**فَيْفاء**)؛ لأنَّ (**مالك بن أحمد**) جدَّهم هو أخو (**عُبَيْد بن أحمد**)، و(**عَطاء بن أحمد**)، جَدَّي الفرعَين الرئيسَين في **فَيْفاء**. وهناك قبائل أخرى بكُنية «**بني مالك**» من أصول مختلفة، كـ(**بني مالك**) في (**عسير**)، و(**بني مالك**) جَنوب (**الطائف**). (وانظر لمزيد تفصيل: مقدّمة الترجمة، و«التعليقات»، نهاية الترجمة: (*٧)).

[٢] Karath. وهو نوعٌ من الصبَّاريَّات. مفرده: (**كَرَاثَة**). وينطقونه بقلب الكاف صوتًا بين الشين والجيم. ذكر (أبو حنيفة، ٢٤٨- ٢٤٩) أنَّه شجرةٌ جَبَليَّة، لها خِطْرةٌ ناعمةٌ لَيِّنَة. ونَسب إليه (ابن منظور، (كرث)) قوله أيضًا: إنَّه «**إذا فُدِغَتْ خِطْرتُه هُرِيقَتْ لَبَنًا، والناسُ يَسْتَمْشُون بلَبَنِها. ويُؤْتَى بالمَجْذُوم حتى يُتَوَسَّطَ به مَنْبِتُ الكَرَاثِ، فيُقيم فيه، ويُخْلَط له بطعامه وشرابه، فلا يَلْبَثُ أَن يَبْرَأَ من جُذامِه، وتَذْهبَ قوَّتُه، يعني قُوَّةَ الجُذام. قال: وقال (الأَزْدِيُّ): لا أَعرفه ينبت إِلَّا بذي كَشاءٍ؛ قال: ويزعمون أَنَّ جِنِّـيَّـةً قالت من أَراد الشفاء من كلِّ داء فعليه بنباتِ البُرْقة من ذاتِ كَشَاء.**» و(**الكَرَاث**) كثيرٌ جِدًّا في جبال (**فَيْفاء**). ولا يُعَدُّ شجرةً، كما ذكر (**أبو حنيفة**)، بل بَقْلةً؛ لأَنَّه ليس من ذوات السُّوق، وإنْ كان يطول. للتفريق بين معنى «شجرة» و«بَقْلَة»، (انظر: ابن منظور، (بقل)).

مهيِّجة. أمَّا الأزهار، فذات سُمعةٍ حسنة؛ لما تمنحه من نكهةٍ خاصَّةٍ لطيفةٍ لعسل (**فَيْفاء**). ثمَّ وصلنا- على مسافة نحو ٨٠٠ قَدَمٍ تحت (**مَرْوَح**)[١]- إلى قَرية (**الغالَّة**) ومدرَّجاتها الزراعيَّة، حيث كان هناك كَمٌّ كبيرٌ من مَزارع (**البُنِّ**) والعديد من آجام (**الموز**). وبقارعة الطريق على إحدى المدرَّجات الزراعيَّة انتصبتْ صخرةٌ لافتةٌ للنظر جِدًّا، وهي لافتةٌ للنظر بما فيه الكفاية- في الحقيقة- حتى إنَّها لتحمل اسمًا خاصًّا بها: (**قَمْع اشْفَيَّان**)[٢]. كانت بلا شكٍّ قد سقطتْ من الأعلى في عصرٍ مضى، ولربما قد كانت محلَّ تقديسٍ في الحِقَب الوثنيَّة، لٰكن القرويِّين لم يَبْدُ أنَّ لديهم أيَّ

---

[١] في (العبيكان، ٢: ٩٣٥): «**المروة**»!

[٢] كذا ساق (**فِلْبِي**) الاسم: Jam‘ al Shufaiyan، والمعروف في (**فَيْفاء**): «**قَمْع اشْفَيَّان**». فخَلَطَ بين صوتَي القاف والجيم. والقَمْع: الصخرة العظيمة، وكذا معنى الكلمة في لهجة (**بني مُنَبِّه**)، في (**اليَمَن**). ويقع (**قَمْع اشْفَيَّان**) في (**بُقْعَة الأشراف**)، شَمال شَرق الجَبَل الأعلى، وهو على يسار طريق السيَّارة نُزولًا، ولَمَّا افتُتِح طريق السيَّارة طُمِرَتْ تلك الصخرة.

مُعتقَدٍ حيالها[١]. وقد أَوصَلَنا هبوطُنا المتعرِّجُ لأكثر من ١٠٠٠ قَدَمٍ إلى وادي (**المقَطَّر**)[٢]، الذي ينحدر من المنحدَر الخارجيِّ **لفَيْفاء** صَوْبَ قناة (**الجُوَّة**)، أسفل منَّا على اليسار. وقد لحظتُ في جوانب [الوادي] الصخريَّة أحجارًا عديدةً على شَبَهٍ قويٍّ بـ(**أحجار القَمَر**)[٣]، غير أنَّه لا يبدو أنَّ هناك أيَّ متاجرةٍ تهريبيَّةٍ بشِبْه الأحجار الكريمة في هٰذه المناطق كما هو الحال في (**اليَمَن**).

سالكِين الوادي نُزولًا، وصلنا إلى منحدرٍ صخريٍّ

---

[١] لكلِّ موضعٍ أو منزلٍ- وربما صخرة أو شجرة- اسم خاصٌّ في جبال (**فَيْفاء**)؛ فأسلافنا فيما يبدو مهووسون بالتسمية. ولا بُدَّ أنَّها تكمن وراء تلك الأسماء حكاياتٌ ما، أو حتى أساطير، وإنْ لم تكن- بالضرورة- اعتقادات دِينيَّة، كما يُخيَّل إلى العقليَّة الاستشراقيَّة وراء كلِّ شيء. على أنَّها كانت لـ(**قَمْع اشْفَيَّان**) شهرةٌ قديمة، ويُذكر أنَّه كان على الصخرة تلك أثر، يُشبه أثر سَير قَدَم، ينسبه بعض العوامُّ إلى (**النبي سليمان**).

[٢] Miqtar. ويُنطق معرَّفًا: «**اِمّقَطَّر/ المقَطَّر**». ولعلَّ صوابه: (**المُقَطَّر**). يقع في سهل (**آل شراحيل**).

[٣] Moonstone: (**حجَر القَمَر**)، وهو شَفَّافٌ لُؤلُؤيُّ البريق، تُتَّخذ منه الحُلِيّ. (انظر: البعلبكي).

معترضٍ بطحاء الوادي البالغة خمسين ياردة، مع بعض أحواضٍ مائيَّةٍ ممتلئةٍ حتى قُرب الحوافّ. متحاشِين هٰذا العائق، بلغنا إلى بُرجَين توأمَين من قَريةٍ صغيرةٍ جِدًّا، تُدعَى (**حَبِيْل الرُّزَم**)[١]، في ملتقَى (**المقَطَّر**) مع (**الجُوَّة**). لقد صِرنا الآن على نحو ٢٧٠٠ قَدَمٍ أسفل قِمَّة جبال (**فَيْفاء**)، وامتداد الأرض قد صار من السهولة بمكانٍ على سَير الجِمال، التي وجدناها تنتظرنا- كما لو كان بأُعجوبة- في الموعد المحدَّد. وبَعد دَفْعِ أُجرة الحمَّالين من **فَيْفاء**، ركبنا [الجِمال] منحدرِين بوادي **الجُوَّة** إلى مُلتقاه مع (**باتع**)[٢]، والآتي كذٰلك من منحدرات **فَيْفاء**، جهةَ الجَنوب القصوَى.

---

[١] Habil al Razm. كذا، بما يُقرأ على أنَّه «**الرَّزْم**»، وصوابه: (**حَبِيْل الرُّزَم/ امْرُزَم**)، جمع رُزْمَة، وهي العَلامة من علامات الحُدود، وغالبًا ما تكون كُومةً من الحجارة. وهناك أماكن عِدَّةٌ تُضاف إلى «**الرُّزَم**». و**حَبِيْل الرُّزَم** في جَبَل (**آل شراحيل**)، أسفل مكانٍ يُسمَّى (**نَيْد الصَّدْر/ امْستَدر**)، نزولًا إلى (**الجُوَّة**).

[٢] Bata.

وقد أصبح مجرَى الوادي المشترك الآن هو (**المَيْثَة**)[١]، الذي يتَّجه شَرقًا بعض الشيء من الجهة الشَّماليَّة، حتى إذا وصل مَصَبَّ وادي (**حزمران**)[٢] انثنَى بحِدَّةٍ آخِذًا دَورته إلى الجَنوب الشَّرقي في طريقه للالتقاء بمجرَى وادي (**الفَرْع**). وبدءًا من هٰذه النقطة، فإن خطَّ (**حزمران-المَيْثَة**) يُشكِّل الحَدَّ الفاصل بين **فَيْفاء** وبلاد (**بني مالك**)، وحُدود (**فَيْفاء-بني مالك**) تمتدُّ شَمالًا غَربًا من أعلى **حزمران** قليلًا حتى حافَّة (**الكُرْمَة**)[٣]، التي تمتدُّ إلى ثنيَّةٍ تشكِّل رأس (**شَعِيْب الكُرْمة**). ثمَّ هبطنا إلى بلاد **بني مالك**، بين منحدراتٍ وَعِرَةٍ من (**الصخر المُتبَلِّر**)، فألفينا مجرَى الوادي[٤] المُدْغِل مكتظًّا

---

[١] Maitha. يُنطق معرَّفًا: «**امَّيْثَة/ المَيْثَة**». شَرق (**فَيْفاء**)، في سهل جَبَل (**آل شراحيل**).

[٢] Hazmaran. كذا أوردَ اسمه. وقد يُسمَّى (**حُزَيْمران**)، وهو وادٍ شَرق (**فَيْفاء**)، في سهل جَبَل (**آل شراحيل**).

[٣] Kurma. وينطق الاسم، بلهجة المنطقة، مقلوبَ الكاف صوتًا شبيهًا بالجيم: «**اِمْجُـرْمَة**». يقع من (**فَيْفاء**) شَرقًا. من مآتي وادي (**جَوْرَاء**).

[٤] يقصد وادي (**الكُرْمَة**).

برُعاة **بني مالك**، مع قطعان كثيرةٍ من (**المَعْز**). وفي قاع الوادي المذكور كان المَأْتَى المائيُّ القادمُ من (**فَقْوَة حَمَاحِمَة**)[1] يضخُّ ماءه بارتفاع قَدَمَين في بِرْكَةٍ متقنةِ الإنشاء، في بناءٍ قُطْره ثلاثون بوصة. وبالقُرب من المكان تناثرت خرائبُ من مبنَى حِصْنٍ، يُدعَى (**امْعكِيدة**)[2]، على سِلسلة إكامٍ

---

[1] في الأصل: Hizwa Hamahima. [وهناك بئرٌ مشهورة، يسمِّيها الأهالي: (**فَقْوَة حماحمة**)، ولا أعرف معنى «**حزوة**» هٰذه التي وردت في كلام (**فِلْبِي**)، ولا من أين أتت؟ هل هي لهجة قديمة لـ(**بني مالك**)، أم من تعبيره؟ وموضع **فَقْوَة حماحمة** اليوم يقع تحت أوَّل جسرٍ على طريق الذاهب من (**الداير**) إلى (**فَيْفاء**)، إلى الشَّرق قليلًا. (ح.م)]. وفي (العبيكان، ٢: ٩٣٦): «**خطوة حماحمة**». وذَكَرَ (**المالكي**) أنَّه لا يستبعد أنَّ (**ثنيَّة ضرفات**) تُدعَى: «**خُطوة حماحمة**». ثمَّ أعلمني في وقتٍ لاحقٍ أنَّه استفسر من رجلٍ في الستِّين، عاش كلَّ حياته في (**حماحمة**)، فقال: إنَّه «**لم يسمع بخُطوة حماحمة**». غير أنَّ ما ذَكَرَه **فِلْبِي**- على كلِّ حال-: «**حِزوة Hizwa**»، لا «**خُطوة**». ولعلَّ الكلمة تطبيعٌ لـ Fagwa، أي «**فَقْوَة**». وهو ما رجَّحناه. والفَقْوَة: في لهجة **فيفاء وبني مالك**: بئرٌ صغيرةٌ عمومًا، قد تُضاف إلى اسم مكانها.

[2] Ma‘kida. وصِحَّة الاسم: «**اِمْعكِيدة**». و«**امـ**» في بداية الاسم هي (الـ التعريف)، أي: (**العكيدة**). ويُلحَظ أنَّ (ترجمة العبيكان، م.ن) تورد الاسم مرَّةً «**أمعكيدة**»، وأخرى «**أمعكدة**».

منخفضةٍ خلْف وادي (**فَحْجَلَة**)[١]، الذي يمتدُّ الحَدُّ العشائريُّ من أعلاه. ويقع حِصْن **امْعكِيدة** على الجانب المالكيِّ من خطِّ الحُدود بين **فَيْفاء** و**بني مالك**. ومن هنا يجري وادي **الكُرْمة** شَمالًا غَربًا ليلتقي بوادي (**جَوْرَاء**)، على حين دُرْنا نحن في مسيرنا جهة الشَّمال، مُصْعِدين وادي (**رَفَات**)[٢](*٨)، متَّجهين إلى ثَنِيَّةٍ بين منحدراتٍ متجهِّمة، ينحدر منها- وبشكلٍ حادٍّ- وادٍ آخَر، يحمل الاسم نفسه، حتى يصل وادي **جَوْرَاء**، الماثل للعَيَان الآن غير بعيدٍ جهة الشَّمال.

بعدئذٍ بعشر دقائق، وقبل وصولنا الواديَ الرئيسَ مباشرةً، قُوبلنا بزُمرةٍ صغيرةٍ من حرس الشَّرَف من أهالي

---

[١] Fa‘jala. وفي (العبيكان، م.ن): «**معجلة**». وصحَّة الاسم، كما أفادني (المالكي): «**فَحْجَلَة**».

[٢] Rafath. هو شِعْبٌ صغير، في شَرقيِّ (**فَيْفاء**)، من مآتي وادي (**جَوْرَاء**). يُطلِق عليه أهالي **فَيْفاء**: «**رَفاث**»، أو «**رَفات**»، و(**بنو مالك**) يسمُّونه: «**ضَرَفَات**»، أو «**ذَرَفَات**». (وانظر تفصيلًا حول هٰذا في «التعليقات»، نهاية الترجمة: (*٨)).

(بني مالك)، حيَّتنا بطلقةٍ وحيدةٍ من بندقيَّةٍ من نوع **(المَسْكيت)**. وفيما كنتُ أمشي عُرِض عليَّ جَمَلٌ للركوب إلى المخيَّم، فأبيتُ الركوب شاكرًا، بما أنَّ المسافة لم تَعُد طويلة. وفي خلال عشر دقائق أخرى وصلنا مجرَى وادي **(جَوْرَاء)**، لنجد الأمير، وعِدَّة شيوخٍ محليِّين، ومعهم ١٠٠ رجلٍ على الأقل ينتظرون لاستقبالنا بنوعٍ من الاحتفاليَّة الترحيبيَّة الحماسيَّة حسب الأعراف المتَّبَعَة.[١] كنَّا هنا على رأس وادي **جَوْرَاء** بالضبط[٢]، ويلتقي الآن وادي **(عَرَقِي)** الضيِّق- وقد

---

[١] العبارة الأخيرة «**بنوعٍ من الاحتفاليَّة الترحيبيَّة الحماسيَّة حسب الأعراف المتَّبَعَة**» محذوفة من ترجمة (العبيكان، م.ن)! وقد جاءت لدَى **(فِلْبِي)** باللغة الفرنسيَّة: «**feu de joie**».

[٢] [إذا كان يقصد برأس **(جَوْرَاء)** أوَّل الوادي، فهٰذا خطأ، فوادي **جَوْرَاء** المارُّ بـ**(الداير)** ليس رأسَ الوادي، فما زال هناك عِدَّة كيلومترات من أوَّل الوادي إلى **الداير**. و**(طِيَة)** تصبُّ من نواحي جَبَل **(الحَشَر)** غَربًا، فيما **(عَرَقِي)** أحد روافد **جَوْرَاء** التي بدورها تلتقي مع **طِيَة** غَربًا. ولا يلتقي **(أَهْرَاء)** مع **عَرَقِي** إلَّا في **الداير**. و**أَهْرَاء** له روافد كثيرةٌ منها ما ذَكَرَه ومنها روافد أخرى أهمُّ تأتي من جبال **(آل سَلْمَة/ سَلْمَى)** الجَنوبيَّة وجَبَل **(آل قُطَيْل)** وجبال **(آل سعيد)** وجزء من جَبَل **(آل عليّ)**: **(طلَّان)** وغيرها. (ح.م)]. هٰذا ما علَّق به **(المالكي)**. وهٰذه هي عبارة **(فِلْبِي)** المترجَمة:

←

صار مستوعِبًا شِعْبَ (**طِيَة**)- مع شِعْب (**أَهْرَاء**)[١] الآتي من سِلسلة الإكام المنخفضة حول (**خاشِر**).



في (**وادي جَوْرَاء**) مع رجال قبيلة (**بني مالك**).

(تصوير فِلْبي)

وبعد شكليَّات الاستقبال الرسميِّ صَوَّرْتُ المنظر

«**We were here practically at the head of Wadi Jaura, the ʻAraqi ravine, having already absorbed Tiʻ, being now joined by Shaʻib Ahra from the low ridges about Khashir.**» (Philby, 501).

وقد تُرجِمت في (العبيكان، ٢: ٩٣٧) ترجمةً مُلْبِسة، جاء فيها: «**لقد كنا هنا بالفعل عند رأس وادي جورا الذي اتبع مسيل عَرَقِين ومسيل طية ليتصل مع شِعْب اهراين عند السلاسل السفلى حول خَاشْرٍ!**»

[١] كذا ذَكَرَ الاسم «**أهرا Ahra**»، واسمه: (**أَهْرَايٍ**)، بلهجة الأهالي، ولعلَّ أصل الاسم (**أَهْرَاء**).

المثير جِدًّا لحَشْد شيوخ القبيلة ورجالاتها؛ ثمَّ حَطَطْنا الرِّحال في المخيَّم ببطن الوادي. كنَّا هنا على ارتفاع زُهاء ٢٣٠٠ قَدَمٍ فوق مستوى البحر، وعلى ارتفاع ١٠٠٠ قَدَمٍ تقريبًا فوق سُوق (**عَيْبان**)، وهو المكان الذي كُنَّا [من قَبل] قد صعدنا منه، بعيدًا عن وادي (**جَوْرَاء**)، لزيارة (**فَيْفاء**).

كان موقع إمارة (**بني مالك**) في ناحية قَرية (**القَهَبَة**) في السُّفوح من سِلسلة الآكام الرئيسة، ومِن هناك نَزَلَ لمقابلتنا (**عبدالله بن شَرْقَة**)، الأمير والممثِّل الحكومي. كان شابًّا نشيطًا، طيِّبًا، مع ميلٍ ظاهرٍ إلى الحماس الدِّيني. لقد كان، بالأصحِّ، يَعُدُّ نفسه مُرْسَلًا في ضوء دعوةٍ دِينيَّة بين هٰؤلاء الوثنيِّين، ليُخرجهم إلى طريق الهُدَى[١]. إلَّا أنَّه في هٰذا المجال كان في موقعٍ أسعد من

---

[١] [الواقع أن ليست هناك «**وثنيَّة**»، وإنَّما مجرد اختلافٍ مذهبيٍّ (= المذهب الزيديّ)، فإنْ صحَّ أنَّ هٰذا هو رأي (**ابن شرقة**)، فمن المستبعد أن يكون رأي الدولة، وإنْ كان رأي الدولة، فمن المستبعد أن يكون حُكم الإسلام، ومَن قال لأخيه: «**يا كافر**»، فقد باء بها أحدهما. نعم، كانت هناك ممارساتٌ خاطئة، لا يخلو منها زمانٌ ولا مكان. (ح.م).]

نظيره بـ(**فَيْفاء**)، حيث كانت المساجد نادرةً أو غيرَ بارزةٍ، ربما بسبب الترتيب المتناثر للمساكن وغياب الحياة العموميَّة بأيِّ مقياسٍ يُعْتَدُّ به[١(*٩)]. وكانت ديار **بني مالك**، على أَيَّة حال، منظَّمةً بشكلٍ مختلفٍ تمامًا، وذٰلك في قُرًى واسعةٍ وقُرًى صغيرةٍ ليس فيها إلَّا قصورٌ معزولٌ بعضها عن بعض هنا وهناك. وكان المبنى الأبرز في كلِّ قَريةٍ كَبُرَتْ أو صَغُرَتْ هو المسجد، الذي يُلِحُّ التقليدُ المحلِّيُّ على ضرورة طِلائه باللون الأبيض كلَّ سنةٍ قبل

---

١ هٰذه المقارنة فيها جهل بالمنطقة وثقافتها. فالتعليم الدِّيني في (**فَيْفاء**)- والمتَّصِل بـ(**اليَمَن**)، ولاسيما في (**ضَحْيان**) و(**صَعْدَة**)- كان أقدم وأسبق منه في (**بني مالك**). وقد عُرِف في **فَيْفاء** الدُّعاة والقُضاة وبعض المدارس الدِّينيَّة منذ وقتٍ مبكِّر، حتى لقد حلَّت في **فَيْفاء** طوائف من أولئك المعلِّمين المُسْتَدْعَين من **اليَمَن** للتعليم في **فَيْفاء**، ليشكِّلوا فيما بعد عشائر بكاملها، ومنها قبيلة (**الأشراف**) اليوم. لا بل كانت إقامة الحُدود الشَّرعيَّة في **فَيْفاء** معروفةً في بعض الحِقَب. وإنْ كان ذٰلك لا يُقارَن- بطبيعة الحال- بما حَدَثَ بعد العهد السُّعودي. أمَّا قِلَّة المساجد، فمن الواضح أنَّ (**فِلْبِي**) لم يُكلِّف نفسه التعريج عليها أصلًا إبَّان زيارته **فَيْفاء**، بل لم يُغادر (**العَبْسِيَة**)، في قُنَّة الجَبَل، منذ حَطَّ هناك رِحاله، اللهمَّ إلَّا إلى الإمارة لتناول الطعام، أو إلى منزل شيخ الشَّمْل، عند مغادرة **فَيْفاء**. (انظر تفصيلًا حول هٰذا في «التعليقات»، نهاية الترجمة، (*٩)).

بداية شهر رمضان. ومِن وجهة نظري، فإن وجود مساجد القُرَى تلك كانت نتيجتُه- ولأغراض المسح الميداني للمنطقة- جَعْلَ معالمِ المكانِ ممتازةً ولا تُخطئها العَين. وهٰكذا، وبالرغم من أنَّ عموم الممارسات الدِّينيَّة **لبني مالك** مطبوعةٌ بطابع المذهب **الزيديِّ** كما هي الحال في **فَيْفاء**[1]، فإنَّه يُلحَظ إلحاحٌ أعظم هنا على المحافظة الدِّينيَّة أو التشجيع عليها.

فيما خلا هٰذا، بدا **(بنو مالك)** أفضل تسليحًا من جيرانهم، وكان كلُّ رَجُلٍ منهم يحمل دائمًا أحد أنواع البندقيَّات. إلى حَدِّ أَنَّه عندما جلسنا تلك الليلة حول صينيَّة العَشاء، على وجبة طعامٍ ممتازةٍ مكوَّنةٍ من جَدْيٍ مسلوقٍ مع الخُبز المحلِّيِّ، كان الشيوخ

---

[1] الحقُّ أنَّه كان في (**فَيْفاء**) إذْ ذاك الشافعيَّة، أتباع (**المذهب الشافعيِّ**)، إلى جانب (**الزيديِّين**)، أتباع (**المذهب الزيديِّ**)، المتأثِّرين مذهبيًّا بمعلِّميهم من أهل (**ضَحْيان**) و(**صَعْدَة**). ولقد أشار (**فِلْبِي**) بنفسه إلى ذٰلك من قبل، حيث قال: «**وطِبْقًا للتصنيف العَقَدِيِّ المحلِّيِّ فإنَّ هٰؤلاء النَّاس [أهل فَيْفاء] ينتمون إلى المذهب السُّنِّيِّ الشافعيِّ، إلَّا أنَّ (الأمير عبدالهادي)- الذي كان بالمناسبة شخصًا مُتزمِّتًا إلى حَدٍّ ما في المسائل الدِّينيَّة- كان يرفض هٰذا الرأي وينعتهم بأنَّهم «زيديُّون» (شِيعة)؛ وذٰلك على أساس ممارساتهم الدِّينيَّة...**».

الرئيسيِّين- الذين كانوا قد دُعُوا للالتحاق بنا، وقد أثبتوا أنَّهم أكولون جديرون بالإعجاب[١]- كلُّ فَرْدٍ منهم جالسًا ببندقيَّته على منعطف ذِراعه الأيسر، فيما هو يتناول طعامه إلى فِيْهِ بيده اليُمنَى. لقد جعل ذٰلك الصورةَ صارخةً أمامي، ولٰكن، عندما أبديتُ اعتراضي على هٰذا في أثناء المحادثة بيننا، ذاهبًا إلى أنَّه لم يكن جِدَّ ضروريٍّ جَلْبُ أسلحتهم إلى مائدة العَشاء، تدخَّل (**عبدالله بن شَرْقَة**) للدِّفاع عن تلك العادة المحلِّيَّة. إنَّ أسلحتهم- كما أوضح- هي زِينتُهم. ولربما كاد يقول إنَّ الأسلحة كانت لباسهم؛ ذٰلك أنَّه- بالرغم من أنَّ الرجال الرئيسيِّين، ولاسيما في مثل تلك المناسبة المُهمَّة، كانوا يلبسون ثيابًا أو معاطف مفتوحة قصيرة على أجسامهم إضافةً إلى أُزرهم[٢]- فإن أتباعهم كانوا لا

[١] جاءت ترجمة (العبيكان، ٢: ٩٣٨) هاهنا: «**كان كل واحد... قد برهن أنه رجل خندق ممتاز**»! في مقابل: «**admirable trencher-men**». وهي لا تعدو ترجمةً آليَّةً «قوقليَّة».

[٢] تُرجمت «**الأُزُر**» (loin-cloths) في (العبيكان، م.ن) بـ«**الخرقة التي تغطي العورة**»!

يرتدون شيئًا بتاتًا سِوى بنادق وأُزُر، مع أحزمة الرَّصاص[1] حول خصورهم، محيطةً بالأُزُر[2].



(يحمْ شَريف) من (بني مالك) في مخيَّم (جَوْرَاء).

(تصوير فِلْبي)

ثمَّ بعد العَشاء دعوتُ الشيوخ للمجيء والاستماع

---

[1] التسمية الدارجة في المنطقة لأحزمة الرَّصاص: «**المسابت**»، جمع «**مِسْبَت**».

[2] كلام (**فِلْبِي**) هنا، منذ قوله: «**ولربما كاد يقول إنَّ الأسلحة كانت لباسهم...**»، مبنيٌّ على محاولته فهم ما قصده الأمير من أنَّ «**أسلحتهم زِينتهم**»: **Zina or decoration»**. لٰكن ما ذهب إليه من تأويلٍ هنا لا تقتضيه بالضرورة كلمة «**زِينة**» في اللغة العربيَّة، أو في كلام الأمير، فقد تعني «**الزِّينة**» الثِّياب- كما وردَ في تفسير الآية: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ**﴾، (سورة الأعراف، الآية ٣١)- أو غير الثِّياب ممَّا يَتزيَّن به الإنسان. وواضح أنَّ الأمير إنَّما قَصَد المعنى الأخير.

إلى المذياع، وقد جَلَبُوا كُلَّ حاشيتهم معهم. لقد كان منظرًا رائعًا، لهٰؤلاء المئة أو زُهاء المئة رجل، عُراة كلُّهم تقريبًا[١]، يربضون متحلِّقين في دائرةٍ واسعةٍ بأسلحتهم المسندة إلى أكتافهم العارية في انبهارٍ فائقٍ من مصباح الضغط الخاصِّ بي.[٢] إنَّ سياسة الحكومة في هٰذه البلاد المرتفعة صحيحة تمامًا، بحيث لا تتدخَّل في شؤون الناس إلَّا في أضيق الحُدود الممكنة[٣]، بما يضمن فقط أن يحافظوا على السلام فيما

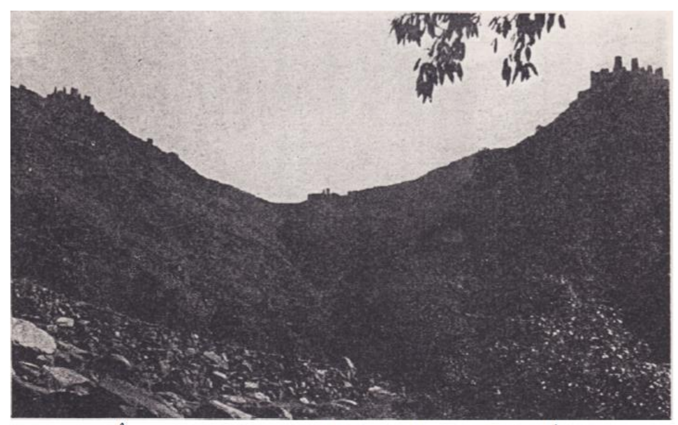
[١] لا تعني صفة «**عُراة**» Naked، التي استعملها (**فِلْبِي**)، كَشْفَ العَورة، بالمعنى الشَّرعي للكلمة، ولٰكن قِلَّة الملبوس على الجسم. ولقد صَوَّرَ **فِلْبِي** القومَ في كتابه صورًا فوتوغرافيَّة، ولم يكونوا عُراةً بذٰلك المعنى. وإذا كانت قد تغيَّرت الحال اليوم في مناطق الجَنوب، وتغيَّرت تقاليد اللِّباس، فما يزال في عموم تِهامة الجَنوب- مثلًا- مَن لا يحفلون بستر أجسادهم بالثِّياب، كما لا يسايرون المجتمع في أزيائه النمطيَّة المستحدثة، لا عن فقرٍ، وإنَّما صار ذٰلك جزءًا من ثقافتهم وتقاليد اللِّباس لديهم، ولاسيما في المناطق الحارَّة. وما ذٰلك بأغرب- على كلِّ حال- ممَّا يشاهده المرء في المجتمعات الغَربيَّة، من تخفُّفٍ من الثِّياب.

[٢] تُرجِم كلام المؤلِّف هٰذا في (العبيكان، ٢: ٩٣٩) على أنَّه يقول: إنَّه كان لأسلحتهم «**لمعان باهر في ضوء مصباحي**»!

[٣] لم تَرِد هٰذه العبارة الأخيرة في ترجمة (العبيكان، م.ن): «**إلَّا في أضيق الحدود الممكنة**»!

بينهم. لذا، فقد واصل الناس حياتهم بما فيها من ضغائن تقليديَّة غير ممسوسةٍ بتدخُّل، وكما رأيتُ بأُمِّ عَيني أثناء هٰذه الأيام، فإنَّ عِلْيَة القوم من كبار المتنفِّذين[١] ذَوِيْ القِلاع في هٰذا المرتفع من الأرض كانوا يطوِّفون حول البلاد بحَشَمِهم الكُثْر من الرجال المسلَّحين لمجرَّد أنَّه كان من حقِّهم أن يفعلوا هٰذا، وقد ظلَّ دائمًا كذٰلك. الفرق الوحيد كان أنَّهم الآن لم يعودوا يهاجِمون بعضهم بعضًا جهارًا، ولٰكن، إذا كانت لديهم شكاوًى ما لبثِّها، فإنَّهم يأتون بشأنها إلى ممثِّل الحكومة. إنَّ المرء ليُمكنه أنْ يتخيَّل بسهولةٍ أنَّ طريقة حياة هٰؤلاء الناس لا تختلف إلَّا قليلًا عن تلك الحياة لدَى **(العشائر الأُسكتلنديَّة)** قديمًا.

[١] جاءت ترجمة (العبيكان، م.ن) هٰكذا: «**وقد حافظوا على تقاليدهم العدوانية دون تغيير، وكما قد لاحظت بنفسي، خلال هٰذه الأيام، فإن العدائية الزعامية لقلاع هٰذه المرتفعات ينتقلون...**»! وقد استخدم المؤلِّف هاهنا عبارتَي «**feudal life**» و«**feudal barons**». وهما تتعلَّقان في بعض معانيهما بـ«**الإقطاعيَّة**». غير أنَّه لم يكن هناك نظامٌ إقطاعيٌّ في تلك المنطقة. فلعلَّه إنَّما يعني ما أشرنا إليه.



مَنْظَر لقُرَى (القَهَبَة) و(الحَقْو) و(الخَطْم Khatm) من لدَى (حَيْد الحُمَر).

(تصوير فِلْبِي)

وينقسم (بنو مالك)[١]- وهم فرعٌ من (خَوْلان)، مع أنَّهم لم يَعُدُّوا أنفسَهم جزءًا من اليَهَانِيَة[٢]- إلى ثلاث عشائر رئيسة:

العشيرة الكُبرى هي: (آل كَثِيْر)[٣]، الذين تحتلُّ منازلُهم قِمَمَ السِّلسلة الجَبَلِيَّة الرئيسة، وتنقسم إلى أربعة أقسام[٤]:

---

[١] نصُّ المؤلِّف: «قبيلة بني مالك». لٰكنَّ (بني مالك) قبائل لا قبيلة واحدة.

[٢] [بلى، يَعُدُّون أنفسَهم من (اليَهَانِيَة)، لا أعلم في ذٰلك خلافًا، وأناشيد الختان القديمة شاهدةٌ على ذٰلك. (ح.م).]

[٣] هٰكذا أثبتَ (فِلْبِي) الكلمة: Ahl Kathir، والصحيح: (آل كَثِيْر).

[٤] الواقع أنَّ (بني مالك) ينقسمون إلى فرعَين رئيسَين، وليس- كما ذكر (فِلْبِي) هاهنا- إلى فروع. فبنو مالك قسمان: (آل امُّغامر/ المُغامر)، و(آل كَثِيْر).
←

١) **(العَلِيْلي)**[١]، تحت إدارة **(الشيخ جابر)**[٢]، الذي تبرز قلعته السَّكَنِيَّة بشكلٍ واضحٍ على القِمَّة المسمَّاة **(طَلَّان)**، والمأهولة بالقُرَى التابعة لهٰذا القِسم من **(بني مالك)**[٣].

٢) **(أهل حَبْس)**، تحت إدارة **(الشيخ فرحان بن داهمة)**، وتحتلُّ عشيرتُهم قِممَ **(الرُّمَيْح)**.[٤]

ومن **آل امُّغامر**– وهٰذه كُنيةٌ قَبَليَّةٌ لِقسم مالكيٍّ نظيرةٌ لكُنية «**آل امُّغامر**» في **(فَيْفاء)**–: **(آل خالد)**، و**(آل سعيد)**، و**(أهل امْعِزَّة/ العِزَّة)**. ومن **آل كَثِيْر**: **(آل علي)**، و**(آل يَعْلَى)**، و**(بني رايم)**. ومن **آل يَعْلَى**: **(أهل حَبْس)**، و**(آل سَلْمَى)**، ومن **بني رايم**: **(آل يحيَى)**، و**(آل زيدان)**، و**(آل امْنخيف/ النخيف)**.

[١] كذا، والصواب: **(آل علي)**. أمَّا **(العَلِيْلي)**، فنِسبة الشخص إلى **آل علي**، بلهجة أهل المنطقة، والجمع: **عَلاليَة**.

[٢] هو: **(جابر بن عليّ العَليلي)**، المشهور بـ**(جابر بن ناجعة)**، أو **(جابر امْناجعة)**.

[٣] [وأشهر أماكنهم **(طلَّان)**، بل هو أشهر معالم **(بني مالك)**. ويمتدُّون من وادي **(دَفَا)** شَرقًا وشَمالًا إلى **(القِرحان)** وصدر **(جَوْرَاء)** ناحية الغَرب. و**(آل علي)** هم في الجزء الشَّماليِّ والشَّمال الشَّرقيِّ من **بني مالك**، يحدُّهم شَمالًا **(آل تَلِيْد)** و**(بنو حَرِيْص)** في جَبَل **(الحَشَر)**، ومن حُدودهم الطبيعيَّة من الشَّمال وادي **(دَفَا)** المشهور، وله ذِكرٌ في النقوش السبئيَّة. (ح.م).]

[٤] استعمل المؤلِّف: Jahima، وهو ما منطوقه: «**جَهِيْمَة**». إلَّا أنَّ كُنية الشيخ: **(ابن داهمة، أو امْداهمة)**، لا **(جهيمة)**، وينادونه: «**فَرْحَم داهمة**». ولعلَّ ما ←

٣) **(آل سَلْمَى)**[١]، على الإكام الأكثر انخفـاضًا من **(اِمْذاري مَغْبَر)**[٢] والجزء الشَّرقي من الجُرف الذي يُشرف على **(ضَمَد)**[٣]، وشيخهم **(جابر امْيَحْيَى آل سَلْمَى)**[٤].

جعلَ **(فِلْبِي)** يقلب الدال جيمًا هاهنا ما سيذكره بعد قليل، (Philby, 503)، أنَّ في **(بني مالك)** مَن يقلب صوتيًّا نُطقَ الدَّال إلى ما يشبه الجيم، إذ قال: «**ميزة لهجة هٰؤلاء أنَّهم لا يستطيعون نُطق الدال غير مدعومة بإضافة، فهم دائمًا يضيفون ياءً قصيرةً لاحقة، كما في قولهم: «دِيَفَعَ» بدل «دَفَعَ»، وهم ينطقونها غالبًا مثل: «جَفَعَ».**» فكأنَّه سمع الاسم بتلك اللكنة، فظنَّه كذٰلك. أمَّا **(الرُّمَيْح)**، فلا يسكنه أحد، فهو جزءٌ مهجورٌ من الأماكن التابعة لـ**(أهل حَبْس)**. و[**الرُّمَيْح** اسمٌ لقِمَّة الجَبَل، وهٰذه القِمَّة للرَّعْي والاحتطاب، وليس اسمًا للجَبَل كلِّه. وأمَّا مساكن **أهل حَبْس**، فأشهرها موضعان: **(العِشَّة)**، وهي قَرية الشيخ قديمًا، و**(غماض)**، قَريةٌ أخرى آهلةٌ بالسكَّان. (ح.م).]

[١] يستخدم **(فِلْبِي)** «**أهل**» Ahl في كثيرٍ من المواضع مكان: «**آل**». ويُنطق الاسم بلهجة المنطقة: «**آل سَلْمَة**».

[٢] [ليست منخفضة، لٰكنَّها أقلُّ ارتفاعًا من **(طلَّان)** و**(الرميح)**. (ح.م).]

[٣] في (العبيكان، ٢: ٩٤٠): «**الجرف الذي يطل على آل ضمد**»! فمن أين جاءت «**آل**» هنا؟ أم ترى المترجم ظنَّ «**ضَمَد**» قبيلةً لا مكان؟!

[هٰذا الجزء الشَّرقي من الجُرف لقبيلة **(آل النخيف)**، وليس **(لآل سَلْمَة (=سَلْمَى))**، وآل **امْنخيف** تلتقي مع **آل سَلْمَة** في: **(كَثِيْر)**. (ح.م).]

[٤] Ahl Salma. والصواب: **(آل سَلْمَى)**. إلَّا أنَّ الشيخ- كما ذَكَر لي **(المالكي)**- إنَّما يلقَّب، كغيره من **آل سَلْمَى**، بـ«**السَّلْمِي**».

٤) و(**آل يحيَى**)[١]، تحت إدارة (**الشيخ حتروش**)[٢]، في منطقـةٍ محـادَّةٍ لوادي (**ضَمَد**).[٣] ويلي هٰذه العشائر في الأهميَّـة[٤] عشيرةُ (**آل سعيد**)، تحـت إدارة (**الشيخ عليٍّ بن فرحان**)، التي تقع أحياؤهـا الرئيسـة في قَـرية (**مَنْصِيَـة**)[٥] على جُـرف

---

[١] Ahl Yahya. والصواب: (**آل يحيَى**). ومِثل هٰذا متكرِّرٌ لدَى (**فِلْبِي**) في مَواطن أخرى.

[٢] (**حتروش بن سلمان اليَحْيَوِي**).

[٣] [من جهة الشَّرق، وهم أقصى (**بني مالك**) جهة الشَّرق، وحُدودهم مع (**اليَمَن**) هي الأطول. ويدخل فيهم، من حيث شُموليَّة الشيخ: (**آل زيدان**)، و(**آل امْنخيف**). وهم (**ثلاثيُّ بني رايم**). و(**بنو رايم**) من قبائل (**بني كَثِيْر**). ولو ذَكَر، بدلًا من (**آل يحيَى**): **بني رايم**، ثمَّ فرَّعهم إلى: **آل يحيَى**، و**آل زيدان**، و**آل امْنخيف**، لكان أَولَى، لٰكن لعلَّ شهرة (**الشيخ حتروش**) هي السبب، أو من باب إطلاق البعض على الكلّ. (ح.م).]

[٤] [كان الأَولَى أن يقسِّم (**بني مالك**) إلى قسمَين رئيسَين، وليس ثلاثة: (**آل كَثِيْر**)، و(**آل امُّغامر**). ثمَّ **آل كَثِيْر** قد ذَكَر أقسامهم، وبقي **آل امُّغامر**، وهم: (**آل سعيد**)، و(**آل خالد**)، ويدخل (**أهل العِزَّة**) في **آل سعيد** قديمًا، وقد انفردوا اليوم. (ح.م).].

[٥] Mansiya.

(ضَمَد) غَرب بلاد **(آل سَلْمَى)**[١]. وأخيرًا، فإنَّ العشيرة الثالثة هي **(آل خالد)**[٢]، تحت إدارة **(الشيخ يحيَى بن شريف بن كُبَيْش الخالدي)**[٣]،

---

[١] [بل جَنوب **(آل النخيف)**. ولو أخذنا العبارة على حالها، لكانت خطأً قطعًا؛ فـ**(آل سعيد)** بكلِّ قُراها لا تقع غَرب **(آل سَلْمَى)** وإنَّما جَنوبها، وليس **لآل سعيد** قَرية غَرب **آل سَلْمَى**، بل بعض **آل سعيد** تقع في الشَّرق من **آل سَلْمَى** نِسبيًّا. وعلى هٰذا فصواب العبارة أنَّهم جَنوب **آل اِمْنخيف** تمامًا، وغَرب وادي **(ضَمَد)**، وشَرقًا من **(آل قُطَيْل)** و**(آل خالد)**. فتحديد **(فِلْبِي)** لبعض المواقع فيه نظرٌ ظاهر. (ح.م)]

[٢] [عشيرة **(آل خالد)** جزءٌ من **(آل امُّغامر)**، وهي اليوم الأهمُّ لكثرة عددها ولموضع أراضيها، ومنها المحافظة **(الداير)**. وامتداد مساحتها من **(ضَمَد)** إلى **(جَوْرَاء)**، ومن حُدود **(آل سعيد)** إلى **(بَلْغازي)** و**(فَيْفاء)**. ويظهر أنَّ **(فِلْبِي)** كان عَجِلًا في تدوين المعلومات قبل ضبط فهم الترجمة، ظهر لي هٰذا نتيجة بعض الأخطاء الكبيرة، حتى على مستوياتٍ كان بإمكانه إدراكها، كظنِّه أنَّه بإمكان المالكي أن يتحدث من **(خاشِر)** مع الفَيْفي في رأس جَبَل **فَيْفاء!** وقوله: إنَّ **(بني مالك)** لا يَعُدُّون أنفسَهم من **(اليَهَانِيَة)**، وأمثال هٰذا من الأوهام التي لا أُعِيْدُ أسبابها إلَّا إلى العَجلة قبل الفهم. وقد ذَكَر **(الزركلي)** في ترجمة **فِلْبِي** في كتابه «**شِبْه الجزيرة في عهد المَلِك عبد العزيز**» ما يفيد هٰذه العَجلة والشغف بالإلمام بأكبر قدرٍ من المعلومات وما يصاحب ذٰلك. ولفتني قوله عن **فِلْبِي** ما معناه: إنَّه كثير التدوين، لا يفارق يديه القلم والأوراق. (ح.م).]

[٣] يُنطق الاسم بلهجة المنطقة: «**يَحمْ شَريف**»، أي: **(يحيَى بن شريف)**.

←

مضيِّـفنا الحاليّ، ومَقَرُّه في قَرية (**خاشِر**)، حيث تنتشر عشيرته في الإكام السَّفْحِيَّة التي تملأ منطقةً على شكل زاويةٍ بين سِلسلة الجبال الرئيسة والجُرف نزولًا إلى حدِّ (**فَيْفاء**) غَربًا.

ويدَّعي مشايخ (**بني مالك**) أنَّ (**آل حَرِيْص**) هم فرعٌ آخَر من عشائرهم، ولربما كان ذٰلك كذٰلك من خلال آصِرَة الانتساب إلى (**اليَهَانِيَة**) السابق ذِكرهم؛ لٰكنَّ **آل حَرِيْص** مستقلُّون عن **بني مالك** تمامًا على نحوٍ لا يمكن إنكاره[1].

[(**آل سعيد**) و(**آل خالد**) يجمعهم (**آل امُّغامر**)، وكذا (**أهل العِزَّة**)، وهم يرجعون إلى **آل سعيد**، لٰكن وجودهم في (**رَيْدَة**) المنفصلة عن **آل سعيد** جعلَ بعض الناس يَعُدُّهم قبيلة منفردة. (ح.م).]

[1] [(**حَرِيْص الحَشَر**) أصلهم من (**كَثِيْر**)، من (**بني مالك**)، يُقِرُّ بذٰلك مشايخهم ومشايخ **كَثِيْر**، ولٰكنَّهم انفصلوا لحادثةٍ مشهورة، في حربٍ كانت بين (**عليّ سلامة**)، والد (**جابر اِمْناجعة**)، شيخ (**آل عليٍّ**)، مع (**قحطان**)، فاستنصر **عليّ سلامة ببني حَرِيْص** ضدَّ **قحطان**، فلم ينصروه لعهدٍ كان بينهم وبين **قحطان**، فأعلن فصلهم عن **كَثِيْر** ثمَّ عن **بني مالك** كافَّة في (**سُوق السبت**) المشهور عند **آل علي**. والقِصَّة محلُّ إجماع في **بني مالك** و**حَرِيْص**. وقد سمعتُها من مشايخ الطَّرَفين. **فبنو مالك** القديمة نِسبيًّا- قبل نحو ١٥٠ سنة- كانت تمتدُّ من وادي (**ضَمَد**) جَنوبًا إلى (**جَبَل الحَشَر**) شَمالًا، بل إلى حُدود **قحطان** و(**آل**
←

وهم منقسمون إلى قسمَين: (**حَرِيْص المحْشَر**)- وهٰؤلاء جَبَلِيُّون يحتلُّون (**جَبَل الحَشَر**) شَمال **بني مالك**- و(**حَرِيْص اليَمَن**)[١]، في السهول حول (**العارضة**)، جَنوب (**فَيْفاء**) وما يلي (**ضَمَد**). ويتَّضح استقلال هٰذين القِسمين [**من بني حَرِيْص**] رسميًّا بقيام مركزَي إمارةٍ منفصلَين في كلٍّ من **الحَشَر** و**العارضة**. وتُشكِّل القِمَّةُ القُصْوَى شَمالًا من سِلسلة جبال **بني مالك**، وهي (**لَوْيَة السُّنَـيْن**)[٢]، جزءًا من أرض

تَلِيْد) شَمالًا، ومن (**جَبَل العريف**) شَرقًا إلى (**بني الغازي/ بَلْغازي**) غَربًا. وبخروج بني **حَرِيْص** من بني **مالك** فَقَدَ **بنو مالك** جزأهم الشَّماليَّ الذي أهمُّه **جَبَل الحَشَر**. (ح.م).]

[١] في الأصل: «**حَريص اليَمَني al Yamani**»، والصواب ما أثبتناه. وقد علَّق (**فِلْبِي**) في حاشية الصفحة بقوله: «**وهناك رأيٌ آخر يزعم أنَّ قِسْمَي (بني حَرِيْص) هٰذين لا علاقة بينهما إلَّا بالاسم، وهٰذا الرأي يُضمِّن المجموعةَ الجَنوبيَّة- (أهل فَيْفاء) و(بني جُماعة)- مع (بني مالك) الانتسابَ إلى (اليَمَانِيَة)، على حين يعطي بني حَرِيْص الشَّماليِّين نَسَبًا مستقلًّا.**»

[٢] Lawiyat al Sanain. كذا كتبَ (**فِلْبِي**) «**السُّنَيْن**»، والاسم في بعض الخرائط: al Sunayn. ولعلَّه هو الصواب، وإنْ كان النُّطق بالضمَّة على سين «**السُّنَيْن**»- كما هو الحال في مِثل هذه الكلمة- لا يُحقَّق تمامًا في لهجة المنطقة.

(العَلِيْلِيِّين)، وهي- مع أعلى **(عَرَقِي)**[1]، الواقع في الثنيَّة بين **[لَوْيَة السُّنَيْن]** والحَشَر- تمثِّل حُدود **بني حَرِيْص وبني مالك.** في حين تشمل **(بَلْغازي/ بنو الغازي)**، الواقعة غَربيَّ **الحَشَر**، من العشائر: **(الجنادي)**، و**(السليماني)**، و**(بني عبد)**، و**(آل مَزْرَع)**[2]. إنَّ الاتِّحادات العشائريَّة الأربعة- المكوَّنة من **بني الغازي/ بَلْغازي**، و**(بني مُنبِّه)**، و**(صُحار)**[3]، و**(آل النخيف)**[4]- مرتبطة كلُّها بالمجموعة

---

[1] [المقصود: صَدْر (**جَوْرَاء**). (ح.م).]

[2] Ahl Mazra‘.

[3] في الأصل: Ashar. ويبدو أن في الكلمة تطبيعًا، وأقرب احتمال للكلمة المكتوبة: **(صُحار)**. والناس هناك قد يرقِّقون الصاد لتُسمع سينًا، فينطقون الاسم «**سُحار**». وفي (العبيكان، ٢: ٩٤١): «**أشر**»! ولا أعرف مِن (**فَرُوْد**) قبيلةً باسم (**عشر**)، أو (**أشر**).

[4] في الأصل: Nasifa. ولا ندري مَن (**ناصفة/ نصيفة**) هٰؤلاء؟ ولعلَّ في الكلمة تطبيعًا، وأقرب احتمال للكلمة المكتوبة أنَّه يشير إلى: (**آل النخيف**)، بـ(**العارضة**). غير أنَّ هٰؤلاء، كما يذكر بعض النسَّابة، يعودون نَسَبًا إلى (**بني مالك**)، فهم نَقِيْلَةٌ من **آل النخيف** المالكيِّين- وقد يُنكِّرون الاسم «**آل نخيف**»- انتقلتْ إلى هناك، ومِن ثَمَّ فهم مِن (**اليَهَانِيَة**)، لا مِن (**فَرُوْد**). وربما كان (**فِلْبِي**) يُشير إلى (**آل الصُّهَيْف**)، وهٰؤلاء من **فَرُوْد**. وفي (العبيكان، م.ن): «**نفيسة**»!

المعروفة بـ(**فَرُوْد**)، مقارنة بمجموعة **اليَهَانِيَة**، التي تربط: **فَيْفاء**، وبني **مالك**، وبني **حَرِيْص**. وكلتا المجموعتين [**فَرُوْد** و**اليَهَانِيَة**] تنتمي، بالطبع، إلى (**خَوْلان**)[١].

ويمثِّل وادي (**عَرَقِي**) مجرًى مائيًّا عظيمًا جِدًّا، ذا قاعٍ رمليٍّ عريض، يقع حيث يدنو الوادي من ملتقاه مع (**أَهْرَاء**)، وذٰلك في الأبطح الذي عَسْكَرْنا فيه[٢]. ويتوقَّف جدول غَيْل [**عَرَقِي**]- الذي يُقال إنَّه من الطول بمكان- فجأةً على مسافة ٥٠٠ ياردة تقريبًا أعلى الملتقَى [مع **أَهْرَاء**]، ولا يظهر

---

[١] «هناك أقسام، أو مجموعات أخرى، سُمِّيت لي في أوقات مختلفة بوصفها منتميةً إلى (فَرُوْد)، ولٰكن من المحتمل أنَّها تنتسب إلى واحدة أو أخرى من المجموعات الأربع، وهي: (آل امْشَيخ)، و(امْدَوْشي)، و(امْعُرِّي)، و(أهل امْقَهَرة)، و(بنو عَيَّاش)، و(امْبُطَيْني)، و(امْيَزيدي)، و(امْخَوْلـِي).» (علَّقَ (**فِلْبِي**) بهٰذا في حاشية الصفحة). قلتُ: جميع هٰؤلاء الذين تساءل عنهم يعودون إلى (**بني مُنبِّه**)، من **فَرُوْد**. (حول عشائر **فَرُوْد** و(**اليَهَانِيَة**)، راجع ما ذكرناه: ص١٣٧). وفي (العبيكان، م.ن): «**العِرِّي**»، بكسر العَين! والصواب: «**العُرِّي**»، بضمِّها، أي (**أهل العُرّ**)، نِسبةً إلى (**جَبَل العُرّ**)، وهو من جبال (**بني مُنبِّه**)، في الجانب اليَمَني.

[٢] أي في: (**الداير**) حاليًّا.

(غَيْل جَوْرَاء) على سطح الأرض إلَّا بعد قُرابة نِصف ميلٍ أسفل ذٰلك الأبطح، حيث تتقارب منحدرات الجبال على الجانبَين مشكِّلةً مضيقًا صغيرًا. أمَّا **(أَهْرَاء)**، فليس له غَيْل، وإنَّما يحمّل بالماء إبَّان السيول. وكما هي الحال في **(فَيْفاء)** فإنَّ نُدرة المياه هي معاناة عامَّة في **(خاشِر)** والقُرَى المجاورة، وكذٰلك على منحدرات سِلسلة الجبال الرئيسة، حيث يزرعون محصولًا خريفيًّا من **(الدُّخْن)** ومحصولًا ربيعيًّا من **(القمح)** و**(الشعير)**، كما في **فَيْفاء**. و**(البُنُّ)** كذٰلك من المنتوجات في مرتفعات **(بني مالك)** و**(الحَشَر)** كلتيهما. وليس لهم رَيٌّ، بل تعتمد كلُّ زراعتهم على المطر.

لقد هَيَّأَ لنا موقعُ مخيَّمنا مَنْظَرًا بهيجًا وشاملًا لكلِّ البلاد حولنا، والشمس الشارقة في يوم **(عيد الميلاد)**[1] ترسم صورةً ظِلِّـيَّةً لقِمَّة **(فَيْفاء)** العظيمة[2] إزاء هالة الضوء

---

[1] أُسقطت الإشارة إلى: «**يوم عيد الميلاد Christmas Day**» من ترجمة **(العبيكان)!**

[2] «**silhouette the great summit of Faifa...**». وقد أُغفل في ترجمة (العبيكان، م.ن) هٰذا التصوير الجمالي، الذي عَبَّر به (**فِلْبِي**)، واكتُفي بالقول: ←

الذهبيَّة، التي أغرقتْ قِمَمَ (**بني مالك**) إلى مسافة ١٠٠٠ قَدَمٍ في الأسفل وأضاءت المساجدَ والقلاعَ على صخورها. ومنذ ساعةٍ مبكِّرة كان المتسوِّقون من **بني مالك** الذين ذهبوا إلى سُوق الخميس في (**عَيْبان**) يَعْبُرُوْن خلال مخيَّمنا، واسعِ الانتشار، في طريق عودتهم إلى قُراهم؛ صعودًا بوادي (**جَوْرَاء**) بحُمُرِهم وجِمالهم، مغنِّين أهازيجهم كلَّما اقتربوا ليُثيروا رَدًّا غِنائيًّا من قِبَل رجال القبيلة الذين خيَّموا معنا. وقد توقَّف معظمهم عن السَّير هنا ليُحَيُّوا وُجهاء عشائرهم ويُبادلوهم أخبار القِيل والقال[1]. لقد كنتُ في المساء السابق أُصغي إلى تراتيل (**بيت لحم**)، مُتمنِّـيًا لو كانت عندي بعض وسائل لتسجيل الأغاني الشعبيَّة الرخيمة للناس الذين أنا بين ظهرانيهم. وميزة لهجة هٰؤلاء أنَّهم لا يستطيعون نُطق الدال غير مدعومة بإضافة، فهم دائمًا

«وقد ألقت الشمس المشرقة الصاعدة من فوق قمة فيفاء العظيمة هالة من الضوء الذهبي»!

[1] في ترجمة (العبيكان، ٢: ٩٤٢): «**لتبادل أخبار الإشاعات**»!

يُضيفون ياءً قصيرةً لاحقةً، كما في قولهم: «**دِيَفَعَ**» بدل «**دَفَعَ**»، وهم ينطقونها غالبًا مثل: «**جَفَعَ**»، ويقولون: «**مِنْ عِنْدِي الله**» بدل «**مِنْ عِنْدِ الله**»[1].

وكنتُ في اليوم السابق قد مشَيتُ كلَّ المسافة من (**فَيْفاء**) إلى رأس (**جَوْرَاء**)؛ لأنَّها كانت هناك بعض الفوضَى حول إرسال (**الحَمِيْر**) لحَمْلِنا و(**الجِمال**) لنقل متاعنا. أمَّا هنا، فكان متاحًا فائضٌ من وسائل النقل، ومن كلِّ

---

[1] [لا وجود لهٰذه اللهجة اليوم، فيما أعلم، ولعلَّ بعض القبائل كانت فيهم هٰذه اللهجة. (ح.م).]. هٰكذا ينفي (**المالكي**) معرفة تلك اللهجة في (**بني مالك**). ولقد سمعتُ أنا قريبًا من هٰذه الطريقة في النُّطق في (**فَـيْفاء**)، وذٰلك في بعض اللهجة الخاصَّة ببُقْعَة (**آل أبي الحَكَم**)، في الجبال السُّفلَى من **فَـيْفاء**. وتبدو هٰذه الظاهرة ظاهرة لهجيَّة قديمة، وإنْ لم ترتبط بنُطق الدَّال تحديدًا، كما وَصفَ (**فِلْبِي**)؛ فمِن (**العَرَب**) من كان يقول: «**كِيْدَ زيدٌ يفعل كذا**»، و«**ما زِيْلَ يفعل كذا**»؛ يريدون: (كاد) و(زال). (انظر: ابن منظور، (زول)). وقد تُرجِم هٰذا الوصف اللهجي ترجمةً غريبةً في (العبيكان، م.ن)، حيث جاء: «**...لا يستطيعون نطق حرف «د» المنفرد، ويضيفون إليه نغمة حادة «إي» كما في «ديفا» بدلًا من «دفا» وتنطق جفعه...**»! والمؤلِّف لم يُشر إلى «**المنفرد**»، ولا ندري كيف يمكن أن يكون الدال منفردًا؟ ولم يذكر «**نغمة حادَّة**»، بل «**صوتًا قصيرًا لاحقًا، لدعم صوت الدال**». وليس هناك صوت «**إي**» في العربيَّة، بل «**ياء**». ثمَّ إنَّه يشير إلى كلمة «**دَفَعَ Dafa‘**»، لا «**دفا**»- وإنْ كان اعتاد خطأً كتابة اسم الوادي (**دَفَا**) نفسه: «**Dafa‘**»، وقد يكون هو المقصود في تعليقه هنا. كما قال: إنَّهم ينطقون «**دَفَعَ**»: كـ«**جَفَعَ**»، لا «**جفعه**».

الأنواع. وقد كنَّا عمَّا قليل في طريقنا إلى أعلى وادي **(أَهْرَاء)**، مرورًا بمنطقةٍ صغيرةٍ من الأحواض الزراعيَّة المحروثة غير المزروعة، المحاطة من حوالَيها لحجز الماء عن الفيضان. وبعد عشرين دقيقة تركنا وادي **أَهْرَاء** متَّجهًا إلى مساره الصخريِّ ناحيةَ اليسار، وسلكنا نحنُ قناةً فرعيَّة، اسمها **(إيغة)**[١]، كان قاعها الحَجَريُّ الجافُّ مغطًّى بشكلٍ كاملٍ بالأَيْك وبعض أشجار **(العَلْب)** الحَسَنة النَّـبْت. وكان المكان يضيق اتِّساعُه بعض الشَّيء فيما تجاوزنا بئرًا مَبْنِيَّة، اسمها **(فَقْوَة إيغة)**[٢]، شيدت حولَ نبعٍ ضئيلٍ وصولًا إلى قُرَيَّة **(حَيْد الحُمَر)**[٣] الصغيرة جِدًّا لٰكن المتألِّقة، حيث

---

[١] Iqha.

[٢] في الأصل: Saqwat Iqha. هٰكذا أورد **(فِلْبِي)** الاسم وكرَّره. وقد جهدتُ في البحث عن المكان المقصود عبر الخرائط المتاحة، كما سألتُ **(المالكي)** عنه، فلم يعرف مكانًا بهٰذا الاسم. غير أنَّه ذكرَ مكانًا باسم: «**فَقْوَة امبغطة**». فلعلَّ Saqwat تصحيف Faqwat. و«**الفَقْوَة**»، كما تقدَّم: اسمٌ يُطلقونه على البئر الصغيرة، قد يضاف إلى اسم مكان تلك البئر. وفي (العبيكان، م.ن): «**قلحة**»، و«**فقوة قلحة**».

[٣] Haid Hamr. هٰكذا، والصواب: [**(حَيْد الحُمَر)**، وينطقونه: «**حَيْد امْحُمَر**»، ←

مَقَرُّ (**سالم شريف**)[1]، أحد صغار الشيوخ الذين كانوا في رفقتنا. وبعد هٰذه النقطة، لم يعُد الوادي مؤاتيًا لاستخدام النقل على ظهور الحيوانات، فحُوِّل متاعنا إلى الحَمَّالين. هٰذا، وتُشْرِف قَرية (**خاشِر**)- الواقعة على أَكَمَتها البارزة- على رأس (**إيغة**)، التي تتكوَّن عن طريق شِعابٍ عديدةٍ تتجمَّع من شبكة الآكام المتسلسلة التي تُشكِّل [تضاريسيًّا] هٰذه المنطقة. وقد تسلَّقنا بشكلٍ حادٍّ إحدَى هٰذه الآكام إلى قُرَيَّة (**الشَّعَيْث**)[2]، وبالمُضِيِّ على طول هاتيك القِمَّة الحادَّة، بلغنا بعد قليلٍ إلى المدرَّجات الأُولى (**للقَهَبَة**). ولقد كانت تلك المدرَّجات أضيق من المدرَّجات الاعتياديَّة في (**فَيْفاء**)، وهي عمومًا مدعومةٌ بحيطانٍ حَجَرِيَّةٍ أعلى[3]، ارتفاعُ بعضها

وحَيْد **المُحُمَر**: سفحٌ مجاورٌ لـ(**خاشِر**) من الجهة الشَّماليَّة الغَربيَّة. (ح.م).] و(**الحُمَر**): جمع (**حُمَرَة**)، وهي شجرة (**التَّمْر الهندي**)، نُسِب إليه ذٰلك المكان.

[1] [عريفة (**آل أحمد**) يومئذ. (ح.م).]

[2] Sha‘ait.

[3] أي: «**حِرار**»، جمع حَرَّة، بلهجة تلك الجهات. وارتفاع حِرار المدرَّجات في (**القَهَبَة**) بسبب الانحدار الحادِّ على تلك المرتفعات، مقارنةً بما هي عليه المرتفعات في (**فَيْفاء**).

سبعة أقدام. وكانت المدرَّجات الأوطأ جرداء في هٰذا الوقت، مع جذوم[١] (**دُخْنٍ**) من موسم الحصاد الأخير، أمَّا المدرَّجات العُليا فكانت فيها أشجارٌ كثيفةٌ من (**البُنِّ**) و(**الموز**). لقد كنَّا على ارتفاع زُهاء ٤٠٠٠ قَدَمٍ فوق مستوى البحر، وهٰذه تقريبًا هي الذُّرْوَة الدُّنيا التي يمكن للمرء أن يجد فيها زراعة **البُنِّ** في هٰذه المرتفعات.[٢]

وتنتصب قلعة (**القَهَبَة**)- والمُتَّخَذة للمَرافق الحكوميَّة الرئيسة والإمارة- بشكلٍ رائعٍ على جُرفٍ عظيمٍ شديد الانحدار من (**الصخر المتبلِّر**) المُحَزَّز، شامخةً في منحدرات عموديَّة وَعِرَة من صخرةٍ شِبْه لَوح، تَمَّ استعمالها، بطريقةٍ

---

[١] جُذُوم: جمع جِذْم، وهو أصل الزَّرع الذي يبقَى في الأرض بعد الحصاد، ويُطلَق عليه كذٰلك جُذَامة. وبلهجة (**فَيْفاء**): «**جِذْمِيّ**»، ويجمعونه على: «**جَذامْيَة**». وتُرجِمت هٰذه العبارة في (العبيكان، ٢: ٩٤٣): «**وقد أصبح الدخن جذامة بعد حصاده**»!

[٢] في (العبيكان، م.ن): «**وهٰذا بالتقريب أدنى ارتفاع يمكن أن تنجح زراعة البن عنده في هٰذه المرتفعات**»! والمؤلِّف لم يكن هنا يتحدَّث عن «**نجاح زراعة البُنّ**»، بل عن أدنَى مرتفَعٍ يمكن أن توجَد فيه زراعة (**البُنّ**).

إبداعيَّةٍ، بوضعيَّتها الأصليَّة لاستكمال تشييد المبنَى؛ ولذا اتَّخذتْ القلعةُ مظهرًا كما لو أنَّها قد نَمَتْ من قلب الصخرة. والقلعة ذات حجمٍ كبيرٍ نِسبيًّا، تمتدُّ حول منحدرات ذٰلك الضِّلع الجَبَليِّ، في عَدَدٍ من المَلاحق[1]، ثمَّ تمتدُّ قليلًا على طول أنفٍ جَبليٍّ ضئيلٍ مسطَّح الظاهر، حيث اتُّخِذَ جزءٌ منه لمقبرةٍ، في حين تُشَكِّل البقيةُ الجُرْنَ المحلِّيَّ، ويُستعمل في المناسبات الدِّينيَّة لإقامة صلوات الجماعة.[2] ولهٰذا الغرض فقد زُوِّد بمبنًى منخفضٍ ذي محرابٍ اعتياديٍّ ومنبرٍ بدائيٍّ للخطيب. لقد كانت هٰذه هي النقطة التي نَصبنا مخيَّمنا عليها، وكانت الذُّرْوَة الخاصَّة بي على القُنَّة المتطرِّفة من اللسان الأرضي الممتدِّ ذاك[3]، حيث أُطِلُّ على منظرٍ واضحٍ إلى الوديان على

---

[1] outhouses. في (العبيكان، م.ن): «**مراحيض**»!

[2] [مصلًّى للعيد ونحوه. (ح.م).]

[3] في (العبيكان، م.ن): «**وكانت خيمتي الخاصة تقع عند حافة اللسان**»! هٰكذا، دون أن يعرف القارئ ما المقصود بـ«**اللسان**» الذي كانت خيمة (**فِلْبِي**) عند حافَّته؟!

الجانبَين. وتَنبسط من حَوْلِـي قُرَى (**بني مالك**) العديدة، تَحُطُّ كالطيور على كلِّ حافَّةٍ وأَنْفِ جَبَلٍ وذُروةٍ، في مشهدٍ رَثٍّ لٰكنَّه سارّ. ويُضَخُّ إمداد المياه إلى **القَهَبَة** من ينبوعٍ يُدعَى (**الماطور**)[١]- يقع على انخفاض نحو ٣٠٠ قَدَمٍ أسفل سفح الأَكَمَة الحادَّة الانحدار، في وادٍ مكتظٍّ بـ(**التِّين**) وأشجار أخرى- وتقوم قُرَيَّة (**الجَرَّان**)[٢] بإزائنا تقريبًا على ضِفَّته المقابلة. لقد بدا أنَّ لدَى الناس هاهنا حِسًّا معماريًّا- أو زَخْرَفيًّا- بسيطًا، حتى في تعاملهم مع قبور المقبرة، حيث وُضعت اللَّمسات الأخيرة عليها بتأنُّق شديد، وشُيِّدت بطبقاتٍ متزاوجةٍ من (**المَرْوِ**) البُنِّي الغامق والأبيض. وكانت البيوت- مع أنَّها مبنيَّةٌ من الحَجَر المحلِّيِّ قليل التشذيب- مشيدةً بعنايةٍ شديدةٍ وبشكلٍ قويٍّ، وكانت ذات عوارض جيِّدة، طويلة ومستقيمة، من (**العَرْعَر**)، وروافد

[١] Matur. وفي (العبيكان، ٢: ٩٤٤): «يسمى متر»!

[٢] Jarran.

خشبيَّة مصفوفة بإحكام؛ لٰكن الغُرَف- بصفةٍ عامَّة- كانت صغيرةً ومُزريةً جِدًّا، ذات مداخل بالغة الانخفاض، ودرجات سُلَّمِيَّة خطرة إلى حدٍّ كبير، ناتئة من الحائط بين الطوابق[1]. ولذا كان لِزامًا على المرء أن يكون حذرًا عند التنقُّل كيلا يرتطم رأسه بالسَّقف أو بسواكف الأبواب[2].

بعد مسيرٍ قصيرٍ جِدًّا وصلنا إلى هاهنا قُبيل الظُّهر[3]. لذا، وبعد إلقاء نظرةٍ على المحيط العامِّ من سطح القلعة، وفيما كان مطبخ القلعة يُهيِّئ لنا وجبة منتصف النهار، أَوْعَزْتُ إلى (**سَعْد**) ليُحضِر إليَّ زوجًا من صفائح الماء الحارِّ، سعة أربعة جوالين، واعتنيتُ بنفسي لآخُذ حمَّامي الأوَّل منذ مغادرة (**جازان**). ثُمَّ ارتديتُ أحسن ثيابي واحتشدنا جميعًا قافلين إلى القلعة، حيث

---

[1] في (العبيكان، م.ن): «**بين الأرضيات**»! لأن كلمة «**floors**» بترجمة «قوقليَّة»، لا بَشَريَّة، ستقابلها: «**أرضيات**»!

[2] وهي المسمَّاة بلهجة (**فَيْفاء**): «**شوارق**»، جمع شارِق، وهو العارضة العُلْيا من إطار الباب.

[3] في (العبيكان، م.ن): «**عند وقت الظهر**»! مع أنَّ المؤلِّف قال: «**before noon**».

كان الأمير في انتظارنا مع وليمةٍ من أجل ذٰلك اليوم- تتكوَّن من خروفٍ مطبوخٍ كاملًا على تَلٍّ من (**الرُّزِّ**)[١]، مُنَكَّهٍ بـ(**الزبيب**) والتوابل، إضافةً إلى عددٍ من الدجاجات بمَرَقِها في طاسات، ولن أقول شيئًا عن الخُبز القمحيِّ اللذيذ. وفي الوقت الذي كنَّا قد انتهينا فيه من ضيافتنا- إضافةً إلى تناول (**القهوة**) و(**الشاي**)، اللذَين كانا يُداران علينا في أثناء تجاذب أطراف الحديث- كانت الساعة تشير إلى الرابعة مساءً تقريبًا، لٰكنَّني أخلدتُ إلى قَيلولةٍ في ظِلِّ حائطِ مدرَّجةٍ[٢] زراعيَّةٍ طويلة، فنمْتُ لمدَّة ساعة. وقُرب غروب الشمس، بدأتْ الغيوم تتجمَّع حوالَينا، والشمس تَغرق في سديمٍ كثيفٍ وراء بُركانَيْ (**عَكْوَة**)- اللذَين كانا واضحَين جليَّين- لتحرمني لمحةً إلى البحر خلف (**العكوتَين**)، الذي قالوا إنَّه يمكن أن يُرَى من هنا حين يكون الجوُّ صافيًا.

---

[١] في (العبيكان، م.ن): «**فوق أرز جبلي**»! والمؤلِّف إنَّما ذكر أنَّ اللَّحم وُضع على ما يشبه «**جَبَلًا من الرُّزّ** ».

[٢] «**حائط مدرَّجة**»، بلهجة المنطقة: «**حَرَّة حَيْفَة**».

التَحَقَ بنا الأمير لأداء صلاة المغرب، فأَمَّنا فيها بنفسه؛ ثُمَّ احتشدنا من ثَمَّ إلى بيت الشخص الثاني في قيادته، «**شاويش**» الإمارة، واسمه: (**قُتمان**)[1]، من أبناء (**وادي الدواسر**)، بالرُّغم من إقامته الطويلة في (**تُرَبَة**)، منذ أن سجَّل في الخدمة الحكوميَّة. وكانت المحادثة تدور خلال وجبتَي الطعام هاتَين [الغداء والعشاء] بشكلٍ واسعٍ حول الحُدود، التي كان عليَّ عمَّا قليلٍ أنْ أَخْبَرَها بالتفصيل. وقد فُوجئتُ أنْ أجد غموضًا تامًّا وافتقارًا إلى المنطقيَّة فيما كانوا يُدلون به في مناقشة الموضوع، مع أنَّ معظمهم لا بُدَّ أنْ كانوا قد تردَّدوا على المنطقة الحُدوديَّة خلال مزاولتهم مِهَنَهم الاعتياديَّة. كان المُشْكِل، بالطبع، أنَّ الحدَّ في هٰذا القطاع يمتدُّ على طول سِلسلة جبالٍ عاليةٍ لا مساكن فيها ولا مياه، ولم يكن أيٌّ من الحاضرين قد شاهد قطُّ إلَّا القليل جِدًّا من الأعمدة الفعليَّة [الدالَّة على الحُدود]، وإنْ كانت للعديد منهم مكانةٌ في

---

[1] Qutman، هٰكذا، وذهب (**المالكي**) إلى احتمال أن يكون الاسم: (**كُشمان**).

نشاطات اللجنة الحُدوديَّة المشتركة. بعدئذٍ عُدتُ بالجماعة الذين كنتُ معهم من أجل جلسة استماعٍ إلى مذياعِي، غير أنَّ ظروف الاستقبال كانت- لأمرٍ ما- سيِّئة، والجمهور تبخَّر، تمامًا كحِيطان من الضَّباب، كانت آخذةً في التصاعد في أمواج هائلةٍ خلال الوادي المحيط، مُطْبِقَةً على سِلسلة جبال (**القَهَبَة**).

هناك جلستُ- وحيدًا وسط الغَيْم- مع مصباح الضَّغط الخاصِّ بي، يُنيرني بهالته العظيمة، التي لم يكن بإمكاني أن أرى شيئًا وراءها. وأعتقد أنَّ أغلب رفاقي قد استغلُّوا الغطاء الجوِّي ليَنْسَلُّوا إلى المنازل الأكثر حفاوةً بهم، على حين كنتُ في الفترات النادرة التي صَفَتْ فيها السماء جزئيًّا أواصل العمل بمِزْواتي[١]. لقد كان القَمَر مُحاطًا بهالةٍ هائلةٍ متعدِّدة الألوان، إذ استرخيتُ- بعد إنهاء عملي- لأستمع إلى موسيقى رقصةِ (**عيدِ الميلاد**) من (**فندق المَلِك**

[١] أداة لقياس الزَّوايا: Theodolite.

داوود) في **(القُدس)**. وبُعَيد منتصف الليل كانت السماء صافيةً تقريبًا لفترةٍ زمنيَّة، مع أنَّه بقي غطاؤنا الضبابيُّ كما هو طوال الليل، ولٰكن بعد ذٰلك بساعةٍ أو نحوها عادت الغُيوم ثانيةً إلى التراكم. وبالرُّغم من كلِّ ذٰلك، فقد كان اللَّيل دافئًا، بدرجةِ حرارةٍ دُنيا مقدارها ٥٦ درجة، وفي الصباح وجدتُ أنَّ فِراشي وكلَّ الأشياء الأخرى جافَّة تمامًا. لقد بدا هٰذا كمعجزة. وأخذتْ ريحٌ منعشةٌ باردةٌ تَهُبُّ علينا، حاملةً معها أصوات القُرَى المستيقظةِ حولنا: نهيقَ **(حمارٍ)**، أو نباحَ **(كلبٍ)**، أو رجالًا يُنادي بعضُهم بعضًا. وتلك كانت واحدة أخرى من براعاتهم[1]؛ هٰذه المحادثة عن مسافاتٍ بعيدةٍ من المرتفعات الجَبَلِيَّة. فمِن هنا في **(القَهَبَة)** كان بإمكانهم أن يجعلوا أنفسهم مسموعين (ومفهومين)[2] في الأماكن العُليا في **(اِمْبِقَاع)** و**(اِمْذِرَاع)** على

---

[1] في (العبيكان، ٢: ٩٤٦): «**إنجازاتهم**»!

[2] في (العبيكان، م.ن): «**أن يطلقوا رسائلهم**»!

قِمَّة (**طَلَّان**) أو قريبًا منها، أي إلى الأعلى بزُهاء **٣٠٠٠** قَدَمٍ، وعلى بُعد ميلٍ ونصفٍ في الأقلِّ أو ميلَين في اتِّجاهٍ مستقيم.[١] وبالطريقة نفسها يتبادلون من (**خاشِر**) القِيل والقال[٢] اليوميَّ مع جماعةٍ على قِمَّة (**فَيْفاء**)[٣]. لقد كان بوسعي أن

---

[١] في هٰذه الجُملة وردَ الاسم: **Buqa'**. وتُسمَّى هناك: «**اِمْبِقَاع**». وفي (العبيكان، م.ن): «**البِقْعَة**»**!** وجاء شرح (**ابن جريس**) في الحاشية ليقول: إنَّ «**البِقْعَة: ما يعرف في بلاد الشام بالضيعة...**». وهٰذا غَلَطٌ مركَّبٌ؛ فالمؤلِّف يتكلَّم هنا عن مكانٍ محدَّدٍ اسمه: «**اِمْبِقَاع**»، ثمَّ إنَّ الوصف «**بُقْعَة**»، بضم الباء، لا بكسرها، وإنْ كانوا يُميلون الضمَّة في نطقهم. و«**البُقْعَة**» في تلك الجهات وصفٌ يُطلَق على المنطقة الواسعة، وغالبًا على المحلَّة المنبسطة وسط مرتفعات. ولا بُدَّ، غالبًا، أن تضاف إلى مكانٍ ليحدِّدها. والكلمة فصيحة. قال (أبو تمَّام، **ديوانه**، ١: ٢٩١):

لَو سَعَتْ بُقْعَةٌ لإِعظامِ نُعْمَى ... لَسَعَى نَحوَها المَكانُ الجَديبُ

أمَّا الضَّيْعة، في استعمال أهل (**الشَّام**)، فالأرض الزراعيَّة المعيَّنة، تمييزًا لها عمَّا حولها، وليست «**البُقْعَة**» بذٰلك المعنى.

كما وردَ الاسم: Dhira'. وكثيرًا ما ينكِّر المؤلِّف الأسماء المعرَّفة، وإنَّما يُستعمل هناك معرَّفًا: «**اِمْذِراع**»، حين لا يكون مضافًا، أي الذِّراع، وهو: (**ذِراع آل اِمْشريف**). وفي (العبيكان، م.ن): «**ضرع**»**!**

[٢] في (العبيكان، م.ن): «**كانوا يتبادلون الإشاعات**»**!**

[٣] في (العبيكان، م.ن): «**...إلى أهلهم عند قمة فيفاء**»**!** والمؤلِّف إنَّما قال: «**مع قَوْمٍ أو جماعة with folk**»، لا «**مع أهلهم**». هٰذا، وإذا كان يقصد بقِمَّة (**فَيْفاء**): (**العَبْسِيَّة**)، فهٰذه محض مبالغة مستحيلة: أنْ يخاطِب أحدٌ من (**خاشِر**) آخَر في **العَبْسِيَّة!**

أرى في نطاقِ نِصفِ قُطْرٍ بطولِ نصفِ ميلٍ أو أكثر من **القَهَبَة** عددًا لا حصر له من القُرَى كبيرةً وصغيرة، إضافةً إلى عشراتٍ أخرى متناثرةً في الأقاصي على منحدرات الجَبَل، مُطَوِّقةً المنطقة من **(جَبَل الحَشَر)** مرورًا بذُرَى **(جبال بني مالك)** وصولًا إلى **(نَيْد امْشِقّ)**[١]، لدَى النهاية الشَّرقيَّة

[١] Najd Shiqq. ويُلحَظ أنَّ المؤلِّف يكتب «**نَيْد**» هٰكذا: Najd، في شتَّى المواضع التي يَرِد فيها لفظ «**نَيْد**»، ظنًّا منه أنَّ نُطق «**نَيْد**» تحريفٌ لَـهَجيٌّ من «**نَجْد**». وقد تكون الكلمة في كتابه تطبيعَ Naid. مع أنَّ لهجة المنطقة لا تقلب الجيم ياءً، وهناك مكانٌ في **(فَيْفاء)** باسم: «**ناجِد**»، وهو بالفعل ناجِدٌ، ولم يسمُّوه: «**نايد**». أمَّا «**النَّيْد**»، فيُطلَق عادةً على مكانٍ واسعٍ، مُشْرِفٍ على جهاتٍ من الجبال، يكون موقعًا يَتَنَدَّى الناس فيه، أي يعقدون فيه شِبه ندواتٍ اجتماعيَّة، وملتقياتٍ ترفيهيَّة. وفي جبال **فَيْفاء** أماكن عِدَّة باسم «**نَيْد**»، مثل: **(نَيْد ابار)**، في **(جَبَل آل اِمْثُوَيْع)**؛ **(نَيْد امْضالِع)**، في **(جَبَل آل عَبْدِل)**؛ **(نَيْد امْعَقْوَة)**، في **(جَبَل آل ظُلْمَة)**. واللفظ مستعمَلٌ كذٰلك في البلدات المجاورة **لفَيْفاء**، مثل: **(نَيْد حلمان)**، في **(بني مالك)**؛ **(نَيْد حديد)**، في **(جَبَل الحَشَر)**؛ **(نَيْد ثواهر)**، في **(بني الغازي)**؛ **(نَيْد مَقَدان)**، في **(هَرُوْب)**. وفي **(اليَمَن)** كذٰلك، مثل: **(نَيْد بارق)**، و**(نَيْد الرَّكُو، أو الرَّجُو)**، في **(بني مُنَبِّه)**. و«**اِمْشِقّ**»: الشِّقُّ، لٰكن التعريف في تلك الجهات يكون بـ(امـ). ولم يعرِّفه المؤلِّف، غير أنَّه لا يَرِد إلَّا معرَّفًا، فلا يُقال: «**نَيْد شِق**»، كما ذَكَر، وكذا الحال في الأسماء الأخرى الشبيهة، كـ**(نَيْد اِمْحَقُو)**، الذي سيذكره في الفقرة التالية.

لجُرف (**ضَمَد**)، حيث تنحدر من هنالك طريقٌ صوبَ الوادي.

وانطلقنا في الصباح مبكّرين بعض الشيء أكثر من المعتاد، كان ذٰلك تحديدًا قبل الساعة ٨ صباحًا، وارتقَى بنا المسيرُ ثانيةً- مرورًا بقَرية (**نَيْد اِمْحَقُو**)[١] الصغيرة، الواقعة [الآن] تحتنا مباشرة في الوادي[٢]- إلى قَريةٍ جذّابةٍ إلى حدٍّ ما، نِصف خَرِبَة، تُدعَى (**امْدَفِيْن**)[٣]، (على ارتفاع ٤٣٠٠ قَدَمٍ فوق مستوى البحر)، في منطقةٍ بُستّانيَّة، ذات مدرَّجاتٍ واسعة، تنحدر إلى الوادي التابع لها. وكان لهٰذه القَرية امتيازٌ آخر غير معتادٍ لامتلاكها صهريجًا إسمنتيًّا مبنيًّا في سفح الأَكَمَة إلى جانب الطريق، على الرُّغم من أنَّه كان في هٰذا الوقت بلا ماء، وهو يعتمد كُلِّيًّا، فيما يبدو، على ماء المطر، المتحلِّب من الأَكَمَة في السواقي الضَّحلة التي تؤدِّي إلى شَفَا

---

١ Najd Haqu.

٢ هٰذا التحديد غير وارد في ترجمة (**العبيكان**).

٣ Dafin.

الصهريج. واجتزنا بعدئذٍ بيتًا منزويًا على جانب الطريق، غير مسكون على ما يظهر، ثمَّ وصلنا إلى قُرَيَّةِ (**اِمْشَمْلَة**)[١]، الواقعة على سفح الأَكَمَة لدَى قَدَمَي كَتفٍ صخريَّةٍ هائلةٍ، تستلقي فوق قِمَّتها القَريةُ الكبيرةُ نِسبيًّا: (**قُلَّة آل قُطَيْل**)[٢]، الواقعة على الجُرف. لقد بدت **اِمْشَمْلَة** مهجورةً تقريبًا، ومع ذٰلك فإنَّ واحدًا أو اثنين من أكواخها[٣] ما يزال قيد الاستعمال، وقد شاهدنا بضعة أناسٍ حوالَيها. نحن الآن نتسلَّق الطريق القصير والعسير والحادَّ جِدًّا نحو ممرِّ (**نَيْد اِمْشِقّ**)[٤]، وهو محروسٌ من جانب المنحدَر- أعلانا بمسافة

---

[١] Shamla.

[٢] Qullat al Qutail، كذا، والصواب: «**آل قُطَيْل**». وقد جاءت هٰذه الجُملة في ترجمة (العبيكان، ٢: ٩٤٧) هٰكذا: «**ثم مررنا فيما يلي هٰذا بمنزل منعزل على جانب الطريق إلى قرية الشملا الصغيرة عند كتف صخرة كبيرة والتي من فوق قمتها تقع قلة آل قطيل القتيل فوق الجرف.**»!

[٣] في (العبيكان، م.ن): «**من عششها**»! ولا عشش في الجبال، طبعًا، كما سبق القول!

[٤] شَرَحَ (**فِلْبِي**) اسم Najd am Shiqq «**نجد امْشِقّ/ نَيْد امْشِقّ**» في متن كتابه بـ: «**the pass of the cleft**»، أي «**ممرّ الفُرْضَة**». عِلمًا بأنَّ الكلمة هي: ←

١٠٠ قَدَمٍ- ببُرجِ مراقبةٍ وَحِيْدٍ شِبْهِ مدمَّر. نحن ما زلنا على ارتفاع ٤٣٠٠ قَدَمٍ فوق مستوى البحر، لٰكنَّنا مُشرِفون على مرأًى واسعٍ يُطِلُّ على وادي (ضَمَد) العريض وصولًا إلى الآكام وسِلسلة الجبال وراء الحُدود في أرض (اليَمَن).

بدءًا من هٰذا الممرِّ [نَيْد اِمْشِقّ] فإن المسار السُّفْلِيَّ يأخذ امتداده مع وادي (القَزَعَة)[1] الصخريِّ وصولًا إلى قُرَيَّة (حَبِيْل النَّقْعَة)[2]، التي تنحدر الآن من ورائها القناة- المعروفة بـ(أَهْرَاء)[3]- إلى (ضَمَد)، على مسافةٍ تقرُب من ميلَين من النقطة التي نحن فيها، جهةَ الجَنوب الشَّرقيّ. وفي الاتِّجاه نفسه، وبَعد القناة الرئيسة تمامًا، يبرز جَبَلُ

«شِقّ Shiqq»، لا «شَقّ»، ليصحَّ معناها الذي ذَكَرَ، وهو «cleft». و«الشِّقُّ»: الجانب، في الفصحى والعاميَّة. أمَّا «نَيْد»، فسبقَ قبل قليل شرحُ معناه، عند ذِكره (نَيْد امْشِقّ)، وبينَّا خطأه في معرفة لفظه، حيث يكتبه: «Najd».

[1] Qaza‘a. وفي (العبيكان، م.ن): جاء الاسم بهٰذا الشكل: «القَزْعَةُ»!

[2] Habil Naq‘a. و«الحَبيل»: متنٌ مُطِلٌّ من الجَبَل، وفي (فَيْفاء) و(بني مالك) أماكن عِدَّة باسم «حَبِيْل».

[3] [يُنطَق بلهجة المنطقة كسابقِهِ: «أَهْرَايِنْ»، وهو غير السابق، فهٰذا الأخير يتحدَّر جَنوبًا من جبال (آل قُطَيْل) و(آل خالد). (ح.م).]

(العُرِّ) الهرميُّ الرائعُ، على ارتفاع زُهاء ٥٠٠٠ قَدَمٍ، مع قِمَّتَي جَبَل **(بني عَيَّاش)** و**(ساقين)**[١] بعيدًا إلى يساره. وفي الوادي الضحل الواسع، المنحدِر جَنوبًا بين هاتَين القِمَّتَين الأخيرتَين والحافات الجَبَلِيَّة الممتدَّة بعيدًا عنهما، أمكننا أن نرَى القَرية المهمَّة، **(مدينة جاوي)**[٢]، وهي المركز الإداريُّ اليَمَنيُّ المحلِّيُّ وفيها السُّوق الرئيسة للمنطقة. إنَّ **(أهل بُطَيْن)**، في إكام **بني عَيَّاش**، و**(آل يزيد)**، في **العُرِّ**[٣]- وهم لا يُشبِهون أهلَ **(فَيْفاء)** في أشكالهم إلَّا بنِسبةٍ ضئيلةٍ- هما فرعان من أهل **(مُنَبِّـه)**، الذين، كما رأينا فيما سبق، ينتمون

---

[١] Saqa. لعلَّه يقصد **(ساقين)**، منطقة تقع بين **(رازح)** و**(العُـرِّ)** غَربًا، و**(صُحار)** شَرقًا، و**(حيدان)** جَنوبًا، و**(مَجْز)** شَمالًا. وفي **ساقين** بلدة صغيرة، تُعَدُّ مركز قبيلة **(خَوْلان)**، فيها مركزٌ حكوميٌّ يَمَنيٌّ، تقع غَرب مدينة **(صَعْدَة)** بمسافة ٣٠ كيلًا.

[٢] Madinat Jawi.

[٣] كثيرًا ما يستخدم **(فِلْبِي)** «**أهل**» مكان «**آل**»، كـ«**أهل يزيد**» هاهنا، والصواب: «**آل**». وقد نسبَ **(أهل بُطين)** إلى «**إكام بني عيَّاش**»، والواقع أنَّ **(بني مُنَبِّه)** قسمان: **(قبائل شعشع)**، و**(قبائل العليين)**، من القسم الأوَّل: **(بنو عيَّاش)**، ومن الآخر: **أهل بُطين**، و**(آل يزيد)**.

إلى حِلْف (**فَرُوْد**) من (**خَوْلان**).[١] وكلُّ هٰذه الأرض تقع على الجانب اليَمَني من الحُدود، حيث يمكن تمامًا أن تُرَى خَلْف **العُرِّ** الكَتِفُ الجَبَلِيَّةُ الهائلةُ (**للنَّظِيْر**)، واضحةً بمسجدها «المُرَخَّم»[٢] الصغير جِدًّا في قَريته العالية المَقَر.

باستئناف مسيرنا مُصْعِدين على الطريق الحادِّ الانحدار، مارِّين ببُرج المراقبة والصهريج الإسمنتي الآخَر، الفارغِ من الماء المليء بالأعشاب الضارَّة المزهرة، وصلنا إلى (**قُلَّة آل قُطَيْل**)، حيث مَسْكَن مضيفنا، (**يحيَى بن شريف**)[٣]. كانت **قُلَّة آل قُطَيْل** بارزةً على ارتفاع ٥٠٠٠ قَدَمٍ فوق مستوى البحر، وذٰلك في النهاية الغَربيَّة من الجُرف،

---

١ جاءت هٰذه الجُملة في ترجمة (العبيكان، ٢: ٩٤٨) باضطراب على النحو الآتي: «**يشبه أهل بطين التابعين لتلال بني عياش[!]، وآل يزيد التابعين للعر تقاطيع سمات أهل فيفاء، وإلى درجة أصغر ما[!] هما فرعان لأهل منبه التي كما قد رأينا تنتمي إلى اتحاد فرود في خولان.**»!

٢ Whitewashed: أي المدهون بـ(**النُّوْرَة**). وهي نوعٌ من (**الجِصّ**) الأبيض، تُدهن به المساجد ونحوها، يُتَّخَذ من حجارةٍ تُحرَق ويُسَوَّى منها ذٰلك **الجصّ**.

٣ بلهجة المنطقة: «**يحمْ شَريف**»، أي: (**يحيَى بن شريف**). [هو شيخ (**آل خالد**)، ومَسْكَنُه (**خاشِر**)، و(**آل قُطَيْل**) أحد قبائل **آل خالد**. (ح.م).]

مواجِهَةً وادي (**ضَمَد**) إلى الجَنوب، ومُشْرِفَةً على الإكام الأوطأ وسِلسلة المرتفعات التابعة لمنطقة (**بني مالك**) إلى الشَّمال. أَضِفْ إلى هٰذا أنَّها قَرية مَهيبة جِدًّا ذات عددٍ كبيرٍ من البيوت الحَجَريَّة الدائريَّة متينة البناء، غير أنَّ ميزتها الأكثر جاذبيَّة كانت نَفَقًا واسعًا تحت الفَجْوَة بين اثنين من أكبر تلك المباني، وكان النَّفَق مفتوحًا من كِلتا النِّهايتَين. لقد بدت القَرية بمثابة المركز العمومي المحلِّي، وفيها أمضينا ساعةً لطيفةً جِدًّا وجميلةً[1] بعد مسيرنا الذي كان شاقًّا حقًّا. وقد التحق بنا جميعُ سُكَّان القَرية لمناقشة شؤون العالَم، مستضيفين إيَّاهم على قهوتنا وشاينا؛ لأن مثل هٰذه التَرَفِيَّات بَدَتْ غيرَ موجودةٍ لديهم. وفي مقابل كرَمنا منحونا معلوماتٍ جغرافيَّةً كثيرةً حول البلاد بَسَطُوها أمامنا في استعراضٍ رائع.

---

[1] في ترجمة (العبيكان، م.ن): «**قضينا فيه مدة ساعة في جو بارد**»! وهي ترجمةٌ حرفيَّةٌ لعِبارة «**cool hour**».

يمكننا الآن رؤية وادي (**جَلَّة أَيْهَم**)[١] منحدِرًا إلى (**ضَمَد**)- عند نقطةٍ على مسافة ميلَين تقريبًا إلى الجَنوب الشَّرقي- بدءًا من المرتفع الأدنَى[٢] الواصل بين قمَّتي (**عَيَّاش**) و(**ساقين**). لٰكن المِيِّزة الأكثر إثارة للاهتمام في المشهَد كانت سِلسلة جبال (**العريف**)[٣] و(**كَتْفَة**) المغطَّاة بغابةٍ عظيمةٍ، تلك السِّلسلة التي تَرسم على طول قمَّتها

[١] هنا كتب (**فِلْبِي**) الاسم هٰكذا: Jallat Aiham، (**جَلَّة أَيْهَم**)، ثمَّ سيكتبه في الفقرة نفسها: Aiham‘ ، بما منطوقه: «**عَيْهَم**»، وكأنَّه شَكَّ أنَّ الهمزة عَينًا في الأصل، وإنَّما تُقلَب همزةً بحسب النطق في اللهجة اليَمَنيَّة. وفي ترجمة (العبيكان، ٢: ٩٤٩): «**جلة حجام**»، ثمَّ «**جحام**»، ثمَّ في نهاية الفقرة: «**أيحام**». والصواب، بحسب خرائط (**اليَمَن**): (**جَلَّة أَيْهَم** Jallat Aiham)، وهو وادٍ تابعٌ لمحافظة (**صَعْدَة**)، وقد حدَّد المؤلِّفُ هاهنا جهتَه من (**قلَّة آل قُطَيْل**). حول هٰذا الوادي تابع رابط «الإنترنت»:

http://goo.gl/Jb1LWY

[٢] في ترجمة (العبيكان، ٢: ٩٤٩): «**عند السرج المنخفض**»! ترجمة حَرفيَّة لكلمة «**saddle**».

[٣] Arif‘. و(**العريف**) جبالٌ ممتدَّة من الشَّمال إلى الجَنوب، من (**نَيْد الرُّفْضَة**) إلى (**كَتْفَة**)، وهي الحدُّ الفاصل بين (**آل يحيَى**) من (**بني مالك**) والجهة الشَّرقيَّة لأهل (**حِنبَة**) في الجانب اليَمَني.

الحُدودَ إلى شِعْب (**نَيْد الخَرَمة**)[١]، حيث تنحدر الحُدود إلى وادي (**أَيْهَم**)[٢]، لتَمُرَّ في المستوى الأوطأ على الجانب الأدنَى من **ساقين** و**عَيَّاش** و(**العُرّ**). وتقع قِمَّة (**فَيْفاء**) الآن إلى الجَنوب الغَربي مِنَّا، موازيةً **العُرَّ** إلى الجَنوب الشَّرقي، على حين تَبرز قِمم جبال (**بني مالك**) العظيمة إلى الشَّمال الغَربيِّ قليلًا. وبرزتْ مباشَرةً تقريبًا باتِّجاه الشَّرق من موقعنا في عُرض وادي **ضَمَد** كُتلةُ جَبَل (**جَلْحَاء**)[٣] حول (**نَيْد الخَرَمة**)، مع قَرية[٤] (**شَهْدَان**) الكبيرة، المركزِ الرئيسِ للرُّبُوْع التابعةِ لـ(**حتروش**) شيخ (**آل يحيَى**)[٥]، المنتشرةِ على سُفوح المنحدرات الحادَّة قرب القِمَّة. إنَّ جزءًا من موقع **جَلْحَاء**

---

[١] Najd Kharama.

[٢] ‘Aiham.

[٣] Jalha.

[٤] [بل هو جَبَل. (ح.م).]

[٥] [الموقع خاصٌّ بـ(**آل زيدان**)، وهم من (**بني رايم**) الذين يُعَدُّ (**حتروش**) شيخ شَمْلهم، ولٰكن لم يكن يسكن في (**شهدان**)، وإنَّما كان يسكن في جبال (**آل يحيَى**) شَمال **شهدان**. (ح.م).]

المتعدِّد الأجزاء- بما في ذٰلك قَريته المسمَّى باسمها- يقع في أرض (**اليَمَن**). ويمضي شِعْبُ (**سَرْمَة**)[١]- فاصلًا قِسمَي الكُتلة الجَبَليَّة- مُنْحَدِرًا بخَطِّ الحُدود إلى وادي **أَيْهَم**.[٢]

كان مسيرنا متقطِّعًا، وقد استغرق منَّا نِصفَ ساعةٍ للوصول إلى القَرية التالية، (**نَعامَة**)[٣]، على بُعد ما لا يزيد عن ميلٍ واحدٍ على طول قِمَّة الجُرف. وعَبَرْنا بين موقعنا هاهنا و(**عَثْوان**)[٤]- وهي القَرية التالية التي وصلنا إليها في رُبع ساعة- الحَدَّ الفاصلَ بين فرعَي (**آل خالد**) و(**آل سعيد**)[٥]؛ لنجد أنفسنا أخيرًا[٦] ضيوفًا

---

١ Sarma. وبحسب الترسيم الحُدوديِّ فإنَّ ما كان غَرْب (**نَيْد سَرْمَة**) وشَماله فـ(**لآل زيدان**) من (**آل يحيَى**) المالكيِّين، وما كان جَنوبه وشَرقه فلأهل (**جَلْحَاء**) من (**بني خَوْلِي**).

٢ في ترجمة (العبيكان، م.ن): «**قرية أيحام**»!

٣ Na‘ama. وهناك نَعامتان: إحداهما في (**خاشِر**)، في بلاد (**آل خالد**)، والأخرى قرب (**عثوان**)، في بلاد (**آل سعيد**).

٤ ‘Athwan.

٥ «**the Khalid and Sa‘id sections**»، كذا، والمقصود: (**آل خالد**) و(**آل سعيد**).

٦ حدثَ هنا لَبْسٌ طريفٌ في ترجمة (العبيكان، ٢: ٩٤٩)؛ فالمؤلِّف يقول: « **and** ←

لِمُدَّة ساعةٍ في بيت (**الشيخ عليّ بن فرحان**)، الذي انتظَرَنا في فناء داره مع جَمْعٍ غفيرٍ رائعٍ[1] من عشيرته. وقد كان كَرَمُ الشيخ أوسع من مجرَّد استثارة الشهيَّة إلى الطعام، وكانت لي مَعِدَة ضئيلة عن «**زَلَفَة المَرْسَة**»[2] الضخمة، المغطَّاة بالسَّمْن تقريبًا، التي وضعوها أمامنا لتكون مُقَبِّلًا واضحَ الدِّلالة على بقيَّة الوليمة

---

at the latter we found ourselves guests for an hour in the house of Shaikh ‘Ali...»، فجاءت الترجمة: «**ووجدنا أنفسنا في آل سعيد...**»؛ ظنًّا من المترجم أنَّ (at the latter) إشارة إلى الفرع الأخير (**آل سعيد**)!

[1] في (العبيكان، م.ن): «**حشد منظري لأفراد قبيلته**»!

[2] العبارة التي استخدمها (**فِلْبِي**): «**the huge basin of dough**»، وbasin تعني: طَشْتًا، أو إناءً عميق القَعْر، ومن الآنية المستخدمة هناك بهٰذه الصِّفة ما يسمُّونه: «**زَلَفَة**»، وهو إناءٌ خَشَبِيٌّ، لعلَّه هو المقصود. كما نُقدِّر أنَّه يعني بكلمة dough ما يُعرف في المنطقة باسم «**مَرْسَة**»، وهي لطائف خبز (**البُرِّ**)، يَمْرُسُونها بـ(**السمن**) و(**العسل**) و(**المَوز**)، ومن ذٰلك اشتقُّوا الاسم. واللافت أنَّ مادة «**داف، يدوف، ومَدُوْف، ومَدْوُوْف**» في العربيَّة بمعنى: «**خَلَطَ**»، كـ dough بالإنجليزيَّة. أو ربما كان ذٰلك الطعام ما يسمُّونه في تلك الجهات «**مُشْرَع**»، وهو شبيهٌ بذٰلك، إلَّا أنَّه بلا مَوز. وفي (العبيكان، ٢: ٩٥٠): «**العصيدة**»! وذهب (**ابن جريس**) يعرِّف في الحاشية بـ«**العصيدة**» وأسمائها في جبال (**السَّروات**)! ولا علاقة للموضوع هاهنا **بالعصيدة**.

المُعَدَّة من أجلي[١]. فغادرتهم على الطعام- بإذنٍ من **الشيخ عليٍّ**- لأُجري مَسْحًا للمنظر الطبيعي من سطح المنزل، حيث أطللتُ على حَشْدٍ كبيرٍ من البَشَر تجمَّعوا حول البيت لتشريف المناسبة. لقد كان هناك مقدارٌ كبيرٌ من شجر (**العَرْعَر**) حول هٰذه الحافَّة العُليا من الجَبَل، لٰكنَّها في الغالب في مجموعات مختلطة من الأشجار[٢]، في حين أنَّ الحافَّة نفسها تتكوَّن من شِبْه ألواح من (**الصخر المُتبلِّر**) مع عُروقٍ متكرِّرةٍ من (**المَرْو**)[٣]. وينحدر الجَبَل بشكلٍ حادٍّ إلى وادي (**ضَمَد**)، لٰكن مع رُعُوْنٍ[٤] بارزةٍ متكرِّرةٍ وقُرى صغيرةٍ وسط مدرَّجاتها الزراعيَّة، تلك المدرَّجات التي تُدعَى

---

[١] اكتفَى مترجم (العبيكان، م.ن) بالقول: «...**الذي وضعوه أمامنا لفتح شهية مجموعتي**»!

[٢] في (العبيكان، م.ن): «**مجموعات مبعثرة**»!

[٣] Quartz. ونُقلت الكلمة في (العبيكان، م.ن) كما هي، ولٰكن بحروف عربيَّة! وهو يعني: «**المَرْو**».

[٤] «**الرُّعُوْن**»: جمع رَعْن، وهو الأنف البارز من الجَبَل.

واحدتها: «**حَيْفَة**» (والجمع: **حِيَاف**)، في حين أنَّ الحقول المنبسطة الواقعة على القِمَّة تُدعَى: «**ضِرْبَة**»[1]. وقد رأيت أثناء المسير العديدَ من النساء اللواتي يجئنَ من سَفح الأَكَمَة بالحِزَم الضخمة من نبات يُسمَّى (**الشَّثّ**)، وهو شائعٌ في كلِّ هٰذه الإكام، ومنه الكَمُّ الوفيرُ كذٰلك في جبال (**الحجاز**)، حول (**الطائف**). وتَسحقُ النساءُ أوراقه لجعله صبغًا للسِّلَع الجِلديَّة من الصُّنع المحلِّي؛ وقد كان أولٰئك النِّسوة في طريقهنَّ إلى (**سُوق السَّبت**) المحلِّيــَّة في (**اِمْفَرَحَة**) الواقعة أمامنا، ولمَّا وصلنا إلى المكان بعد بُرهةٍ، كان رجالٌ من أهل وادي (**دَفَا**) قد أخذوا يعودون إلى بيوتهم بالأحمال الثِّقال من المشتريات.

---

[1] Dhirba. هٰكذا أورده. ولا أعرف اسمًا كهٰذا في لهجتنا. وقد سألت (**الأستاذ حسن فرحان المالكي**) واستغرب هٰذا الاسم. وربما التبسَ على (**فِلْبِي**) إطلاقُهم وصفَ «**دُرْبَة**» على (**القِمَّة الجَبَليَّة**) بـ(**الحيفة المنبسطة**). والدُّرْبَة: سنام (**الثور**)، شبَّهوا بها الأَكَمَة الرابية.



مَنْظَر عَبْرَ وادي (**الرَّقَبَة**) تُشاهد فيه: (**السُّوْدَة**)، (**النَّشَمَة**) و(**هَجيدة**)، على سِلسلة الإكام الأُولَى؛ وعلى السِّلسلة الأُخرَى: (**رَيْدَة**)، (**الثَّاهِر**)، (**خاشِر**)، (**خُطَيْبَة**) و(**رَوْحان**).
(تصوير فِلْبي)

لم نتوقَّف، على كلِّ حال، في أَيَّة قريةٍ بعد (**عثوان**). وقد اتَّبعنا- ونحن نغادر قَرية (**مَنْصِيَة**)، وتُمثِّل جزءًا منفصلًا من **عثوان**، واقعة على الحافَّة ذاتها من الجُرف- طريقًا عن يميننا على طول الجانب الجَنوبي من سِلسلةٍ جَبَلِيَّة تمتدُّ شَمالًا شَرقًا إلى القرية الكبيرة المسمَّاة (**الرَّقَبَة**)[١]، لٰكنَّنا عَبَرْناها إلى الجانب الآخَر عَبْر ثنيَّة جَبَلِيَّة، ومَرَرْنا قريبًا من قَرية صغيرة تُدعَى (**عثَيْقَة**)[٢] مُطِلَّة على الأَكَم الشَّماليَّة. وهٰكذا فقد مَرَرْنا بالقُرب

---

[١] Raqba. ويعرِّفونها فيقولون: «**اِمْرَقَبَة**».

[٢] Athaiba‘. كذا، وذَكَرَ (**المالكي**) أنَّ الاسم: «**عثَيْقَة**»، وينطقه الأهالي هناك: «**اعْثَيْقَة**».

من قَرية **الرَّقَبَة** نفسها ومن (**سُوق اِمْفَرَحَة**)، والسُّوق، في واقع الأمر، امتدادٌ للقَرية. ويقع السُّوق- كما هو الحال فيما يتعلَّق بقَرية (**مَنْصِيَة**)- على الحافَّة المتطرِّفة للجُرف، الذي يَنْصَبُّ هنا بشكلٍ حادٍّ جِدًّا صَوْبَ الوادي، لدَى النقطة التي يتَّصل (**ضَمَد**) فيها برافدٍ عن كلِّ جانب. وعلى جانبنا كان هناك المضيق الكبير لـ(**رَحَارِح**)[١]، المتهاوي بشكلٍ شديدِ الانحدار إلى الأسفل بزاويةٍ حادَّةٍ جِدًّا بين منحدرات صخريَّة متعرِّجة، على حين أقبَل من الجَنوب وادي (**المُدَيْرَة**)[٢] اللطيف، متمعِّجًا أسفلَ منحدَرٍ سهلٍ، بعد خروجه من سفوح سِلسلة الآكام الحُدوديَّة. وهو يتكوَّن من شِعابٍ عديدةٍ، تَنْضَمُّ إليه داخلَ التُّخْم لتُشَكِّل مَجراه، لٰكنَّ منبعه الرئيس يكمن في الثَّنيَّة المتشكِّلة باجتماع حافَّة (**كَتْفَة**) مع الجانب الرئيس من جَبَل

---

[١] Raharih. كذا، ورجَّحَ (**المالكي**) أنَّه يعني: (**اِمْفريحة**). وفي (العبيكان، ٢: ٩٥١): «**كان ممر رحارح العظيم على جانبيه**»! وهو إنَّما أشار إلى أنَّه على جانبهم هم: «On our side».

[٢] Mudaira. وبلهجة المنطقة: «**اِمُّدَيْرَة**».

(**جَلْحَاء**). وفيما يلي **الرَّقَبَة** تنقسم حافَّة الجُرف إلى فرعَين، تقع على قِمَّة الفرع الداخليِّ منهما- أو الشَّماليِّ- قَريتا (**الحَجَفَة**)[١] و(**النَّشَمَة**) الكبيرتان، وذٰلك في الخَلْف تمامًا من شِعْبٍ سحيقٍ فاصِلٍ بين الفَرعَين المذكورَين.

ويمكن أن نرَى- بعيدًا إلى الشَّمال الشَّرقي، وفيما وراء سِلسلة الجبال الحُدوديَّة- الخطَّ الطويل لجُرف (**مَرْع**)، على حين شَمَخَتْ، في مكان أقرب وفي كَنَف انحناءَةِ وادي (**دَفَا**)، القِممُ الصوَّانيةُ من (**القَهْر**)[٢]،

---

[١] Hadafa (? Hajafa). كذا أورد (**فِلْبِي**) الاسم، وأهل المنطقة ينطقونه: «**حَجَفَة**»، (بالجيم)، لا «**حَدَفة**»، ويعرِّفون الاسم: «**اِلمَحَجَفَة**»، وكذا يعرِّفون الاسم الآخَر: «**اِمْنَشَمَة**»، كما أفادني (**المالكي**). وإنَّما شكَّ **فِلْبِي** في أن تكون الجيم دالًا لما ذكره من قَبْل، (Philby, 503)، عن بعض لهجات (**بني مالك**) من أنَّهم قد يقلبون الدَّال جيمًا؛ فذهب إلى احتمال أنَّ أصل **حَجَفَة**: **حَدَفَة**.

[٢] Qahri. ولعلَّه يعني: جَبَل (**القَهْر**)، أو «**القَهَر**» حسب نُطق الكلمة هناك. وهو تابع لقبائل (**الرَّيْث**). وقد اكتُشفت فيه مؤخَّرًا بعض الآثار والنقوش، الدالَّة على قِدَم استيطانه، واعتماد مستوطنيه على نحت الجبال للسُّكنَى أو لدفن الموتى. وكان جَبَل **القَهْر** يسمَّى (**زهوان**). (انظر تقريرًا مفيدًا حول المكان: (الخميس ١٩ أبريل ٢٠١٢)، «***جَبَل «القهر» كنز أسرار مليء بالغرائب***»، (صحيفة «**الرأي**»، (الكويتيَّة)، ع١١٩٨٠، ص٥٨)).

وذٰلك على الجانب اليَماني من الحُدود. ولذا شَقَقْنا طريقنا على طول سِلسلة الإكام، آخذين بوادي (**الرَّقَبَة**)، الذي ينحدر مسيلُه مارًّا بـ(**القَهَبَة**)، إلى (**الجُوَّة**)، وصولًا إلى (**جَوْرَاء**) على يسارنا، ثمَّ وادي (**ضَمَد**) في الأعماق على يميننا، حتى بَلغنا ملتقَى الأَكَم[1] التي تربط قِمَم (**بني مالك**) الرئيسة وسِلسلة جبالها بسِلسلة جبال الجُرف الخارجيَّة. ويَلْتَفُّ المسارُ هاهنا خلال التشابك الناشئ عن ثَنِيَّة (**نَيْد وَقْع**)[2]، الذي على جانبه الأيمن تتهاوَى الإكام الخارجيَّة عَموديًّا[3] إلى وادي **ضَمَد**، الذي يتشكَّل منبعُه في الحقيقة من سِلسلة

---

[1] في (العبيكان، م.ن): «**تلال معقدة**»**!** والتلُّ في العربيَّة: كُومة التُّراب. وقد استُعمِلت هذه المفردة في ترجمة (**العبيكان**) بمعنى: الأَكَمَة، في مقابل hill**!**

[2] Najd Waq‘a. لم يعرفه (**المالكي**)، وإنَّما أشار إلى: (**نَيْد اِمْغَبِر**). وهناك أسماء شبيهة في (**بني مالك**)، مثل (**وَقِيْع**)، شَمال (**الفَرَحَة**)، أو (**نَيْد قاعي**)، جَنوب (**ذِراع آل الشَّريف**). لٰكن ما علاقتها بالمكان الذي المؤلِّف بصدده؟ إنَّ الأقرب لما كَتبَه (**فِلْبي**): (**نَيْد وَقِيْع**).

[3] في (العبيكان، ٢: ٩٥٢): «**تنحدر... في عنف**»**!**

ودِيانٍ صغيرةٍ تَصُبُّ مياهَها من بين الأجزاء المنفصلة من تلك الإكام. وعلى اليسار ينحدر شِعْبٌ يُدعَى (**حَرن**)[١] ليَنْضَمَّ إلى **الرَّقَبَة** كرافدٍ نهائيٍّ **لجَوْرَاء**، فيما بَدَتْ هنالك أمامنا إلى الشَّمال الشَّرقي معالمُ مَجْرَى **دَفَا**، ملتفًّا على أسفل الجزء الرئيس من جَبَل (**ظَهْرَان**)، الذي ينتصب الآن أمامنا بكامل ارتفاعه.

ومن الثَّنيَّة اتَّبعنا طريقًا خَطِرًا، يمرُّ في منحدرٍ عموديٍّ، مشكِّلًا رأسَ شِعْب (**عَشوش**)[٢] في دائرةٍ عَريضة. وهٰذا الشِّعْب هو في الواقع الرأس الرئيس لوادي (**ضَمَد**)، المنفصل عن مَجْرَى (**دَفَا**) وذٰلك عن طريق نطاقٍ ضيِّقٍ نِسبيًّا من الأَكَم وسِلسلة الجبال المنخفضة. وقد كان بإمكاننا أنْ نشاهد وراء **دَفَا** قَرية (**عَرَاب**)[٣] ومدرَّجاتها الزراعيَّة في شِعْب جَبَل (**ظَهْرَان**)، فيما هبطنا بشكلٍ تدريجيٍّ

---

[١] وَرَدَ الاسم في الأصل: Haris، ودَلَّني (**المالكي**) على الاسم الصحيح.

[٢] ‘Ashush.

[٣] A‘rab.

من المستوى الأعلى للمنحدَر إلى الأَكَمات الأوطأ حول الشِّعْب المسمَّى (**نَيْد امْأَثَبَة/ نَيْد مَثَبَة**)[1]، الذي يُتيح مَسْلَكًا سهلًا بين رأس ضَمَد ومَجْرَى **دَفَا**. إنَّ قَرية **عَرَاب**- وهي (**لآل تَلِيْد**)، الذين يمثِّلون فرعًا من (**بني جُماعة**)- هي القرية الوحيدة في الجزء الرئيس من جَبَل **ظَهْرَان**، و**دَفَا** هو الحدُّ بين **آل تَلِيْد** و(**بني مالك**)، غير أنَّه يظهر أنَّ عناصر من هٰؤلاء الأخيرين- (**بني حَبْس**) تحديدًا- كان لهم حقٌّ معلومٌ لاستعمال مراعي **ظَهْرَان** وغاباته، وذٰلك للوقود والمواد الخشبيَّة. وتقع ثَنِيَّة (**الأَثَبَة**)- التي كان فيها كوخٌ وحيدٌ غيرُ مسكونٍ[2] إلى جانب بِرْكَةٍ مبنيَّةٍ صغيرةٍ لا ماء فيها- على ارتفاع زُهاء ٥٥٠٠ قَدَمٍ فوق مستوى البحر،

---

[1] (**نَيْد امْأَثَبَة/ الأَثَبَة**) Najd am Athaba، بلهجة المنطقة: «**نَيْد مَثَبَة**»، وقد سبق القول إنَّ «**النَّيْد**» يُطلَق على مكانٍ واسع، مشرفٍ على جهاتٍ من الجبال، يكون عادة موقعًا يَتَنَدَّى الناس فيه، أي يعقدون شِبْهَ ندواتٍ اجتماعيَّة، وملتقياتٍ ترفيهيَّة. ومَثَبَة: (**الأَثَبَة**)، وجمعها أَثَب: شجر (**الأَثْأَب**) في الفُصحى، وهو: شجر (**البانيان**). (يُنظر: البعلبكي، (banyan)).

[2] في (العبيكان، م.ن): «**عشة واحدة غير مؤجرة**»!

ودون المَمَرِّ الأعلى لـ(**نَيْد وَقْع**)[١] بنحو ٥٠٠ قَدَم. لٰكنَّنا لمَّا نَنْتَهِ بَعد من هبوطنا؛ إذ سرعان ما وصلنا إلى ممرٍّ آخَر، يُسمَّى (**نَيْد امْرُزْمَة**)[٢]، وهو يربط وادِيَي **ضَمَد** و**دَفَا**، حيث لم يكن ارتفاعنا فوق مستوى البحر أكثر من ٤٧٠٠ قَدَم. ومن هنا يهبط من جهةٍ شِعْبُ (**غَبَس**)[٣] ليَلِجَ (**عَشوش**)، مشكِّلًا البداية الفعليَّة **لضَمَد**، على حين يهبط من جهةٍ أخرى (**شَعِيْبُ قعيتمان**)[٤]، بَعد مسافة نِصف مِيْلٍ، ليَلِجَ وادي **دَفَا**.

وما زلنا نواصل هبوطنا- إلَّا أنَّ هبوطنا الآن قد صار لطيفًا جِدًّا- وذٰلك إلى نحو خمسين قَدَمًا أخرى، وصولًا إلى أوطأ نقطة من الحدِّ الفاصل بين مَجْرَيَي الماء العظيمَين.

---

[١] في (العبيكان، م.ن): «**نجد وقعه**»! وكان ذَكَرَه المترجِم قبل أسطرٍ على أنَّه: «**نَيْد وَقْع**». وهٰكذا تتعدَّد في تلك الترجمة الصُّوَر لاسم المكان الواحد.

[٢] Ruzma.

[٣] Ghabas. وفي (العبيكان، م.ن): «**غابس**».

[٤] Sha‘ib Qa‘aitaman.

وهٰذا المكان كان (**نَيْد امْعَقَبَة**)، الممرَّ الممتاز الذي غالبًا ما يستخدمه الناسُ بصفةٍ عامَّة بُغيةَ الذهاب من مجرًى مائيٍّ إلى آخر. لقد كنَّا هبطنا نحو ١٣٥٠ قَدَمًا من الممرِّ الذي يمثِّل أعلى نقطةٍ من الطريق على طول حافَّة الجُرف، الذي كنَّا قد تسلَّقناه من ممرِّ (**[نَيْد] اِمْشِقّ**) صاعِدِينَ ٤٣٠٠ قَدَمٍ[١] وصولًا إلى (**قُلَّة آل قُطَيْل**)، الواقعة على ارتفاع ٥٠٠٠ قَدَم[٢]. ومن هٰذا المكان الأخير [**نَيْد امْعَقَبَة**] إلى (**نَيْد وَقْع**)[٣] كان الارتفاع ثابتًا، وهو تقريبًا ١٠٠٠ قَدَم. كان **نَيْد امْعَقَبَة**[٤] يقع في بلدٍ سفحيٍّ عاديٍّ، جِدِّ مكسوٍّ بالغابات، ولاسيما شجر (**القَرَظ**)، الذي كان جافًّا جِدًّا. الوقت الآن بعد المغرب، وقد كان باقي مسيرنا على طريقٍ سهلةٍ نزولًا إلى وادي (**دَفَا**)، حيث خيَّمنا، الساعة ٦:٣٠ مساءً تقريبًا، لدَى

---

[١] في (العبيكان، ٢: ٩٥٣): «**٤٥٠٠ قدم**»!

[٢] في (العبيكان، م.ن): «**٥٥٠٠ قدم**»!

[٣] في (العبيكان، م.ن): «**إلى نيد**»، هٰكذا فقط، دون ذِكر اسمه!

[٤] في (العبيكان، م.ن): «**ويوجد نيد**»، هٰكذا فقط، دون ذِكر اسمه!

المآتي المائيَّة وغَيْل (**فَقْوَة**)[١]، وذٰلك على ارتفاع نحو ٤٥٠٠ قَدَمٍ فوق مستوى البحر، و٢٣٠٠ قَدَمٍ فوق ملتقَى **دَفَا** مع وادي (**بَيْش**)، وبمسافةٍ من ذاك الملتقَى ربما بلغت عشرين مِيْلًا على امتداد مسار الوادي المتعرِّج، الذي يجري تقريبًا من الشَّرق والجَنوب الشَّرقي إلى الغَرب والشَّمال الغَربي نحو مِيْلٍ على جانبَي **فَقْوَة**، ثمَّ يتحوَّل بعيدًا إلى الشَّمال الغَربي حتى يغيب عن الأنظار في طيَّات الإكام. لا أستطيع من هنا أن أرى اتِّجاهه الأعلى فوق النقطة التي يدنو فيها صَوْبَ الأطراف البارزة الجَنوبيَّة من جَبَل (**ظَهْرَان**)، غير أنَّه بدا لي أنَّه يصعد شَمالًا شَرقًا إلى النقطة التي يتكوَّن فيها رأسُه بالتقاء شِعْب (**مُرَيْزِيْقَة**)[٢] و(**الجُوَّة**)، كما يُشاهَد ذٰلك من (**عَقَبَة عَلْب**).

لقد وصلنا الآن نهايةَ مرحلةٍ حاسمةٍ من رحلاتنا؛ لأنَّنا كنَّا قد عُدْنا إلى الحُدود، وفي الغد ستبدأ المهمَّة المرهِقة

---

[١] Faqwa.

[٢] Muraisiqa.

لمتابعة الرحلة عودًا على بدءٍ باتِّجاه سهل تِهامة. كنَّا قد قضينا يومًا طويلًا في سَفَرنا هٰذا، وعلى الرغم من غداء **(العَيْشَة)**[1] الذي تناولناه في **(عَثْوان)**، فقد كُنَّا مهيَّئين بَعد قليلٍ لتناول العَشاء الممتاز الذي كان قد أُعِدَّ من أجلنا، والمكوَّن من **(الرُّزِّ)** ولحم **(الماعز)**.

كان مخيَّمنا في بُقْعَةٍ مُبهِجة، على قاعٍ حصباويٍّ من الوادي، تَحُفُّه الجبال العظيمة شاهقةً أعلى منَّا. وكان الغَيْل غير نقيٍّ[2]، ومتقطِّعًا، لٰكنَّ مآتي الماء[3] كانت على ما يبدو مصادر إمدادٍ دائمٍ بالمياه، على حين بَدَت في حافات المَجْرَى المائي أشرطةٌ واسعةٌ من ثَرًى رَطْب[4]، ذاتُ شجرٍ متنامٍ من خمائل وأعشاب عِطريَّة.

---

[1] هٰذا هو اسم ذٰلك النوع من الطعام بلهجة المنطقة، وهو بلهجات جَنوبيَّة أخرى يُسمى: «**عَصِيْدَة**»، ويُقدَّم مع السَّمْن أو اللَّحم والمَرَق، أو كليهما.

[2] لم تَرِد في ترجمة (العبيكان، ٢: ٩٥٤) الإشارة إلى عدم نقاء ماء الغَيْل**!**

[3] تُعبِّر ترجمة (العبيكان، م.ن) عن هٰذا المعنى بتعبيرٍ مُبْهَم، هو: «**الثقوب المائية**».

[4] هنا قفزةٌ في ترجمة (العبيكان، م.ن)؛ فلم تَرِد فيها هٰذه الجملة: «**على حين بَدَت في حافات المَجْرَى المائي أشرطةٌ واسعةٌ من ثَرًى رَطْب**»**!**

كان الطَّلُّ[١] في أثناء اللَّيل جِدَّ ثقيل، وفي الصباح كان كُلُّ شيءٍ مُبْتَلًّا تمامًا، حينما أُوقظنا عند الساعة ٦:١٥ لأداء صلاة الفجر. في هٰذه الأثناء، وبالأحرى بعد عَشائنا المتأخِّر، الذي جعل كلَّ شخصٍ من أتباعنا العديدين في انسجامٍ تامٍّ مع نفسه، شَرَع رجال قبيلة **(بني مالك)** بعفويَّةٍ في أغنيةٍ واستمرُّوا فيها، مع الرَّقص بين وقتٍ وآخر، حتى هزيعٍ متأخِّرٍ من اللَّيل.[٢] وكانت طلقاتٌ من بندقيَّة **(مَسْكيت)**[٣] تنطلق بين فينةٍ وأخرى لتُحْيِي الأجواء، التي ما انفكَّت فاترة الإيقاع طَوال الوقت، إلى أن أَخْلَدَ المؤدُّون المنهَكون فجأةً إلى الصمت وناموا بسلامٍ كالأموات[٤]. كان

---

[١] Dew. وفي ترجمة (العبيكان، م.ن): «**الضباب**»!

[٢] لم تَرِد في ترجمة (العبيكان، م.ن) الجملة «**شَرَع رجال قبيلة (بني مالك) بعفويَّةٍ في أغنيةٍ واستمرُّوا فيها، مع الرَّقص بين وقتٍ وآخر**»، بل قفزتْ مباشرةً إلى القول: «**واستمر الغناء إلى وقت متأخر من الليل**»!

[٣] لم تَرِد في ترجمة (العبيكان، م.ن) نوعيَّة البندقيَّة التي ذكرها (**فِلْبِي**)!

[٤] عبارته هنا: «**slept the sleep of the just**». وفي العبارة إشارةٌ ضِمنيَّةٌ إلى راحة البال والأمن. وقد علَّقنا في مقدّمة الترجمة على هٰذه الحالة وأمثالها في أسلوب (**فِلْبِي**). وجاء في ترجمة (العبيكان، م.ن) تعبيرٌ غامض، هو: «**في نوم كنوم القائم بالعدل**»!

غناؤهم رخيمًا جِدًّا، لٰكن الرَّقص كان رتيبًا بعض الشيء، في عَرْضٍ باهرٍ لهمجيَّةٍ فوضويَّة[1].



[1] اكتفَى مترجِم (العبيكان، م.ن) هنا بالقول: «**لقد كان غناؤهم منسقًا، غير أن الرقص كان مملًا**»**!** ولقد تصرَّف في هٰذه الفقرة، كما رأينا، تصرُّفاتٍ مُـخِلَّة، بالحذف، تارةً، وتارةً أخرى بالاختزال، أو بطرح مقابلٍ عربيٍّ غير مفهوم.

الفصل الثاني

المرتفعات الحُدوديَّة

المرتفعات الحُدوديَّة

لقد كانت هناك أمورٌ كثيرةٌ علينا مراجعتها وترتيبها قبل أن ننطلق في مرحلتنا التالية من عمليَّاتنا الاستكشافيَّة. وكان (**عبدالله بن شرقة**)، الذي التحق بنا مع بعض شُرْطَتِه، مسؤولًا عن جميع الترتيبات، وقد كنتُ مطمئنًّا إلى ترك كلِّ شيءٍ إليه. لم يكن الرجل عمليًّا فحسب، لٰكنَّه كان أيضًا ذا طريقةٍ لطيفةٍ في التعامل مع الناس، يُدخِل عامِل الحزم في كلِّ الأمور ذات الحساسية، مع غُفرانٍ أَبَوِيٍّ إزاء الإخفاقات التي يمكن غُفرانها. ويبدو في الحقيقة أنَّه يعزف على المدوَّنة الموسيقيَّة المناسبة في تعامله مع هٰؤلاء النبلاء الإقطاعيِّين وبِطاناتهم البربريَّة.

كان المتعارف عليه– بطبيعة الحال– أنَّ على الشيخ الرئيس لأيِّ منطقةٍ نَمُرُّ خلالها أن يقابلنا على حُدود بلاده

على الأقلِّ، ثمَّ يصحبنا مُدَّةَ بقائنا في قطاع أملاكه[1]. وبهٰذه الطريقة فقد توصَّلتُ إلى تكوين العلاقات الشخصيَّة مع عددٍ من شيوخ القبائل وإلى تقدير أهميَّتهم النِّسبيَّة في النِّطاق المحلِّي؛ لأنَّه كان لا بُدَّ من تذكُّر ذٰلك؛ من حيث إنَّه في الوقت الذي يتمتَّع كلُّ شيخِ قبيلةٍ بنوعٍ من المكانة التقليديَّة والهَيبة الاجتماعيَّة، فإنَّ لشخصيَّته المستقلَّة ومَلَكاته الشخصيَّة أهميَّتهما البالغة في حالةٍ جِدِّ ديمقراطيَّة كتلك. ولم أَكُن قد مررتُ قطُّ خلال حُدود (**آل عليٍّ**)[2] في أثناء مسيرتي في بلاد (**بني مالك**)، ولم يكن ضروريًّا أن يتلقَّانا (**جابر**) شيخ **آل عليٍّ**، ولٰكنَّه بأريحيَّته قد أنزل إلينا مبعوثًا: ابنَ أخيه[3]، (**أسعد بن حسن**)، كي يُبْلِغنا تحيَّته ويرافقنا. لقد كان معنا منذ كنَّا في (**جَوْرَاء**) ولٰكن، لَمَّا كان قِطاعه من المنطقة يقع تمامًا خارج مجال استطلاعنا للمَعالم

---

[1] في (العبيكان، ٢: ٩٥٥): «**داخل مملكته**»!

[2] Ahl ‘Alil. والصواب: (**آل عليّ**).

[3] في (العبيكان، ٢: ٩٥٦): «**حفيده**»!

الحُدوديَّة، فقد مَنَحْتُه إذنًا رسميًّا بالانصراف، مع هديَّةٍ مناسبةٍ مقابل أتعابه، وحمَّلته رسالةَ شكرٍ إلى عمِّه. وقد غادَرَنا ليلًا بعد تناوله طعام العَشاء معنا. ولدَى (**فَقْوَة**) كنَّا ما نزال تحديدًا داخل بلاد (**حَبْس**)، وإنْ كنَّا على حُدودها، حيث كنَّا قد دخلناها من أرض (**آل سعيد**)[1] في (**نَيْد وَقِيْع**)[2]. وكان (**فرحان بن جبَّار اِمْداهمَة**)[3]، شيخ أهل **حَبْس**، قد التحقَ بنا وَفقًا لذٰلك في (**عَشْوان**)، لٰكنَّه أثبت عدم جدواه نوعًا ما، إذ كان رجلًا عجوزًا عنيدًا[4]، فسُمِحَ له أيضًا، أَو شُجِّعَ، على المُغادَرَة ليلًا، تاركًا ابنَه، (**جُبران**)،

---

[1] Ahl S‘aid. والصواب: (**آل سعيد**).

[2] Najd Faq‘a. ولعلَّه (**نَيْد وَقِيْع**)، المشار إليه من قَبل. وفي (العبيكان، م.ن): «**نَيْد**...»، وسَقَط اسم المكان!

[3] am Jahima. وقد سبق أن أشار إليه بـ«**فرحان بن جهيمة**»، وأشرنا إلى أنَّ الصواب: (**داهمة**)).

[4] Pig-like. هٰكذا يصِف المؤلِّفُ الشيخَ (**فرحان بن جبَّار اِمْداهمَة**)، مشبِّهًا إيَّاه بـ«الخنزير»! وليس هٰذا بمستغربٍ على أخلاق (**فِلْبِي**)، المعروفة في تعامله مع مرافقيه، وعدم اكتفائه بذٰلك بل تسجيل شتائمه في كتبه، وهو أمرٌ مستهجَنٌ جِدًّا، مهما كانت أسبابه. (راجع ما ذكرناه حول هٰذا في مقدّمة الترجمة، ١١٤).

لرعايتنا، كممثِّلٍ له حتى انتهينَا مِنْ منطقةِ **حَبْس**، التي، كَما لوحظ في السَّابِقِ، تمتدُّ إلى أَكَمات **(ظَهْرَان)** وتتماسُّ مع الحُدود على جانبَي **(ضَمَد)**. وقد عاد **(يحيَى الخالدي)**- وهو رجلٌ محترم، كبيرُ السنِّ، وجذَّابٌ جِدًّا- مِنْ **عثوان**، واعدًا بالاِنْضمام إلينا مرَّةً أخرى لاحقًا، وذٰلك عندما تُعيدنا رحلتنا على طول الحُدود إلى حُدود أرضه على امتداد وادي **ضَمَد**. وأخيرًا، فقد رافقَنا شيخ **آل سعيد**، **(عليُّ بن فرحان)**، إلى **فَقْوَة**، إلَّا أنَّ وجوده معنا لم يَعُدْ مطلوبًا، ولذٰلك سُمِحَ له بالعَودة.



١- المسح التمهيدي لجبال (بني مالك):

هٰكذا، كنَّا قد فرغنا- بدرجةٍ أو بأخرى- مِنْ الأقسامِ الشَّماليةِ في جبال (**بني مالك**). غير أنَّ الرجل الذي كنَّا نبغيه ما زال مفتقَدًا. ذاك هو شيخ (**آل يحيَى**)، (**حتروش بن سلمان**)، الذي كانت رسائل مستعجلة قد أُرسلتْ إليه، تَطْلبُ منه الالتحاق بنا بلا تأخيرٍ لاستكشاف أرضه على طول الحُدود. كنَّا محتاجين- بصفةٍ خاصَّةٍ- إلى تأكيدات رعاياه ممَّن كانوا قد انتُدبوا إلى نَصْب الأعمدة الحُدوديَّة. ولٰكن لا إجابة جاءتْ عن رسائلنا، ولم يأتِ، لا **حتروش** ولا أيٌّ مِن أتباعه، إلى (**فَقْوَة**) لـمُقَابَلَتنا.[١] بَدا الأمر غامضًا نوعًا ما، وكان (**عبدالله بن شرقة**) في حَيرةٍ من أمره. بَيْدَ أنَّ كُلَّ شيءٍ أصبح على ما يرام، إذ وَفَد على المخيَّم في الصباح

---

[١] وقع هاهنا خلطٌ في ترجمة (العبيكان، ٢: ٩٥٧)، هٰكذا: «**ولم يحضر... لمقابلتنا، وفي الفقوة يبدو هٰذا الأمر غريبًا...**»! ولْيفهم القارئ، أو لا يفهم، يكفي أنْ يقال إنَّ الكِتاب قد تُرجِم!

الباكر من اليوم التالي **حتروشُ** مع حاشيته الكبيرة. وقد كان الرجل لطيفًا وشخصًا تنفيذيًّا أيضًا. ويا للمفاجأة، فقد جاء أيضًا (**يحيَى الخالدي**) للانْضِمام إلينا ثانيةً، حيث غيَّرَ رأيه على ما يبدو أَو لعلَّه أكمل شؤونًا ما كانت تشغله، فيما شجَّعتْ عودتُه (**عليَّ بن فرحان**) للبَقاء مَعنا كذٰلك. لذا بقينا في جَمْعٍ منتظمٍ من العشائر تحت تصرُّفنا[1]، فيما زِيْدَ نِطاقُ القُدرات المحليَّةِ [على العمل الذي نحن بصدده] بالتحاق (**مُتعِب بن جابر**)، شيخ (**آل تَلِيْد**) وخبير الحُدود.

وبكُلِّ هٰؤلاء الحضور بَدأتُ عمليَّات ذٰلك اليوم بزيارة الرابية المنخفضة من الأَكَمات السفحيَّة المُشْرِفة على (**فَقْوَة**)- أَو (**فَقْوَة الريم**)، لإعْطاء بِرَكِ الماء اسمها الكامل- وذٰلك لمسحٍ تمهيديٍّ للمنطقة التي سنستكشف.

وتحاذي واديَ (**دَفَا**)- الذي ينثني في دَورةٍ إلى الغَرب

[1] في (العبيكان، م.ن): «**كان لدينا بذٰلك [جمعاً منتظماً] من القبائل تحت تصرفنا**»! ويَلحظ القارئ الخطأ النحويَّ هنا.

فوق (**فَقْوَة**)- وذٰلك على ضِفَّته اليُسرَى، منطقةُ أَكَمات سفحيَّةٍ تَفصله عن رأس (**ضَمَد**)، بعَرضٍ يبلغ قُرابة مِيْلٍ مع ٢٠٠ قَدَمٍ انحدارًا إلى القناة. وهو محصورٌ على ضِفَّته اليُمنَى هاهنا بمنحدَرٍ يُقدَّر بـ٤٠٠ قَدَمٍ من سِلسلة إكامٍ تفصله عن السفح الفعليِّ لـ(**ظَهْرَان**). والمنظرُ المُطِلُّ عليه من الضِّفَّة اليُسرَى- وذٰلك من قُلَّةٍ منخفضةٍ تنحدر عن إحدى قِمَم (**اِمْقُلْحَة**)[١] التابعة لمنطقةِ السفح الجَبَليِّ- يتمثَّل في أبراجٍ مدمَّرةٍ ومَهْجُورةٍ لقُرَيَّةٍ قديمةٍ تُدعَى (**حِسِي**)[٢]. ويستلقي (**نَيْدُ وَقِيْع**)[٣] إلى الجَنوب الغَربي بمسافةٍ قليلةٍ من موقعنا، و(**نَيْدُ الأَثَبَة**)[٤] إلى الجَنوب الغَربي، فيما تقع قَرية

---

[١] Qulha. وجَبَل (**امْقُلْحَة**) غَرْبُه وجَنوبُه لـ(**آل يحيَى**) و(أهل **حَبْس**)، من (**بني مالك**)، وشَرْقُه لـ(**آل ثابت**)، من (**بني جُماعة**).

[٢] Hassa.

[٣] Najd Waq‘a. وسبق ترجيحنا أنَّه يشير إلى: (**نَيْد وَقِيْع**). وفي (العبيكان، م.ن): «**وتقع نيد إلى جنوب غرب...**»! وحذف اسم المكان «**وَقِيْع**»!

[٤] ذَكَرَ الاسم هنا منكَّرًا، وكان ذَكَرَه من قبل بصورةٍ صحيحة: (**نَيْد امْأَثَبَة/ الأَثَبَة**) am Athaba، وقلنا إنَّه يُنطق بلهجة المنطقة: «**نَيْد مَثَبَة**». وفي (العبيكان، م.ن): «**وتكون نيد إلى ناحية الجنوب...**»! وحذف اسم المكان «**الأَثَبَة**»!

(عَرَاب)[1] إلى الأعلى، في شِعْبِها، إلى الشَّمال الغَربي. وفي اتِّجاه مجرَى الوادي على الضِّفَّة اليُسرَى، ومُقابِلَ القُلَل الشَّماليَّة **لظَهْرَان**، انتصب الهرَم العظيم لـ**(هَجِيْدَة)**[2]- المسمَّى **(صُرَيمانُ)**[3]، وربما كان بمعنى (**سُليماني**)، بلهجة (**آل تَلِيْد**)- مع المنحدرات الحادَّة لجبال (**بني مالك**)، التي يصعب تَمييزها بشكلٍ مستقلٍّ من مكان مشاهدتنا هٰذه، والواقعة إلى جهة اليسار من **هَجِيْدَة**. وفي الاتِّجاه الأعلى كانت خلفيَّة انحناءة الوادي تتمثَّل في سِلسلة إكام (**عارف**) الطويلة، إضافةً إلى ملتقَى القِمَم الأَوْطَأ **من (القَهْر)** متجمِّعةً حوالي المنحنَى الفِعلي. أمَّا بقيَّة الأماكن، فلم تكن هناك إلَّا

---

[1] في (العبيكان، م.ن): «**وادي عرب**»، بدل «**قَرية عرب**»، خالطًا بين كلمتَي «**Village**» و«**Valley**»!

[2] في (العبيكان، ٢: ٩٥٨): «**شمخ هرم هجيدة، إلى أسفل مع اتجاه الوادي**»! ولا أدري كيف يكون الشموخ إلى الأسفل؟!

[3] Surimanu. وفي ترجمة (العبيكان، م.ن) اضطرابٌ غريبٌ في ترجمة هٰذه الجملة، هٰذه نسخته: «**لقد شمخ هرم هجيدة العظيم، إلى أسفل مع اتجاه الوادي، وعلى الجانب الأيسر في مقابل العرنات الشمالية لثهران يسمى (صرمان) ربما يقصد بها سليماني بلهجة تليد)**»!

تفاصيل ضئيلة لتُذكَر عنها. ثمَّ هبطنا لنَحُطَّ الرِّحال كي نتناول إفطارًا دَسْمًا مكوَّنًا من اللحم، وذٰلك قبل بَدْء عمليَّاتنا عمَّا قليل، أي بَعد الساعة ٩ صباحًا.



٢- نُقاط الحُدود السُّعوديَّة اليَمَنيَّة:

أخذتْنا عشرون دقيقة من السَّير على الغَيْلِ المتقطِّع والراكد، وعلى القاع المحصَّب من القناة، إلى الحُدود، التي تَعْبرُ وادي (**دَفَا**) على خطٍّ شَرقيٍّ غَربيٍّ، وذٰلك بمسافةٍ يسيرةٍ أسفل انحنائه العظيم. وعلى الضِّفَّة اليُمنَى كان هناك جُرفٌ ناتئٌ يُسمَّى (**الرصيفي**)[١]، ارتفاعه ثمانون قَدَمًا يُشرِف فوق وادٍ فرعيٍّ صغيرٍ على الجانب الآخَر، ويُعَدُّ **الرصيفي** نقطة الحَدِّ الرسميَّة، مع أنَّه لم يَبْدُ ضروريًّا وَضْعُ عمودٍ على جسمٍ واضحٍ جِدًّا كهٰذا الجُرف. وعلى الرغم من ذٰلك، فإن عمودًا يُعرَف بعمود (**قَمْع مَعْروب**)[٢] كان ينتصب على مستوى الوادي على الجانب الآخَر للقناة كي يُشير إلى النقطة التي يَصْعَدُ الخَطُّ من عندها عَبر الأَكَمات إلى العمود التالي على إحدى قِمم (**اِمْقُلْحَة**)، وهي تقع في الوسط منها. وجديرٌ بالتذكُّر أنَّه كان يجب عليَّ لدَى (**عَقَـبَة عَلْب**) أنْ أكتفي بمشاهدةِ سِتَّةِ أعمدةٍ عن بُعدٍ، راسمةً الحُدود على طول قناة (**الجُوَّة**)، وصولًا

---

[١] Rasafi. كذا جاء الاسم، والمعروف في تلك النقاط الحُدوديَّة: (**الرصيفي**)، شَمالُه وغَرْبُه: لـ(**آل تَلِيْد**)، وجَنوبُه وشَرْقُه: لـ(**بني جُماعة**).

[٢] Qam‘at Ma‘rub . وفي (p.513): Qa‘mat Ma‘rub. والصواب: (**قَمْع مَعْروب**).

إلى ملتقاها مع (**شَعِيْب مَوْطَن**)[١] لتُشكِّل رأس وادي **دَفَا**، أو (**وادي الرَّيْث**) كما يُطلق عليه أحيانًا. وقد كان آخِر تلك الأعمدة التي تمكَّنتُ من رؤيتها ذٰلك الذي في (**الحُمَرَة**)[٢]، على شِعْبٍ يقطع الرِّعانَ الجَنوبيَّ من كُتلة (**ظَهْرَان**)، في موضع انحدار الرِّعان فوق مُنحنَى وادي **دَفَا** إلى مجرَى الوادي. ولسوء الحظِّ فإن دليلَي الرِّحلة من (بني مالك) و(آل تَلِيْد) كانا يجهلان اسم الحُمَرَة فأخبراني بأنَّ العمود الحُدودي التالي الواقع شَرق الرصيفي كان ذٰلك الذي في (نَيْد جنازة)[٣] على شِعْبٍ يمرُّ خلال الرِّعان الخارجي من ظَهْرَان. ولقد تمكَّنتُ من أن أرى تلك البُقْعَة لاحقًا، وذٰلك مِنْ موقعٍ أعلَى، وأن أُقنِع نفسي بأنَّ الاسمَين كانا يُستعملان من وجهات نظرٍ مختلفة للعمود نفسه. لقد كان الوضع- بحسب مقدرتي على الحُكم عليه- متشابهًا من جميع النواحي، فضلًا عن أنَّ اتجاهات بوصلتي قد

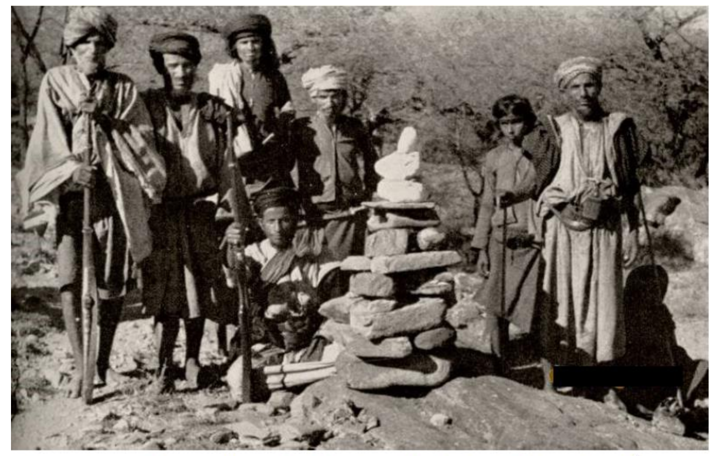
---

[١] Sha‘ib Mautan. وفي (العبيكان، ٢: ٩٥٨): «**شعيب موتان**».

[٢] Hamara. كذا، والصواب: (**الحُمَرَة**). نسبةً إلى شجرة من أشجار (**الحُمَر**)، المسمَّى في غير هٰذه المنطقة: (**التَّمْر الهندي**).

[٣] Janaza.

أَيَّدت ذٰلك التعرُّف على المكان. ووَفقًا لوجهة النظر هٰذه، فإن **الحُمَرَة** و**نَيْد جنازة** يندرجان معًا تحت رقمِ عمودٍ واحدٍ هو ٤١، مع احتمالٍ- مجرَّد احتمالٍ- أنَّهما منفصلان، وهو ما استدعَى أن أجعلهما برقمَي ٤١ و٤١(أ). وفي كلتا الحالتين فإنَّ **جُرف الرصيفي** يُمثِّل النُّقطة ذات الرقم ٤٢ على الحُدود، مع عمود **قَمْع مَعْروب** ذي الرقم ٤٣، ثمَّ ذٰلك العمود الذي في قِمَّة **اِمْقُلْحَة** برقم ٤٤. ومهما يكن، فلقد ربطتُ الآن نهايتَي الحُدود لتُغطِّي الفجوةَ الحُدوديَّةَ التي كنتُ قد تجاوزتها في (**عَلْيَيْن**).



عمود (قَمْع مَعْروب): (حتروش)، و(مُتعب)، و(يحيَى) على اليسار، مع (عليّ بن فرحان).

(تصوير فِلْبي)

وفي مقابل عمود (**قَمْع مَعْروب**) هناك وادٍ صغير، يُدعَى (**شَعِيْب عَرِيْب**)[١]، يَتحدَّر صوبَ وادي (**دَفَا**) مِن الحافَّة الخارجيَّةِ لـ(**ظَهْرَان**)، وقد بدا لي من المحتمل أنَّ اسم العمود مُشتَقٌّ من هٰذا المكان، وأنَّه يَنبغي أَن يُكْتَبَ: «**قَمْع امْعَرِيْب**»[٢]. ويُمْكِنُني من جُرف (**الرصيفي**) أَنْ أَرى القَرية الصغيرة المسمَّاة (**الشَّقَرَة**)[٣] في وادٍ يحمل الاسم نفسه، وذٰلك لدَى النقطة التي ينحدر منها هٰذا الأخير إلى وادي **دَفَا** لدَى زاوية انحنائه. والقرية تقع، بالطبع، في أرضِ (**اليَمَن**)، وتَعُودُ إلى (**آل ثابت**)[٤]، وهم فرعٌ من (**بني جُماعة**)[٥].

---

[١] Sha‘ib A‘rib. وفي (العبيكان، ٢: ٩٧٧): «**شعيب عرب**».

[٢] Qam‘at am A‘rib. وقد سبق أنَّه: «**قَمْع**»، لا «**قمعة**». وفي (العبيكان، م.ن): «**قمع أمعرب**»!

[٣] Shaqara. وفي (العبيكان، م.ن): «**الشِّقْرة**»!

[٤] كالعادة، يُلحَظ أنَّ (**فِلْبِي**) يكتب (آل): (Ahl = أهل)، فقد ذكر هنا: «**Ahl Thabit**».

[٥] في (العبيكان، م.ن): «**آل جمعة**»! وفيه خطآن: الأوَّل، أنَّهم يكنَّون بـ«**بني**»، لا بـ«**آل**»، وكُنيتهم بـ«**بني**» هو ما ذَكَرَه (**فِلْبِي**). والخطأ الآخَر، أنَّ الاسم (**جُماعة**)، لا (**جمعة**)، وذٰلك ما ذَكَرَه **فِلْبِي** كذٰلك: «**Bani Juma‘a**». وفي هٰذا ما يكشف ما حَدَث في ترجمة (**العبيكان**) من تصرُّفات مُخِلَّة، تحرِّف النصَّ المترجَم كما تخالف الواقع. و(**بنو جُماعة**) قبيلةٌ معروفة، قُراها تقع إلى الشَّمال الغَربي من مدينة (**صَعْدَة**)، ومركزها مدينة (**مَجْز**). و**جُماعة**: بضمِّ الجيم، من ←

وعلى مسافةٍ قصيرةٍ حول المنحنَى يَلِجُ **(شَعِيْب جِلال)**[١] إلى **دَفَا** من لَدُن ثنيَّةٍ تُطِلُّ على وادي **(ضَمَد)** الأعلى على الجانب الأقصَى. وعلى تلك الثنيَّة نُصْبٌ حُدوديٌّ سنمرُّ به بعد قليل.

في تلك الأثناء، عَبَرْنا الوادي من لدَى جُرف **(الرصيفي)** متَّخِذين سبيلَنا من فوق قِمَّة **(القُلْحَة)** إلى الجَنوب الغَربي في وسط السفوح. كان مَسِيْرًا عسيرًا حقًّا في بلادٍ كئيبةٍ، مضطربةٍ، صخريَّةٍ وبشكلٍ حادٍّ. فأدَّانا تسلُّـقٌ قصيرٌ إلى العمود (رقم ٤٤) على القِمَّة، فوق مستوى البحر بارتفاع ٥٣٠٠ قَدَمٍ، ونحو ٧٠٠ قَدَمٍ فوق مستوى وادي **(دَفَا)** لدَى قَدَم جُرفِ **الرصيفي**. اتِّفاقًا، كنتُ قد احتفظتُ ببُرتقالةٍ وحيدةٍ في حقيبتي، زوَّدني بها **(عبدالله بن شرقة)**، أَلْتَهِمُها الآن باستمتاعٍ وسطَ دائرةٍ متعجِّبةٍ من نبلاء

كُبريات قبائل (**خَوْلان بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة**)، تُنسب إلى (**جُماعة بن شرحبيل الأصغر بن هلال الأصغر بن شرحبيل بن هلال بن هانئ بن خَوْلان**).

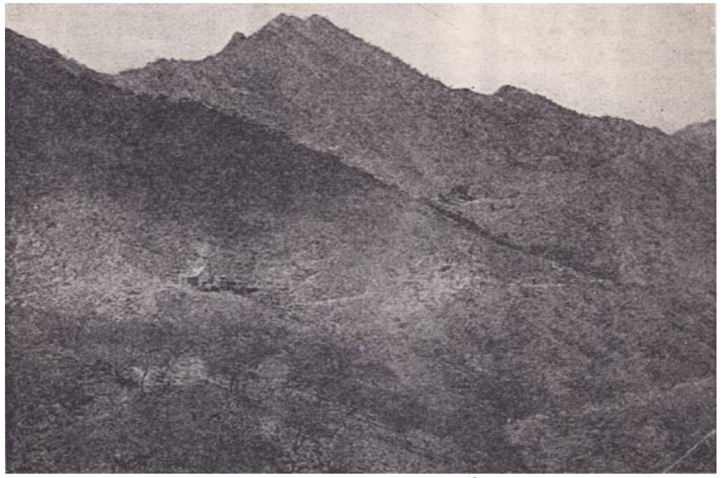
[١] Sha‘ib Jilal.

الجبال[١]. لقد كان من الواضح أَنَّنا أكثر من أن نتشارك في البُرتقالة، غير أَنَّني شعرتُ بخجلٍ بعضَ الشيء من أنْ أُبلِّل حلقي من العطش فيما هم، حتى الماء، لم يُحضِروا معهم أيَّ ماء. على أنَّ البُرتقالة سرعان ما انتهت وعدتُ إلى عملي. وها نحن أولاءِ الآن جَنوب شَرق مخيَّمنا في (**فَقْوَة**)، فيما يُـرَى مَوضِع العمود الحُدوديِّ في (**نَيْد جنازة**) رأيَ العَينِ وبشكلٍ واضحٍ إلى الشَّمال الشَّرقيِّ، على بُعد نحو خمسة أميال. وفي الزاوية المتشكِّلة عن امتداد هٰذين الخطَّين تقع قناة **دَفَا** مُنحدِرةً وملتفَّةً، في حين كان في استطاعتنا أن نُشاهِد قَريةً أخرى صغيرة، هي قَرية (**آل ثابت**)، بأبراجها السكنيَّة، على سفح الشِّعْب الواقع أعلى (**الشَّقَرَة**). ومن

---

[١] في ترجمة (العبيكان، ٢: ٩٧٨): «**رؤساء نجد**»! فما علاقة «**رؤساء نجد**» بالموضوع؟! وماذا سيفهم القارئ من هٰذه الترجمة، إلَّا أنَّ «**رؤساء نجد**» المعروفة هم المقصودون في كلام (**فِلْبي**)؟! والحديث إنَّما هو عن تلك المرتفَعات على الحُدود السُّعوديَّة اليَمَنيَّة، ولا علاقة للموضوع بـ(**نجدٍ**) ورؤسائها! مع أنَّ العمل برُمَّته قد تُرجمت فيه كلمة highland، منذ عنوانه، إلى: «**مرتفَع**»، لا إلى «**نجد**»، أَمْنًا للَّبس.

هاهنا يمتدُّ خطُّ الحُدود في الاتِّجاه الجَنوبيِّ الشَّرقيِّ، على طول القِمَّة من سِلسلةٍ جَبَليَّةٍ شامخةٍ تنطلق فوق شِعْب **(نَيْد جِلال)**[1] وصولًا إلى جُرف **(كَتْفَة)** ذي الغابة الكثيفة، حيث ينحدر منها مرَّةً أخرى باتِّجاه الوادي.



مَشْهَد بطُول الحُدود إلى قِمَّة **(القُلْحَة)**، فوق قَريتَي **(مَنْطَر)** و**(الصَّحيف)** على الجانب اليَمَني.
(تصوير فِلْبي)

وانحدرنا بزُقَاقٍ، هو طريقٌ ماعِزٍ، يتعرَّج نِصفُ مُنْحَدَرِهِ خلالَ أَحراجٍ من **(القَرَظ)** الكثيف، ويصل غيرَ

---

[1] **(نَيْد جِلال)**: غَرْبُه وجَنوبُه لـ**(آل يحيَى)** من **(بني مالك)**، وشَرْقُه وشَمالُه لـ**(آل ثابت)** من **(بني جُماعة)**.

بعيدٍ إلى جُرف الضِّفَّة اليُسرَى من (**شَعِيْب جِلال**)، المُطِلّ على قَرية (**الصَّحيف**)[١]، التي استرحنا فيها للحظاتٍ قليلةٍ لنستمتع بضيافةٍ يسيرةٍ من قِبَل شيخ (**آل ثابت**)، (**مُتعِب**)، الذي قدَّم إلينا ماءً، ولَبنًا، وقهوةً من محاصيل **آل ثابت** الخاصَّة. ونحن نغادر قدَّمتُ [إلى شيخ **آل ثابت**] ريالًا، فقَبِلَه بامتعاضٍ حقيقيٍّ واضحٍ من أنْ يأخذ مقابِلًا على تضييفه إيَّانا. وبطبيعة الحال، فإنَّ كلَّ القُرى الصغيرة على الضِّفَّة اليُسرَى من (**دَفَا**) تقع في أراضي (**اليَمَن**)، وتعود إلى الإدارة المحلِّـيَّة في (**مَجْز**)[٢]. وهٰذا ينطبق كذٰلك على سائر الأماكن وصولًا إلى (**مَنْطَر**)[٣]، التي مررنا بها في الطريق إلى شِعْب (**نَيْد جِلال**) وعموده الحُدوديِّ، الواقع على ارتفاع ٥٠٠٠ قَدَمٍ تقريبًا فوق مستوى البحر. هنا كنَّا قد وصلنا إلى مفترق طُرقٍ مؤقَّتٍ؛ لأنَّه- فيما كان عليَّ أن أصطحب

---

[١] Sahif.

[٢] Majz. و(**مَجْز**): مدينةٌ تُعَدُّ مركز (**بني جُماعة**)، شَرقيَّ (**مُنَـبِّه**).

[٣] Mantar.

(حتروشًا) وخبراء الحُدود التابعين له على طول حافَّة سِلسلة الجبال الحُدوديَّة العُليا- فإن بقيَّة الفريق، تحت رعاية **(عبدالله بن شَرقة)**، كان عليه أن يمضي أسفل وادي **(قَيْف)**[١] إلى وادٍ يقع بين الجبال حيث كان علينا أن نُخَيِّم لليلةٍ بين حقول[٢] **(مَعِيْنَة)**[٣] وبساتينها. والحقيقة أنَّ وادي **قَيْف** يَصُبُّ في رأس **(ضَمَد)**، الذي يُعرَف محلِّـيًّا بـ**(اِمْصَدر)**[٤]. وكان ملتقَى **(مُدَيْرَة)**[٥] مع **ضَمَد** أوطأَ بعض الشيء، فيما تقع على الحافَّة الخارجيَّة- بين الأودية التي تغذِّي الوادي الرئيس ومحيطه- قريةُ **حتروش** التي ينتمي إليها، والمسمَّاة **(وَلَـجَة)**[٦].

---

[١] Qaif.

[٢] في (العبيكان، ٢: ٩٧٩): «بين **الحقو**...»! ولعلَّه خطأ طباعي.

[٣] Ma‘ina.

[٤] Am Sadr.

[٥] Mudaira.

[٦] Walaja (? Walada). وقد سَبَق أن أشار المؤلِّف، (Philby, 503)، إلى أنَّ (حرف الدال) في لكنة المنطقة يُقلب جيمًا. غير أنَّ الاسم هنا بالجيم لا بالدال.

كان العمودُ الحُدوديُّ في (**نَيْد جِلال**) برقم ٤٥، وقد كان أمامنا منحدَرٌ جَبَلِيٌّ- وإنْ كان قصيرًا جِدًّا- لنتسلَّقه، وذٰلك على نتوءٍ جَبَلِيٍّ، له شكلُ حافَّةِ سِكِّينٍ، وصولًا إلى العمود التالي (رقم ٤٦)، المعروف باسم (**نَيْد السَّحايا**)[١]. و**نَيْد السَّحايا** مُنْبَسَطٌ من الأرض صغير، يُطِلُّ تمامًا على (**نَيْد جِلال**)- الذي لم يكن عموده، الواقع على مسافة لا تَعْدُو ١٥٠ قَدَمًا أسفل منَّا، مرئيًّا لنا- لٰكنَّه (أي **نَيْد السَّحايا**) كان مغطًّى بمجموعةٍ كبيرة من الرُّكام الحَجَرِيَّة، ربما كانت مقبرةً قديمة. وبإمكاننا الآن رؤية رأس وادي (**ضَمَد**) مُحاطًا بجُرفٍ عظيم. وما زلنا في صعودنا النتوءَ الصخريَّ المنحدِرَ وصولًا إلى ركامٍ حَجَرِيٍّ يمثِّل حَدًّا قَبَلِيًّا قديمًا (لم تتضمَّنه قائمةُ العلامات الرسميَّة، ولٰكن ربما صحَّ وصفه على أنَّه ذو الرقم ٤٦أ)، وذٰلك في

---

[١] Najd Sahaya. و(**نَيْد السَّحايا**): غَرْبُه وجَنوبُه لـ(**آل يحيَى**) من (**بني مالك**)، وشَرْقُه وشَمالُه لـ(**آل ثابت**) من (**بني جُماعة**).

(**رُزْمَة اِمْحَـرَّة**)[١]، على حافَّة السفوح الشديدة الانحدار بارتفاع ٥٨٠٠ قَدَمٍ عن مستوى البحر. ومن هنا كان أمامنا منظرٌ آخر واضحٌ لـ(**نَيْد جنازة**)، مع شِعْب (**معْوَل**)[٢] المنحدِر منه إلى (**دَفَا**)، الذي ينثني من لَدُنْه الملتقَى إلى الوراء يمينًا خلفَ قِمم جبال (**القَهر**).[٣] كما أخذتْ الآن تتجلَّى أمامنا مناظرُ واسعةٌ أسفل وادي **ضَمَد**، إلى جَبَل (**بني عَيَّاش**)، و(**العُرّ**) في الجَنوب، و(**فَيْفاء**) نفسها إلى الجَنوب الغَربي. وتقع قُرَى (**آل يحيَى**) العُليا- وهي (**الوَلَـجَة**)، و(**الحَدَبَة**)[٤]، و(**شَهدان**)، و(**عُصيمة**)[٥]- إلى اليسار قليلًا من

---

[١] Razmat am Harra. وكذا يسوق الاسمَ أحيانًا بفتح الراء. وأغلب الظنِّ أنَّ الاسم بضمِّ الراء، كما في أسماء المواضع الأخرى. و«**الرُّزْمَة**»: الكومة من الحجارة.

[٢] Ma‘wal.

[٣] في (العبيكان، ٢: ٩٨٠): «**إلى الخلف ناحية الغرب وعند قمم القهر**»! ولا أدري من أين جاء المترجِم بعبارة «**ناحية الغرب**» في مقابل «**إلى اليمين**»، وكلمة «**عند**» بدل «**خلف**»؟!

[٤] Hadaba.

[٥] ‘Usaima.

خطِّ التماسِّ إلى [جَبَل بني] **عَيَّاش**، فيما تنتصب (**مَنْصِيَة**) بشكلٍ بارزٍ على جُرف وادي **ضَمَد**، وتقريبًا في خطٍّ واحدٍ مع **فَيْفاء**.

وبمواصلة صعودنا، وصلنا إلى العمود الحُدوديِّ ذي الرقم ٤٧، في (**نَيْد اِمْرُفْضَة**)[1]، على ممرٍّ جَبَليٍّ بين رؤوس الشِّعاب المتَّجهة جَنوبًا إلى وادي (**ضَمَد**) وشَمالًا إلى الأراضي التابعة لدولة (**اليَمَن**) متَّصلةً بوادي (**حِنَبَة**)[2]، وهو رافدٌ من روافد وادي (**دَفَا**)، الذي يتَّصل لدَى المُنْثَنَى مع (**شَعِيْب جِلال**) و(**شَعِيْب الشَّقَرَة**). ولدَى هٰذه النقطة على الممرِّ الجَبَليِّ فإنَّ ارتفاعنا كان ٦١٠٠ قَدَمٍ فوق مستوى البحر، وقد أَوْصَلَنا طريقٌ شديدُ الانحدار- يرتفع قليلًا على الجُرف المقابل- إلى العمود الحُدوديِّ (ذي الرقم ٤٨)،

---

[1] Najd am Rafsa. والصواب: (**نَيْد امرُفْضَة**)، (بالمنقوطة). وغَرْبُ **نَيْد امرُفْضَة** وجَنوبُه لـ(**آل يحيَى**) من (**بني مالك**)، وشَرْقُه وشَمالُه لـ(**آل ثابت**) من (**بني جُماعة**).

[2] Hanaba. والاسم: «**حِنبَة**»، (بكسر الحاء). وطريقة نطق (**بني مالك**) للاسم: اِحْنبَة.

(رُزْمَة الرَّقَبَة)، ومن الواضح أَنَّه سُمِّي بهٰذا الاسم لأَنَّه ينتصب في مقابِل قَرية **الرَّقَبَة** على الجُرف. والارتفاع هنا ٦٢٥٠ قَدَمًا، وبَعد **رُزْمَة الرَّقَبَة** بقليلٍ تَبرز رُزْمَة (رقم ٤٩): **(رُزْمَة امْفَرَحَة)**، مقابِلةً القَرية ذات السُّوق التي تحمل الاسم نفسه: **(اِمْفَرَحَة)**، وذٰلك على ارتفاع ٦٣٠٠ قَدَمٍ فوق مستوى البحر. وفي هٰذا القطاع فإن الخطَّ الأماميَّ للحُدود يتبع محيط دائرةٍ واسعةٍ من سِلسلة الآكام، التي تنحدر بحِدَّةٍ إلى سِلسلةٍ من شِعاب الأَودية ذات الغابات الكثيفة وصولًا إلى مستوى وادي **ضَمَد**، فيما تلتقي على الجانب اليَمَنِيِّ سِلسلةُ جبال **حِنَـبَة** العالية وذات الغابات الجَمَّة بسِلسلة الجبال الأماميَّة- المسمَّاة **(العريف)**، بَدْءًا من **نَيْد اِمْرُفْضَة فهلمَّ** جرًّا- مشكِّلةً رأس وادي **حِنَـبَة**. واستمرَّ بنا المسيرُ حول حافَّة تلك الدائرة من سِلسلة الإكام حتى وصلنا إلى العمود (ذي الرقم ٥٠) في **(ظَهْرَة**

اِمْقَشَّا)[١]- وتُنطق «**ثَهْرَة**»- وذٰلك على المستوى الارتفاعيِّ نفسه تقريبًا للعمود السابق. وبصفةٍ عامَّةٍ، فقد كان المنظر من هناك شبيهًا إلى حدٍّ كبير بالسابق باستثناء قَريتَين جَبَليَّتَين إضافيَّتَين- هما: (**امْظَهْر**)، و(**امْسَوْداء**)[٢]- ظَهَرَتا في المشهد، على حين استلقت قريةُ (**مَعِيْنَة**) أسفل مِنَّا يمينًا مع [قَرية] (**اِمْدارَة**)[٣]، وهي قَريةٌ صغيرةٌ أخرى، تقع وراء سِلسةٍ أَكَمِيَّةٍ في ما يليها. لقد كان باستطاعتنا أن نرَى بقيَّة مجموعتنا وقد استقرُّوا أسفل منَّا في مخيَّمٍ بين شُجيرات ذٰلك المكان، وكانت الساعة تشير إلى الخامسة مساءً على وجه التقريب. وقد كُنَّا ظِماءً بعد معاناةِ مسيرةِ يومٍ شاقَّة. ولذا

---

[١] Dhahrat am Qasha. ولعلَّ أصل «**امْقَشَّا**»: (**القَشَّاء**). وفي (العبيكان، ٢: ٩٨١): «**بظهرات (ينطق ثهرات) أمقشعة**»!

[٢] Dhahr and Sauda. وكثيرًا ما يُنكِّر (**فِلْبِي**) الأسماء. لذٰلك قدَّرنا أنَّ الاسمَين: (**اِمْظَهر**) و(**اِمْسَوْداء**). والناس هناك ينطقون الظاء ثاءً- كما سلف- فلا بُدَّ أنَّهم ينطقون الاسم: «**اِمْثَهر**»، حسب ما مرَّ في: «**ثَهْرة**»، و«**ثَهْرَان**». وفي (العبيكان، م.ن): «**ثاهر والسودة**»!

[٣] Dara.

قرَّرنا إيقاف عمليَّاتنا يومَنا ذاك، إلَّا أننا سرعان ما أصبحنا بعدئذٍ في سبيلنا نازلين ذٰلك الطريقَ الشاقَّ عَبْرَ منحدَرٍ، يمثِّل شِعْبًا كثيف الشجر. وما هي إلَّا مُدَّة نِصف ساعةٍ حتى كُنَّا قد هبطنا ١٠٠٠ قَدَمٍ لنَجِد واحدًا من رجالاتنا جالسًا على قارعة الطريق ومعه قِربة ماء، كانت أَعَزَّ علينا من أيِّ كلماتِ ترحيب، حيث حَطَطْنا رحالنا مستمتعين لبعض الوقت. وكان الرجل قد صعد لإنجادنا استجابةً لتوجيهاتٍ نُودي بها إلى المخيَّم في الأسفل من أحد مرشدينا لدَى العمود الحُدوديِّ في (**القَشَّاء**)[1]، الواقع على زُهاء ٢٠٠٠ قَدَمٍ فوق السِّلسلة الجَبَلِيَّة، وعلى مسيرة ساعةٍ من المشي الحثيث كالتي قطعناها، باستثناء توقُّفات الراحة.

وأسفل هٰذه النقطة التي كنَّا فيها، مررنا على عشَّتَي بَدْوٍ متواضعتَين إلى جانب الطريق- يبدو أنَّهما مجرَّد سقيفتَين من أجل استظلال المسافرين- وعمَّا قليل من بَعد غروب

[1] في (العبيكان، م.ن): «**عمود قشعة**»!

الشمس كنَّا نسير إلى المخيَّم على واحدة من محارث قَرية (**مَعِيْنَة**) المحصودة الزَّرع وذات الزُّبُر[١]. لقد كان يومًا غير يسيرٍ علينا، وبالأحرى مرهِقًا، في عمليَّة تتبُّع- أو محاولة تتبُّع- ما يَصِحُّ وصفه بعلاماتٍ حُدوديَّةٍ سيِّئة، وسط غابةٍ كثيفةٍ من الأشجار القصيرة، حيث كان علينا غالبًا- ولاسيما غَرب (**امْرُفْضَة**)- أن نكابد، بما تعنيه الكلمة من معنى، سبيلَنا خلال أَجَمٍ من الأشجار الشَّوكيَّة وأشجارٍ أخرى ملتفَّة. ولقد حاول (**الشيخ يحيَى الخالدي**)، في الحقيقة، أن يتملَّص مُنْذ وقتٍ مبكِّرٍ من تلك الإجراءات التي كان علينا القيام بها، مُدَّعيًا أنَّه لم يكن على ما يرام، معترِفًا، في غير حياءٍ، أنَّ ذٰلك بسبب تناوله كَمًّا زائدًا من وجبة إفطارنا الممتازة، المكوَّنة من لحم (**الضأن**) مع (**الرُّزِّ**)، ثمَّ عَبِّه قَدْرًا كبيرًا من ماء الغيل، وحَدِّثْ ولا حَرجَ عمَّا

---

[١] «**الزُّبُر**»: جمع «زَبِيْر»، وهو ارتفاعٌ ترابيٌّ ممتدٌّ، تُحاط به المدرَّجات الزراعيَّة من خارجها، ليكون عَـقْمًا يحفظ عليها ماءها. وقد مرَّ تعريفها.

تناوله إضافةً إلى ذٰلك من مشروباتٍ في قَرية (**الصَّحيف**). وحتى [الشيخ] (**حتروش**) ما لَبِثَ أن تَعِبَ من تلك الإجراءات، وهَمَّ أن يكون صعب المراس ذات مَرَّةٍ أو مرَّتَين، في مسعًى منه إلى تقليص مسافة السَّيْر، غير أنَّ سلوكه أصبح مقبولًا تمامًا، بل حتى لطيفًا، لَمَّا أدركَ أَنَّني مُصَمِّمٌ على المُضِيِّ قُدُمًا إلى أقصَى مكانٍ يمكن الوصول إليه، مهما كلَّف الأمر. لقد كان **حتروش** شيخًا كبيرًا في العُمر، حَسَنَ الطَّلعة، مع ميلٍ إلى أن يكون فَظًّا عَبُوْسًا، وقد ادَّعَى- في الحقيقة بشيءٍ من الفخر- أنَّه لم يُغادِر قطُّ حُدودَ قبيلته. ولقد توسَّل إليَّ أخيرًا (**عليُّ بن فرحان**) عِدَّة مرَّات للتوقُّف بحُجَّة أنَّ المكان سيكون بعيدًا جِدًّا عن المخيَّم ولن يكون في استطاعتنا أنْ نهتدي إليه مطلَقًا في الظلام؛ ولٰكن، وكما بدا من قَبل، فقد كنتُ حقيقةً قد قدَّرتُ مواقيت الأشياء على نحوٍ مُرْضٍ جِدًّا. ولدَى تلك الآونة الحادَّة من تنامي الاختلاف في وجهات النظر عمدتُ إلى حافِظتَي

الحرارة الخاصَّتين بي المحتويتَين على (**الشاي**) و(**القِشْر**)[١]، فباشرتُ على رفقائي منهما على التوالي، وقد كان ذٰلك مبعث انتعاشٍ في الجميع لبُرهةٍ من الوقت. كما قَدَّم إلينا **عليٌّ** بعض (**الزبيب**) أيضًا الذي ساعدنا على المضيِّ قُدُمًا. وقد تعلَّمتُ من كلِّ هٰذا بالتأكيد أنَّه يجب علينا في المستقبل أن نحمل معنا بعض المُؤَن، كي تَحُوْل- على الأقل- دون تَحَوُّل الشعور بالجوع أو العطش إلى أسباب للمشادَّة بيننا.[٢]

ولَمَّا وَلَجْتُ المخيَّمَ، كنتُ مسرورًا جِدًّا لوجود برَّادٍ من (**الشاي**) وعلبةٍ من (**الكَرَز الياباني**) للتَّزَوُّد منهما خلال الفترة الفاصلة بين وصولنا وتحصيل العَشاء. ولعلَّها كانت المرَّة

---

[١] (**القِشْر**): شرابٌ يُتَّخَذ من قِشْر (**البُن**). فتُجفَّف حُبوب **البُنِّ** بعد جَنْيِها، ثمَّ يُؤخَذ قِشرها فيُغلَى، ليصبح ذٰلك الشرابَ. وربما أضيف إليه السُّكَّر. ويُسمَّى كذٰلك: «**قِشْرِيَة**».

[٢] لم يَبْدُ (**فِلْبي**) منصِفًا في وصف هٰؤلاء المشايخ الذين رافقوه وأرشدوه. فما كان الأمر يتعلَّق بالجوع، ولا بـ(**الشاي**) أو (**القِشْر**) و(**الزبيب**)؛ بل لمشقَّة ما وجدوا أنفسهم فيه من عمل. وهم، إلى ذٰلك، ذوو منازل في عشائرهم، ما اعتادوا أن يُوجَّهوا فينصاعوا، ولا أن يُعَمِّش بهم رحَّالٌ- بلا هوادةٍ على تلك الكيفيَّة- بين الغابات الشَّوكيَّة وفي شماريخ الجبال والمنحدرات السحيقة!

الأُولى التي وَصَلَ فيها أيٌّ من هٰؤلاء الشيوخ إلى امتداد ذٰلك الجانب الحُدودي، بدليل أنَّهم اعترفوا أنَّهم في أثناء جولة اللجنة على الحُدود قد ظَلُّوا مع أعضاء اللجنة في الوادي. وبَعد ما لا بُدَّ منه من جَدَلٍ من كلا الجانبَين، ولَمَّا تقرَّر أين ينبغي نَصْبُ العمود الحُدودي، عُهِد بعمليَّة الصعود وبناء العلامة الحُدوديَّة إلى بَدْوٍ يمثِّلون القبائل على جانبَي الخَطِّ الحُدودي. وقد أَدَّوا مهمَّاتهم تِباعًا بأسلوبٍ غير مبالٍ بالمرَّة، مع رغبةٍ عنيدةٍ في العَودة إلى الراحة في المخيَّم بأسرع ما يمكن. وهنا واجهتْنا الصعوبةُ المعتادةُ للعثور على بعض العلامات وسط الأَجَم، وقد بَدَتْ بعض العلامات أشبهَ بأكوامٍ حَجَريَّة طبيعيَّة منها بعلاماتٍ من صُنع الإنسان أو أعمدة. على أنَّ أكثر انطباعٍ تكوَّن لديَّ عن هٰؤلاء الناس في أثناء السير هو افتقارهم إلى العزيمة والطاقة. كانوا يتوقَّفون بصفةٍ متكرِّرةٍ كي يلتقطوا أنفاسهم المتقطِّعة، وفي كلِّ فرصةٍ ممكنةٍ كانوا يُلْقُون بأنفسهم تحت الشُّجيرات أو في ظلِّ

الصخور ليَقُوا رؤوسَهم حَرَّ الشمس.[١] لقد كان أداؤهم بالأحرى بائسًا، كما كان مدهِشًا تمامًا جهلُهم العامُّ بالبلاد. يكاد أيٌّ منهم لا يستطيع أن يسمِّي المعالم، بما في ذٰلك القُرَى، خارج منطقته الخاصَّة؛ مع أنَّه كان معي ممثِّلون من عَددٍ غيرِ قليلٍ من مختلف أقسام تلك البلاد. وفي واقع الأمر، كان ذٰلك اليوم باردَ الطقسِ إجمالًا على نحوٍ مقبولٍ، ومع ذٰلك فإن إجهادنا قد كان جاهدًا بما فيه الكفاية. وكان المساء غائمًا معظم الوقت مع نسيمٍ عليلٍ جِدًّا. وبعد مغرب الشمس غامت السماء تمامًا حتى باتت مشاهدةُ النجوم ممَّا لا سبيل إليه. لذا فقد كنتُ مسرورًا بأن آوي إلى فراشي بعد العَشاء مباشرةً، الذي لم يُقدَّم حتى قاربت الساعةُ الحاديةَ عشرةَ ليلًا[٢] بسبب أنَّ (**العَنْز**) [الذبيحة] لم تصل إلَّا في وقتٍ متأخِّرٍ نسبيًّا.

تقع قَرية (**مَعِيْنَة**) على بُعد نحو ٣٠٠ ياردة من مخيَّمنا،

---

[١] لعلَّ ما بهٰؤلاء الناس ليس افتقارهم إلى العزيمة والطاقة، بمقدار ما هو افتقارهم إلى الحافز على ما يقومون به.

[٢] في (العبيكان، ٢: ٩٨٣): «**لم يقدَّم لنا الآن عند الساعة الحادية عشرة مساءً**»!

ممتدَّةً حقولها المدرَّجة نحو ٢٠٠ قَدَمٍ على جانب الأَكَمَة إلى مَفْتَح[١] المجرَى المائيِّ الرائع الذي يهبط من قِمَّة سِلسلة جبال (**العريف**) ليصبَّ أسفل الجُرف. كان محصول (**الدُّخْن**) قد حُصِد، وتبدو المدرَّجات عاريةً تمامًا إلَّا من قَصَبها، ولم يَعُدْ فيها إلَّا تشكيلاتٌ من بعض شُجيرات (**البُنِّ**) المترامية هنا وهناك. وكانت ثَمَّةَ أيضًا سُوْجٌ[٢] متعدِّدة من أشجار (**التِّين**)، جميعها عارية من الأوراق. ويلتقي مجرَى (**حَلْحَل**)[٣]- الهابط إلى (**مَعِيْنَة**)- بوادي (**الصَّوْمَل**)[٤]، الذي نزلنا منه قادمين من (**القَشَّاء**)[٥]، وكذا بمآتٍ مائيَّةٍ صغيرةٍ أخرى بالقُرب من قَرية **مَعِيْنَة** لتنفذ تلك جميعُها خلال عَقَبَة الأَكَمَة باتِّجاه وادي (**ضَمَد**) في منحدَرٍ

---

[١] Mouth. والناس في تلك الجهات يستعملون كلمة «**مَفْتَح**» للتعبير عن مِثل هٰذا المعنى المتعلِّق ببداية الوادي.

[٢] جمع سِياج.

[٣] Halhal. وفي (العبيكان، ٢: ٩٨٤): «**حلاحل**».

[٤] Saumal. (**الصَّوْمَل**): نوع من الشَّجر، لعلَّه سُمِّي به الوادي. وفي (العبيكان، م.ن): «**صومال**»!

[٥] في (العبيكان، م.ن) تكرارٌ لتسمية (**القَشَّاء**) بـ: «**قشعة**»!

حادٍّ، ضيِّقٍ وصخريٍّ المَمَرِّ، تجْثُم فوق أعلاه أطلالُ **(السَّوْداء)**[١] في منظرٍ رائع. وتقع **مَعِيْنَة** على ارتفاع ٤٥٠٠ قَدَمٍ تقريبًا فوق مستوى البحر، ولٰكنَّ الطقس كان حارًّا جِدًّا في الوادي أثناء الليل، ولم يكن هناك طَلٌّ. وقد شاهدتُ في الصباح بعض **(القِرَدَة)** على سفح منحدَر **العريف**، لٰكنَّها على كلِّ حالٍ لا تبدو كثيرةً في هٰذه المناطق المأهولة جزئيًّا.

ولكي نستأنف مسحنا المتقطِّع للحُدود، كان علينا أن نعود القَهْقَرَى إلى أعلى الشِّعْب الذي كنَّا هبطنا منه قادمين من لدَى العمود الحُدودي بـ**(القَشَّاء)**. وقد أعلن **(الشيخ يحيَى)** بحزمٍ تامٍّ عن عزمه البقاءَ مع الفريق الذي سيبقَى في الأسفل، فيما لم أرَ أنَّ ذٰلك يستحقُّ مماراته فيه. وهٰكذا لم نلبث أن انطلقنا بعد الثامنة [صباحًا]، متزوِّدين للطريق بشكلٍ أفضل هٰذه المرَّة ببعض المُؤَن، يحملها في زنبيلٍ أحدُ رجال **(حتروش)**. كانت الساعة تُقارب العاشرة صباحًا،

---

[١] Sauda.

وحرارة الجوِّ آخذة في التوهُّج عَقِبَ مرتقانا الصعب، لَمَّا وصلنا إلى المكان المفترَض أن يكون نقطة انطلاقنا في عمل ذٰلك اليوم، واسترحنا نِصفَ ساعةٍ كي نستطلع البلاد. ثمَّ أخذتْ سُحُبٌ تتداخل بشكلٍ كبيرٍ خلال مشاهداتنا لجهة الجَنوب والغَرب، مع أنَّني في المساء السابق استطعت التقاط مشاهداتي التلسكوبيَّة لذُرَى جَبَل (**العُـرِّ**)، وجَبَل (**بني عَيَّاش**)، وجَبَل (**جَلْحَاء**) في النواحي الحُدوديَّة. وكان الجَبَل الأخير هو الأقرب إلينا من الجبال الثلاثة، وينقسم إلى كُتلتَين رئيستَين، تقع على اليُمنَى منهما المنطقة السُّعوديَّة، وهي لعشيرة (**آل زَيدان**)[١] من (**آل يحيَى**)، فيما الكُتلة الأخرى من الجَبَل مستوطَنةٌ من قبيلةٍ يَمَنيَّة من (**بني خَوْلِي**)، تنتمي إلى البَطْن القَبَليِّ (**فَرُوْد**)، وربما كان [**بنو خَوْلِي**] يتَّصلون نَسَبًا بـ(**النخيف بن خَوْلان**)[٢].

---

[١] في الأصل: «**قِسم زيدان Zaidan section**»، والمقصود: عشيرة (**آل زيدان**).

[٢] وردَ الاسم في الأصل: Nasifa. ولا ندري مَن هٰؤلاء؟ وقد سبق تعليقنا على هٰذا الاسم، ورجَّحنا أنَّه تطبيع لـ(**نخيف**)، وهناك (**آل النخيف**) في (بني ←

كان موقع ممرِّ (**نَيْد جَنازة**) ينتصب بارزًا بوضوح تمامًا، إلى الغَرب قليلًا من الشَّمال الافتراضي، فيما كان العمود الحُدودي التالي على طريقنا يقع في (**عَيْشَقَة**)[١]، إلى الجَنوب الشَّرقي قليلًا. كان رقم هٰذا العمود: ٥١، ولٰكن- عندما وصلنا إليه الساعة ١١ تقريبًا- أَخَذَتْ غيومٌ كثيفةٌ تتصاعد من الوادي بشكلٍ محبِطٍ لمسعانا، وأصبح العالَم كلُّه محجوبًا عن نواظرنا باستثناء النقاط القليلة القريبة منَّا في سِلسلة الإكام التي تمثِّل خطَّ الحُدود إلَّا أنَّها بلا أعمدةٍ حُدوديَّة. ومن أجل وَضْعِ علاماتٍ مرجعيَّةٍ مُريحةٍ فقد عَلَّمْتُ هٰذه النقاط برقم ٥١ (أ، ب، ج، د، هـ)، لٰكنَّه كان بالإمكان لجميع الأغراض

مالك)، وفي (**العارضة**)، لكنَّهما ليسا من (**فَرُوْد**) بل من (**اليَهَانِيَة**). أمَّا (**بنو خَوْلِـي**)، فقبيلةٌ مُنَـبِّهِيَّة، من قبائل (**شَعْشَع**)، مَواطنها شَمال غَرب (**صَعْدَة**)، وهي من **فَرُوْد**. وأمَّا ما سمعه المؤلِّف من نِسبة الاسم إلى (**خَوْلان**)، فأمرٌ مألوفٌ على ألسنة الناس، يقصدون أنَّه يعود نَسبًا إلى **خَوْلان**، لا أنَّه ابنه مباشرة. وفي (العبيكان، ٢: ٩٨٥): «**نصيفه ابن خولان**».

[١] Ishaqa. وفي (العبيكان، م.ن): «**أشقة**».

التطبيقيَّة تجاهل هٰذه العلامات باستثناء الأُولى (٥١أ) التي كانت لمضيق (**حَضَر**)[١]، الذي منه ينحدِر شِعْب (**حِنَبَـة**) في الجانب اليَمَني إلى قَرية (**ظَهْرَة**)[٢] على ضِفَّته اليُسرَى- وتنتمي [القَرية] إلى فرع **حِنَـبَة** من (**بني جُماعة**)[٣]- ثمَّ يلتفُّ الشِّعب ليلتقي أخيرًا بوادي (**دَفَا**). هٰذا الشِّعْب وكلُّ المنحدَرات والقِمم حوله وكذا مضيق **حَضَر** كانت تغطِّيها أشجار (**العَرْعَر**) و(**الشَّثّ**) و(**القُمَّر**)[٤] بكثافة، تتدلَّى من فروعها «**حُرُوْجٌ**»[٥] عظيمةٌ

---

[١] Hadhar.

[٢] Dhahra. وتُنطق كما قال من قبل: «**ثَهْرَة**».

[٣] في (العبيكان، م.ن): «**وتنتمي الحنبة إلى آل جمعة**». وهي ترجمةٌ غير صحيحة، تسميةً وصياغة.

[٤] Qummar.

[٥] Whiskers. وتُسمَّى بلهجة (**فَيْفاء**): «**حُرُوْج**»، جمع: حِرْجِي. وهو الساق الممتدُّ كالحبل من نباتٍ زاحفٍ أو متسلِّقٍ أو متدلٍّ. ولا نجد له إشارةً مباشرةً في المعجمات بهٰذا المعنى، وإنَّما نجد أنَّ الحَرَج: المكان الكثير الشجر الملتفُّها، والحِرْج، بكسر الحاء: القطعة من اللَّحم، والحِرْج حِبَالٌ تُنصب للسبع، والحِرْج: قلادة الحيوان، والجمع أَحْرَاج وحِرَجَة. (انظر: ابن منظور، (حرج)).

من (**الأُشْن**)[١] المتكاثر، يُدعَى (**عَلايِن**)[٢]. وكان ينمو هناك أيضًا، وبشكلٍ بادٍ جِدًّا للعَيان، نوعٌ من (**الصَّبَّار**) يُسمَّى «**خَدَن**»[٣]، يَطلُع من التشقُّقات الصخريَّة. ومن هاهنا تَحَسَّسْنا[٤] كلَّ واحدةٍ من النقاط الأربع الأخرى المذكورة أعلاه، على أنَّ الشيء الوحيد المهمَّ حول تلك النقاط هو جريانُ شِعْب (**المُسْرَب**)[٥] فيما بين النقطتَين

---

[١] «**الأُشْنَةُ: نباتٌ غير زهريٍّ، يتألَّف من كائنَين نباتِيَّيْن، أحدهما طحلب والآخر فُطر، بينهما تكافُلٌ وتعاوُنٌ وثيق، يكون على هيئة قشورٍ أو صفائح أو فروعٍ دقيقةٍ لطيفة، تنمو على الصخور أو الأحجار أو تتعلَّق بأغصان الأشجار، وتُعرف بشَيبة العجوز.**» جمعها أُشُن. (انظر: مجمع اللغة العربيَّة بمِصْر، (٢٠٠٤)، **المعجم الوسيط**، (القاهرة: مكتبة الشروق الدوليَّة)، (أشن)).

[٢] Alayin. وكأنَّ أصل الاسم «**عَلاءٌ**»؛ لأنَّه يعلو الأشجار.

[٣] Khadan. وعُلِّق عليه في (العبيكان، م.ن): «**الاسم الصحيح هو (خَدَمْ) وهو نوع من الصبّار، مع أنَّ اسم (كراث) هو الاسم المحلّي لنبات الصبّار. (ابن جريس).**» وقد سبق أن ذكرَ (**فِلْبِي**) «**الكَرَاث**» باسمه، وعرَّفْنا به في محلِّه.

[٤] عبَّر المؤلِّف بـ touched. واخترنا المقابِل العربي القرآني: «**تحسَّس**»، ويعبِّر عن التلمُّس بحثًا، كما في الآية: ﴿**يا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وأَخِيهِ، ولَا تَيْأَسُوا مِن رَوْحِ الله، إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَوْحِ الله إِلَّا القَوْمُ الكَافِرُون.**﴾ (سورة يوسف، الآية ٨٧).

[٥] Misrab. والمُسْرَب، في لهجة (**فَيْفاء**) وما جاورها: مَجْرَى الماء، ويُطلقونه على ما يُسمَّى في لهجاتٍ أخرى: «**المِيْزاب أو المِرْزاب**». وبذاك سُمِّي الشِّعب المذكور.

الأخيرتَين، منحدِرًا بصورةٍ حادَّةٍ من مجرًى ضيِّقٍ حتى يتَّصل بمجرَى **(حَلْحَل)** في طريقه إلى **(مَعِيْنَة)**، التي تقع الآن أسفلَ منَّا غير مرئيَّةٍ نهائيًّا بسبب تكاثف الغيوم. كنَّا بين فَينةٍ وأخرى نستطيع أن نَلمح بصورةٍ عابرةٍ بعض المعالم خلال الجوِّ الضبابي، والندَى المتحرِّك، لٰكنَّه حقيقةً كان مستحيلًا تمامًا أن نعمل أيَّ شيءٍ في تلك الأثناء سِوَى تحريك اتِّجاه البوصلة من ناحيةٍ إلى أخرى وتخمين المسافات. ويبدو أنَّنا أصبحنا معلَّقِين على مستوًى عالٍ فوق العالَم في غلافٍ من الغَيم.

وبتلمُّس سبيلنا خلال الضَّباب والغاب المتقاطر بالنَّدَى الكثيف لمدَّة نِصف ساعة، وصلنا إلى جُرف **(رأس سويد)**[١] العالي، متوَّجًا بشكلٍ واضحٍ بعلامةٍ حُدوديَّةٍ قَبَليَّةٍ قديمةٍ مميَّزةٍ، لم تكن على ما يبدو جيِّدةً بما فيه الكفاية لدَى المفوَّضين برسم الحُدود كي يعيِّنوها كعلامةٍ على الحُدود الدوليَّة. ومن المحتمَل

---

[١] Ras Suwid.

أنَّهم لم يَعْلَموا بوجود تلك العلامة، ولٰكن، مهما يكن من احتمال، فإنَّهم كانوا قد أصدروا توجيهاتهم إلى مبعوثيهم من البدو ليَبنوا علامةً على هٰذه النقطة. وكأنَّما ***تمخَّض الجَبَلُ فوَلَـدَ فأرًا!***[١] إذ كانت النتيجة نُصْبًا مُزْرِيًا من الحجارة والأنقاض، كان أكثرُ من نِصفها قد جرفته الأمطار بعيدًا صوبَ الهاوية المتثائبة نحو ١٠٠٠ قَدَمٍ أسفل الجُرف، الذي شمخَ بكبرياء على ارتفاع ما يقارب ٧٣٠٠ قَدَمٍ فوق مستوى البحر، و٦٠٠ قَدَمٍ أعلى من (**عَيْشَقَة**). وبين المكانَين [**رأس سويد** و**عَيْشَقَة**]، فإنَّ النقاط الحُدوديَّة المتداخلة التي كنَّا قد التمسنا مواضعها- مكوِّنةً حصيلتنا الضَّحلةً- كانت تقع حول رأس المدرَّج الجَبلي، الذي تغطِّي منحدراتِه الصخريَّةَ الكأداءَ غاباتُ (**العَرْعَر**) بكثافة، ممتدَّةً الآن على طول سِلسلة المرتفعات الحُدوديَّة، وهي تهبط كذٰلك على منحدَراتها الجَنوبيَّة باتِّجاه

---

[١] parturiunt montes. وهي عبارة لاتينيَّة، تمامها: parturiunt montes, nascetur ridiculus mus، وتعني: أنَّ النتائج لا تسوِّغ الجهد المبذول.

(**حِنَـبَة**). ولم تَعُد ثَمَّةَ، بطبيعة الحال، مسالك على طُول الحافَّة الحُدوديَّة- كتلك التي كانت تقودنا دائمًا من الشَّمال إلى الجَنوب، وذٰلك عبر الشِّعاب والمضايق- ولكي نسلُك خلال الغابة كان علينا حتمًا أن نكابد طريقنا قُدُمًا. ولأجل أعمالٍ مضنيةٍ كهٰذه فقد وفَّرَ الجوُّ السَّديميُّ الرَّطبُ الشَّبيهُ بجوِّ (**أُسكتلندة**) ظروفًا مثاليَّة، بَيْدَ أنَّها مع ذٰلك ظروفٌ سيِّئةٌ لأجل عملٍ مَسْحِيٍّ ميداني. وفي الحقيقة أنَّنا لم نتمكَّن إلَّا من التقاط لمحاتٍ خاطفة إلى الجهات الشَّماليَّة والشَّماليَّة الشَّرقيَّة، وذٰلك بين وقتٍ وآخَر خلال انجلاء بعض القِطَع الضَّبابيَّة. وبعيدًا عن الخطِّ الطويل الأُفُقي لجُرف (**مَرْع**) الذي حَجَبَ عن أنظارنا الجبال المتتالية، كانت هناك موجةٌ في إثر موجةٍ من الغابات الملتفَّة العالية المتسلسلة.[1]

---

[1] يقول المؤلِّف (Philby, 519):

«**Afar off the long flat line of the Marʿa escarpment closed in our view of the rolling mountains, wave after wave of high forest-clad ridges.**»

فكيف تُرجمت هٰذه الجملة في (العبيكان، ٢: ٩٨٦)؟ هٰكذا: «**لقد أحاط من**
←

وعلى الرُّغم من حالات الإزعاج المثيرة أحيانًا من مملكةٍ كبيرةٍ من (**النَّمل الأحمر**) هناك- الذي أغاظه اختراقنا عزلته- فقد استرحنا ساعةً من الزمن لدَى عمود الحُدود هٰذا ذي الرقم (٥٢)، بيأسٍ من أن تنجلي الأجواء. وقد بدا رفقائي أيضًا في مزاجٍ أفضل من اليوم السابق، ربما بسبب ما تَزوَّدنا به من مُؤَنٍ فارهةٍ لغداء الرِّحلة. لا أظنُّ أنَّهم كانوا يستمتعون بالجوِّ النَدِيِّ بالقَدْر الذي كنتُ أفعل، غير أنَّ الشكوَى من الحَـرِّ لم تَعُد في إمكانهم على الأقل. واستمرَّ المرتفعُ الجَبَليُّ في العُلوِّ على نحوٍ حادٍّ وصولًا إلى العمود الحُدودي التالي في (**نَيْد اِمْكَرَب**)[1]- الذي يُنطَق: «**جَرَب**»، التي ربما قابلت معنى «**شَرَب**» أو «**سَرَب**»[2]- على

حولنا الخط الطويل لجرف مرع وَحَدَّ من مجال الرؤيا، من جبال مدحرجة، الموجة منها تلو الموجة، وسلاسل عالية مكسوة بالغابات.» فماذا بإمكان القارئ أن يفهم من هٰذه الترجمة؟ وما علاقة «**الرؤيا**» بالموضوع؟! ثمَّ مِن أين جاءت «**الجبال المدحرجة**»؟ وكيف تتدحرج الجبال؟!

[1] Najd Karab.

[2] هٰكذا يَفترض المؤلِّف. ولعلَّ الاسم مشتقٌّ من «**الكَرْب**»، بمعنى الشِّدَّة. وفي ←

رأس منحدَرٍ حادٍّ يهوي إلى شِعْب (ثَوِيْرٍ)[1]، الذي يهبط سُفوحَ المرتفَعِ ذاتَ الصخور وغابات الأشجار الممتدَّة إلى ما بعد قَرية (**آل يحيَى**) المسمَّاة (**عُصيمة**)[2]، المتربِّعة فوق قُلَّةٍ صخريَّةٍ عالية. ويقع هٰذا العمود (رقم ٥٣) على ارتفاع نحو ١٠٠ قَدَمٍ أعلى من ذٰلك الآخَر الذي على [جَبَل] (**سويد**)، وكان مُحاطًا بغابةٍ واسعةٍ من أشجار (**العِتْم**)، مع شُجيراتٍ كثيفةٍ قصيرةٍ تُدعَى (**الإِثْرَار**)[3]، تمتدُّ مساحاتها على

اللغة من الموادِّ الأخرى ما قد يكون أصل اشتقاق هٰذا الاسم أيضًا. (انظر: الزبيدي، (كرب)). ولٰكن لا علاقة للكلمة بـ«**شرب**» أو «**سرب**»، غير أنَّهم يقلبون الكاف في نطقهم صوتًا بين الجيم والشين، حسب اللهجات في تلك الجهات.

[1] Thuwairi. وفي (العبيكان، ٢: ٩٨٧): «**الثويري**».

[2] سمَّتها ترجمة (العبيكان، م.ن): «**عثيمة**»، وكانت سمَّتها من قبل (ص٩٨٠): «**العصيمة**»!

[3] Tharar. هٰكذا أورد (**فِلْبِي**) الاسم، والكلمة تُنطَق: «**إِثْرَار**»، ومفرده: «**إِثْرَارْيَة**». وفي ترجمة (العبيكان، م.ن): «**نمو تحتي كثيف لنبات الثار**»! ولا أدري من أين أتَى هٰذا الاسم «**الثار**»؟ فلا أصل له في أسماء النباتات ولا الأشجار، ولا يوافق الكلمة التي أوردها **فِلْبِي!** وقد ذكر (ابن منظور، (ثرر)) **الإِثْرَار**، مشيرًا إلى أنَّ مفرده: **إِثْرَارَة**، وأنَّه يُسمَّى بالفارسيَّة: «**الزريك**»، ناقلًا ذٰلك عن (أَبي حنيفة، **كتاب النبات**). وأضاف (الزبيدي، ←

القِمَّة وعلى جوانب سِلسلة الآكام المتَّصلة في تصاعدها، وصولًا إلى جُرف (**قُلَّة شيبان**)، وهي النقطة الحُدوديَّة غير المعلَّمة ذات الرقم (٥٣أ)، الواقعة على ارتفاع ٧٦٠٠ قَدَمٍ فوق مستوى البحر. وتقع قَرية **عُصيمة** في اتِّجاه الغَرب من هٰذه النقطة وَفقًا لأدلَّائي، الذين أشاروا أيضًا، خلال الغلاف الكثيف من الغيوم، إلى الشَّمال الغَربي لتحديد موضع مخيَّمنا الأخير في (**مَعِيْنَة**). لقد كان حِسِّي الشخصي بالاتِّجاهات مفقودًا تمامًا، حيث كنتُ أنظر هنالك دونما أيِّ علاماتٍ أرضيَّة، ولٰكنِّي- ثِقَةً بمُرْشِدِيَّ- قد وجدتُ أنَّ أفضل خطَّة لتحديد المواضع هي أن أجعلهم يتَّخذون هدفًا في اتجاه الموضع المطلوب تحديده بحيث يصوِّبون إليه رأس بندقيَّة، ثمَّ أقف خلف أكتافهم بالبوصلة من أجل تحديد الاتِّجاه.

(ثرر)): «**الإِثْرَارَةُ، بالكسر: (الأَنْبِرْبَارِيسُ)، ويُسَمَّى بالفارِسِيَّة الزّرِيكَ، عن (أبي حَنِيفَة)، نقلًا عن بعض الأَعراب.**»

لقد كان انطباعي طَوال النهار أنَّنا متَّجهون غَربًا، فيما كان الاتِّجاه العامُّ لمسيرنا، من (**القَشَّاء**)[1] فهَلُمَّ جَرًّا، هو- في حقيقة الأمر- إلى الجَنوب الشَّرقي تقريبًا، بحيث يكون وادي (**حِنَـبَة**) وسِلسلة المرتفعات وراءه، مع وادي (**دَفَا**) على الجانب الآخَر، إلى جهتنا الشَّرقيَّة[2]. إنَّ مسارنا الآن- ودائمًا بشيءٍ من التصاعد- يتَّجه إلى الجَنوب الشَّرقيِّ، مرورًا بربوةٍ أخرى غير مُعلَّمة ولا مُسمَّاة (٥٣ب)، وصولًا إلى العمود الحُدوديِّ التالي على الجُرف، وهو ذو (الرقم ٥٤)، بـ(**قُلَّة النَّبْشَة**)، على ارتفاع ٧٧٠٠ قَدَم. والحقُّ أنَّنا الآن على أعلى ارتفاعٍ من أيِّ مكانٍ عليه أحد الأعمدة الحُدوديَّة في القطاع الجَبَليِّ من الحُدود[3]، باستثناء ذٰلك العمود الذي في (**صَبَحْطَل**)[4]، على ارتفاع ٧٨٠٠ قَدَمٍ،

[1] في (العبيكان، م.ن): «**قشعة**»! ولا مكان هناك بهٰذا الاسم.

[2] في (العبيكان، ٢: ٩٨٨): «**جانبنا الأيسر**».

[3] في (العبيكان، م.ن): «**قسم الهضبة من الحدود**»!

[4] Sabahtal.

و(**رأس شِعب القَوْم**)، على ارتفاع ٧٧٠٠قَدَم. ومن (**وَعْوَع**)[١] حتى (**عَلْب**)، بما في ذٰلك النقاط الحُدوديَّة، فإنَّ خطَّ الحُدود يستمرُّ على عُلُوٍّ أعلى بكثيرٍ من ٧٠٠٠ قَدَمٍ، في حين أنَّ الارتفاع الآن- من شِعْب (**حَضَر**، ٥١أ) فصاعدًا إلى الذُّرَى الحُدوديَّة- يقع مرَّةً أخرى على عُلُوِّ ٧٠٠٠ قَدَمٍ، زائدًا في الارتفاع ليصل إلى ٧٧٠٠ قَدَمٍ هنا ولدَى العمود التالي في (**مَعْقَر**[٢]، رقم ٥٥)، وتلك هي أكثر النقاط ارتفاعًا فوق هٰذا القِسم من الحُدود الجَبَليَّة. وكلَّما صعدنا إلى مكانٍ أعلى، ازدادت كثافةُ الجوِّ نَدًى. وهنا في (**النَّبْشَة**) كانت كلُّ شجرةٍ وشُجيرةٍ مع كلِّ فرعٍ مُتَدَلٍّ من نبات (**الأُشْنِ**) في كلِّ مكانٍ تتقاطر بالنَّدَى بشكلٍ كامل. ومع ذٰلك فقد كان العُشب، الذي يغطِّي عَرصَات المكان، بُنِّـيًّا ويابسًا كما لو كان عانَى من الجفاف. والناس [في هذه المَواطن] يَجمعون

---

[١] Wa‘wa. وهو جَبَل.

[٢] Ma‘qar.

المِقَشَّات من نباتات **الأُشُنِ** ليصنعوا منها فَرَاشِيَ كي يُزيلوا بها الدَّقيق عن مطاحنهم[1].

بدءًا من **(النَّبْشَة)** فإن الخطَّ الحُدوديَّ يتعرَّج القَهْقَرَى من جهته الجَنوبيَّة الشَّرقيَّة إلى الشَّمال الشَّرقيِّ بعضَ الشيء، وصولًا إلى عمود **مَعْقَر**، وهو كومةٌ ضئيلةٌ باليةٌ من أنقاض الحجارة، رُكِمَ بعضها فوق بعضٍ لتكون علامة. والواقع أنَّنا لم نَرَ **(قِرَدَةً)** قَطُّ في كلِّ هٰذه المنطقة الغابويَّة، بَيْدَ أنَّ فَضَلاتها كانت في كلِّ مكان، ممَّا يدلُّ بالتأكيد على وجودها بكثرة. ومن المؤكَّد أنَّه لم يكن هناك قِلَّةٌ في شجر **(التُّوت البرِّي)** من مختلِف الأنواع ليُمِدَّها بالغذاء. وفي أثناء سيرنا، أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا حول حرب **(اليَمَن)**، وقد مَثَّل **(حتروش)** وآخرون طَرَفًا مُريبًا نوعًا ما [في ذٰلك

---

[1] «**...to sweep up the flour in their grind-mills.**». وفي ترجمة (العبيكان، م.ن): «**لكنس أرضية المطاحن**»! وإنَّما يشير (**فِلْبِي**) إلى استخدام تلك المكانس الصغيرة لإزالة الدَّقيق عن مطاحنهم الحَجَريَّة، كالرُّحِيِّ- جمع رَحًى- والمَسَاحِق، جمع مِسْحَقَة. ويَظهر أنَّ المترجِم خَلَطَ بين مفردتَي «**flour**»، وتعني: «**دقيق**»، و«**floor**»، وتعني «**أرضيَّة**»!

الحوار]؛ وذٰلك لأنَّ انتماءاتهم الطبيعيَّة كانت في الواقع إلى جيرانهم الجَنوبيِّين أكثر منها إلى الوهابيِّين من أهل الشَّمال[١]. والمؤكَّد أنَّهم كانوا قد أيَّدوا (**عبدالوهَّاب**) وآووه هو والمتمرِّدين التابعين له من (**الإدريسيِّين**). ولقد أخبروني أنَّ القوَّات اليَمَنيَّة كانت قد تغلغلت في هٰذه المنطقة كلِّها وكانت قد عَبَرَت وادي (**ضَمَد**) لتحتلَّ جبال (**بني مالك**) و(**فَيْفاء**) نفسها. وكان اليَمَنيُّون قد وَصَلُوا إلى (**سُوق عَيْبان**) لٰكنَّهم لم يسيطروا عليه إلَّا أيَّامًا معدودات، فيما لم يلبثوا أكثر من شهرين في المنطقة الواقعة شَماليَّ **ضَمَد**. وكان القتال الفِعليُّ بين أتباع **عبدالوهَّاب** وحَمْلَة (**الشويعر**)[٢] العسكريَّة تدور معظمُ رحاها على السُّفوح وفي الغابات على سِلسلة المرتفعات الحُدوديَّة هٰذه.

---

[١] هنا يُلحَظ وقوع حذفٍ من (ترجمة العبيكان، م.ن)، فقد اكتُفِيَ بالقول: «**أَدَّى فيها حتروش وغيره دورًا مشبوهًا**»**!** وكانت الأمانة العِلْميَّة والتاريخيَّة والترجميَّة تقتضي إثبات ما ذَكَرَه (**فِلْبي**)، والتعليق عليه، إنْ لَزِم الأمر.

[٢] في (العبيكان، ٢: ٩٨٩): «**حملة حمد الشويعر**».

معظم قبائل (**بني مالك**) وما جاورها مدمنون على استعمال نوعٍ من مشتقَّات (**التَّبْغ**)، يتعاطونه[1] باستمرار، يُسمَّى «*بِرْدِقان*»، (ويعني «**بُرتقال**»)، يُحَضَّر من أوراق **البُرتقال** الجافَّة، ويُستورد بكميَّاتٍ كبيرةٍ من أسواق (**اليَمَن**)، التي من المحتمَل أنَّها تتلقَّاه من مصادر أجنبيَّة، في رُزَمٍ كاملة[2]. ثمَّ تُسْحَق تلك الأوراق إلى أن تُصبح

[1] في الأصل: chew، وتُرجِمت الكلمة في (العبيكان، م.ن) بـ«**يمضغونه**». والواقع أنَّ «**البِرْدِقان**»، أو «**الشَّمَّة**»، لا يَصِحُّ القول إنَّه «**يُمْضَغ**»، بل هو مسحوقٌ دقيق، يُتعاطَى في الفم، يُقلِّبه متعاطيه في فيه بِضْعَ دقائق ثمَّ يبصقه.

[2] هٰذا ما ذهب إليه (**فِلْبِي**)، أو ما لعلَّه سمعه من الأهالي. غير أنِّي أدركتُ نبات (**التَّبْغ**)، أو «**التنباك**»، يُزرع في تلك المناطق، وكنتُ أسمع أنَّه يُجفَّف ثمَّ يُطحن ليكون «**بِرْدِقانًا**»، وأنَّ له أربابَ صناعته المحليِّين. وربما كان ذٰلك نوعًا خاصًّا من «**البِرْدِقان**». ولٰكن كيف يقول المؤلِّف: إنَّه «**نوع من التبغ**»- وهو كذٰلك بالفعل- ثمَّ يبدو، بحسب وصفه، أنَّه لا يَدخُل في مكوِّناته عنصر **التَّبْغ**، بل هو مكوَّنٌ من (**البُرتقال**) و(**اللَّيمون**)؟! وقد جاءت في (ترجمة العبيكان) حاشيةٌ تأكيديَّةٌ لكلامه، منسوبةٌ إلى (**ابن جريس**)، تشير إلى أنَّ «**البِرْدِقان**» تعني بلهجة المنطقة: «**البُرتقال**»؛ لأنَّه مادَّةٌ مستخلصةٌ من قِشر **البُرتقال** المجفَّف**!** وأنا لا أعرف أنَّ ذٰلك كذٰلك. و**البِرْدِقان**- المتَّخَذ من سِحاقة **التَّبْغ**- ذكرَه قديمًا الرحَّالة (**ابن المجاور**، القرن السابع الهجري) باسم «**الشَّمَّة**»، مشيرًا إلى أنَّها مصنوعةٌ من نباتٍ ينبت في جَبَلٍ اسمه (**ملحان**) بـ(**اليَمَن**). وهو يُشير بذٰلك إلى **التَّبْغ** الذي تُصنع منه **الشَّمَّة**. (انظر: **تاريخ المستبصر**، ٧٣).

كمسحوق السعوط، وذٰلك مع عنصرٍ يُسمَّى «*دِقْلِقَة*»، يبدو أنَّه من قِشر (**الليمون**)؛ ويُحْمَل المزيج في صُرَرٍ قماشيَّةٍ أو جِلديَّة[1]، يتعاطون ممَّا فيها باستمرار، باصقين منه في أثناء سَيْرهم لُعابًا ضاربًا إلى الحُمرة، يَترك علاماتٍ واضحةً من البُقَع على الأرض أو على الحِجارة. ويبدو أنَّ هٰذه المادَّة منبِّهةٌ تنبيهًا خفيفًا[2].

ويدور الخطُّ الحُدوديُّ بدءًا من (**مَعْقَر**) جَنوبًا شَرقًا باتِّجاه العمود الحُدوديِّ التالي في (**نَيْد اِمْنَشَمَة**، رقم ٥٦)،

---

[1] لعلَّ هٰذا ما خَبِرَه (**فِلْبِي**) إبَّان زيارته، غير أنَّنا أدركنا متعاطيه يستعملون له عُلَبًا صغيرةً مخصوصة، صُنِعت لحمله في الجُيوب ونحوها، يُسمُّون واحدتها: «**حِقَّة**»، أي «**حُقَّة**»!

[2] لستُ أدري عن درجة مفعول «**البِرْدِقان**» التنبيهيَّة، وعن مدَى دِقَّة هٰذا الوصف بأنَّه: «**خفيف التنبيه**»، غير أنَّ المعروف عنه أنَّه مادَّةٌ قويَّةُ التأثير جِدًّا؛ حتى إنَّه لو تعاطاها مَن لم يُدمنها لدارت برأسه الأرض، وفَقَدَ بسببها توازنه. وكنَّا نسمع أنَّ مقدارًا منها لو ابتلعه (**بعيرٌ**) لصرعه.

هٰذا، ويُلحَظ أنَّ (**فِلْبِي**) يكتب أحيانًا تداعيات ملحوظاته في غير نسقٍ مترابط، فتأتي فقرةٌ كهٰذه ذات قفزات من شأنٍ إلى شأن؛ من الحديث عن الحُدود إلى الحديث عن (**القِرَدَة**)، إلى الحديث عن الحرب، فالحديث عن مادة «**البِرْدِقان**»!

مارًّا بشِعْبٍ معترضٍ غيرِ ذي علامةٍ يُسمَّى (**شِرْوَة**[١]، ٥٥أ). وعن يسارنا، فيما نحن نتقدَّم في هٰذا الاتِّجاه، كان سَفح السِّلسلة الجَبَليَّة ينحدر بشكلٍ حادٍّ خلال غابةٍ كثيفةٍ وصولًا إلى الجزء الأعلى من وادي (**حِنَـبَة**)، الذي كانت فيه ثلاث قُرًى، هي: قَرية (**مَقْرَة**)[٢]- في قِسمَين- وقَرية (**حلقامي**)، وقَرية (**خوارج**)[٣]، بهٰذا الترتيب نحو اتِّجاه أعلى الوادي، وكلُّها مأهولةٌ بأهل **حِنَـبَة** (من قبيلة **بني جُماعة**). وتمتدُّ على طول الجانب الآخَر من هٰذا الوادي الغابةُ الجَبَليَّةُ الملتفَّةُ لـ(**عقَيْبَة**)[٤]، التي تُشكِّل- مع كُتلةٍ جَبَليَّةٍ تُدعَى (**شَعْثَم**)[٥]، واقعةٍ بين (**عقَيْبَة**) وسِلسلة

---

١ Shirwa.

٢ Maqra.

٣ Hilqami and Khawarij. وفي (العبيكان، ٢: ٩٩٠): «**حلقوم**».

٤ ‘Aqaiba .

٥ Sha‘thami. وفي ترجمة (العبيكان، م.ن): «**شعثمي**». وكذا تُورِد الاسمَ في (٢: ١٠٠١). والاسم: «**شَعْثَم**»، لٰكنهم ينطقون الكلمة، بحسب لهجتهم: «**شَعْثَم**ٍ»، كاسرين تنوين الآخِر، أي: «**شَعْثَمٌ**»، فيُخيَّل إلى السامع أنَّهم يقولونَ: «**شَعْثَمي**».

مرتفعات (**كَتْفَة**)، والماثلةِ أمامنا مباشرةً الآن- دائرةً حول رأس الوادي. وقد هَبَطنا بصورةٍ حادَّةٍ من **مَعْقَر** نحو ٥٠٠ قَدَمٍ إلى شِعْب **شِرْوَة**، الذي ينحدر منه جُرفٌ شديد الانحدار بمقدار ٢٠٠٠ قَدَمٍ إلى شِعْب **شِرْوَة** وقُرَيَّة (**آل يحيَى**) في (**أَسْعَر**)[١]، الواقعة على ارتفاع ٤٥٠٠ قَدَمٍ فوق مستوى البحر أو ٢٧٠٠ قَدَمٍ أسفل الشِّعْب المذكور، وذٰلك بالقُرب من ملتقاه مع (**شَعِيْب لَحج**[٢])، الممتدِّ من منحدرات **كَتْفَة**. ثمَّ يتَّجه المجرَى المشترَك خلال مضيقِ السِّلسلةِ الجَبَليَّةِ الخارجيَّةِ، الحصباويِّ الناعمِ، أسفل الموقع المرتفع لقَرية (**وَلَـجَة**)[٣]، نحو وادي

---

[١] As'ar. جَبَل.

[٢] Lahaj. ولعلَّها لَحْج. ويُطلَق «اللَّحْج» في تلك الجهات على المطمئنِّ من الأرض بين نتوءين جَبَليَّين. ويُذكَر في ترجمة (**العبيكان**) تارة باسم «**لحاج**»، وتارة: «**لحج**»! (انظر مثلًا: ٢: ٩٩٣).

[٣] Walada. وكان قد أورد الاسم (Philby, 515): Walaja. وسَبَق أن أشار (p.503) إلى أنَّ (حرف الدال) في لكنة المنطقة يُقلَب جيمًا، وتَشَكَّكَ (p.514) أهي: Walada أم Walaja؟ والاسم بالجيم، كما سَلَف التنبيه، غير أنَّ ما أشار إليه المؤلِّف من قلبهم الدال جيمًا قد جعله يشكُّ في كلِّ اسمٍ بالجيم: أنْ قد يكون بالدال.

(**ضَمَد**). وعندئذٍ كان عملنا اليومي قد أوشك على نهايته- وكانت الساعة تُراود ٤:٣٠- والطقس قد راح يصفو بعض الشيء، وبالفعل لقد شاهدْنا منظرَ جبال (**فَيْفاء**) تحت قُلنسوةٍ كثيفةٍ من الغَيم إلى الغَرب والجَنوب الغَربي. ونستطيع الآن أيضًا مشاهدة قِمم (**جَلْحَاء**) وجَبَل (**بني عَيَّاش**) وراءها، مع قَرية (**نَيْد قُعَف**)[١] الصغيرة اللافتة في ثنيَّةٍ من المنطقة الأُولى [**جَلْحَاء**]. في حين كنَّا نشاهد ملامح القُرَى المتخندقة في عُرض وادي **ضَمَد**، ومن ضِمنها (**امْرَقَـبَة**) و(**رَيْدَة امْعِزَّة**)[٢] على قُنَّةٍ طويلةٍ تنحدر من ذٰلك الجانب إلى حافَّة **ضَمَد**، الذي يقع واديه ذو التيَّار الواسع من الغَيْل- وهو يتلألأ في أشعة الشمس المتقطِّعة- على مشهدٍ منَّا للمرَّة الأُولى هٰذا النهار. وعلى الجانب الأيسر من المضيق يجري شِعْب

---

[١] Qu'af. وفي (العبيكان، ٢: ٩٩٠): «قحيف».

[٢] في (العبيكان، م.ن): «**ريدان العِزَّة**». وليس هناك مكانٌ بهٰذا الاسم!

(**امْنَشَمَة**) إلى الأسفل حتى يتَّصل بوادي (**حِنَبَة**) في **حلقامي**[١].

ويقع العمودُ الحُدوديُّ في (**اِمْنَشَمَة**) إلى الجَنوب الشَّرقي قليلًا مِنَّا مستكمِلًا قوس العلامات على السِّلسلة الجَبَليَّة التي تبدأ من (**مَعْقَر**). وقد هبطنا إلى ذٰلك العمود بسهولةٍ تامَّةٍ من شِعْب (**شِرْوَة**) لنجد أنفسنا على بداية سِلسلة (**كَتْفَة**) الجَبَليَّة، التي ترتفع لدَى نهايتها القصوَى إلى الجُرف الهائل ذي الغابات الكثيفة، الذي لا بُدَّ أنَّه على ارتفاعٍ يزيد كثيرًا على ٨٠٠٠ قَدَمٍ، وهو يمثِّل مَعْلَمًا بارزًا جِدًّا في المشهد الطبيعي هناك. وعلى الرُّغم من هٰذا، لم يكن من غرضنا في الوقت الراهن أن نزور ذٰلك المكان؛ لأنَّ الخطَّ الحُدوديَّ- الذي يمتدُّ بعيدًا قليلًا على طول المسافة من عمود **اِمْنَشَمَة** إلى نقطةٍ غير معلَّمة (رقمها:

---

[١] في (العبيكان، م.ن): «**حلقوم**». على الرغم من أنَّ الكلمة في الأصل الإنجليزي مكتوبة: Hilqami!

٥٦أ)، على ارتفاع نحو ٧٠٠٠ قَدَمٍ فقط- يهبط نتوءًا صخريًّا حادًّا كحافَّة سِكِّينٍ إلى القَرية المزدوجة المسمَّاة (لَحج)، الواقعة، تقريبًا، جهةَ الجَنوب مباشرةً من موقعنا وعلى مسافةٍ قصيرةٍ فقط أعلى المكان المسمَّى (أَسْعَر)[1]. وهٰذا الأخير [أَسْعَر] كان هدفَنا الحاليَّ، وكانت بإمكاننا مشاهدة جماعة فريقنا وقد عسكروا حوالَيه. ولـمَّا كان غُروب الشمس قد صار جِدَّ وشيكٍ، فقد قرَّرنا أن نسلك أقرب السُّبل للتخييم أسفل السِّلسلة الجَبَليَّة ونَدَع الأعمدة الحُدوديَّة المتبقية لاستقرائها في الغد. ومع ذٰلك، فإنَّ وصولنا إلى رفقائنا في المخيَّم كان عند الساعة الثامنة مساءً تقريبًا- في ظلامٍ دامسٍ، رغم القمر البَدْر المحجوب بالسُّحُب- وذٰلك بعد هبوطٍ شاقٍّ وحادٍّ إلى ارتفاع ٢٥٠٠ قَدَم.

---

[1] يقصد أنَّه كان معنيًّا بتتبُّع الخطِّ الحُدودي، ولم يكن في إمكانه زيارة ذٰلك المَعْلَم المهمِّ الذي أشار إليه في (كَتْفة).



مَعْبَر (نَيْد امْنَشَمَة).

(تصوير فِلْبِي)

وتقع قُرَيَّة (**أسْعَر**) بشكلٍ مُبْهِجٍ وسط غاباتٍ محيطة، فوق الضِّفَّة اليُسرَى مباشرةً من المجرَى المائيِّ الواقع أسفل ملتقَى (**شِرْوَة**) وشِعاب (**لَحج**). ويبرز مسجد **أسْعَر** بصورةٍ واضحة، بسطحه المُرَخَّمِ[١] بالبَياض، وسط الأكواخ الباهتة اللون المتكوِّنة منها البلدة، التي تمتدُّ مدرَّجاتُها ذاتُ الزَّرْعِ الحصيد أعلاها وأسفلها وعلى جانبَي المجرَى المائيِّ، تحفُّها أشجار (**التِّيْن**)

[١] الترخيم: الدَّهْن بـ(**النُّوْرَة**). وسبقَ وصف **النُّوْرَة**.

والنباتات الأخرى. وقد كانت مَوْطِنًا جَيِّدًا للطيور. وكان يكثر هناك بصفةٍ خاصَّةٍ طائر (**السَّوادِيَّة**)[1]، مع (**الغُراب ذي الذَّيل المِرْوَحِيِّ**) في مجموعاتٍ هائلة، فيما كنتُ قد شاهدتُ خلال النهار عددًا من (**نُسُور الغِرْفِيْن**)[2]. على أنَّ (**فَرَجًا**)– وكان قد وصَلَ إلى المخيَّم بالأمتعة– قد أمضى فترةً ما بعد الظهيرة خارج المخيَّم متسلِّحًا ببُندقيَّةٍ، فاصطاد صَيْدَةً حقيقيَّةً، هي نوعٌ أُنثويٌّ من إحدى فصائل طائر (**الوقواق الأخضر**). لقد كانت، طبعًا، جديدةً عليَّ، ولم يسبق أن اصطدنا أيَّ واحدةٍ من نوعها خلال رحلتنا. ولم يكن لإناث هٰذا النوع من الطيور ذٰلك الرِّيش الأخضر اللامع الذي لذُكورها، وإنَّما على ريشها مجرَّد مِسحةٍ من

---

[1] Grackles. وهو «**طائرٌ أسود الرِّيْش لـمَّاعُه**». (البعلبكي، (Grackle)).

[2] Griffon vultures. نوعٌ من (**النُّسور**)، ويُستعمل في اسمه لفظ Griffin أيضًا. ويُطلَق (**نَسْر الغِرْفِيْن Griffin vulture**) على حيوانٍ خرافيٍّ، نِصفه (**نَسْرٌ**) ونِصفه (**أسد**). فيما يُطلَق Griffon كذٰلك على نوعٍ من (**الكلاب**)، صغيرة الحجم، موطنها الأصليُّ (**بلجيكا**). (انظر: البعلبكي، (Griffin)؛ (Griffon)). وسُمِّيت في (العبيكان، ٢: ٩٩١): «**صقور الجريفون**»!

اللَّون القُزَحي[١]. وعندما قُورِن، لاحقًا، هٰذا الطائر من لدُن الخبراء في (**المتحف البريطاني**) مع الأنواع المماثلة المجلوبة من (**الحَبَشة**) وسِواها، كان يُعتقد في البداية أنَّه نوعٌ جديدٌ عِلْمِيًّا، غير أنَّ (**السيِّد ج. ل. بيتس G. L. Bates**) اكتشف، بعد عمليَّة بحثٍ شاملةٍ في مقتنيات المتحف، نوعًا شبيهًا في جميع مظاهره، ولـمَّا تفحَّص المعلومات الخاصَّة بذٰلك النوع، وجد أنَّه أُنثى كذٰلك، وقد تَـمَّ الحصول عليه من (**اليَمَن**) قبل ثلاثين سنةً، من قِبَل (**السيِّد ويمان بُري Wyman Bury**). وبناءً على ذٰلك، فقد فُحِصت العيِّنتان ووُصِفَتا من **السيِّد بيتس** كسُلالةٍ جديدة، (أطلقَ عليها: ***«الطيور العربيَّة ذات الذيل الأخضر الفاتح»*** *Chrysococcyx klausi arabicus*).[٢] والحقيقة أنَّ (**حتروشًا**) كان قد مَيَّـزَ ذٰلك الطائر للوهلة الأُولى، وأعطاه اسمًا محلِّـيًّا، هو:

---

[١] تتحدَّث (ترجمة العبيكان، ٢: ٩٩٢) هنا عن: «**العُرف الأخضر**»! ولا أدري من أين أضافت كلمة «**العُرف**»؟!

[٢] في (العبيكان، م.ن) فراغٌ في مكان اسم هذه السُّلالة من الطيور؛ حيث جاء: «**نوع جديد وأسماه:** ...».

(الوَرْقَة)[1]. كما كان **فَرَج** قد جَمَعَ ثلاثة طيورٍ من **(الدُّجِّ الصخري)**- من نوع: ***«الدُّجّ الجَبَلـيّ الرماديّ الأحمر»*** *monticola rufocinerea scluteri*[2]- وبعض الطيور النسَّاجة، من نوع: ***«الأحمري، أو با صفيرة»***[3]، كانت ما تزال في ريشها الشتائي.

---

[1] حسب لهجتنا في جبال (**فَيْفاء**)، فإن «**الوَرْقَة**»: هي (**الوطواط**)، أو (**الخفَّاش**)، وليس اسمًا لمثل ذٰلك الطائر.

[2] ما بين الأقواس أشار به (**فِلْبِي**) إلى تسمية تلك الأنواع بحسب المصطلح العِلْمي، وقد آثرنا تسجيله كما وَرَدَ؛ إذ ليس لها مقابلٌ عربيٌّ محدَّدٌ، وما أُثبِت بالعربيَّة هو اجتهادٌ منَّا في تقريب مدلول تلك المصطلحات. وقد أُغفِل ذِكْر هٰذه التسميات الخاصَّة لتلك الأنواع من الطيور، (**الطيور العربيَّة، والدُّجّ الجَبَليّ الرماديّ الأحمر، والأحمري، أو با صفيرة**)، في ترجمة (**العبيكان**).

[3] P. galbula: اختصارٌ لاسمه العِلْمي «***Ploceus galbula***». واسمه العربي: (**النسَّاج**)؛ لنسجه عُشَّه على نحوٍ محكَم. وهو طائرٌ أصفر اللون ذو قناع أسود، يسمَّى في جبال (**فَيْفاء**): «**الأحمري**»، مع أنَّه أصفر. ومعروف أنَّ (**العرَب**) غير دقيقي الإطلاق في الألوان. فيما يُسمَّى هٰذا الطائر في (**عُمان**): «**با صفيرة**». أمَّا الأُنثى، فلونها أخضر، إلى صفرةٍ شاحبة، بدون قناعٍ أسود. يوجد في (**السُّعوديَّة**)، و(**اليَمَن**)، و(**عُمان**)، و(**الكويت**)، و(**الصومال**)، و(**السُّودان**)، و(**جيبوتي**)، و(**إريتريا**)، و(**إثيوبيا**)، و(**كينيا**). ويبدو أنَّ الذَّكَر هو الذي يجهِّز العُشَّ للأُنثى لتبيض فيه. لذٰلك تَنشأ منافسةٌ شديدةٌ بين الذُّكور، قد تصل إلى أن يكسِّر بعضُها أعشاش بعضٍ من الغيرة**!** (عنه انظر على «الإنترنت»: http://goo.gl/zXDj4v).

وحينما وصلنا إلى المخيَّم، وجدنا (**عبد الله بن شَرْقَة**) طريحَ الحُمَّى، وكان قد أصبح رهينَ السَّرير عَقِبَ وصوله إلى هٰذا المكان بقليل، على الرغم من تأكيده أنَّه سيكون معافًى بما فيه الكفاية ليواصل المسيرَ إلى مخيَّمنا التالي في الصباح. في أثناء ذٰلك حدثتْ مشكلةٌ في ما يتعلَّق بترتيبات الطَّهْو و(**ابن هُطَيل**)، الذي كان لديه وقتٌ طويلٌ لإعداد عَشائنا، ومع ذٰلك فقد حضَّر (**الشاة**) المخصَّصة للعَشاء غير ناضجة اللحم وفي حالةٍ غير مستساغة. وزاد الطِّينَ بِلَّةً[١] [تلك الليلة] أنَّ الأجواء تسبَّبت في التشويش على استقبال الراديو على نحوٍ مزعجٍ جِدًّا، فيما حجبتْ السُّحبُ السماءَ وجعلتْ رؤيةَ النجوم مستحيلةً تمامًا. لقد كانت نهايةً تعيسةً ليومٍ لم تكن تنقصه المتعة وكان حافلًا بالأهميَّة. وكان مسيرنا- نازلين من قُلَّة سِلسلة مرتفعات (**اِمْنَشَمَة**)- مسيرًا طويلًا

---

[١] استعملنا هٰذا التعبير في مقابل عبارة المؤلِّف: « **To add to the chapter of woe...**». وهو تعبيرٌ مَثَليٌّ، ترجمتُه الحرفيَّة: «**للإضافة إلى فَصْلِ الوَيْل...**»، يقابله في العربيَّة: «**زاد الطِّينَ بِلَّة**».

وشاقًّا، وذٰلك على امتداد طريقٍ وَعرٍ يهبط نتوءًا صخريًّا حادَّ الانحدار، يؤدِّي إلى الأسفل بين شِعْب (**شِرْوَة**) عن يميننا والشِّعْب المقابِل في (**لَحج**) عن يسارنا. وينحدر الشِّعْبُ الأخيرُ من الجُـرُوْف متخلِّلًا فجوةً شَرقيَّةً في سِلسلة المرتفعات الرئيسة، ويمضي شَرقًا من نهاية قُلَّة **اِمْنَشَمَة** إلى الجُرف العالي في (**رَجِل**)[1]، ثمَّ يتقوَّس ثانيةً نحو الجَنوب الغَربيِّ حيث تبدأ رابيةُ (**مُسَيْنَة**)[2] الهائلةُ نتوءًا صخريًّا آخرَ يشكِّل الضِّفَّة اليُسرَى لشِعْب **لَحج**. ويلتقي ذٰلكما النتوءان الصخريان- المنتهيان على التوالي في الأَكَمَتَين الشامختين: (**ضَحَى**)[3]، لدَى النقطة (رقم ٥٦ب) من الحُدود، غير المعلَّمة، و(**وَعَر**)[4]، لدَى النقطة (رقم ٥٧أ)، غير المعلَّمة كذٰلك- في سِلسلة المرتفعات الدُّنيا على مجرَى **لَحج**، حيث

---

١ Rajil.

٢ Musaina.

٣ Dhaha. في (العبيكان، ٢: ٩٩٣): «**الضحى**».

٤ Wa‘ar.

كانت شجرة (**عِتْمٍ**)، في بُقْعَةٍ صخريَّةٍ صغيرةٍ منه تُسمَّى (**مِقداء**)[١]، معدودةً من قِبَل لجنة ترسيم الحُدود كعلامةٍ حُدوديَّةٍ رسميَّةٍ (برقم ٥٧). وتقع هٰذه النقطة على ارتفاع ٥٢٠٠ قَدَمٍ فوق مستوَى البحر، أو تقريبًا ٢٠٠٠ قَدَمٍ تحت سِلسلة مرتفعات **اِمْنَشَمَة**. ويشكِّل هٰذا النتوء البارز للتُّخم الحُدودي، الواقع وراء خطِّ سِلسلة المرتفعات الرئيسة، جزءًا أماميًّا من منطقة (**حِنبَة**)، وهو جانبٌ ممتدٌّ فوق الجُرف بحيث يشمل قُرَيَّة (**لَحج اِمْجَنبي**)[٢]، الشامخة تمامًا فوق الضِّفَّة اليُمنَى من **لَحج**. وتنتصب في الجهة المقابِلة على الضِّفَّة اليُسرَى قُرَيَّةُ (**لَحج اِمْيَحْيَوِي**)، العائدة إلى (**آل يحيَى**). ويمتدُّ شِعْب **لَحج** أسفل نقطة **مِقداء** الحُدوديَّة، في المنطقة السُّعوديَّة، خلال ممرٍّ ضيِّقٍ جُرفِـيٍّ باهرٍ، وذٰلك إلى نِصف

---

[١] Miqda. في (العبيكان، م.ن): «**امقدة**».

[٢] وَرَدَ الاسم هنا هٰكذا: Lahaj Hanabi. وإنَّما يعني: (**لَحج امْجِنَبي**)، أي المنسوب إلى أهل (حِنبَـة)، كما سيقول بعد هٰذا: «**لَحج امْيَحْيَوِي**»، نِسبةً إلى (**آل يحيَى**).

المسافة إلى الأسفل، حيث تقع قَرية (**مَطَى**)[١] الصغيرة على مصبِّ شِعْب (**الحِشْرة**)[٢] المتدفِّق من شِعْب (**الصَّوْفَعَة**)[٣] شَرق جُرف **مُسَيْنَة**. وتحت الممرِّ [المشار إليه] يبتدئ المَجرَى في شَقِّ المنحدَرات ذات المدرَّجات من بلاد (**أسْعَر**) الزراعيَّة. وكان الطريق الذي سلكناه هو الطريق التجاري الذي يربط **أسْعَر**، عن طريق شِعْب **اِمْنَشَمَة**، و(**حلقامي**) أسفل منه، مع المراكز القياديَّة الفرعيَّة اليَمَنيَّة في (**مَجْز**)، على مسافة يومَين سيرًا على الأقدام من **أسْعَر**. ويُقال إنَّ رحلة يومٍ واحدٍ من **مَجْز** توصِل إلى (**صَعْدَة**). وقد كان الليل في **أسْعَر**[٤] جافًّا ودافئًا تمامًا.

وبعد أن تأكَّدنا أنَّ الأمير بصِحَّةٍ جيِّدة ويستطيع أن

---

[١] Matta.

[٢] Hishra. وفي (العبيكان، م.ن): «**أمحشرة**».

[٣] Saufa‘. و(**الصَّوْفَعَة**) هو الاسم المعروف في تلك الجهات.

[٤] هنا وَرَدَ في (العبيكان، م.ن): «**مَـجْز**»، بدل «**أسْعَر**»، وهو خلاف ما ذكرَ (**فِلْبِي**).

يمضي معنا في برنامجنا، انطلقنا وفريق المسح الميداني عند الساعة التاسعة صباحًا، كي نستأنف خطواتنا التي بدأناها في المساء السابق وصولًا إلى (**مِقداء**)، حيث كنَّا قد توقَّفنا لالتقاط أنفاسنا لدَى حوضٍ صخريٍّ[١]، وتحديدًا عند أسفل «**عَقْمِهِ**»[٢]، وهو حاجزٌ للماء بعَرْض خمسين ياردة يقع في عُرْض القناة المائيَّة. وكان حَجَرٌ مُفْرَدٌ، مغروزٌ في فرع شجرة (**عِتْم**)، هو الإشارة الوحيدة على الأهميَّة الخاصَّة لتلك الشجرة بوصفها شاهدَ النقطة الحُدوديَّة. ونحن الآن نتبع النتوء الصخري على الضِّفَّة اليُسرَى من وادي (**لَحج**) في الطريق إلى هضبة (**وَعَر**)- ٥٧أ- متجاوزِين علامةً حُدوديَّةً بَدْوِيَّةً قديمةً، بين جهة (**آل يحيَى**) و(**حِنَبَـة**)، على

---

[١] Rock-pool. وتُسمَّى بلهجة المنطقة: «**كَرْي**»- أو «**چَرْي**»، حسب نُطق (الكاف الفَيْفيَّة)- وهي حُفرةٌ صخريَّةٌ يجتمع فيها الماء، كأنَّها حوض. وفي اللغة: كَرَا الأَرضَ كَرْوًا، وكَرْيًا: حَفَرَها. (انظر: ابن منظور، (كرا)).

[٢] barrier. و«**العَقْم**» بلهجة المنطقة: ما يُجعل سَدًّا لحجز الماء. وهو استعمالٌ فصيح؛ فالعَقْم في اللغة: السَّدُّ. (انظر: م.ن، (عقم)).

أَكَمَةٍ تُسمَّى «**ضاري**»، أو «**ضاحي**» (**ذاحي؟**)[1]، تقع في خطٍّ واحدٍ مع جُرف (**مُسَيْنَـة**)، ٥٧ب، الذي وصلنا إليه عند الظُّهر. كُنَّا هنا على ارتفاع نحو ٦٩٠٠ قَدَمٍ، ولٰكن لسببٍ ما لم يُعَدَّ تعليمُ هٰذه النقطة الحُدوديَّة بعمودٍ أمرًا ضروريًّا. كانت السِّلسلة الجَبَليَّة هاهنا مغطَّاة بالحشائش الطويلة، وجميعها جافَّة إلى حدٍّ ما، مع بِضع أجمات متفرِّقة. لقد بدا العمودان الحُدوديَّان التاليان في (**الصَّوْفَعَة**)، رقم ٥٨، و(**فَريثة**)[2]، رقم ٥٩، على مرأًى منَّا وذٰلك في عُرْض الهاوية العميقة من شِعْب (**الحِشْرة**)، حيث الجُرف الذي كان علينا أن نلتفَّ حوله، عن طريق مَضيقٍ (برقم ٥٧ج)

---

[1] كذا تشكَّك المؤلِّف في اسم المكان: Dhari Dhahi (? Thahi). وفي (العبيكان، ١: ٩٩٤) جاء الاحتمال الأخير للاسم، هٰكذا: «**تاحي**». ولعلَّ اسم الهضبة: «**الذَّاري/ اِمْذَاري**». وهم في تلك الجهات يُطلقون «**الذَّاري**» على ذُروة الجَبَل أو الهضبة. وهناك أماكن عِدَّة بهٰذا الاسم، وكذٰلك في (**الجمهوريَّة اليَمَنيَّة**). وقد مَرَّ في الحديث عن ديار (**بني مالك**) الإشارة إلى (**امْذاري مَغْبَر**)، مثلًا، في بلاد (**آل سَلْمَى**).

[2] Faritha. وفي (العبيكان، م.ن): «**فرثية (امفرثية)**».

يقع لدَى ذُروة المنطقة الصَّخريَّة المسنَّنة الفاصلة، لكي نَصِل إلى تلك الأعمدة. واتِّفاقًا، كان الطقس ما يزال صافيًا تمامًا، فتَمَكَّنَّا من رؤية منظرٍ رائعٍ **لـمُسَيْنَة**، ومن ضِمن المنظر كان يبدو جَبَلا (**عَكْوَة**) المخروطيَّان البُركانيَّان بعيدًا هناك في منبسط تِهامة فيما يلي الكَتف اليُمنَى من جبال (**فَيْفاء**). وعلى طول الحُدود خلْفَنا كنَّا نستطيع مشاهدة العلامات الحُدوديَّة في (**مَعْقَر**) و(**النَّبْشَة**)، في حين كانت قُرَى مرتفعات (**جَلْحَاء**) في الأَمام ممكِنةَ الرؤية كذٰلك.

هَبَطْنا من (**مُسَيْنَة**) نحو ٣٠٠ قَدَمٍ إلى رأس شِعْبٍ يُسمَّى (**سَواد**)، هو من روافد (**لَحج**)؛ ومن هناك صعدنا مَرَّةً أخرى على طول حافَّة الجُرف، الذي كانت المياه تتدفَّق من صَخْرِه، على ارتفاع ٧٢٠٠ قَدَمٍ، بكمِّيَّةٍ كبيرة. واستمرَّ صعودنا إلى شِعْب (**الحِشْرة**)، على ارتفاع ٧٦٠٠ قَدَمٍ فوقَ مستوَى البحر؛ إذ استدرْنا حولَ المنعطَفِ هناك باتِّجاه عمود

(**نَيْدِ الصَّوْفَعَة**) الحُدوديِّ[1]، الذي كان في الواقع على ارتفاع ٨٠٠٠ قَدَمٍ فوق مستوَى البحر. في هٰذه الأثناء، ولسوء الحظِّ، كان ضَبابٌ كثيفٌ قد أَخَذَ يُغطِّينا، فكُنَّا نُعاني صعوبةً شديدةً في اتِّخاذ طريقنا لصعود المنحدَر الحادِّ، وفي بعض الأحيان كُنَّا نُواجِه السفوحَ الخَطِرَةَ من الحجارة المتبعثرة خلال غابةٍ من أشجار (**العِتْم**) و(**العَرْعَر**). ويُقال إنَّ هٰذين النوعَين من الشجر كليهما- وثمرهما جَنِيٌّ الآن- يمثِّلان مصدرًا غذائيًّا رئيسًا مفضَّلًا (**للقِرَدَة**) المحلِّيَّة، التي، مع ذٰلك، لم نرها على الرغم من أنَّنا كُنَّا أحيانًا نسمع خَنْخَناتها[2] الواضحة خلال الضَّباب. وكان هناك طائر

---

[1] في (العبيكان، ٢: ٩٩٥): «**العمود الحدودي المسمى نجد صوفع**»**!** والمكان هو المسمَّى: «**نَيْد الصَّوْفَعَة**»، لا العمود. وهو بهٰذا الاسم، وليس باسم «**نجد صوفع**».

[2] «**الخَنْخَنة**» في العربيَّة: صوت (**القُرود**). وفي لهجة (**فَيْفاء**) يطلقون تعبير الـ«**مُبَاحَمَة**» على تبادل **القِرَدَة** أصواتها، كأنَّ بعضها ينادي بعضًا. يقولون: «**بَاحَمَ القِرْدُ، يُباحِم، بِيْحام**». و«**بِيْحَام**»- حسب نطقهم- أصله: «**بِحَام**». وقد أطلقوا هٰذا التعبير حكايةً لصوت **القِرْد** لأنَّ مَن يسمعه يجده ككلمة: «**باحوم**» أو «**باحوه**». ولا نجد هٰذا في المعجمات العربيَّة.

←

(الحَجَل)، من النوع الأسفع الرأس[1]، بكثرةٍ ملحوظةٍ كذٰلك، فيما كنتُ قد رأيتُ في **مُسَيْنَة** **(صَقْرًا)** يطارد سِرْبًا كبيرًا من **(اليَمام الأسود)**، ربما كان من نوع **(الحمام الحَبَشي)**، وإنْ لم أتمكَّن من الحصول على عيِّنةٍ منه لتحديد فصيلته.

كان وادي **(حِنَـبَة)** ما يزال يمتدُّ على طول مسيرنا من جهة اليسار، ولٰكنَّ امتداده الآن يقترب إلى أعلاه حيث ينحدر شِعْب **(عمَقْيَة)**[2]- الذي يبتدئ من مسافةِ ميلَين تقريبًا من **(نَيْد الصَّوْفَعَة)** الواقع في السَّفح الجَنوبيِّ[3] الكثيف الشَّجَر مِن **(كَتْفَة)**- ليلتقي بشِعْب **(قويد)**[4] المنحدِر من مرتفَعات **(عقَيْبَة)**. ومن هٰذه النقطة- مع قَرية **قويد**

في (العبيكان، م.ن): «**نسمع تردد صياحها مع الصدى ومن خلال صدى السحاب**»! تُرى كيف كانوا يسمعون صياح **(القِرَدة)** «**من خلال صدى السحاب**»؟!

[1] *A. melanocephala*.

[2] ‘Amaqiya.

[3] في (العبيكان، ٢: ٩٩٥): «**سفوح كتفة الشمالية**»! فكيف صارت «**الجَنوبيَّة**» «**الشَّماليَّة**»؟!

[4] Quwid.

الواقعة في الزاوية المتشكِّلة بالتقاء الضِّفَّة اليُسرَى من شِعْبها مع الضِّفَّة اليُمنَى **لعمَقْيَة**- فإن القناة تُسمَّى **(وادي حِنَـبَة)**، التابع لفرع **(بني جُماعة)**[1] الذي تنتمي إليه كلُّ هٰذه القُرَى، بما في ذٰلك **(مَقْرَبَة)**[2]، و**(قُلَيْلَة)**[3] التي تقع بالضبط أسفل ذٰلك الملتقَى، و**(حَلَلَة)**[4] على مسافةٍ قريبةٍ أسفل من ذٰلك على الضِّفَّة اليُمنَى من القناة. ويَصبُّ وادي **حِنَـبَة** في وادي **(دَفَا)**، وراءَ أَكَمات **(القَهْر)**، لدَى مُنحناه العظيم. وكان قِطاعٌ واسعٌ من غابة **(العَرْعَر)**- الممتدَّة من خطِّ مسيرنا من **(نَيْد الصَّوْفَعَة)** إلى العمود الحُدودي التالي في **(اِمْفَريثة)** شَرقًا وجَنوبًا شَرقًا على السِّلسة الجَبَلِيَّة التي تُحيط برأس وادي **حِنَـبَة**[5]- كان ذٰلك القِطاعُ من الغابة أسودَ ومتفحِّمَ

---

[1] في (العبيكان، م.ن): «**آل جماعة**». وهٰذا خطأ، فهم لا يُكنون «**آل جماعة**»، ولم يذكرهم (**فِلْبِي**) كذٰلك، بل هم: «**بنو جُماعة**».

[2] Maqraba. وفي (العبيكان، م.ن): «**أمقربة**».

[3] Qulaila.

[4] Halala. وفي (العبيكان، م.ن): «**أمهللة**».

[5] في (العبيكان، ٢: ٩٩٥- ٩٩٦): «**السلسلة التي تغلق رأس حنبة**»! ولا أدري كيف «**تغلق**» سِلسلة جَبَلِيَّة رأس وادٍ؟!

البقايا من جذوع الأشجار وفروعها غير المورقة، نتيجةَ حريقٍ هائلٍ أَتَى على الغابة في سنواتٍ مضت. كان هناك ما لا حَصر له من النباتات الخضراء النامية الغَضَّة تغطِّي المنطقة، أمَّا أشجار **العَرْعَر**، فيبدو أنَّها قد انتهت تمامًا، فلم تَعُد ثَمَّةَ إلَّا جذوع أشجارٍ هائلةٍ شاخصةٍ ذات فروعٍ عاريةٍ مُتَلَوِّية. ويقع عمود **الفَريثة** على مسافة نحو ٥٠٠ ياردة فقط إلى الجَنوب، بانحرافٍ يسيرٍ إلى الغَرب من **نَيْد الصَّوْفَعَة**، وقد تأكَّدَ أنَّه في المرتبة الثانية من بين أعلى النقاط الحُدوديَّة جميعًا، وذٰلك على ارتفاع نحو ٨١٠٠ قَدَم. ويبدو أنَّ شِعْب **(الحِشْرة)** قد شكَّل الخطَّ الفاصلَ بين سِلسلة **(العريف)** الجَبَليَّة الحُدوديَّة وتلك المقابِلة في **كَتْفَة**.

وتُشكِّل السِّلسلةُ الجَبَليَّةُ بدءًا من **(الفَريثة)** نهايةً بارزةً جَنوبيَّةً ذاتَ كَتفٍ جَبَليَّةٍ صخريَّةٍ هائلةٍ تُسمَّى **(مَرْوَة)**[1]،

---

[1] Marwa. وفي (العبيكان، ٢: ٩٩٦): «مروح». وعلَّق (ابن جريس): «**مروح ربما يطلق عليها أيضًا (قلة أمروة).**» لٰكن (فِلْبِي) لم يذكر: «مروح» في هٰذا الموضع. ومَرْوَح اسم مكانٍ آخر معروفٍ في (فَيْفاء)، كما تقدَّم. فمِن أين ←

تنحني إلى الأسفل في جُرفٍ منحدِرٍ حتى شِعْب **(صَمُوعة)**[1] الذي يقع رأسه عند قُـنَّة التعرُّج التالي للسِّلسلة، لدَى شِعْب **(نَيْد اِمْرُزَم)** المعلَّم بالعمود الحُدوديِّ التالي (ذي الرقم ٦٠). ويقع هٰذا [العمود الحُدوديُّ] على مسافة أكثر من مِيلٍ[2] تقريبًا من **الفَريثة** إلى الجَنوب الشَّرقيِّ، وكان علينا لكي نصل إليه أن نهبط نحو ٤٠٠ قَدَمٍ، مكابِدِينَ سبيلَنا خلال شُجيرات الغابة الكَثَّة[3] والضَّباب الكثيف. وقد امتحنَ هٰذا المزيج من المعوِّقات[4] رباطةَ

جاء المترجِم بـ«**مروح**» هاهنا؟! ولعلَّ تلك الكتف الجَبَليَّة إنَّما سُمِّيت «**مَرْوَة**» لأنَّها مَرْوِيَّة، أي صخرةٌ بيضاء من (**الـمَرْو**). وثَمَّة أشباهٌ لهٰذا الاسم في تلك الجهات للسَّبب نفسه.

[1] Samu‘a. وفي (العبيكان، م.ن): «**تغطس أسفل جلمود شديد الانحدار إلى حيث مسيل صمعة**»!

[2] «**more than a mile**». وتُرجِم هٰذا في (العبيكان، م.ن): «**تقل عن الميل الواحد**»!

[3] «**...Fighting our way through the dense undergrowth of the forest**». وتُرجِم هٰذا في (العبيكان، م.ن) هٰكذا: «**ونحن نشق طريقنا فوق النمو التحتي الكثيف لأرضية الغابات**»!

[4] «**This combination of obstacles**». وتُرجِم في (العبيكان، م.ن): «**هٰذا التوافق في توارد المواقع**»! والواقع أنْ لو أحببنا المقارنة بين الأصل والترجمة ←

جأش (**حتروش**) فأوصله إلى حدِّ الانفجار تأفُّفًا:

- «**لَعَنَ الله بلادنا هٰذه!**»، صَرَخَ فجأةً.
- «**بل قُلْ**»- أجاب (**حسن حسين**)، وهو مرشد طريقنا اليَحْيَوِيُّ وخبير الحُدود-: «**ربِّي يلعن هٰذه العَمَايَة**[1]».
- «**لا، لا!**»- قال (**حتروش**)، مصدومًا جِدًّا [من كلام حسن حسين]- «**لا ينبغي لكَ أنْ تقول ذاك.**»

ذٰلك لأنَّه يُعَدُّ، في (الجزيرة العربيَّة)، تجديفًا أن تَلعنَ المطرَ أو الماءَ بأيِّ صيغةٍ؛ لأنَّهما شِريان الحياة للبلاد.

العبيكانيَّة- التي سُمِّيت «**تعريبًا**»!- لأثقلنا الحواشي جِدًّا. ولذٰلك سنكتفي ببعض الأمثلة من وقتٍ إلى آخر، ممَّا يؤكِّد عدم سلامة تلك الترجمة، بل تضليلها القارئَ بتهويماتٍ دلاليَّة، لا يفهمها، ولا تتَّفق مع ما كتبه المؤلِّف.

[1] «**blind-mist**». وهم يُسَمُّون «**الضَّباب**» في تلك الجهات: «**عَمَايَة**»، وهو ما يتطابق مع التعبير المستخدَم في النصِّ. وكأنِّي به قال بلهجة المنطقة: «**إلَّا قِلْ: آهْ يَلْعَنْ تا العَمَايَة!**» فـ«**آه**» بمعنى: الله، و«**تا**» أو «**تَـيَّ**» بمعنى: هٰذه، أو تِـيْ.

- «**أمانة**»[1]- أجاب المرشِدُ باقتضاب، موافقًا على ذٰلك التوبيخ الوَعْظِيِّ- «**إنَّما هي نِعْمَةٌ في الحقيقة.**»[2]

ويقع شِعْب (**نَيْد اِمْرُزَم**) بارتفاع ٧٨٠٠ قَدَمٍ على رأس طريقٍ يُفضي إلى الأعلى مُنطلِقًا من قَرية (**الخَرَمة**)[3]، التي هي في الأسفل مِنَّا، مرورًا بشِعْب (**صَمُوعة**)، وصولًا إلى قُرَى (**حِنَـبَة**)، ويستمرُّ إلى (**مَجْز**). ويهبط (**شَعِيْب الخَرَمة**) نفسه من جُرف قُلَّة (**الضَّيُوْر**)[4] ومنحدَراتها، وهي الموقع البارز التالي على

---

[1] «**Amana**». و«**أمانة**» عبارةٌ تُقال لأحد غَرضَين: الحَلِف، أو التأمين موافقةً على أمر. فيقول أحدهم، مُقْسِمًا بالأمانة: «**إيْ أمانة، إنَّه حدث كذا وكذا!**». ويقول، موافقًا: «**إيْ أمانة!**»، أو «**أمانة!**». وقد قلَّ اليومَ سماعُ هٰذا بسبب توعية الأوساط الدِّينيَّة هناك بحُرمة الحَلِف بغير الله.

[2] «**'tis sooth indeed**». ويُلحَظ أنَّ هٰذه الجُملة الأخيرة التي ردَّ بها (**حسن حسين**) قد أُسقطت من ترجمة (**العبيكان**).

[3] في الأصل: «**from the village of Kharama**»، هٰكذا بالتنكير. وغَرْب هٰذا المكان وشَماله لـ(**آل زيدان**)، من (**آل يحيَى**) من (**بني مالك**)، وجَنوبه لـ(**أهل جَلْحَاء**)، من (**بني خَوْلي**)، في الجانب اليَمَني.

[4] Dhaiyur. وفي (العبيكان، م.ن): «**أمذيور**». ويُلحَظ أنَّ (**فِلْبِي**) تارةً يعرِّف الأسماء وتارةً ينكِّرها؛ فهو يذكر هنا «**قُلَّة ضَيُوْر**»، ثمَّ سيذكرها لاحقًا، ←

سِلسلة المرتفَعات الرئيسة، فيما ينحدر الشِّعْب الآخَر المسمَّى **صَمُوعة**، والواقع وراء **الخَرَمة**، من مُنْعَرجٍ متشكِّلٍ من انعقاد جُرف (**كَتْفَة**) الهائل برابية (**جَلْحَاء**)[١]. وتلتقي هٰذه القنوات الثلاث في ملتقًى، بعيدًا أسفلَ قِمَّة السِّلسلة الجَبَليَّة، حيث ينحدر الوادي بها على منحدَرٍ أسهل، مارًّا بقَرية **الخَرَمة** على ضِفَّتها اليُمنَى، ومِن ثَمَّ عَبْرَ مَضيقٍ عظيمٍ، يُسمَّى (**مَوْفَر**)[٢]، وفيما يلي ذٰلك ينحدر الوادي إلى (**ضَمَد**). وتقع **صَمُوعة** و**الخَرَمة** الشَّماليَّة في الجانب السُّعوديِّ من الحُدود، غير أنَّ **صَمُوعة** الجَنوبيَّة تقع في المنطقة اليَمَنيَّة، وينحدر خطُّ الأعمدة الحُدوديَّة نتوءًا حادًّا، قاسمًا الأخيرتَين وصولًا إلى الملتقَى الثُّلاثي[٣].

(Philby, 527)، باسم «**قُلَّة الضَّيُوْر**»، ليعود في الصفحة نفسها، والفقرة نفسها، ليُسمِّيها: «**قُلَّة ضَيُوْر**»! ولعلَّ اسم «**قُلَّة الضَّيُوْر**» هو الصواب.

[١] في الأصل: « **...from the fold formed by the tremendous bluff of Katfa and the Jalha hill complex.**». وتُرجِم هٰذا في (العبيكان، م.ن) هٰكذا: «**عند الانطباق الذي تكون بالجرف الرهيب لكل من مقعد كتفة وجلحاء التلي**»! ولك أن تفهم ما شئت أو لا تفهم!

[٢] Maufar. وفي (العبيكان، م.ن): «**موفار**».

[٣] بحسب كلامه فإن «**الأخيرتَين**»، المشار إليهما، هما: (**الخَرَمة الشَّماليَّة**)، ←

ويؤدِّي النتوء [المشار إليه آنفًا] إلى نقطةٍ في الأعلى على مرتفعات (**كَتْفَة**)، تقع على بعض المسافة فيما يلي مكانَ تمركزنا الحاليِّ على شِعْب (**نَيْد اِمْرُزَم**)؛ غير أنَّ الساعةَ كانت تشير إلى الخامسةِ مساءً عندما انتهيتُ من عملي هاهنا، وعلى قَلْبِ رَجُلٍ واحدٍ قرَّرنا أنَّ ما أنجزناه كان كافيًا لذٰلك اليوم. وفي أيِّ حالٍ، كان يُراودنا أملٌ ضعيفٌ في الوصول إلى المخيَّم قبلَ حلول الظلام، ولن يكون القَمَر مرتفعًا هٰذه الليلة كي يمنحنا إضاءته بمقدار ما يمكن أن تسمح به الغيوم[1]. ولذٰلك كنَّا نستبق الوقت إلى مخيَّمنا قبل غروب الشمس، آخذِين في هبوطٍ- لا يخلو من مشقَّةٍ- على الجانب الأكثر انحدارًا من الشِّعْب الأعلى. وبعدئذٍ، وفي حالةٍ هي

و(**صَمُوعة الجَنوبيَّة**). أمَّا «**الملتقى الثلاثي**»، فقد سبق أن أشار في هٰذا السياق إلى ملتقَى القنوات الثلاث: (**شِعْب صَمُوعة**)، و(**شِعْب الخَرَمة**)، ولعلَّ الثالثة (**شِعْب نَيْد اِمْرُزَم**).

[1] يقول (Philby, 525): «**as the clouds might allow**»، فترُجم هٰذا في (العبيكان، م.ن) هٰكذا: «**وذٰلك لانخفاض السحب**»؛ خالطًا المترجِم بين «**allow**» و«**low**».

الأحلك عتمةً، كانت معاناتُنا تامَّةً فيما كنَّا نُكابد على طول الطريق، تارةً في بطن الشِّعْب وأخرى على طول منحدَراته الوَعِرة على كلا الجانبَين. وقد ضاعفت الغاباتُ في الشِّعْب ومِن حوالَيه في انبهام الدُّجَى، وأمسينا بعدَ قليلٍ إنَّما نخبط في طريقنا خبطَ عشواء. وقُرْبَ ملتقَى الشِّعاب قادنا الطريقُ إلى قُرَيَّةِ **(السُّوْدَة)**[١] على رأس القِمَّة الواقعة بين قناتَي **(صَمُوعة)** و**(الخَرَمة)** المائيَّـتَين. لقد كان الظلام دامسًا جِدًّا، نوشك أن لا نرى الأكواخ التي تتألَّف منها تلك القَرية الصغيرة؛ بَيْد أنـَّا حَيَّينا سُكَّان المكان، وعمَّا قليلٍ كُنَّا نأخذ قِسطًا من الراحة في ساحةِ فِناءٍ مسيَّجٍ ببعض الشُّجيرات، فيما راح الآخَرون يلتمسون مشاعل من أغصان الأَجَم كي يُضيئوا لنا الطريق إلى المخيَّم. وهٰكذا انطلق موكب المشاعل- وكان مشهَدًا متوهِّجًا بمقدار ما يودُّ المرءُ لو يراه في أيِّ مكان- ومضينا من فورنا، ربما لمسافةِ مِيْلٍ، على امتداد الطريق الصخريِّ الذي

---

[١] Suda.

كان كلَّ ما استطعنا مشاهدتَه من حولنا. وفي أثناء الطريق كانت عَنْزٌ قد وضعتْ جَدْيًا، التقطه (**عليٌّ بن فرحان**) ليأخذه في طريقه معنا، قائلًا إنَّه كان من غير الرحمة تركُه لُقمةً سائغةً لذئاب الغابة. وقد تَبِعَتْنا أُمُّ الجَدْيِ الوليدِ كما لو كانت تَـمْتَنُّ لمثل تلك الالتفاتة الرحيمة وكأنَّها عليها معتادة.

ومصادفةً اكتشفَ (**عليٌّ**)، لدَى وصولنا إلى (**السُّوْدَة**)، أنَّ لديه قُرحةَ قَدَمٍ، فالتمس الإذن له بالمبيت هناك تلك الليلة. غير أنِّي قد اعترضتُ بشِدَّة على أسلوبِ تملُّصٍ كذاك، فانطلق معنا. ولم يلبث، مع ذٰلك، وما أن بلغنا المخيَّم الواقع أسفل قَرية (**الخَرَمة**)، حتى انصرف هو و(**حتروش**) مباشرةً ليقضيا الليل تحت غطائَي منامهما، حتى إنَّهما لم ينتظرا كي يتناولا العَشاء[1]. بل إنَّ (**يَحمْ**

---

[1] يقول (Philby, 525): « **No sooner, however, had we arrived in camp below the Kharama village than both he and Hitrush went straight off to spend the night under cover without even waiting for dinner.**»، فترُجِم هٰذا في (العبيكان، ٢: ٩٩٨) هٰكذا: «**لقد ذهب هو ومعه حتروش تحت غطاء الظلام، بمجرد أن وصلنا إلى المعسكر،**
←

شَريف)[1]، الذي ما كان له إلَّا مسيرٌ قصيرٌ ويسيرٌ برفقة الأمتعة، قد غابَ فترةً طويلةً، منذ اتَّخذَ مأواه في القَرية، فلم يَبْدُ له أَثَرٌ حتى صباح اليوم التالي. لقد كانوا زُمْرَةً ذوي قُلوبٍ كقُلوب الدَّجاج، متحاشين الإجهادَ والـمَشَقَّةَ تحاشيَهم السُّمَّ الزُّعاف؛ وبالفِعل فإنَّ كُلًّا منهم كان ما يَفتأ يتذمَّر بحِدَّةٍ من برودة الطقس في المرتفعات، على الرغم من أنَّني لم أشعُر ببرودة الطقس[2] على نحوٍ ملحوظٍ سِوَى لبُرهةٍ

إلى قرية الخرمة، لقضاء ليلتهما مع أقاربهم دون أن يمكثوا حتى لتناول العشاء معنا»! فمِن أين يأتي المترجِم بهٰذا الكلام: أنَّهما ذهبا «**إلى قَرية الخرمة، لقضاء ليلتهما مع أقاربهم**»؟! وما (خيانة الترجمة) غير هٰذا التخليط؟! بل إنَّ مفهوم «**خيانة الترجمة**» لا يعني مثل هٰذا الافتئات على الأصل، عمدًا أو سهوًا، وإنَّما يعني أنَّ اللغةَ المترجَمِ إليها قاصرةٌ عن استيعاب معاني النصِّ في لغته الأصل.

[1] في الأصل (Philby, 525): «**Yahya am Sharif**». غير أنَّهم لا ينطقون الاسم: «**يحيَى ام شريف**»، بل «**يَحمْ شَريف**».

[2] من الطبيعي أن يتفاوت الشُّعور ببرودة الطقس بين رجلٍ أوربيٍّ، اعتاد ما هو أقسَى برودةً من تلك الأجواء، وبين أولئك البؤساء من أبناء تلك الدِّيار. هٰذا إلى جانب التفاوت بينه وبينهم في الغذاء والكساء. بيد أنَّ (فِلْبِي) يأبَى إلَّا اتِّهام هٰؤلاء القوم بالكذب والتقاعس. وفِلْبِي موصوف بطبعه الشَّكِس البَرِم، وشِجاره الدائم مع مرافقيه في الترحُّل، وذٰلك ما وَصَفَه به (بِدْول، ٩٧).

قصيرةٍ قبل وصولنا إلى **السُّوْدَة**، عندما زاد رذاذُ المطر طينتنا بلَّة، إلى جانب تعثُّرنا الشاقِّ على طول طريقنا خلال الظلام. وكان قد هَطَل المطرُ مَرَّةً أخرى ونحن في المخيَّم خلال المساء، ولٰكن لم يَدُم هطولُه طويلًا.

ولسوء الحظِّ، فقد وجدتُ أنَّ الأمير كانت قد عاودته حُمَّاه عَقِبَ بُرهةٍ من وصوله إلى هٰذا المكان، ولم يكن يريد تناول العَشاء، على أنَّه قد أَصَرَّ على البقاء معنا في المخيَّم، مُتدثِّرًا بطَّانيَّاته، محتميًا بسياجٍ من أشجار (**التِّيْن**). ونظرًا إلى كلِّ هٰذه الظروف، وتقديرًا للجهود الشاقَّة، على كلِّ حال، التي اضطلع بها هٰؤلاء الذين كانوا يرافقونني في الجبال، فقد أعلنتُ صباحَ اليوم التالي أنَّ اليوم سيكون عُطلةً للاستجمام العام. وكان هٰذا اليوم هو اليوم ما قبل الأخير لسنة ١٩٣٦، وقد تأكَّد لي، كما أعتقد، أنَّها السنة الأكثر أهميَّةً والأوفر ثمارًا من كلِّ سِنِيِّ استكشافاتي في (**جزيرة العَرَب**). ولقد كنتُ أُرَتِّبُ تمامًا لكي أحظَى، أنا كذٰلك، بقِسطٍ من الراحة في

ذٰلك اليوم. لذا أمضيتُ النهار في هدوء، متجوِّلًا ببُندقيَّةٍ وبوصلةٍ، راصدًا، بصفةٍ عامَّةٍ، حصيلةً من النتائج، حتى تاريخِهِ. وكانت هنالك طيورٌ كثيرةٌ في المكان، غير أنْ ليس من بينها ما يثير الاهتمام، باستثناء ذٰلك الطائرِ الضئيلِ الهَـزِجِ الضاربِ إلى الصُّفرة، الذي لم يُعرَف سابقًا إلَّا في (**اليَمَن**)، *scicercus yemenensis*[١]. كما لحظتُ طائرًا من نوع (**السُّمْنَـة**[٢] **الصخري** *M. s. longirostris*) وطائرًا منتشرًا بكثرة هو (**الجُشْنَـة**[٣] *A. sordidus*). وكسائر الأماكن في هٰذه النواحي، فإنَّ طيور (**السَّوادِيَّة**)[٤] و(**الغِربان**) تبدو الأكثر انتشارًا، غير أنَّ طائرِي، طائرَ (**الحَجَل**)- الذي بدا من المؤكَّد توقُّعُ وجودِهِ في هٰذه الجبال- لم يظهر قَط.

---

[١] يبدو أنَّه يقصد الطائر المعروف في جِبال (**فَيْفاء**) باسم «**الأحمري**». سَبَق وصفه.

[٢] طائرٌ مغرِّد، ويُسمَّى: «**الدُّجّ**» أيضًا.

[٣] طائرٌ يُشبه (**القُبَّرة**). ويُسمَّى أيضًا: «**العُزَيْزاء**».

[٤] Grackles. ربما كان هٰذا الطائر هو ما يُسمَّى في جبال (**فَيْفاء**): (**الوِيَّة/ اِمْوِيَّة**). سَبَق وصفه.

يقع مخيَّمُنا في منتصف المسافة تقريبًا بين القَرية [الخَرَمة] وفُوَّهة مضيقِ (**مَوْفَر**). ومَوْفَر قناةٌ صخريَّةٌ تمتدُّ بين جُروف عالية، على قِمَّة جانبها الأيمن حِصْنٌ قديمٌ خَرِب. ويُعرَف هٰذا الحِصْن باسم (**فاتحة**)[١]، ولعلَّه كان أحد المراكز الحُدوديَّة الإدريسيَّة القديمة، مع أنَّه لم يَتَسَنَّ لي الحصولُ على معلوماتٍ عن تاريخه. إنَّ قَريتَي (**السُّوْدَة**) و(**الخَرَمة**)- وعلى الرغم من كونهما، وباعتراف الجميع، تقعان قَطْعًا ضِمن نطاق المنطقة السُّعوديَّة- هما حقيقةً مأهولتان من قِبَل أهل (**حِنَـبَة**)، وهٰؤلاء معروفون بوصفهم مواطنين ينتمون إلى (**اليَمَن**). على أنَّ الحقول الزراعيَّة في هٰذه الأنحاء مستثمَرةٌ بصورةٍ مشترَكةٍ بين هٰذين العنصرَين [السُّعوديِّ واليَمَنيِّ]، مثلما أنَّ المَزارع المشترَكة بين أهالي **حِنَـبَة** و(**بني خَوْلِي**)- في أعالي وادي (**صَمُوعة**) وعلى سفوح (**كَتْفَة**)- يسري عليها الوضعُ الشَّراكيُّ السائدُ نفسُه.

---

[١] Fatha. وفي (العبيكان، ٢: ٩٩٩): «فثة».

لم تكن النِّسوةُ في (**الخَرَمة**) و(**السُّوْدَة**) مطلقًا ذواتِ هيئاتٍ حَسَنةٍ كثيرًا؛ فمعظم أولٰئك اللائي رأيتهن كانت تظهر عليهنَّ سِيْما الرثاثة والكهولة، مع أنَّ فيهنَّ مَن هي دون سِنِّ الكهولة بكثير.

وقد بدا أنَّ كلَّ هٰذه المنطقة مليئة تمامًا بـ(**الأبقار**)، ذوات أَسْنِمَةٍ من أحجامٍ متوسِّطة. وكان ثَمَّةَ فائضٌ من (**الضأن**) و(**المَعْز**). ألوان **الضأن** بيضاء بصفةٍ عامَّة، أو مبقَّعة، أمَّا **المَعْز**، فذوات ألوانٍ مزدوجةٍ بين اللون الأحمر والبُنِّي.



٣- الجزء الأخير مِن مَسح الحُدود:

بعد يوم راحتنا، كان الجميع- في ساعةٍ مبكِّرةٍ من الصباح- مستعدِّين على قَدَمٍ وساقٍ، وفي معنويَّاتٍ متحسِّنةٍ كثيرًا فيما يبدو، وذٰلك تهيُّئًا لخوض الجزء الأخير المُضْنِي، حقيقةً، من مَسْح الحُدود، الذي بدأناه لدَى الساعة السابعة صباحًا، والذي لم نَعُد منه إلى المخيَّم حتى الثامنة مساءً. ولم تكن هنالك حاجةٌ لعودتنا إلى العمود الحُدودي في (**نَيْد اِمْرُزَم**) بما أنَّه كان بإمكاني من حيث أنا مشاهدة النقطة التالية على قُلَّة (**الضَّيُوْر**) وتحديدها. وامتدَّ سبيلُنا وَفق هٰذا المسار بدايةً عَبْرَ وادي (**الخَرَمة**)، الذي بدا في ضوء النهار سهل المسلك على نحوٍ لا بأس به مقارنةً مع ذكرياتنا عن طريق (**صَمُوعة**). وتقع قَرية (**حِنَـبَـة**)، في (**تويلقة**)[١]، مقابِلةً (**السُّوْدَة**)، على نتوء **الخَرَمة**[٢] الجَبَليِّ، وذٰلك على نحو ١٠٠

---

١ Tuwailiqa. و(**تويلق**): جَبَلٌ مُطِلٌّ على (**رازح**).

٢ في (العبيكان، ٢: ١٠٠٠): ذُكِرت «**تويلقة**» مكان «**الخَـرَمة**». وهٰذا غلط. ←

قَدَمٍ أعلى من مكاننا، وهي تقع أيضًا ضمن الحُدود السُّعوديَّة، مع أنَّها أقرب كثيرًا إلى الخطِّ الحُدودي. ويمتدُّ الوادي إلى الأعلى على نحوٍ حادٍّ جِدًّا، وقد أصبحنا في غضون نِصف ساعةٍ من مغادرتنا المخيَّم على ارتفاع ١٠٠٠ قَدَمٍ، في حين أفضَى بنا مسيرُ نِصف ساعةٍ آخَر من الصعود تدريجيًّا إلى أحواض (**جَو المَعِيْن**)[١] الصخريَّة، وذٰلك في ممرٍّ صخريٍّ ضيِّقٍ من الوادي على ارتفاع ٦٥٠٠ قَدَمٍ فوق مستوى البحر. وصرنا على ارتفاع ٤٠٠ قَدَمٍ أعلى من ذٰلك، حيث لم نَعُد في الوادي ولٰكن على سفح ضِفَّته اليُسرَى بالغ الانحدار، لَمَّا بزَغَتْ علينا الشمس أوَّلًا من فوق الكتف اليُسرَى لقُلَّة (**الدَّقَّاق**)[٢] على قِمَّة المتن الجَبَليِّ

ووقعت الترجمة في هٰذا الموضع في اضطراب، سقطَ بسببه سطرٌ تقريبًا من الأصل. حيث جاء: «**في مواجهة السودة على نتوء تويلقة على بعد (١٠٠) قدم منذ مغادرتنا للمعسكر، بينما وصلنا بعد نصف ساعة أخرى ترافقها زيادة للانحدار إلى البرك الصخرية...**»!

[١] Jau al Ma-ain. وفي (العبيكان، م.ن): «**جو أمعين**».

[٢] Qullat al Daqqaq. وجاء في (العبيكان، م.ن)، تعليقًا: «**أمرقاق: هو الاسم**
←

الرئيسة. وكنَّا نُحِسُّ حتى تلك اللحظة، وعلى الرغم من سيرنا المجهِد، بالبرد إلى حدٍّ بعيدٍ في ظِلال الوادي، فتوقَّفنا عشر دقائق كي نستدفئ قليلًا تحت أشعَّة الشمس. وقد بلغنا بعد عشرين دقيقة تاليةٍ إلى قِمَّةِ المتنِ الجَبَليِّ الرئيسةِ فوقَ كَتفٍ جَبَليَّةٍ بارزةٍ عظيمةٍ إلى الغَرب قليلًا من قُلَّة (**الضَّيُوْر**) وعمودها الحُدودي (ذي الرقم ٦١) على ارتفاع ٧٣٠٠ قَدَم.

وقد كان الجزء الأخير من الطَّلْعَة- التي تبدأ منذ النقطة التي غادرنا فيها الشِّعْب- يصعد، وعلى نحوٍ وَعِرٍ حقًّا، طريقًا أفضل ما توصف به أنَّها طريق (**مَعْزٍ**) جيِّدة. ومع ذٰلك فقد كانت طريقًا رئيسة. وقد وجدنا على قِمَّة الجُرف أنقاض القَرية الصغيرة، المسمَّاة قَرية (**الضَّيُوْر**)، التي

الصحيح لهٰذا المكان ويطلق عليه (قلة أمرقاق)، أما فيلبي فقد ذكره باسم (قلة الدقاق)، وهٰذا غير صحيح. (ابن جريس).» وأقول: إذا كان اسم المكان (**قُلَّة امرقاق**)، فهمزة (ام) من (امرقاق) همزة وصل، لا همزة قطع، كما وردت في حاشية ترجمة (**العبيكان**).

كانت، بلا شكٍّ، تُعَدُّ في وقتٍ من الأوقات **محطَّة** استراحةٍ على الطريق المتَّجهة إلى المركز الإداريِّ اليَمَنيِّ المهمِّ إلى حدٍّ ما، المسمَّى **(قَطابِر)**[١]. وقد استرحنا نحن في المكان بُرهةً لنستمتع بالمنظر المُنْجَلية عنه الغيوم، وتناولنا إفطارًا متواضعًا، وإنْ كان كافيًا، مكوَّنًا من **(الشاي)** و**(الخُبز المَحَلِّي)**. وكانت **قَطابِر** تُقيم سُوقَها **(سُوق الخميس)** في هٰذا اليوم، غير أنَّه لا يمكنني القول إنَّها كانت هناك حركةٌ كثيفةٌ

---

[١] Qutaba. كذا يُورِد الاسم. وفي (العبيكان، ٢: ١٠٠١): «**قتبة**»**!** وقد تحدَّث (ابن خلدون، **مختصر التاريخ**، ١٢٧- ١٢٨) عن **(قطابة)** في قواعد **(صَعْدَة)**، وهي: **صَعْدَة**، وجَبَل **قطابة** [= **قَطابِر**]، و**(حِصْن تلا)** [=**جَبَل سَلَى**]، قال: «**وأمَّا قطابة، فهو جَبَلٌ شاهقٌ شَرقيُّ صَعْدَة، وفيه حِصْنٌ وقُرَى...** ». و**قطابة** هو ما يُعرف اليوم بـ**(قَطابِر)**. وربما كان **قطابة** اسمه القديم. وتقع **قَطابِر** في قلب **(بني جُماعة)**، شَمال غَرب **صَعْدَة**- لا شَرقها كما ذكر **(ابن خلدون)**- بـ٧٠ كيلًا. ويربط مديريَّة **قَطابِر بصَعْدَة** الخطُّ الدائريُّ الشَّماليُّ: **(صَعْدَة- حَرَض)**. وتنقسم **قَطابِر** إلى عُزَل: **(يسنم الأعلى، آل عَبْدِل، حِنبَـة، خاشِر، آل قصبان، آل ثابت)**. و**قَطابِر** مركزها. يَحُدُّ **قَطابِرَ** من الجَنوب والشَّرق مديريَّتا **(باقِم)** و**(مُنَـبِّه)**، ومن الشَّمال والغَرب **(آل عَبْدِل)**، و**(آل تَلِيْد)**، و**(آل يحيَى)**. أمَّا **قُطابة**، فمكانٌ في **(كحلان عفار)** في محافظة **(حَجَّة)**، وهي مشهورة بسُوق «**قُطابة**»، منذ القِدَم. (انظر: الهمداني، **صِفَة جزيرة العَرَب**، ٢٤٨).

على هٰذا الفرع الخاصّ من الطريق، الفرع الذي يرتبط بالطريق الرئيسة أعلى وادي (**الخَرَمة**)، فيما يلي شِعْب (**نَيْد اِمْرَخَم**)[1] الذي يمثِّل رأس المَسِيْل، في حين يهبط الرافد المعروف بـ(**قِـر**)[2] من بين قُلَّة (**الدَّقَّاق**) و(**ثَهْرَة/ ظَهْرَة (رُزْمَة) الكَتْفَة**)[3] متَّصِلًا بضِفَّته اليُسرَى نحو نِصف المسافة أسفلَ نتوءِ **الخَرَمة**. ولا تَكاد تُمثِّل **قَطابِر** الآن- التي كانت تُعَدُّ مكانًا على درجةٍ من الأهميَّة الحقيقيَّة في تاريخ القرون الوسطَى (**لليَمَن**)، حسبما يذكر (**عُمارة**)[4] وغيره من الكُتَّاب العَرَب المعنيِّين بالآثار- أكثر من سُوقٍ ومركزٍ إداريٍّ ثانويٍّ،

---

[1] Najd am Rakham.

[2] Qirr.

[3] Dhahrat (Razmat) al Katfa. وفي (العبيكان، م.ن): «**ثاهرة (أمرزم)**». فيما لم يُشِر المؤلِّف إلى «**اِمْرزم**» هاهنا، بل إلى «**رُزْمَة**». كما أنَّ إملاء كلمة «**أمرزم**»- على هٰذا النحو الوارد في (**العبيكان**)- غير صحيح، كما تقدَّم التنبيه. و(**رُزْمَة**): بضمِّ الرَّاء لا بفتحها، كما أوضحنا من قبل.

[4] Umara‘. مشيرًا إلى (**عُمارة الحَكَمي**)، وأوَّل طبعات كتابه (١٣٠٩هـ)، بعنوان «**تاريخ اليَمَن**»، (لندن: كِلْبرت ورِونكتُن)، مع كتاب (**ابن خلدون، مختصر التاريخ**)، في كتابٍ واحد. و(انظر: اليَمَني، نجم الدِّين عُمارة، **تاريخ اليَمَن المُسمَّى المفيد**، ٢٠٦- ٢٠٠).

يُقال إنَّه بالإمكان الوصول إليها بسهولةٍ من **الخَرَمة** بمسير يومٍ، وخلال يومَين من (**صَعْدَة**). ولبُرهةٍ، فإنَّ الطريق الممتدَّة على قِمَّة المتن الجَبَليِّ تتعرَّج تناوبًا بين حافَّة المتن الشَّرقيَّة وحافَّته الغَربيَّة، ولٰكنَّها تقع بصورةٍ أساسٍ على جُرفٍ يُطِلُّ على وادي (**حِنَـبَة**)، ثمَّ تلتفُّ حول رأس الوادي، لتمرَّ خلال فجوةٍ بين مرتفعات (**شَعْثَمٍ**) و(**عقَيْبَة**)[١]. ولقطع هٰذا القِسم من جُملة الطريق، كان لا بُدَّ من المرور خلال الغابة المحترقة السابق ذِكرها؛ وتُمثِّل بقايا مُحرَّقةً من الغابة، حَدَثَتْ بسبب حريقٍ متعمَّدٍ للأدغال المتشابكة من قِبَل الرُّعاة، وذٰلك من أجل تحسين مراعيهم، دونَ تقديرٍ على الإطلاق لما يمكن أن ينجم عن فعلهم من عواقب.

وقد اغتنمنا معظم نِصف الساعة الذي قضيناه على طُنُفِ (**الضَّيُوْر**) لالتقاط مشهدٍ فَوقيٍّ واسع، وإنْ كان ما لبِث

[١] سَقَط من هٰذه الجملة في ترجمة (العبيكان، م.ن) قول (فِلْبي): «...**على جُرفٍ يُطِلُّ على وادي حِنَـبَة ويلتفُّ حول رأس الوادي ليمرَّ خلال...**».

غلافٌ من الغَيم أنْ حالَ دونه. وبَعد المغادرة نحو الجَنوب أصبح بإمكاننا الآن، وللمرَّة الأُولَى، أنْ نشاهد بوضوحٍ تامٍّ القِمَم الثلاث لجبال (**رازِح**)، و(**حُرم**)[1]، و(**النَّظِيْر**)، بارزةً كأنَّ كلَّ واحدةٍ منها حِصْنٌ عظيمٌ ينحدِر من المرتفعات ليُطِلَّ على سفوح تِهامة وخُبوتها. وتَبرز على نحوٍ أقرب، وعن يمين الخطِّ الجغرافيِّ لتلك الجبال، قِمَمُ جبال (**العُـرِّ**) و(**بني عيَّاش**)، تفصل بيننا وبينها مرتفعات (**جَلْحَاء**)، بارزةً في زاويةٍ قائمةٍ من كَتف (**كَتْفَة**)، فيما تمتدُّ سِلسلةُ مرتفعات (**بُطَيْن**) بعيدًا إلى يسار[2] جبال (**العُـرِّ**) خلفَ جبال (**بني عيَّاش**)، بقُراها العديدة، بما في ذٰلك كُبرَى تلك القُرَى، (**مِسلان**)[3]، وهي مركزٌ إداريٌّ يَمَني. أمَّا بقيَّة المواضع، فقد كان مشهدها هو المشهد المألوف في الأيَّام القليلة الماضية،

---

[1] Hurm.

[2] في ترجمة (العبيكان، ٢: ١٠٠٢): «**ناحية الشمال**»، بدل «**اليسار**»! بما قد يوهم أنَّ المقصود «**الشَّمال**»، لا «**الشِّمال**»؛ لأن الكلمة وردت غير مضبوطة بالشَّكل.

[3] Mislan. وهي في عزلة (**آل يزيد**).

وعلى نحوٍ يُغني عن الوصف، سِوَى أنَّ السُّحُب الآن تَـحُطُّ على جبال (**فَيْفاء**). وفي الوقت الذي وصلْنا فيه إلى العمود الحُدوديِّ- الذي لا يعدو كونه عمودًا ركاميًّا من الحجارة، معظمها كانت الأمطار قد جرفته بعيدًا، والواقع على قُلَّة (**الضَّيُوْر**)، وهو (ذو الرقم ٦١)، على ارتفاع ٧٦٥٠ قَدَمًا- كان معظم تلك المَشَاهِد محجوبًا بالضَّباب المتصاعد، باستثناء الجهة الغَربيَّة منها والشَّماليَّة. وفي هٰذا الاتِّجاه الأخير شاهدتُ أجزاء متقطِّعة من جُرفٍ شاهقِ الانحدار، وخلفَ تلك الأجزاء تظهر قِمَّةٌ مستديرةٌ، راودني مَيْلٌ إلى تحديدها على أنَّها (**شَثاث**)[١] بقُرْب (**ظَهْرَان**). وما كان من سبيلٍ أمامنا سِوَى المضيِّ قُدُمًا، على أمل أن تتغيَّر أحوالُ الطقس، متَّبعين الحافَّة

---

[١] Shithath. وفي (العبيكان، م.ن): «**شثاث بالقرب من ثهران**». والواقع أنَّ المؤلِّف يشير هاهنا إلى جهة الشَّمال من حيث كان يقف، وهناك يقع (**جَبَل شَثاث**) في **محافظة (ظهران الجَنوب)**. ويُعَدُّ **جَبَل شَثاث**، أو (**قَرن شَثاث**)، من أعالي الجبال في (**منطقة عسير**). أي أنَّه شاهَدَ جَبَلًا في ذٰلك الاتِّجاه الشَّمالي؛ فقدَّر أنَّه **جَبَل شَثاث في ظهران الجَنوب**. أمَّا (**جَبَل ثَهْرَان**)، فمكانٌ آخر، سبقَ ذِكره، وهو جَبَلٌ مشتركٌ بين (**آل ثابت**) و(**آل تَلِيْد**) و(**أهل القَهَر**)، يُـرَى من (**فَـيْفاء**) خلفَ (**جَبَل طَلَّان**)، إلى الشَّمال الشَّرقي.

المحيطة بالسِّلسلة الجَبَليَّة، هابطين ٢٠٠ قَدَمٍ تقريبًا نحو شِعْبٍ يُعَدُّ أحدَ رؤوسِ وادي (**الخَرَمة**)، ومنه استطعتُ رؤية مخيَّمنا في الأسفل. ويُعَدُّ هٰذا الشِّعْب نقطةً حُدوديَّةً، غير أنَّه بلا عمودٍ حُدوديٍّ، ولعلَّه من الممكن الرمز إليه باطمئنان بالرقم (٦١أ). ومن ورائه، وعلى المستوى نفسه تقريبًا، يقع العمود (ذو الرقم ٦٢) في (**نَيْد اِمْرَخَم**)، وهو ركامٌ ضئيلٌ جِدًّا من الحجارة، يمثِّل رأسًا آخَرَ لشِعْب **الخَرَمة**، وهو المكان الذي تصعد منه طريق (**قَطابِر**) الرئيسة. وهاتان النقطتان الأخيرتان كانتا متقاربتَين، في حين قادتْنا مسيرةُ نِصف ساعةٍ من النقطة الأخيرة منهما، في صعودٍ طويلٍ عَبْرَ بلدةٍ ذاتِ غابةٍ كثيفةٍ، إلى العمود الواقع على كُتلةٍ صخريَّةٍ شاخصةٍ، هي المُسمَّاة قُلَّة (**الدَّقَّاق**)، على ارتفاع ٧٩٠٠ قَدَمٍ، وذٰلك العمود هو بـ(رقم ٦٣).

نحن هاهنا مطوَّقون تمامًا بالضَّباب، ولا نستطيع رؤية ما هو أبعد من خمسين ياردة في أيِّ اتِّجاه. وهٰكذا

استمرَّ مسيرُنا على طول جانبٍ شديدِ الانحدار، على سِلسلة مرتفعاتٍ لها انحناءةُ حافَّةِ السِّكِّين، تعلوها بشكلٍ عموديٍّ طبقاتٌ من (**الصخر المتبلِّر**)، حيث لا يُوجَد وإنْ طائرٌ كي يكسر الرتابة المُمِلَّة في مستعمرة الضَّباب العالية هٰذه. وكُنَّا قد غادرنا في هٰذا القِسم من الطريق طريقَ (**قَطابِر**)، الذي كان يتعرَّج بعيدًا من لَدُن أرضٍ وَعِرَةٍ سالكًا حافَّةَ وادي (**حِنَـبَـة**)، لٰكنَّنا سرعان ما عُدنا إلى ذاك الطريق مرَّةً أخرى حينما اقتربنا من العمود الحُدودي (ذي الرقم ٦٤) في (**رُزْمَة الكَتْفَة**، أو **ظَهْرَة الكَتْفَة**). وكانت هٰذه العلامة الحُدوديَّة هي الأخيرة على المرتفعات بلا شكٍّ، وهي بالتأكيد تمثِّل العمود الأعلى في كامل الحُدود، وذٰلك على ارتفاع ٨١٥٠ قَدَمًا. ولعلَّنا كُنَّا حَقِيْقِيْنَ تمامًا بضرورة التتويج لآخر يومٍ من أيَّام السنة المنصرمة بإنجازنا الوصول إلى قِمَّة الحُدود بلا مِراء. وقد برزَ أمامنا، من هٰذه النقطة وإلى جهة الجَنوب، الظَّهرُ العريض لجَبَل (**كَتْفَة**)، ممتدًّا إلى

قِمَّته لدَى النِّهاية الأخرى، التي قَدَّرتُ أنَّها تقع على ارتفاعٍ زُهاؤه ٨٥٠٠ قَدَمٍ فوق مستوى البحر. وجَبَل **كَتْفَة** بكامله، مع غابة (**العَرْعَر**) الكثيفة التي تنحدر على جوانبه إلى قناتَي **حِنَـبَـة** و(**صَمُوعة**)، يقع في الأراضي اليَمَنِيَّة؛ وتهبط الحُدود بين الدولتَين [السُّعوديَّة واليَمَنيَّة] النتوءَ الشديدَ الانحدار فاصلةً واديَي (**الخَرَمَة**) و**صَمُوعة**.

لقد كان ينبغي أن يبدو ما يُطلَق عليه (العمود الحُدوديُّ) مميَّزًا في مظهره، بنِسبةٍ تعكس أهميَّةَ مكانته، بوصفه نقطةَ الخطِّ الحُدوديِّ الفاصلة. غير أنَّه، في الحقيقة، لا يعدو ثلاث قِطَعٍ صغيرةٍ من (**المَرْوِ الأبيض**)، موضوعًا بعضها إلى بعض على منصَّةٍ طبيعيَّةٍ من الحَجَر المتبلِّر البسيط[١]. وما كان لنا قَطُّ أنْ نُدرِك أنَّ جَعْلَ العمود الحُدوديِّ في وضعيَّته التي هو عليها لم تكن بمسؤوليَّة قائدنا (**حسن حسين**)، وهو أحد الرجلَين التابعَين لنا- أمَّا الرجل

---

[١] The basic schist.

الآخر، فكان راعيًا من قبيلة (**بني خَوْلِـي**)[١] **مُمَثِّلًا** المفوَّضِين اليَمَنيِّين[٢]. وكما شرح لنا [**حسن حسين**] في نَبرةٍ شاكيةٍ، فإنَّ (**عليَّ بن فرحان**) وشخصًا اسمه (**سعيد**) من (**الزرانيق**)، وهو ضابط في الجيش اليَمَني- وقد كان عليهما، في الأقلِّ، أن يزورا البُقْعَة الحُدوديَّة نيابةً عن حكومتَيهما ليتأكَّدا من أنَّ كُلَّ عمودٍ على ما يرام وأنَّه موضوعٌ وضعًا صحيحًا- قد اعتادا أن يَظلَّا متَّـكِئَين في استرخاءٍ يحتسيان (**القهوة**) في مخيَّمهما بـ(**الخَرَمَة**)، فيما يَصعد مِن قِبَلِهما بدويَّان الأَكَمَةَ، مارَّين على امتداد قِمَمها كي يضعا علامات الخطِّ

---

[١] في (العبيكان، ٢: ١٠٠٤): «**خُولي**»، بضمة على الخاء. والصحيح بفتح الخاء.

[٢] تُرجمت هٰذه الجُملة في (العبيكان، م.ن) ترجمةً مخالفةً لما قاله (Philby, 529). هٰكذا: «**لم يكن في مقدورنا العثور عليه لولا أن حسن حسين، كان أحد المندوبين- فقد كان الآخر راعيًا يتبع قبيلة بنو خُولي[كذا!]، ويمثل المندوبين اليمنيين المسؤولين عن وضعها في مكانها هٰذا**»**!** فإلى جانب الاضطراب الأسلوبي والنحوي في الترجمة، فإنَّ (**فِلْبِي**) إنَّما كان يعتذر عن قائد إرشادهم، (**حسن حسين**)، الذي أوضح لهم أنَّ المسؤوليَّة في وضع العلامات الحُدوديَّة تقع على (**عليِّ بن فرحان**) و(**الضابط اليَمَني سعيد**)، لا عليه هو.

الحُدودي. فلا غرابة، والحالة هٰذه، أنْ ربما كانا يؤدِّيان عملهما كيفما اتَّفق ليُعَجِّلا بالهبوط من تلك المرتفعات الوَعرة. هٰذا، ويمثِّل عمود (**كَتْفَة**) نقطةَ تقاطُعٍ ثُلاثيَّةً أيضًا بين (**آل يحيَى**) على الجانب السُّعوديِّ و[أهل] (**حِنَـبَـة**) وبني **خَوْلِـي** على الجانب اليَمَني.

كان كُلُّ المشهد محجوبًا بالسَّديم، مع طقسٍ باردٍ، يَهُبُّ النسيمُ اللطيفُ بالنَّدَى منه في وجوهنا ونحن قُعُودٌ هنالك. ولٰكن لا نرَى شيئًا إلَّا قِطَعَ (**المَرْوِ**) الثلاث الصُّغار، وتَنَاوُدَ شجرةِ (**عَرْعَرٍ**) أحيانًا كالشَّبَح خلال الضَّباب، فما كان لنا أن نُضيِّع وقتنا في بُقْعَةٍ كتلك. لم تكن الساعة قد جاوزت ١:٣٠ من بعد الظُّهر حينما انطلقنا هابطِين ذٰلك المنحدَرَ الحادَّ، وهو غابةٌ كثيفةٌ تنحدر صَوْبَ بدايةِ طُنْفِ[1] (**الخَرَمَة**). وقد كانت هٰذه هي

[1] الطَّنَفُ، والطَّنْفُ، والطُّنُفُ، والطُّنْفُ: ما نَتأَ من الجَبَل. والكلمة مستعملة في لهجات (**فَيْفاء**).

أصعب حالةٍ هبوطيَّةٍ من مُرْتَفَعٍ مررتُ بها حتى الآن خلال الرِّحلة كلِّها. ويَـهُفُّ السَّديمُ في وجوهنا كرَذاذ المطر، ولا نكاد نرَى إلَّا قليلًا: مَحَطَّ أقدامنا، وشُجيرةً أو اثنتين عن قُرب. لقد كان عسيرًا أن يبقَى أحدُنا على مرأًى من الآخَر، فكان بيننا الكثير من التصايُح، آخذِين- دونَ أن يرَى الواحد منا رفيقه غالبًا- نتلمَّس دربنا إلى الأسفل فوق صخورٍ زَلِقَةٍ وعُشبٍ بَلِيْل. وبين آونةٍ وأخرى كُنَّا نَجِد أنفسنا على شَفا جُرفٍ سحيقٍ، فنُضطَرُّ إلى التقهقر صُعُدًا مرَّةً أخرى، كي نبحث عن طريقٍ أسهل للنزول. في ظروفٍ كتلك كان لا بُدَّ أنْ يستغرق منَّا هبوطُ ٤٠٠ قَدَمٍ من ذٰلك الجُرف ساعةً ونِصف الساعة لنصل إلى رَدِيْفٍ[١] صخريٍّ أو طُنُفٍ يحمل

[١] استعمل المؤلِّف كلمة Shelf، وتُترجم في المعجمات بـ«**رَفٍّ صخريٍّ**». وهي ترجمةٌ حَرفيَّة، لا أصلَ لها في العربيَّة. فيما نجد في لهجة (**فَيْفاء**) أنَّهم يستعملون كلمة «**رَدِيْف**» للمعنى نفسه. وهو تعبيرٌ صحيح الاشتقاق عربيًّا، لعلَّه من مهمَلات المعجمات في هٰذا المعنى، وإنْ كانت تُذكَر الكلمة لمعانٍ ←

مجموعةً من الحجارة الضئيلة، أشارَ (**حسن حسين**) متهلِّلًا إلى أنَّها العمود الحُدودي لـ(**رُزْمَة اِمْسِلَم**[١]، ذات الرقم٦٥). ومن المؤكَّد أنَّ عثور الرجل على تلك العلامة بالرغم من كُلِّ الظُّروف المحيطة أمرٌ يُحسَب له كثيرًا، بَيْدَ أنَّه قبل كلِّ شيءٍ كان قد خَبِرَ بلاده جيِّدًا جِدًّا. ونحن الآن على ارتفاع ٧٧٥٠ قَدَمًا فوق مستوى البحر- وقد انتهينا على كلِّ حالٍ من تعاملنا مع [النقاط التي تهمُّنا في] الجَبَل[٢]- ومن ثَمَّ فها نحن أولاءِ على حافَّةِ هاويةٍ عميقةٍ تمثِّل رأس شِعْب

أخرى شبيهة. وباستخدام الكلمة نتوخَّى إضافةَ مقابلٍ عربيٍّ للكلمة الإنجليزيَّة.

[١] Sillam. وفي (العبيكان، ٢: ١٠٠٥): «**سيلام**». ولعلَّ صواب الاسم: «**رُزْمَة امْسَلِم**»، جمع «**سَلْمِيَة**»، أي حصاة أو حَجَرَة. و(**رُزْمَة امْسَلِم**) بمعنى: كُومة الحجارة. والكلمة فصيحة. (يُنظر: ابن منظور، (سلم)). قال (الأعشى، **ديوانه**، ٢١٧/ ٣):

فإِنْ يُمْسِ عِنديْ الشَّيْبُ والهَمُّ والعَشَى

فَقَدْ بِنَّ مِنِّي والسِّلامُ تُفَلَّقُ

[٢] تُرجمت العبارة الأخيرة في (العبيكان، م.ن) بالعكس: «**ولم ننته بعد من الجبال**»!

(**بَشْران**)، وهو شِعْبٌ يتَّصل بجَنوبيِّ شِعْب (**صَمُوعة**)، وذٰلك على مسافةٍ قصيرةٍ فوق تلاقي الشِّعْب الأخير مع شِعْب **الخَرَمَة**. وكان علينا الآن أن نلتمس طريقنا أسفل جِزْع هٰذا الشِّعْب الحادِّ الانحدار، وعَبْرَ أماكن أَلْفَيْنا السَّيْرَ فيها لا يقلُّ صعوبةً عمَّا كانت عليه الحال في الأعالي، وبصورةٍ متكرِّرةٍ كانت تُواجهنا جُروفٌ كَأْداء تُجبرنا على تحويل مسارنا. وما يزال السَّديم متشبِّثًا بنا بعِناد، ولٰكن بفضل مثابرة **حسن حسين**، وحُسْنِ توجيهه، فقد هبطنا المسافة التالية- وهي ٣٥٠ قَدَمًا- في ثلاثة أرباع الساعة لنصل إلى عمود (**نَيْد امَّخْطَف**[١]، ذي الرقم ٦٦)، على ارتفاع ٧٤٠٠ قَدَم. وكان كُومةً من الحجارة الضئيلة، لٰكنَّه على الأقلّ كان قائمًا في هيئة رُجْـمَةٍ[٢] مَبْـنِـيَّة.

---

[١] Najd Makhtaff. وفي (العبيكان، ٢: ١٠٠٥): «**المخطف**». والاسم معرَّفًا بلهجة المنطقة: «**نَيْد امَّـخْطَف**». ما عن شَماله، لـ(**آل يحيَى**)، من (**بني مالك**)، وما عن جَنوبه، لأهل (**جَلْحَاء**) من (**بني خَوْلي**).

[٢] الرُّجْمة: الحجارة المجتمعة. جَمْعُها: رِجام، ورُجَم.

ظلَّت وجهتنا العامَّة نحو الغَرب منذ (**رُزْمَة الكَتْفَة**) واستمرَّت كذٰلك على طول طريق العَودة. وكانت أسوأ الظروف في الهبوط قد أمست خلفنا، على الرُّغم من أنَّ المسير ما زال شاقًّا على امتداد طُنُفٍ صخريٍّ كحافَّة السِّكِّين يفصل بين واديَي (**قِرٍّ**) و(**بَشْران**). وعلى هٰذا الطريق، على ارتفاع ٧٢٠٠ قَدَمٍ، وصلنا إلى العمود (ذي الرقم ٦٧) في (**حَرْف اِمْشَيْنة**)[١] وسط غاباتٍ كثيفةٍ تُغطِّي ذٰلك الرُّعْنَ الجَبَلي. وقد جعلْنا الآن نشاهد ملامح متعدِّدة من معالم البلاد تحت غطاء السحاب العالي، وسلكْنا طريقنا على نحوٍ أسهل خلالَ أرضٍ غابَويَّةٍ جذَّابةٍ نوعًا ما[٢]، مستمرِّين في الهبوط، حتى وصلنا، في غضون ساعةٍ تقريبًا منذ مغادرتنا

---

[١] Harf Shaima. كذا، وصوابه «**حَرْف امْشَيْنة**». ما عن شَمِاله، لـ(**آل يحيَى**)، من (**بني مالك**)، وما عن جَنوبه، لأهل (**جَلْحَاء**) من (**بني خَوْلي**).

[٢] Through rather an attractive woodland. وفي (العبيكان، م.ن): «**عبر أرض أشجار غير جذابة**»!

العمود الأخير، إلى عمود (**نَيْد الفسيح**[١]، ذي الرقم ٦٨)، وذٰلك على انخفاض نحو ٩٠٠ قَدَمٍ إلى الأسفل، أي على ارتفاع ٦٣٠٠ قَدَمٍ من سطح البحر. ويبدو العمود كما لو كان ذاتَ مرَّةٍ نُصْبًا، غير أنَّ القِطَع الكُبرَى من الحجارة التي كان مبنيًّا بها ملقاةٌ الآن في شكل نَسْرٍ باسطٍ جناحَيه على الأرض. من هنا يقودنا طريقٌ ضيِّقٌ، كأنَّه طريق ماعزٍ، إلى الأسفل، وبسهولةٍ تامَّة، وذٰلك إلى العلامة التالية (ذات الرقم ٦٩) الواقعة بمحاذاة هضبة (**قُلَّة اِمْسِحامي**)[٢] الشامخة، وهي على ارتفاع ٦٠٥٠ قَدَمًا. كما تُؤدِّي هٰذه الطريق، وعلى المستوى الارتفاعي عَينه، إلى نُصْبٍ حُدوديٍّ قَبَلِيٍّ قديم، يُعَدُّ نقطةً على الحُدود لٰكنَّه لا يُعتدُّ به كعلامةٍ حُدوديَّة رسميَّة (برقم ٦٩أ). لقد كان هٰذا النُّصْب الأخير،

---

[١] Najd Fasih. وفي (العبيكان، م.ن): «**نجد فاسح**». وما عن شَمال (**نَيْد الفسيح**) لـ(**آل يحيَى**)، من (**بني مالك**)، وما عن جَنوبه، لأهل (**جَلْحَاء**) من (**بني خَوْلي**).

[٢] Qullat Sihami.

في الحقيقة، علامةً أفضل بكثيرٍ جِدًّا من نظيره الرَّسمي، الضئيلِ بحيث لا يكاد يُشاهَد، وذي الحالة المزرية. كما كان [هٰذا النُّصْب] بارزًا بشكلٍ جَليٍّ في المنظر العامِّ للمكان.

الساعة الآن تُقارب السابعة مساءً، والظلام دامس. ولذٰلك فقد اتَّخذنا طُرُقًا مباشرة نحو المخيَّم، تاركين تَتَـبُّع ما تبقَّى من هٰذا الجزء من الخطِّ الحُدوديِّ إلى الغَد. وبعد خبطنا المتواصل لبعض الوقت فيما بين الصخور في الظلام، قرَّرنا أن نُنادي رفقاءنا في المخيَّم من أجل إمدادنا بما نستضيء به، وجلسنا في الانتظار، متطلِّعين إلى النُّور وهو يضطرب في طريقه ولٰكن في تقدُّمٍ مستمرٍّ مُصْعِدًا الأَكَمَة في اتِّجاهنا. وكانت الساعة الثامنة مساءً عندما وصلْنا إلى المخيَّم بمساعدة المصباح الذي زُوِّدنا به، وكنتُ مسرورًا حقًّا لمعرفتي أنَّ العَشاء كان قد جُهِّز لنا. لقد استغرق التعريجُ على عددٍ من الأعمدة الحُدوديَّة والهبوط[1] من ارتفاعٍ يربو على ٣٠٠٠ قَدَمٍ سِتَّ

---

[1] كان المؤلِّف هنا يتحدَّث عن معاناة «**الهبوط**». في حين تُرجم كلامه في ←

ساعاتٍ ونِصفَ الساعة؛ وكانت تلك التجربة، ببساطة، هي أسوأ تجاربي على مرتفعات (**الجزيرة العربيَّة**)[١(*١٠)]. ودونما تَوَقُّعٍ، جَعَل مرشدُنا الجذَّاب جِدًّا وذو المهارة العالية، (**حسن حسين**)، يشكو أَعراضَ الحُمَّى فَوْرَ وصولنا إلى العمود الحُدوديِّ بـ(**كَتْفَة**)، وأوقدَ نارًا هناك ليستدفئ وَسطَ الضَّباب المشبَّع بالنَّدَى. ثُمَّ أَخَذَ يكافح في بسالةٍ بطول ذٰلك المنحدَر المُرِيْع، يقودنا في دِقَّةٍ مُدهِشةٍ من عمودٍ إلى آخر، حتى وصلنا إلى نُصْب الحجارة في (**اِمْسِحامي**)، التابع للبدو، فقرَّر أن يرتاح ذٰلك اليوم. أكان بَرْدُ اللَّيل المباغت هو سبب حالته، أم هو مجرَّد إحساسه بالارتياح بعد الإرهاق؟ لستُ أدري. لٰكنَّه انهار عَقِبَ ذٰلك هناك، وراح ينتفض من قشعريرة الملاريا، غير قادرٍ على الحركة. فصرخنا مستنجدين بالقَرية المجاورة، ولعلَّها (**تويلقة**)، ثمَّ تركنا إلى جانبه رجلًا من أتباع

(العبيكان، ٢: ١٠٠٧) على أنَّه يتحدَّث عن معاناتهم في «**الصعود**».

[١] يُورد مُراجِع ترجمة (العبيكان، م.ن) تعليقًا هاهنا، (انظر التفصيل حوله في «**التعليقات**»، نهاية الترجمة، (*١٠)).

(**حتروش**) ريثما تأتي إليه المساعدة، فيما انطلقنا مواصلين مسيرنا. لقد كنتُ بالحَرِيِّ قَلِقًا إذ لم يتَمَكَّن الرجل لاحقًا من أن يكون معنا في المخيَّم، غير أنَّه كان قد أُخِذَ إلى القَرية [الآنف ذِكرها]، وهي أقرب إليه من مخيَّمنا، فسَكَنَتْ الحُمَّى التي كانت قد اعترته، ليظهر علينا في صباح اليوم التالي وهو في صحَّة ممتازة، على ما بدا لنا.

وقضينا خارج المخيَّم من يومنا ثلاث عشرة ساعة، وكنتُ أشعر بالتعب. لأجل هٰذا لم أُوْلِ اهتمامًا لما كنتُ مزمِعًا فِعْلَه أصلًا من الجلوس لمتابعة احتفالات (**بيت المَقْدِس**) بالسَّنة الجديدة عَبْر المذياع. وعلى كلِّ حال، لم يكن استقبال المذياع جيِّدًا جِدًّا خلال المساء، وكنتُ قد رتَّبْتُ أمري على البقاء حتى منتصف اللَّيل حسب التوقيت المحلِّي، ومنتصف اللَّيل هنا يتقدَّم بنحو[١] ساعة عن توقيت

[١] في (العبيكان، ٢: ١٠٠٨): «**ساعة كاملة**»!

(**فلسطين**)[١]. وفي صباح اليوم التالي قمتُ برحلةٍ مع (**حسن حسين**) لاستكمال الجزء غير المستكمل من خطِّ الحُدود حتى هٰذه النقطة. لم يكن [هٰذا الجزء من الحُدود] ذا بال، وكان بالإمكان إنجاز العمل فيه في وقتٍ وجيزٍ جِدًّا. ورجعنا القَهْقَرَى إلى النقطة التي توقَّفنا لديها في المساء، لدَى نُصْب الحجارة في (**اِمْسِحامي**)، التابع للبدو، وقد فُوجئتُ أن أجد حوالَيه بقايا أنقاضٍ لقَريةٍ قديمةٍ مهجورةٍ على الطريق المؤدِّي إلى (**نَيْد الفسيح**)[٢] في الأعلى وما يليه. ويقع العمود الحُدوديُّ التالي (ذو الرقم ٧٠) في (**مجدار العُليا**)[٣]، أسفل السَّفح باتجاه شِعْب (**صَمُوعة**) بنحو ٣٥٠

---

١ يلفتُ النظرَ هٰذا الالتزام الشديد، والمطَّرِد، من قِبَل (**فِلْبي**) بمتابعة هٰذه الطقوس الدِّينيَّـة. أ عن عاطفةٍ دِينيَّـة، وهو مَن كان أعلن اعتناقه الإسلام، أم هو اهتمامٌ ثقافيٌّ، ليس إلَّا؟!

٢ كما سبق، يَرِد اسم هٰذا المكان في (العبيكان، م.ن): «**نجد فاسح**»!

٣ Jidar al Ulya. واسم المكان الصحيح: «**مجدار**». وهو جَبَل: ما عن شَماله، لـ(**آل يحيَى**)، من (**بني مالك**)، وما عن جَنوبه، لأهل (**جَلْحَاء**) من (**بني خَوْلي**). وقد وَرَدَ على هٰذا تعليقٌ في (العبيكان، م.ن) جاء فيه: «**آل يحيَى من بني مالك (فيفاء) السعودية!**»، منسوبًا إلى (**ابن جريس**)، نقلًا عن (القباع، ←

قَدَمًا، وقد بدا، للمفاجأة، نُصْبًا تذكاريًّا مهيبًا. وكان هناك في الغابات حوالَينا زُمرةٌ من **(القِرَدَة)** المشاكسة تتعالَى باستمرارٍ خَنْخَناتُها وهي تتشاجر فيما بينها، بَيْدَ أنِّي لم أتمكَّن إلَّا من التماحةٍ عابرةٍ إلى أحدها هنا أو إلى آخَر هناك. لعلَّه كان يُحيطها من الضَّباب ما يكفي لحجب رؤيتها عن الأنظار في المرتفعات العُليا التي تَتردَّد إليها عادةً، وقد هَبَطَتْ من هناك بحثًا عن الطعام، مع وجود قُرَيَّاتٍ عديدةٍ قُرب المكان. وكان العمود الحُدوديُّ التالي في الأسفل (برقم ٧١) في **(مجدار الأسفل)**[١]، على ارتفاع ٥٣٠٠ قَدَمٍ، وهو كُومةٌ صغيرةٌ من الحجارة تقوم على جُرفٍ ارتفاعه ٢٠٠ قَدَمٍ، يُطِلُّ على ملتقَى قناتَي **(بَشْران)** و**صَمُوعة**

عبدالله، **العلاقات السُّعوديَّة اليَمَنيَّة**، ٤١٠). وهٰذا يؤكِّد عدم معرفة هٰؤلاء أين تقع (**جبال بني مالك**) من (**جبال فَيْفاء**)؟ بل هم يتصوَّرون أنَّ **جبال بني مالك** جزء من **جبال فَيْفاء!**

[١] Jidar al Asfal. واسم المكان الصحيح: «**مجدار**»، كما جاء في التعليق السابق. لكن لا أدري لماذا أنَّثوا (**مجدار العُليا**) وذكَّروا (**مجدار الأسفل**)؟ فحقُّهما التذكير، بما أنَّهما جَبَلان.

المائيَّتين. ويستمرُّ الخطُّ [الحُدوديُّ] من هنا على طول الضِّفَّة اليُمنَى للشِّعْب الجامع **صَمُوعة**، ثمَّ على ارتفاع ١٠٠ قَدَمٍ فوق بطحاء هٰذا الشِّعْب، وصولًا إلى العمود القائم في (**نَيْد اِمْغطيط**، رقم ٧٢)[١]، على ارتفاع ٥٢٠٠ قَدَمٍ، أسفل قَرية (**بني خَوْلِي**) الكبيرة في (**لوح الشرقي**)، على ارتفاع نحو ٥٠٠ قَدَمٍ فوق خاصرة جَبَل (**جَلْحَاء**)، الذي يشكِّل الضِّفَّة اليُسرَى من **صَمُوعة** ومضيق (**مَوْفَر**)، وهٰذا الأخير يستمرُّ امتدادُه بَعد ملتقاه بوادي (**الخَرَمة**). وفيما نحن هنالك، إذ نزل إلينا بعضُ الزائرين من قِبَل قُرَيَّة **صَمُوعة** في أعلى الوادي، وكان فيهم عسكريٌّ يرتدي الزِّيَّ الرسميَّ

---

[١] وَرَدَ في (العبيكان، ٢: ١٠٠٩) تنبيهٌ إلى أنَّ اسم المكان الذي فيه العمود: «**ساقية امْغطيط**»، لا «**نَيْد امْغطيط**». وقد تقدَّم قولنا إنَّ «**النَّيْد**» يُطلَق على: المكان الواسع، المُشرِف على جهاتٍ من الجبال، يكون عادةً موقعًا يَتَنَدَّى الناس فيه، أي يعقدون فيه شِبه ندواتٍ اجتماعيَّةٍ وملتقياتٍ ترفيهيَّة. أمَّا «**الساقية**»، فتُطلق على مسيل ماءٍ ضيِّقٍ في مكانٍ ما. ومن هنا فلا تَعارض بين التسميتين. فربما كانت في المكان المسمَّى «**اِمْغطيط**» ساقية تُعزَى إليه، فيما اسم المكان الشامل: «**نَيْد امْغطيط**». وما عن شَمال (**اِمْغطيط**) لـ(**آل يحيَى**)، من (**بني مالك**)، وما عن جَنوبه، لأهل (**جَلْحَاء**) من (**بني خَوْلِي**).

للحكومة اليَمَنيَّة، وذٰلك لمعرفة ماذا كُنَّا نفعل على الحُدود. وقد كانوا لُطَفاء جِدًّا، ويبدو أنَّ زيارتهم لم يكن لها من دافع سِوَى الفُضول.

ويمتدُّ خطُّ الحُدود بطُول الضِّفَّة اليُمنَى لشِعْب (**صَمُوعة**)، إلى حيث التقائه بشِعْب (**الخَرَمة**) على نحو ٢٠٠ ياردة في الأسفل، لدَى النقطة الحُدوديَّة (ذات الرقم ٧٢ج)، وكذا يمتدُّ أسفل هٰذا المكان مارًّا بمنتصف ملتقَى هاتَين القناتَين المائيَّتَين لمسافة ٣٠٠ ياردة وصولًا إلى صخرةٍ هائلةٍ في الوسط، وذٰلك بالتحديد في الجهة العُليا من مَفْتَح الشِّعب الضيِّق: (**مَوْفَر**)، وذٰلك على ارتفاع ٤٨٠٠ قَدَمٍ فوق مستوى البحر. وتُـمَثِّل هٰذه النقطة، في حقيقة الأمر، نقطة الحُدود، غير أنَّه، لَمَّا كانت الصخرة [المتَّخَذة علامةً حُدوديَّة] عُرضةً لأنْ يَغمُرها الفيضان في إبَّانه، فإنَّ عمود (**رُزْمَة الطَّفَّة**[١]، ذا الرقم ٧٣) كان قد نُصِبَ على الضِّفَّة

[١] Al Taffa. ووَرَدَ الاسم في (العبيكان، م.ن): «**التفة**»! وليس هنالك مكان باسم «**التفة**».

اليُسرَى، فيما كانت كُومةُ حجارةٍ صغيرةٌ قد أُقيمت أيضًا على الضِّفَّة اليُمنَى كي تدلَّ على الخطِّ الحُدوديِّ الصحيح. وكانت الصخرة نفسها تمثِّل نقطةً حُدوديَّةً قَبَلِيَّةً قديمةً بين ثلاث قبائل: (**الخَوْلِيِّين**)، على الجانب اليَمَنيِّ من الحُدود، و(**اليَحْيَوِيِّين**) و(**الزَّيْدانِيِّين**)، على الجانب السُّعودي. وكانت حوائط المَضيق نفسه مِن الصَّوَّان الزَّهريِّ الدقيق ذي العُروق الداكنة من نوع (**الصخر المتبلِّر الأردوازيِّ**)[1]؛ وتترابط، في أسفل الحُدود قليلًا، بسياجٍ طبيعيٍّ من الحَجَر، بطُول انحدارٍ مقداره ثلاثون قَدَمًا. ولم يكن ثمَّة ماءٌ في هٰذا الأوان يتدفَّق على هٰذا الممرِّ الضيِّق، ولٰكن كانت هناك بِرَكٌ في بطن المجرَى المائيِّ، لدَى أسفله، ومنها تستقي الماءَ القُرَى المحليَّة. وتُعرف تلك القُرَى باسم (**امْـخَرَق**)[2]،

---

[1] Slatey schist. وهو صخرٌ يَسهل تقطيعُه إلى ألواح. (يُنظر: البعلبكي، (Slate)).

[2] Am Kharaq.

وكان إلى جانبٍ من السِّياج قد جُعِل سُلَّمٌ خشبيٌّ[1] لتسهيل الوصول إليها.

ومن هٰذه النقطة فإن الخطَّ الحُدودي يصعد مباشرةً على خاصرة جَبَل (**جَلْحَاء**) في جهة الجَنوب الغَربي باتِّجاه شِعْب (**نَيْد الخَرَمة**)، الذي يفصل منطقة (**الخَوْلِيِّين**) عن منطقة (**الزَّيْدانِيِّين**)[2]. ولقد كان صُعودًا شاقًّا حقًّا على ذٰلك السَّفح من الحصَى بالغِ الانحدار للوصول إلى العمود الحُدوديِّ الأوَّل، الذي لا يَعْدُو قِطَعًا من الحجارة القليلة، غير أنَّه قد لُمَّ بعضها إلى بعضٍ في فجوةٍ بين جُلمودَين ضخمَين من الصَّوَّان الرمادي. وتُعرف هٰذه النقطة باسم

---

[1] في (العبيكان، ٢: ١٠١٠) تُرجِمت عبارة «**wooden ladder**» إلى: «**ممسك خشبي**»!

[2] في (العبيكان، م.ن): «**بين أرض خولي وأرض زيداني**»! والحقيقة أنَّهما قبيلتان، الأُولى: (**بنو خَوْلِـي**)، من (**اليَمَن**)، والأُخرى: (**آل زَيدان**)، من (**السُّعوديَّة**). ويُنسب الفردُ إلى الأُولى بـ«**خَوْلِـي**»، وإلى الأُخرى بـ«**زَيداني**». أمَّا القبيلة، أو المجموعة من قبيلة **بني خَوْلِـي**، فلا يُطلَق عليهم: «**خَوْلِـي**»، بل: «**خَوْلِيِّين**»، وكذا من **آل زيدان**: «**زيدانيِّين**».

(**رُزْمَة المَخْلَفَة**[١]، ذات الرقم ٧٤)، وتقع على ارتفاع ٥٠٠ قَدَمٍ تقريبًا فوق الوادي، وبارتفاع ٥٣٠٠ قَدَمٍ فوق مستوى البحر. وقد قادنا صعودٌ آخَرُ حادٌّ على السَّفح إلى العمود ذي الرقم ٧٥، في (**خَزْنَة الهَيْجَة**)[٢]، وذٰلك على حافَّة شَلَّالٍ جافٍّ كان يَنْصَبُّ على جُرفٍ صخريٍّ هائلٍ[٣] ارتفاعه خمسون قَدَمًا. وصِرنا هنا على ارتفاع ٥٧٠٠ قَدَمٍ تقريبًا فوق مستوى البحر، واستمرَّ بنا الصعود إلى ٣٠٠ قَدَمٍ أخرى للوصول إلى نُصْبٍ صغيرٍ (برقم ٧٦)، [في مكان] يُسمَّى (**ذِراع امْسَيَال**)[٤]، على طريقٍ جيِّدٍ جِدًّا بين قُرَى **الخَوْلِيِّين** على

---

[١] Razmat al Makhlafa. وقد ذُكِرتْ في (العبيكان، م.ن) باسم: «**رزمة أمخالفة**»!

[٢] Khaznat al Haija. وفي (العبيكان، م.ن): «**خزانات الهيجة**».

[٣] dropping in a sheer rock precipice. وتُرجم هٰذا في (العبيكان، م.ن): «**يسقط من نتوء صخري**»!

[٤] Idhra al Saiyal. كأنَّه يقصد «**ذِراع امْسَيَال/ السَّيَال**». إلَّا أنَّهم عادةً ينطقون «**ذِراع**»: «**اذراع**». والذِّراع، كما تقدَّم: الضِّلْع الناتئ المستطيل في جانب الجَبَل، مُطِلًّا على أكثر من جهة. وحسب تعبير (**فِلْبي**) فإن النُّصْب نفسه يُدعَى: **ذِراع السَّيَال!** وواضحٌ أنَّ المكان الذي هو فيه هو المُسمَّى بذٰلك الاسم.

يسارنا وبلاد **(آل زَيدان)** الواسعة في **(شَهْدَان)**. وباستمرار صعودنا- وإنْ على طريقٍ أصبحتْ أسهلَ مَسلكًا نِسبيًّا- وصلنا إلى الموضع الرئيس من **نَيْد الخَرَمة**، وهو شِعْب يُمَثِّل المدخل من جهة مرتفعات **(بني مالك)** إلى منطقة سُفوح الجبال وإلى وادي **(ضَمَد)**. وكان العمود الحُدوديُّ هناك ينتصِب على جانب الطريق، على ارتفاع ٦٣٠٠ قَدَمٍ فوق مستوى البحر، وذٰلك تحت ظِلِّ كَتفٍ هائلةٍ من صخرةٍ عظيمةٍ، تقع على جانبه الشَّرقي. وهٰذا هو العمود الحُدوديُّ[١] (ذو الرقم ٧٧)، الذي لعلَّه يُمَثِّل نقطةً مناسِبةً لإنهاء هٰذا الفصل. وفي الفصل التالي سأنهض برواية القِصَّة الحُدوديَّة في بطون التهائم.



---

[١] من عجيب ترجمة (العبيكان، ٢: ١٠١١) أن تقرأ هنا: «**وكانت هٰذه الصخرة هي موقع العمود الحدودي**»! وكأنَّ المؤلِّف كان منشغلًا بالصخرة نفسها، مع أنَّه لم يَذكُر الصخرة في هٰذه الجملة، بل ذَكَرَ العمود الحُدودي.

تعليقات

(*١) **(خَوْلان)** ثلاثة، يقع الخلط بينها قديمًا وحديثًا، هي: **(خَوْلانان كَهْلانيَّان)**، و**(خَوْلان حِمْيَر)**. ذٰلك أنَّه كان **(لسَبَأ بن يَشْجُب)** ابنان: **(كَهْلان)**، و**(حِمْيَر)**، وفي نسل كلٍّ منهما رجلٌ أو أكثر اسمه **خَوْلان**، الأوَّل هو: **(خَوْلان بن عمرو بن مالك بن الحارث بن مُرَّة بن أُدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عريب بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب)**، والثاني: **(خَوْلان بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة بن مالك بن عمرو بن مُرَّة بن زيد بن مالك بن حِمْيَر بن سَبَأ بن يَشْجُب)**، والثالث: **(خولان بن عمرو بن سعد العشيرة بن مذحج (وهو مالك) بن أُدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عريب بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب)**. قبائل خَوْلان الأوَّل تلقَّب بـ**(خَوْلان العالية)**، أو **(الطِّيال)**، قيل إنَّ ذاك لجبالها العالية. منازلها شَرقيّ **(صنعاء)** إلى قُرب **(مأرب)**، والثانية هي **(خَوْلان قُضاعة)**، وتُسمَّى **(خَوْلان الأجدود)**. منازلها ما بين **(صَعْدة)** إلى **(فَيْفاء)** و**(بني مالك)** وما جاورهما في الجبال والتهائم. وهي التي ينتسب إليها أهالي **فَيْفاء وبنو مالك**، ومن أشهر فروعها في الجانب اليَمَنيِّ: **(بنو**

جُماعة، وصُحار، ورازح، وبنو خَوْلـِي، والمهرة)، وغيرهم.[1]

[1] هٰذا ما يذهب إليه علماء الأنساب. على حين يُشكِّك بعض الباحثين، كـ(علي، جواد، **المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ٢: ٤٠٠– ٤٠٤) في ذٰلك، مُومِئين إلى أنَّ **(خَوْلان قُضاعة)** و**(خَوْلان العالية)** ينتميان إلى «**خولانٍ**» واحد. لكن أين يذهبون بسَلاسل النَّسَب المشار إليها أعلاه، الدالَّة على أنَّ **خَوْلان قُضاعة** و**خَوْلان العالية** ينتميان إلى خَوْلانَين اثنَين، لا واحد، وإنْ جمعهما النَّسَبُ من بَعد؟! وممَّن ينسبون **خَوْلان العالية** إلى «**كهلان بن سَبَأ**»، لا إلى «**حِمْيَر بن سَبَأ**»، (الهمداني، **الإكليل**، ١: ١٩٨، ١٠: ٢٧– ٢٨). ولذٰلك نجده يسوق نَسَبهم في الجزء العاشر من إكليله في نَسَب (**كهلان بن سَبَأ**)، لا في الجزء الأوَّل في نَسَب (**حِمْيَر بن سَبَأ**). بل لقد جلَّى (١: ١٩٨) رأيه ورأي غيره في المسألة، فقال– بعد ذِكْر بني (**خَوْلان بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة... بن حِمْيَر بن سَبَأ**»–: «**هٰذا قول (الهمداني). وغيرُه من النُّسَّاب يقول:...**». وساق قول غيره من النُّسَّاب، في أنَّ **خَوْلان العالية** من **خَوْلان حِمْيَر**. ثمَّ أردفَ بقوله: «**قال الهمداني: خَوْلان العالية من ولد خَوْلان بن عمرو بن مالك... بن كهلان بن سَبَأ**». ثمَّ عقَّب بقوله: «**وهٰذا خلاف ما عليه خَوْلان العالية؛ فهُم من أوَّل الدَّهر إلى آخره ينتسبون إلى حِمْيَر، ولا ينكرون أخوتهم من خَوْلان بن عمرو بن الحاف بحقل صَعْدَة ونواحيه**». ومن هنا يتَّضح موقف (**الهمداني**) من دعوَى أنَّ **خَوْلان العالية** من **خَوْلان حِمْيَر**. أمَّا ما عليه القوم من اعتقاد، فليس صحيحًا بالضَّرورة عند التحقيق. و**الهمداني** إنَّما أراد التنبيه إلى هٰذا، فأشار إليه بعد أن صدَّر القول بما استقرَّ لديه في نَسبهم. ولذٰلك كان أيضًا يميِّزهم بأنَّهم «**خَوْلان أُدَد**»، (انظر: **الإكليل**: ٨: ١١)، نِسبةً إلى جَدِّهم «**أُدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عريب بن زيد بن كَهْلان**». وهٰكذا فهو يُورِد مختلف الروايات، غير مستبدٍّ برأيه. ولذٰلك سيأتي بتفصيل رواية مَن زعموا أنَّ **خَوْلان العالية** مِن وَلَدِ (**خَوْلان بن عمرو بن الحاف**) في موضعٍ لاحقٍ من الجزء الأوَّل من كتابه. (انظر: ١: ٢٩٩). وهٰذا ما قد يَظهر للقارئ فيه التناقـضُ، ما لم يَستقرئ الكتابَ بكلِّيَّته. ذٰلك أنَّ الكتاب– فوق اهتمامه بالنقل عن الرواة على اختلافهم– يفتقر منهاجيًّا إلى جودة التأليف، شأن التأليف في تلك ←

وعلى الرغم من الاضطراب الشديد في سِلسلة الأنساب- كما تجلَّى في كتاب «**الإكليل**»، المنسوب إلى (**الهمداني**)، حين محاولته تحديد أنساب (**خَوْلان**)، مع أنَّ المؤلِّف كان يستقي المعلومات مباشرةً من أهلها، ويستند إلى سِجِلِّ نَسب **خَوْلان** في (**صَعْدة**)، ومن ورثة ذٰلك السِّجلِّ- فإنَّه يمكن الاطمئنان من ذٰلك كلِّه، وإنْ بعض الاطمئنان، إلى النقاط الآتية:

أ. يعود نَسب الإخوة الثلاثة في (**فَيْفاء**) و(**بني مالك**)، (**عُبَيْد بن أحمد، وعَطاء بن أحمد، ومالك بن أحمد**)، إلى أبٍ أو جدٍّ اسمه (**زنامة**). يدلُّ

العصور. فضلًا عن أنَّ الكتاب الذي بين أيدينا ليس من وضع **الهمداني** نفسه، وإنَّما هو من رواية (**محمَّد بن نشوان الحِمْيَري**، القرن ٦-٧هـ). وقد ألمَحَ إلى انتساب **خَوْلان العالية** إلى (**كَهلان**) في كتابه الآخر (**صِفَة جزيرة العَرَب**، ٢٣٥)، قارنًا إيَّاهم بأبناء عمِّهم (**آل ذي جُرَة بن يكلى بن عمرو بن مالك بن الحارث بن مُرَّة بن أُدَد**). وعودًا إلى ما أشار إليه صاحب «**المفصَّل**»، فقد ألمَحَ إلى أنَّ قبيلة (**خَوْلان**) كانت معاصرةً لقبيلة (**سَبَأ**)، نحو الألف قبل الميلاد، وربما كانت أقدم من **سَبَأ**، وليست مِن نسل (**سَبَأ بن يشجب**)، كما جاء في الأنساب؛ مستنِدًا في ذٰلك إلى ما عُثِر عليه في بعض الكتابات الجنوبيَّة من إشارات إلى معاصرة (**خَوْلان**) لـ(**سَبَأ**) و(**مَعين**). وما ذهب إليه يُغفِل أنَّ في تاريخ (**اليَمَن**) غير (**خَوْلان الحِمْيَريَّة**) و(**خَوْلان الكهلانيَّة**)، وأن اسم «**خَوْلان**» متوارثٌ متداولٌ في **اليَمَن**. فلا بُدَّ أنَّ **خَوْلان** المذكورِين في تلك الكتابات قبيلةٌ أقدم من **خَوْلانَي حِمْيَر وكهلان**. ولقد أشار (الهمداني، **الإكليل**، ١: ١٤٧)، مثلًا، إلى (**خَوْلان رداع**)، ذاكرًا أنَّه (**ابن قحطان بن هُوْد**)؛ فهو أخٌ مباشرٌ لـ(**يعرب بن قحطان**)، جَدِّ **سَبَأ**.

على هٰذا أَنَّنا نجد تكنية أهل **فَيْفاء**، إلى وقتٍ ليس بالبعيد، بـ«**بني زنامة**». وهو ما وَرَدَ في وثائق قَبَلِيَّة تمثِّل معاهداتٍ للأمان بين السَّادة (**آل يحيَى بن يحيَى**) في (**قَطَابِر**) وأهل (**فَيْفاء**)، كان يُشار في بعضها إلى أهل **فَيْفاء** بعبارة: «**بني زنامة بفَيْفاء**». وتعود إحدى تلك الوثائق إلى سنة ٨٩٩هـ= ١٤٩٣م. واستقراء النصوص يدلُّ على أنَّ «**بني زنامة**» كنيةٌ تشمل: (**آل الصَّلْت**)، و(**آل الحُجْر**)، و(**آل عُبَيْد**)، و(**آل شراحيل**)؛ فهٰؤلاء يمثِّلون- حسب تلك المكاتبات- «**الكافَّة من بني زنامة**»، الذين من رجالاتهم كان يُعَيَّن «**القُبَلاء**»، أي الضُّمَناء لتطبيق المعاهدات.[١] وأولٰئك المندرجون في **بني زنامة** هم أهالي **فَيْفاء** كافَّة إلى اليوم. ونقف على استعمال تلك التكنية في تواريخ أقدم، خلال القرن الثامن والسابع من الهجرة.[٢] ولا غرو، فقد جاء في كتاب «**الإكليل**، ١: ٣٠٥» قول مؤلِّفه: «**سألت ابن أبي الجعد عن الأزنوم من خَوْلان، فقال، بنو زنامة**

---

[١] منها صُوَرٌ لدى الباحث، أصولها لدَى (**آل القَطابِري**)، سادة (**قَطابِر**) في (**اليَمَن**)، من ضِمن ما يحتفظون به عادةً من مكاتباتٍ قَبَلِيَّة.

[٢] انظر: ابن الجلال، صلاح، **مشجَّر أنساب أهل البيت**، (مخطوط)، [غير مرقَّم]، خلال حديثه عن الأمير (**مجدالدِّين بن محمَّد بن أحمد بن يحيَى بن يحيَى**، -٦٠٧/ ٦٠٨هـ= ١٢١٠/ ١٢١١م)، وذُرِّيَّته. مشيرًا إلى أنَّ بعض أُمَّهاتهم (**زناميَّات**) فَيْفيَّات، وأنَّ «**محالِّهم في جبل (فَيْفاء) بين بني زنامة**»، منهم مَن يُفهَم أنَّ أُمَّه (**مَدَريَّة**)، ومَن يُفهَم أنَّها (**دَفْريَّة**)، ومَن صَرَّحَ بأنَّها (**عُمَريَّة**)، من (آل عُمَر)، وورد مصحَّفًا: «**آل عمرو**». ما يؤكِّد أنَّ كُنية (**بني زنامة**) كانت شاملةً لأهالي **فَيْفاء**، على اختلاف قبائلهم ومحالِّهم.

مِن وَلَدِ هانئ... وإنَّما بيَّنَّا الصِّحَّة في زنامة... لأن بعض النُّسَّاب يقول: هم كُبْرٌ من أولاد خَوْلان لصُلبه. والمعوَّل عليه ما ذكرنا أَوَّلًا. وهٰذه بطون ترجع إلى تلك. وسألتُ ابن أبي الجعد عن حِفظه لنسب ولد هانئ؛ إذ كانوا بني أبيه، فقال: أولَدَ هانئُ بن خَوْلان: هلالًا، وزنامة، وبرقيشًا، وعَمْرًا، وحُفاشًا.» وهٰذا يعني أنَّ نَسب **فَيْفاء** يتَّصل بعد **(أحمد)** بـ: **(زنامة بن هانئ بن خَوْلان)**. أمَّا ما بين **أحمد** و**زنامة** من الأسماء، فمخاضٌ لا يثبت، ولا يُساق إلَّا بضروبٍ من المجازفات العِلْميَّة.[1]

ب. ساق صاحب (**الإكليل**، ١: ٣٠١)، ممَّا يهمُّنا في بيان صِلات القبائل الخَوْلانيَّة، قوله أيضًا: «**عن (آل أبان) قالوا: أولدَ خَوْلانُ (حيَّ بن خَوْلان)، وإليه اللِّوَى[2]، وهو الأكبر، و(سعدَ بن خَوْلان)، وهو الذي تملَّك بـ(صرواح)، و(رشوانَ بن خَوْلان)، وهو صاحب (العرة[3])، و(هانئَ بن خَوْلان)،**

[1] هناك اجتهاداتٌ في رسم سِلسلات للأنساب، وهَوَسٌ بمشجَّرات، تُخطئ وتُصيب، لا نخوض فيها هاهنا؛ لأنَّ موثوقيَّتها العِلْميَّة لا تخلو من نظر. وحسبنا من ذٰلك الإشارة إلى مردِّ النَّسب الخَوْلانيِّ إجمالًا، دون تكلُّف المزاعم في تفاصيله البعيدة؛ فمَن تكلَّف التفاصيلَ في هٰذا المضمار، فقد كذبَ وإنْ صدقَ.

[2] كذا، والصواب «**اللواء**». أي أنَّه المرجع النَّسَبي الأكبر.

[3] كذا! وقال المحقِّق: «**لم أقف على توضيح لهٰذه النسبة**». ولعلَّ الكلمة مصحَّفة ←

وهو صاحب المُتْهِمِين[1]**، و(رازِحَ بن خَوْلان) وهو صاحب (دَفَا)، و(الأزمعَ بن خَوْلان)، و(صُحارَ بن خَوْلان)، وهو الأصغر.»**

ج. هٰذا ما يمكن تسجيله على وجه الرُّجحان، وما عداه لا نَجِد عليه مستنَدًا موثوقًا عِلْميًّا، فلا نركن إليه.

(*٢) هٰكذا أورد الاسم: «**جيزان** Jizan»، كما سَمِعَه من أفواه الناس. وكذٰلك يفعل (ثَـسِيجَر، ٩٤). أمَّا الاسم العربي القديم، فـ«**جازان**». (انظر مثلًا: القرشي، **الخَـراج**، ١١٥)، حيث يذكر «**أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله، إنِّي أُحبُّ الجهاد والهجرة، وأنا في مالٍ لا يُصلِحه غيري، قال: فقال رسول الله ﷺ: لا يَأْلِتُكَ اللهُ من عملك شيئًا، ولو كنتَ بـ(ضَمَد) وجازان.**» وكذا أثبتَ الاسمَ (الهمداني، **صِفَة جزيرة العَرَب**، ٦٨، وغيرها)، ثمَّ (الحموي، **معجم البلدان**، ٢: ٧ (جازان)). وقد ساق (**فِلْبِي**) تعليلًا طريفًا لاسم **جازان**، نَسبَه إلى بعض المثقَّفين في **جازان**، يذهب إلى أنَّ أصل الاسم: «**جاء زان**»، أي

عن (**العُـرِّ**)، أي (**جَبَل العُـرِّ**)، في (**بني مُنَـبِّه**)؛ فهم نَسْل (**رشوان بن خَوْلان**). أمَّا (**العُرَّة**)، فاسم مكان في جَبَل (**آل أبي الحَكَم**) في (**فَيْفاء**).

[1] قال المحقِّق: «**لم أقف على توضيح لهٰذه النسبة**». وكأنَّه يقصد «**المُتْهِمِين**»، أي المتَّجهين إلى سُكنَى (**تِهامة**) من بني (**هانئ بن خَوْلان**).

«**جاء ثمَّ زانَ**»، بمعنى أنَّ باني المدينة بطلٌ تاريخيٌّ جاء فبناها وزانها. وقد سفَّهَ **فِلْبِي ذٰلك** بتفسيره الاسم بأنَّه: (**قِيْزان**)، جمع (**قَوْز**)، وهو التَّلُّ الرملي، وهناك عددٌ من القِيْزان، منها (**قَوْز المنجارة**)، مثلًا، وقُلِبتْ قافه جيمًا، كما يحدث في اللهجات العربيَّة. وقد عرضَ تفسيره هٰذا على الأمير وعلى غيره، كما قال، إلَّا أنَّه غير متأكِّدٍ نهائيًّا من اقتناعهم به. (انظر: Philby, 478). وهو يذهب إلى هٰذا بناء على أنَّ الاسم **جيزان**، لٰكنَّه ليس كذٰلك، بل هو: **جازان**.

(*٣) يُعدُّ (**العَيْدابي**) اليوم محافظة. تتْبعها مراكز، كـ(**عَيْبان**)، و(**مَنْجِد**)، و(**هَرُوْب**)، و(**الغريين**)، و(**بني الغازي/ بَلْغازي**). وتتْبعها نحوُ مئةٍ وأربعين قَرية. من جبال تلك المحافظة: (**مَصِيْدَة**)، و(**صُماد**)، و(**عَكْوَة مَصِيْدَة**)، و(**معتقة**). ومن أوديتها: (**الكدى**)، و(**العشبة**)، و(**قَصْي**)، و(**الجرفة**)، و(**لباط**)، و(**جَوْرَاء**)، و(**الشرحاء**)، و(**الغربة**).

(*٤) (**السَّيَال**): شجرٌ ترتفع فروعه على شكل مظلَّة. ترعاه (**المَعْز**) و(**الإبل**)، ويُتَّخَذ للوقود. ويصل ارتفاع **السَّيَالَة** قرابة ستة أمتار. أغصانها صغيرة الأوراق، وثمارها ملساء، على شكل

قرونٍ ملتوية. وجاء عنه في كتاب (أبي حنيفة، ٥٣): «**شجرٌ سَبْط الأَغصان عليه شوكٌ أَبيض أُصوله أَمثال ثَنايا العَذارَى.**»

ومضى (ابن منظور، (سيل)) في وصفه وذكر ما قيل فيه، قائلًا:

«قال (الأَعشَى):

باكَرَتْها الأَعْرابُ في سِنَةِ النَّوْ [م]

م فتَجْري خِلالَ شَوْكِ السَّيَالِ

يصف الخَمْر. (ابن سيده): و(السَّيَال)، بالفتح: شجرٌ له شوكٌ أَبيض وهو من (العِضاه)؛ قال (أبو حنيفة): قال (أبو زياد) السَّيَال ما طال من (السَّمُر)؛ وقال (أَبو عمرو): السَّيَال هو (الشُّبُه)، قال: وقال بعض الرُّواة: السَّيَال شَوْكٌ أَبيض طويل، إذا نُزِع خرجَ منه مثلُ اللَّبَن؛ قال (ذو الرُّمَّة) يصف الأَجمال:

ما هِجْنَ إِذْ بَكَّرْنَ بالأَجمالِ

مِثْلَ صَوَادِي النَّخْلِ والسَّيَالِ

واحدته سَيَالَةٌ.»

أَمَّا (**الطَّلْح**)، فهو- حسب (أبي حنيفة)-: «**أعظم (العِضَاه)، وأكثره ورَقًا، وأشدُّه خُضرةً، وله شوكٌ ضِخامٌ طوال، وشوكه من أَقلِّ الشوكِ أذًى، وليس لشوكته حرارةٌ في الرِّجل، وله بَرَمَة [أي زهرة] طيِّبة الرِّيح، وليس في العِضَاه أكثر صمغًا منه ولا أضخم، ولا ينبت الطَّلْح إلَّا بأرضٍ غليظةٍ شديدةٍ خصبة،**

واحدته طَلْحَة.» (ابن منظور، (طلح)). و(انظر: الأصمعي، **النبات**، ٢٣). ونَقَلَ (الأزهري، ٤: ٣٨٣): أنَّ **الطَّلْح** شجرةٌ حجازيَّة، ولها شوكٌ أحجن، وهي من أصلب **العِضَاه** عُودًا، وتُسمَّى أيضًا (**شجرة أُمِّ غَيلان**). ويتَّضح من هٰذا الاستقراء أنَّ (**السَّيَال**) نوعٌ من **الطَّلْح**، ولمَّا كان **السَّيال** هو الاسم المستعمل في المنطقة في مقابل كلمة Acacia، كان هو المقصود في إشارة (**فِلْبِي**).

(*٥) (**عَكْوَتان**) معروفتان بهٰذا الاسم منذ القِدَم. ذَكَرَهما، مثلًا، (**عُمارة بن عليٍّ بن زيدان الحَكَمي**)، المشهور بـ(**عُمارة اليَمَني**)، في القرن السادس الهجري (-٥٦٩هـ= ١١٧٤م)، وهو المولود في بُقْعَة (**الزرائب**) في جَبَل (**مَصِيْدَة**)، من جبال (**بني الغازي/ بَلْغازي**) المجاورة لجبال (**فَيْفاء**)؛ حيث قال: «(**العَكْوَتان**): **جَبَلان منيعان لا يطمح أحدٌ في حصارهما، وفيهما يقول راجز الحاجِّ:**

إذا رأيـتِ جَـبَلَي عكـادِ

والعَكْوَتَـيْنِ في مكانٍ بـادِ

فأبشري يا عينُ بالرُّقـادِ.»

على أنَّ (**العقيلي**) قد ترجَّح لديه أنَّ (**العَكْوَتَين**) المقصودتَين لدَى (**عُمارة**) هما ضِلعان يُسمَّيان بهٰذا الاسم أيضًا في الطَّرَف الجَنوبي الشَّرقي من جَبَل (**مَصِيْدَة**)، المُصاقِب لجَبَل (**حَرِيْص الحشر**). والضِّلعان وبلدة (**الزرايب**) من جَبَل **مَصِيْدَة**، من جبال (**بني الغازي**). (يُنظر: العقيلي، **التاريخ الأدبي لمنطقة جازان**، ١: ٨٧، ٩٠- ٩١). والعَكْوَة في العربيَّة: أَصلُ الذَّنَب، حيثُ عَرِيَ من الشَّعَر من مَغْرِز الذَّنَب، وعكَى (**الضَّبُّ**) بذَنَبِه: لَواه، و(**شاةٌ**) عَكْواء: بيضاء الذَّنَبِ وسائِرُها أَسْود، وقيل: **الشاة** التي ابْيَضَّ مؤَخَّرُها واسْودَّ سائرُها. وعُكْوة كلِّ شيءٍ: غِلَظُه ومُعْظَمُه. والعُكْوة: الحُجْزة الغَلِيظة. وعَكا بإزاره عَكْوًا: أَعْظَم حُجْزَتَه وغَلَّظها. والعاكي: الغَزَّال الذي يَبِيع العُكَى، جمع عُكْوة، وهي الغَزْل الذي يَخْرُج من المِغْزَل. ويقال: عَكا بإزارِه يَعْكُو عُكِيًّا، أَغْلَظَ مَعْقِدَه، وقيل: إذا شَدَّه قالِصًا عن بَطْنِه لئَلَّا يَسْتَرْخِيَ لِضِخَم بطنه؛ قال (**ابن مُقْبِل**):

... شُمٌّ مَخامِيصُ لا يَعْكُوْنَ بالأُزُرِ

والعَكْوَة والعُكْوَة، جميعًا: عَقَبٌ يُشَقُّ ثمَّ يُفتَل فَتْلَين كما يُفْتَلُ

المِخراق. وعَكَتِ المرأَة شَعْرَها إذا لم تُرْسِلْه. والعَكْوَة كذٰلك: النُّقرة في ذقن الصبي. (يُنظر: ابن منظور، (عكا)). ومِن خلال هٰذا الحقل الدِّلالي اشتُقَّ اسم «**عَكْوَة**»، لالتفاف فوَّهتها ذات المخلَّفات البركانيَّة.

(*٦) الذِّراع، في الفصحى: الضِّلْع من جَبَل. قال (ابن مُقْبِل، **ديوانه**، ٣١٧/ ٥):

أَمْسَتْ بأَذْرُعِ أَكْبادٍ فَحُمَّ لها رَكْبٌ بلِيْنَةَ، أو رَكْبٌ بِسَاوِيْنَا

قالتْ (**أُمُّ شريك بنت تميم بن أُبَيِّ بن مُقْبِل**) في تفسير شِعر أبيها: «**أيْ ضِلَع سوداء من جَبَل يقال له (أكباد).**» وقال غيرها: (**أذرع أكباد**): أقيرن صغارٌ من الجبال تُسمَّى «**الأذرع**». (يُنظر: البكري، **معجم ما استعجم**، ١٣١). وهناك مثلًا: (**أُذَيْرِعات**)، من روافد جَبَل (**طُوَيْق**)، على يمين الطريق إلى (**الحجاز**)؛ وفي (**عالية نجد**): (**ذُرَيع**)، تصغير ذِراع، جَبَلان متناوحان أحمران على شكل الذِّراعَين؛ لذٰلك يُثنَّى ذُرَيع أحيانًا فيُسمَّى «**الذِّراعَين**». (يُنظر: ابن خميس، **المجاز**، ٣٩، ١١٥). وجاء في (ابن منظور، (ذرع)) أيضًا، ممَّا له علاقة بهٰذا، قوله: «**الذِّراع: ... لـ(بني ثعلبة) من أَهل (اليَمَن) وناسٍ من (بني مالك بن سعد) من أَهل الرِّمال.**»

(*٧) ذكرَ الباحث (**حسن فرحان المالكي**) في تعليق على هٰذا أنَّ هناك خلافًا في (**مالك**) جدِّ (**بني مالك**)، أ هو أخو (**عُبَيْد**) أم أنَّ أخا **عُبيد** هو (**خالد بن أحمد**) جدُّ (**آل خالد**)؟ والناس يخلطون كثيرًا بين **خالد بن أحمد** و(**مالك بن أحمد**)، والذي يظهر أنَّ **مالكًا** قديم، ومن قرأ أنساب (**خَوْلان**) (**للهمداني**) يرجِّح أنَّ جدَّ **بني مالك** هو (**مالك بن عامر** [كذا!]) أو (**مالك بن زيد**)؛ لذِكْرِه فروع هاتَين القبيلتَين في مواضع قريبة من **بني مالك** اليوم، كـ(**دَفَا**)، و(**رازح**)، و(**الغَوْر**) (=**تِهامة**)، وقد يكون فرع (**آل كَثِيْر**) من (**بني مالك بن عامر**)؛ لذِكْر مَواطنه بالقُرب من **آل كَثِيْر** اليوم، **كدَفَا**، و(**قيوان**)، وقد يكون فرع (**آل المُغامر**) من (**بني مالك بن زيد**)؛ لذِكْر مَواطنه ناحية (**الحَرَّة**)، و(**آل غالب**)، و(**رازح**)، ولطول الزمان اختلط المالكان في قبيلةٍ واحدة، وكانت بين الفرعَين حروبٌ وأخبار.

وأرى أنَّ ما ذكره (**المالكيُّ**)- مستنِدًا إلى (**الهمداني**)، ولعلَّه يشير إلى كتابه «**الإكليل**»- غير مستبعَد بالكلِّيَّة، غير أنَّه لا يخلو في المقابل من نظرٍ، وذٰلك للأسباب الآتية:

أوَّلًا، لأن الاتِّكاء على استنتاجاتٍ ممَّا ساقه (**الهمداني**)، مع مصادَرة بعض مرويَّات الناس المتوارثة، هو أخذٌ باحتمال استنتاجيٍّ، وتركُ متواترٍ (غالبٍ) من الرواية عن أبناء المنطقة، وهم الأدرَى بأنسابهم، ممَّا ساقه مؤلِّفٌ غابر، في مرويَّاته وفي معرفته- بل في نِسبة «**الإكليل**» إليه- كلامٌ يعلمه أهل التحقيق.

ثانيًا، لم يكن النَّسَب لدَى أولٰئك القوم- ولا لدَى عامَّة (**العَرَب**)- بالأمر الهيِّن ليتداخل لديهم على تلك الصورة، بل هم يتوارثونه، حريصين على حِفظه كابرًا عن كابر، لارتباطه بحياتهم وأحلافهم وحروبهم، حتى لقد عبَّروا عن اهتمامهم ذٰلك بالنَّسب في طقوس الختان؛ إذ كان على الفتَى أن يعرف تسلسل نَسبه، من جهة أبيه وأُمِّه معًا.

ثالثًا، ذٰلك الاستنتاج يقتضي أنَّ (**آل خالد بن أحمد**) منفصلون عن (**بني مالك**) الحاليِّين، ويقتضي أنَّهم الفرع الوحيد من **بني مالك** المتَّصل نَسَبًا قريبًا بأهل (**فَيْفاء**). وعلى الانفصال والاتصال تحوم الأسئلة هنا والشكوك.

وعليه، فلئن لم ننفِ احتمال ما ذَكَر (**المالكيُّ**)، فإنَّ الأرجح

لدينا- حتى يرجُح غيره بمُرجِّح أقوى وأوثق- أنَّ (**مالكًا**) جدَّ (**بني مالك**) جَدٌّ متأخِّرٌ كثيرًا عمَّا ذهب **المالكيُّ** إليه، وهو أخو (**عُبَيْد**) و(**عَطاء**) في (**فَيْفاء**). وأمَّا ورود اسم «**مالك**» في الأنساب القديمة، فحدِّث ولا حرج! وكذا لا يبدو في الاستدلال بأنَّ ديار (**مالك بن عامر**) أو (**مالك بن زيد**) في مواضع قريبة من مَواطن **بني مالك** اليوم مرجِّحٌ يسوِّغ القفز بنَسب **بني مالك** إلى أحد المالِكَين القديمَين المذكورَين؛ لأن تلك هي ديار (**خَوْلان**) عمومًا، ومنذ كانوا، والفروع المتأخِّرة من **خَوْلان** متحدِّرة عن أجدادها القُدامَى الذين كانوا منبثِّين في تلك الديار، وهم يتوارثون أسماء أجدادهم وما ينفكُّون يكرِّرونها في أبنائهم. وديار القبائل بين مَدٍّ وجَزر؛ فمالِكيُّو اليوم المقيمون بمكانٍ ليسوا بالضرورة مالِكيِّي الأمس المنقول أنَّهم كانوا في المكان نفسه؛ ليقوم المكان قرينةً على أنَّ أولٰئك هم أنفسهم هٰؤلاء.

هٰذا، وقد بَلَغَ سُكَّان (**بني مالك**)، عام ١٤٣٠هـ= ٢٠٠٩م، مئة ألف نسمة أو يزيدون، حسب إفادة (**المالكي**)، مستنِدًا في تقديره إلى آخر إحصائيَّةٍ قبل نحو سبع سنوات، بلغ فيها السُّكانُ فوق

الثمانين ألفًا، على أنَّ ذٰلك يشمل الجاليات المستقرَّة، وهي قليلة.

(*٨) علَّق **(الأستاذ حسن فرحان المالكي)** على اسم «**رفاث**» بما يأتي:

> **«هٰذه من العجائب؛ فلهٰذا الموضع ثلاث لهجات، اثنتان مالكيَّةٌ والثالثة فَيْفِيَّة، وإنَّما قلتُ من العجائب لاختلاف لفظ المُحْدَثين من (بني مالك) الشباب في نطقهم عن كبارهم، فالمُحْدَثون ينطقون اسم الموضع: «ذَرَفَات»، ولا أراه إلَّا تخفيفًا، وأمَّا الكهول الذين أدركناهم فقد كانوا ينطقون اسم الموضع هٰكذا: «ضَرَفَات»- طريقة نطقهم الضاد طريقة تحتاج إلى شرح. وأمَّا أهل (فَيْفاء) فينطقون الاسم: «رَفَات»، وبعضهم ينطقه: «رَفَاث». وفي الموضع عَقَبَة مشهورة تفصِل بين وادي (الكُرْمَة) ووادي (جَوْرَاء)، عند (الداير)، انطلاقًا من (فَقْوَة حماحمة)، ومَن يتجاوزها نازلًا من (الجُوَّة) يرَى الداير. وضَرَفَات أشهر قديمًا، وذَرَفَات أشهر حديثًا، حتى إنَّ الكهول تَبِعوا الشباب في التخفيف. وبسبب الضَّاد وطريقةِ نطقِه المالكيَّةِ خفَّفه أهل فَيْفاء، ولو كان بالذال كما يظن بعض المحدَثين لما تجنَّبه أهل فَيْفاء.»**

وأقول: إنَّ الفروق بين لهجة **(فَيْفاء)** و**(بني مالك)** محدودة، توجد أمثالها أو أكثر منها بين لهجات **فَيْفاء** نفسها. وفي **فَيْفاء**

أسماء أماكن بالضَّاد كذٰلك، مثل (**الضَّحْي**)- وهما مكانان، أحدهما في جَبَل الحكميِّين- والآخر في جَبَل المشنويِّين- و(**نَيْد الضَّالِع**)، في جَبَل (**آل عَبْدِل**). وأمَّا نُطق الضَّاد المشار إليه، فهم ينطقونها في **بني مالك** و**فَيْفاء** في صوتٍ شبيه بالثاء المفخَّمة. ولذا قد ينطقون الثاء نفسها كنطقهم الضَّاد، كما في كلمة «**ثور**». ونُطق الذال ضادًا مخفَّفة ظاهرة مسموعة في **فَيْفاء** أيضًا؛ فهم قد ينطقون اسم «**امذراع**»، مثلًا، كـ«**امضراع**»، أو بالأحرى: «**امظراع**». لذٰلك أُرجِّح أنَّ الضَّاد في (**ضَرَفَات**) هي تفخيم للذال، وأن أصل الاسم (**ذَرَفَات**)، كما يُنطق الاسم الآن. وعلى الرغم من أنَّ تخفيف الضَّاد إلى ذال بعيد الاحتمال لعدم وجود نظائر له في لهجات تلك المنطقة، فإن لاسم **ضَرَفَات** في المقابل معنًى محتملًا؛ لأنَّ (**الضَّرِفُ**) من شجر الجبال، يُشْبِه (**الأَثْأَب**)، في عِظَمِه ووَرَقِه إلَّا أنَّ سُوْقَه غُبْرٌ مثلُ سُوْق (**التِّين**)، وله جَنًى أَبيضُ مدوَّرٌ مثل (**تِيْن الحَماط**) الصُّغار، مُرٌّ مُضَرِّسٌ، ويأْكله الناسُ والطَّير و(**القُرود**)، واحدته ضَرِفَةٌ. كلُّ ذٰلك عن (**أَبي حنيفة الدينَوري**)، فيما نقله عنه (ابن منظور، (ضرف)). وفي

(الأزهري، (ضرف)): «(**ثعلب**) **عن** (**ابن الأعرابي**): **الضَّرِفُ: شجر التِّين، ويقال لثمره «البَلَس»؛ الواحدة: ضَرِفَة. قلتُ: وهٰذا غريب.**» فمِن المحتمل أنَّ **ضَرَفَات** أصلها: «**ضَرِفَات**»، جمع قِلَّة لـ«**ضَرِفَة**»؛ إذ لعلَّها كانت في المكان بعض أشجار **الضَّرِف**، فسُمِّي بها.

(*٩) لقد ظلَّ (**فِلْبِي**)، فترةَ زيارته القصيرة لجبال (**فَيْفاء**)، طَوال الوقت في قِمَّة (**العَبْسِيَة**)، يحوم حول المكان، مستخدمًا أجهزته تارةً، ومسائلًا مرشديه تارةً أخرى، الذين لم يكن من أبناء المنطقة منهم من أحد، حتى غادرَ نهائيًّا. فكان طبيعيًّا أن لا يعرف شيئًا عن المساجد هناك. وإلَّا فقد كانت المساجد موزَّعة في المناطق الاستراتيجيَّة من **فَيْفاء**، وكثيرٌ من المساجد المنشأة الآن إنَّما أُنشئتْ على أنقاض مساجد قديمة كانت قائمة إذ ذاك. حتى لقد جَرَتْ العادة أن تُعمِّر الأُسَر الكبيرة مسجدها الخاصَّ الصغير إلى جوار بيتها، وذٰلك كمسجد (مَرْوَح) الذي كان الوحيدَ الذي ذَكَرَه **فِلْبِي** والتقط له صورة؛ لأنَّه مَرَّ بفِنائه في مروره إلى دار شيخ الشَّمْل، في طريقه إلى (**بني مالك**). ولولا الإطالة هنا، لأمكنتْ الإشارةُ إلى أسماء

المساجد المشهورة وقتَ زيارة **فِلْبِي** وأماكنها. وقد ذَكَرَ (الفَيفاوي، عليٌّ بن قاسم، «**فَيْفاء**»، مجلَّة «المنهل»، عدد ربيع الأول ١٣٩٠هـ، ص٤١٦) أنَّ عدد المساجد في **فَيْفاء** عام ١٣٦٠هـ كان عشرين مسجدًا. ولعلَّه إنَّما يعني الجوامع الكبيرة، دون المساجد الصغيرة التي كانت تُبْتَنَى مجاورةً للبيوت. وهٰذا التأريخ هو بعد زيارة **فِلْبِي** بسنواتٍ ستٍّ فقط. وعدد الجوامع المشار إليه غير قليلٍ نِسبيًّا مقارنةً مع أحوال الناس إذ ذاك وعدد الأهالي. لا نسوق هٰذا دفاعًا عن **فَيْفاء**، بل إبانة للحقيقة التي تُنافي زعم **فِلْبِي**، وما رتَّبه عليه من استنتاجات ضِمنيَّة. نعم، لقد ألمح- صادقًا- إلى طبيعة العمران في **فَيْفاء**، وتناثر المنازل بين الجبال، ولو أنَّه قد أشار أيضًا إلى ضيق ذات اليد يومئذٍ عن العيش في **فَيْفاء**، ناهيك عن إمكانيَّة تعمير المساجد البارزة الكبيرة، أو غيرها، لكان أنصف.

(*١٠) وَرَدَ تعليقٌ غريبٌ لـ(**ابن جريس**) على كلام المؤلِّف، يقول فيه:

> **«فيلبي له رحلات كثيرة في الجزيرة العربية، وقوله: إن رحلته في بلاد فيفاء وما حولها من «أسوأ تجاربي في**

> **الجبال العربية**» [كذا: «**الجبال العربية**»**!** وكان مترجِمُ العبيكان قد ترجم العبارةَ هٰكذا!]، **ربما يعود إلى بعض الأسباب، منها:**
>
> **١- صعوبة أرض فيفاء، فالصعود إليها والنزول صعب جدًّا. وهٰذا مما جعل فيلبي يعاني في السير في هٰذه البلاد.**
>
> **٢- انغلاق أهل فيفاء وما حولها على أنفسهم، ربما كانت** [كذا!] **سببًا آخر حتى جعلت فيلبي يجد صعوبة شديدة في التعامل مع سكان تلك البلاد. (ابن جريس).**»

ولا ندري ما مناسبة إقحام هٰذا التعليق هاهنا عن جبال (**فَـيْفاء**)وأهل **فَـيْفاء؟!** وأين **فَـيْفاء** عن هٰذا الموضع الذي يتحدَّث عنه (**فِلْبِي**)؟**!** ألا يعلم كاتب التعليق: أين كان **فِلْبِي** حين كتبَ ما كتب؟ وأين بلاد **فَـيْفاء** عن هٰذه النقاط الحُدوديَّة مع (**اليَمَن**). لقد أنهَى **فِلْبِي** زيارته لجبال **فَيْفاء**، كما رأينا، في الفصل الأوَّل. وليس هٰذا المكان من بلاد **فَـيْفاء**، ولا حتى يصحُّ القول إنَّه «**حولها**»، إلَّا كما يمكن أن يُقال، على سبيل المثال: إنَّ الحديث عن جبال (**رازح**) و(**بني مُنَبِّه**)، في **اليَمَن**، هو عن بلاد **فَـيْفاء** وما حولها**!** على أنَّ **فِلْبِي**- حتى في

تلك البلاد التي كان فيها- إنَّما كان يصف تجربةً محدودةً في موقعه ذاك، لا عن رحلته في القطاع الجَبَلي كلِّه. فلماذا التعميم؟ وأمَّا ربط ذٰلك كذٰلك بتعليلٍ لا علاقة له بالموضوع، من الزعم بـ«**انغلاق أهل فَيْفاء، والصعوبة الشديدة في التعامل مع سُكَّان تلك البلاد**»، فلا يعدو الزجَّ بانطباعٍ شخصيٍّ عن أهل تلك البلاد. لا يستنِد على دليل، ولا على مقارنةٍ بالبلدان الأخرى، ولم يُعرِب عنه **فِلْبِي** قط. بل ربما أعرب عن نقيضه؛ فلقد قال عن أهل فَيـْفاء، مثلًا: «**كان أهل فَيْفاء محبِّين للاطِّلاع والتساؤل، مختلفين بذٰلك تمامًا عن أيِّ أُناس سواهم في شِبه الجزيرة العربيَّة.**» (Philby, 489). وقال كذٰلك على الصفحة نفسها: «**إنَّ تلك المدرَّجات لتُظهر بالتأكيد حُبَّ العمل لدَى أهل الجَبَل والمغامرة وإتقان الصَّنْعة، وذٰلك على عكس التراخي والكسل الظَّاهر على أهل وادي (بَيْش).**»



المصادر والمراجع

أولاً- بالعربيَّة

الأزهري، أبو منصور محمَّد بن أحمد (-٣٧٠هـ= ٩٨٠م).

(١٩٦٤- ١٩٧٥). **تهذيب اللغة**. تحقيق: عبدالسَّلام محمَّد هارون وآخَرين (مِصْر: الدار المِصْريَّة للتأليف والنشر).

الأصمعي، أبو سعيد عبدالمَلِك بن قريب (- ٢١٦هـ= ٨٣١م).

(١٩٧٢). **كتاب النبات**. تحقيق: عبدالله يوسف الغنيم (القاهرة: المدني).

الأعشى، ميمون بن قيس (-٦٢٩م).

(١٩٥٠). **ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس**. شرح: محمَّد محمَّد حسين (مِصْر: المطبعة النموذجيَّة).

الأنصاري، عبدالرحمٰن الطيِّب، وأحمد حسن غزال، وجفري كنج.

(١٩٨٤). **مواقع أثريَّة وصُوَر من حضارات العَرَب في المملكة العربيَّة السُّعوديَّة (العُلا (ديدان)- الحِجْر (مدائن صالح))**. (الرِّياض: جامعة المَلِك سعود).

بِدْول، روبن.

(١٩٨٩). **الرحَّالة الغَربيُّون في الجزيرة العربيَّة**. ترجمة: عبدالله آدم نصيف (الرِّياض: ؟).

البعلبكي، منير (-١٩٩٩).
(١٩٩٣). **المَورد** (قاموس إنكليزي - عربي). (بيروت: دار العِلْم للملايين).
البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسي (-٤٨٧هـ= ١٠٩٤م).
(١٩٨٣). **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**. **تحقيق**: مصطفى السقَّا (بيروت: عالم الكتب).
البهكلي، عبدالرحمٰن بن الحسن (-١٣٥٢هـ= ١٩٣٣م).
- (مخطوط). **خلاصة العسجد في دولة الشريف محمَّد بن أحمد**. (صورة في قسم المخطوطات، جامعة المَلِك سعود، رقم ٥٩٦/ ١، م.ص.).
- (مخطوط). **نزهة الظريف في دولة أولاد الشريف**. (**وهو ذيل على خلاصة العسجد**). (صورة في قسم المخطوطات، جامعة المَلِك سعود، رقم ٧٧٣٤ ف١٦٢٣/ ٣).
أبو تـمَّام، حبيب بن أوس الطائي (-٢٣١هـ= ٨٦٤م).
(١٩٧٦). **ديوان أبي تمَّام بشرح الخطيب التبريزي**. تحقيق: محمَّد عبده عَزَّام (القاهرة: دار المعارف).
ثَـسِيجَر، وَلْفرِد (-٢٠٠٥).
(شوال ١٤٠٨هـ= مايو ١٩٨٨م). «***رحلة في تِهامة وعسير وجبال الحجاز***». ترجمة وتحقيق وتعليق: أحمد بن عمر الزيلعي (مجلة «الدارة»، دارة المَلِك عبدالعزيز، الرياض، السُّعوديَّة، ع١، س١٤، ص ص٩٣-١٢٣).

الجرموزي، المطهَّر بن محمَّد (-١٠٧٧هـ= ١٦٦٧م).

- **الجوهرة المنيرة في جُمل من عيون السِّيرة**. تحقيق: أَمَة المَلِك إسماعيل قاسم الثور. (ضمن مخطوط رسالة دكتوراه للمحقِّقة، بعنوان «**بناء الدولة القاسميَّة في اليَمَن في عهد المؤيَّد محمَّد بن القاسم (٩٩٠- ١٠٥٤هـ = ١٥٨٢-١٩٤٤م)**»، التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة صنعاء، ١٤٢٥ هـ= ٢٠٠٤م).
- **تُحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكليَّة من غرائب الأخبار: سيرة الإمام المتوكّل على الله إسماعيل**. تحقيق: عبدالحكيم عبدالمجيد الهجري (مخطوط رسالة علميَّة، التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة صنعاء، ١٩٩٧).

جريدة «الرأي»، (الكويتيَّة).

(الخميس ١٩ أبريل ٢٠١٢). العدد ١١٩٨٠.

جريدة «المدينة»، (السُّعوديَّة).

(الأربعاء ١٦ جمادَى الأولى ١٤٢٤هـ). العدد ١٤٦٩٣.

ابن الجلال، صلاح بن محمَّد (١٠٨١هـ= ١٤٠٧م).

مشجَّر أنساب أهل البيت. (مخطوط، نُسخةٌ منه في مكتبة الأمبروزيانا، بميلانو، إيطاليا، برقم 68G).

الجوهري، إسماعيل بن حمَّاد (-٣٩٣هـ= ١٠٠٣م).

(١٩٨٤). **الصِّحاح: (تاج اللغة وصِحاح العربيَّة)**. تحقيق: أحمد عبدالغفور عطَّار (بيروت: دار العِلْم للملايين).

الحَجْري اليماني، محمَّد بن أحمد (-١٣٦٠هـ= ١٩٨٠م).

(١٩٩٦). **مجموع بلدان اليَمَن وقبائلها**. تحقيق: إسماعيل بن عليّ الأكوع (صنعاء: دار الحِكمة اليمانيَّة).

ابن الحسين، يحيَى (١١٠٠هـ= ١٦٨٩م).

- (٢٠٠٨). **بهجة الزمن في تاريخ اليَمَن**. تحقيق: أَمَة الغفور عبدالرحمٰن الأمير (ضمن كتاب المحقِّقة، بعنوان «**الأوضاع السياسيَّة في اليَمَن في النِّصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي: ١٠٥٤- ١٠٩٩هـ= ١٦٤٤- ١٦٨٨م، مع تحقيق بهجة الزمن في تاريخ اليَمَن**». (صنعاء: مؤسَّسة الإمام زيد بن عليّ الثقافيَّة).
- (١٩٦٨). **غاية الأماني في أخبار القُطر اليماني**، المسمَّى: عقيلة الدِّمن المختصر من أنباء الزمن في أخيار اليَمَن. تحقيق: سعيد عبدالفتاح عاشور (القاهرة: دار الكاتب العربي).

حمَّاد، خيري.

(١٩٦١). **عبدالله فيلبي قطعة من تاريخ العَرَب الحديث**. (بيروت: المكتب التجاري).

الحموي، ياقوت (-٦٢٦هـ= ١٢٢٩م).

(١٩٦٥). **كتاب معجم البلدان**. (طهران: مكتبة الأسدي).

أبو حنيفة، أحمد بن داوُد الدينَوري (٢٨٢هـ= ٨٩٥م).

(١٩٧٤). **كتاب النبات** (الجزء الثالث، والنصف الأوَّل من الجزء الخامس). حقَّقه وشرحه وقدَّم له: برنهارد لفين (فيسبادن- ألمانيا: فرانز شتاينر).

ابن خلدون (-٨٠٨هـ= ١٤٠٦م).

(١٣٠٩هـ). **مختصر التاريخ: المنقول من كتاب العِـبَر**. (لندن: كِلْبرت ورِوِنكتُن).

ابن خلِّكان، أبو العبَّاس شمس الدِّين أحمد بن محمَّد بن أبي بكر (٦٨١هـ= ١٢٨٢م).

(١٩٦٨). **وفيَّات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. تحقيق: إحسان عبَّاس (بيروت: دار صادر).

ابن خميس، عبدالله (١٤٣٢هـ= ٢٠١١ م).

(١٩٧٠). **المجاز بين اليمامة والحجاز**. (الرِّياض: دار اليمامة).

رنتز G. Rentz.

(د.ت). **جيزان (دائرة المعارف الإسلاميَّة)**. إعداد وتحرير: إبراهيم زكي خورشيد، وآخَرَين (القاهرة: دار الشعب).

الريحاني، أمين (-١٩٤٠).

(١٩٨٧). **ملوك العَرَب**. (بيروت: دار الجيل).

الزبيدي، محمَّد مرتضى (-١٢٠٥هـ= ١٧٩٠م).

(٢٠٠٠). **تاج العروس من جواهر القاموس**. تحقيق: عبدالستَّار أحمد فرَّاج، وآخَرِين (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب).

الزركلي، خير الدِّين (-١٣٩٦هـ= ١٩٧٦م).

(تشرين الثاني- نوفمبر ١٩٨٤). **الأعلام**. (بيروت: دار العِلْم للملايين).

الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (-٥٣٨هـ= ١١٤٤م).
(١٩٨٢). **أساس البلاغة**. تحقيق: الأستاذ عبد الرحيم محمود (بيروت: دار المعرفة).
السكَّري، أبو سعيد (-٢٧٥هـ= ٨٨٨م).
(١٩٦٥). **شرح أشعار الهُذليِّين**. تحقيق: عبدالستار أحمد فرَّاج، مراجعة: محمود محمَّد شاكر (القاهرة: دار العروبة).
شرف الدِّين، أحمد حسين.
(١٩٦٤). **اليَمَن عَبْر التاريخ: من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى القرن العشرين (دراسة جغرافيَّة، تاريخيَّة، سياسيَّة شاملة)**. (القاهرة: مطبعة السنَّة المحمَّديَّة).
الشَّرفي، أحمد بن محمَّد بن صلاح (-١٠٥٥هـ= ١٦٤٥م).
اللآلئ المضيَّة في أخبار أئمَّة الزيديَّة ومقتصدي العِترة الزكيَّة ومَن عارضهم من سائر البَرِيَّة. (مخطوط، نسخةٌ منه في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء، رقم حِفظها: ٢١٣٥, ٢١٥٢).
الصاحب، إسماعيل بن عبَّاد (-٣٨٥هـ= ٩٩٥م).
(١٩٧٥). **المحيط في اللُّغة**. تحقيق: محمَّد حسن آل ياسين (بغداد: مطبعة المعارف).
ابن الطبيب، عَبْدَة (- نحو ٢٥هـ= ٦٤٥م).
(١٩٧١). **شِعر عَبْدَة بن الطبيب**. تحقيق: يحيَى الجبوري (بغداد: دار التربية).
ظاظا، حسن (-١٤٢٠هـ= ١٩٩٩م).
(١٩٩٠). **الساميُّون ولُغاتهم: تعريفٌ بالقرابات اللغويَّة والحضاريَّة عند العَرَب**. (دمشق: دار القلم- بيروت: الدار الشاميَّة).

ابن عبَّاد، الصاحب إسماعيل (-٣٨٥هـ= ٩٩٥م).

(١٩٧٥). **المحيط في اللغة**. تحقيق: محمَّد حسن آل ياسين (بغداد: مطبعة المعارف).

العَقيلي، محمَّد بن أحمد (-١٤٢٣هـ= ٢٠٠٢م).

- (١٩٩٠). **التاريخ الأدبي لمنطقة جازان**. (جازان: نادي جازان الأدبي).

- (١٩٨٢). **تاريخ المخلاف السُّليماني**. (الرِّياض: دار اليمامة).

- (١٩٧٩). **المعجم الجغرافي للبلاد السُّعوديَّة: مقاطعة جازان (المخلاف السُّليماني)**. (الرِّياض: دار اليمامة).

علي، جواد (-١٩٨٧).

(١٩٧٣). **المفصَّل في تاريخ العَرَب قبل الإسلام**. (بيروت: دار العِلْم للملايين).

فِلْبِي، هاري سانت جون بريدجر **Harry St. John Bridger Philby** (-٣٠ سبتمبر ١٩٦٠م).

(٢٠٠٥). **مرتفعات الجزيرة العربيَّة**. تعريب: حسن مصطفى حسن، تقديم ومراجعة وتعليق: غثيان بن عليّ بن جريس (الرِّياض: مكتبة العبيكان).

الفَيْفائي، عليّ بن قاسم.

- (جمادَى الآخرة ١٣٨٨هـ). «*فَـيْـفاء*». (مجلَّة «المنهل»، السُّعوديَّة، عدد جمادَى الآخرة ١٣٨٨هـ، ص ص٨٠٤- ٨٠٩).

- (جمادَى الآخرة ١٣٨٩هـ). «*فَـيْـفاء*». (مجلَّة «المنهل»، السُّعوديَّة، عدد جمادى الآخرة ١٣٨٨هـ، ص ص٨٤٧- ٨٤٨).

- (ربيع الأوَّل ١٣٩٠هـ). «*فَـيْفاء*». (مجلَّة «المنهل»، السُّعوديَّة، عدد ربيع الأوَّل ١٣٩٠هـ، ص ص٤١٦- ٤١٧).

الفَيْفي، عبدالله بن أحمد.

- (١٩٩٩). **شِعر ابن مُقْبِل: قَلَق الخَضْرَمة بين الجاهلي والإسلامي (دراسة تحليليَّة نقديَّة)**. (جازان: نادي جازان الأدبي).
- (المحرَّم- ربيع الأوَّل ١٤٣٣هـ= ديسمبر- فبراير ٢٠١٢م). «*لهجات فَيْفاء: جُذور العربيَّة*». («مجلَّة الدراسات اللغويَّة»، م١٤، ع١، (مركز المَلِك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، بالرِّياض)، ص ص٢٦٥- ٢٨٦).
- (٢٠١٤). **مفاتيح القصيدة الجاهليَّـة: نحو رؤية نقديَّـة جديدة عبر المكتشفات الحديثة في الآثار والميثولوجيا**. (إربد- الأردن: عالم الكتب الحديث).

القرآن الكريم.

القرشي، يحيَى بن آدم (-٢٠٣هـ= ٨١٨م).

(١٩٨٧). **كتاب الخراج**. تحقيق: حسين مؤنس (القاهرة/ بيروت: دار الشروق).

قشاش، أحمد سعيد.

(١٤٢٧هـ). **النبات في جبال السراة والحجاز (معجم لغويّ نباتيّ مصوَّر)**. (؟: السروات).

الكبسي، محمَّد بن إسماعيل (-١٣٠٨هـ= ١٨٩٠م).

(مخطوط). **اللطائف السَّنيَّة في أخبار الممالك اليَمَنيَّة**. (صورة في قسم المخطوطات، جامعة المَلِك سعود، الرقم العام ٢٢٤٢، رقم التصنيف ٣,٩٥٣/ ل.ك).

الكتاب المقدَّس، العهد القديم.

ابن المجاور (القرن السابع الهجري).

(١٩٩٦). **صِفَة بلاد اليَمَن ومكَّة وبعض الحجاز المسمَّاة: تاريخ المستبصر**. باعتناء: ممدوح حسن محمَّد (القاهرة: مكتبة الثقافة الدِّينيّة).

مجمع اللغة العربيَّة بمصر.

(٢٠٠٤). **المعجم الوسيط**. (القاهرة: مكتبة الشروق الدوليَّة).

مجموعة مؤلِّفين.

(١٩٩٩). **الموسوعة العربيَّة العالميَّة**. (الرِّياض: مؤسَّسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع- مؤسَّسة سلطان الخيريَّة).

ابن مُقْبِل، تميم بن أُبَيٍّ بن مُقْبِل العجلاني (- نحو ٧٠هـ= ٦٩٠م).

(١٩٦٢). **ديوان ابن مُقْبِل**. تحقيق: عِزَّة حسن (دمشق: مديريَّة إحياء التراث القديم).

المقحفي، إبراهيم أحمد.

(٢٠٠٢). **معجم البُلدان والقبائل اليَمَنيَّة**. (صنعاء: دار الكلمة- بيروت: المؤسَّسة الجامعيَّة للدراسات).

ابن منظور، محمَّد بن مكرم بن عليّ (-٧١١هـ= ١٣١١م).

(د.ت). **لسان العَرَب المحيط**. إعداد: يوسف خياط (بيروت: دار لسان العَرَب).

موسكاتي، سبتينو.

(١٩٨٦). **الحضارات الساميَّة القديمة**. ترجمه وزاد عليه: السيِّد يعقوب بكر، راجعه: محمَّد القصاص (بيروت: دار الرّقي).

الهمداني، الحسن بن أحمد (-٣٤٥هـ تقريبًا= ٩٥٦م).
- (٢٠٠٤). **الإكليل في أخبار اليَمَن وأنساب حِمْيَر**: الجزء الأوَّل في أخبار المبتدأ وأصول العَرَب والعَجَم ونَسَب ولد مالك بن حِمْيَر. تحقيق: محمَّد بن عليّ بن الحسين الأكوع الحَوالي (صنعاء: وزارة الثقافة والسياحة).
- (د.ت). **الإكليل**: الجزء الثامن. تحقيق: نبيه أمين فارس (بيروت: دار العودة- صنعاء: دار الكلمة).
- (١٩٨٧). **الإكليل في أخبار اليَمَن وأنساب حِمْيَر**: الكتاب العاشر في معارف همدان وأنسبائها وعيون أخبارها. تحقيق: محبّ الدِّين الخطيب (صنعاء: الدار اليَمَنيَّة).
- (١٩٧٤). **صفة جزيرة العَرَب**. تحقيق: محمَّد بن عليّ الأكوع الحَوالي (الرياض: دار اليمامة).

هيجل، غيورغ فيلهلم فريدريش (- ١٤ نوفمبر ١٨٣١).
(١٩٨٨). **المدخل إلى علم الجمال/ فكرة الجمال**. ترجمة: جورج طرابيشي (بيروت: دار الطليعة).

الوليعي، عبدالله بن ناصر.
(١٤٢٨هـ= ٢٠٠٧م). **الجيولوجيا والتضاريس [منطقة جازان]، موسوعة المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، م١١**. (الرِّياض: مكتبة المَلِك عبدالعزيز).

اليَمَني الحَكَمي، نجم الدِّين عُمارة (-٥٦٩هـ= ١١٧٤م).
- (١٣٠٩هـ). **تاريخ اليَمَن**. (مع كتاب: ابن خلدون، (١٣٠٩هـ)، مختصر التاريخ: المنقول من كتاب العِبَر). (لندن: كِلْبرت ورِونكتُن).
- (د.ت). **تاريخ اليَمَن المُسمَّى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها**. (صنعاء: المكتبة اليَمَنيَّة).

ثانيًا- بالإنجليزيَّة

Philby, H. ST. J. B. (-1960).
(1952). **Arabian Highlands**. (New York: Cornell University Press).

Monroe, Elizabeth.
(1998). **Philby of Arabia**. (London: Ithaca Press).

The Newbury House Dictionary of American English.
(2000). (USA: Monroe Allen).

ثالثًا- مواقع إلكترونيَّة

- موقع «**إرشيف الإنترنت**» العالمي:

https://archive.org/details/FaifaDialects

- موقع «**ظفار الاستكشاف**»: http://goo.gl/zXDj4v
- موقع «**قاعدة معلومات المَلِك خالد، (الإصدار الأَوَّل)، مؤسَّسة المَلِك خالد الخيريَّة**»: http://goo.gl/nYHVZD
- موقع «**getamap.net**»: http://goo.gl/Jb1LWY

كشاف

اتَّبعنا في ترتيب الكشَّاف الضوابط الآتية:

١- يشمل الكشَّافُ متنَ الكتاب وحواشيَه، عدا الإحالات المرجعيَّة.

٢- أُدرِجَ الاسم في مكانه من الترتيب الهجائي مجرَّدًا من السوابق في مستهلِّه: (ابن، بنت، ولد، بنو، آل، أبو، أُمّ، ذو، ذات، ألـ التعريف، أو إمـ التعريف)، ونحوها. ويُستثنى ما أصبح جزءًا من الاسم لا ينفصل.

٣- يُحتسَب الحرف المضعَّف (المشدَّد) حرفَين في الترتيب.

٤- لتسهيل البحث، جمعْنا كلَّ الموادِّ في كشَّافٍ موحَّد، خلاف ما درجَ عليه التقسيمُ لدَى كثيرٍ من واضعي الفهارس. ولكي يَستخلص مَن شاءَ قائمةً مستقلَّةً بالموادِّ تحت موضوعٍ واحدٍ، ألحقنا رموزًا إيضاحيَّةً بالمواد، حسب الآتي:

(ع): اسم فردٍ من الناس. — **(ن): نبات أو شجر ونحوهما.**

(ق): قبيلة أو قوم. — **(ف): فاكهة.**

(م): مكان. — **(ص): صنم أو معبود.**

(ح): حيوان. — **(ك): كِتاب أو بحث.**

(ط): طائر. — **(ش): عدا ما سبق من الأشياء.**

كشاف

ب

ت

ث

ج

ح

خ

د

ذ

ر

ز

س

ص

ظ

ع

غ

ف

ق

ك

ل

ن

هـ

و

ي

المترجِم

الأستاذ الدكتور عبدالله بن أحمد الفَـيْفي

- مواليد جبال (فَـيْـفاء): ١٩٦٣م.
- شاعرٌ وناقد. أستاذ النقد الحديث في جامعة المَلِك سعود بالرياض، عضو مجلس الشورى السعودي لاثنتي عشرة سنة، رَأَسَ لجنةَ الشؤون الثقافية والإعلامية في المجلس، وبعضَ وفود المجلس خارج السُّعوديَّة.
- حَصَلَ على الجائزة الدولية الأُولى في المسابقة الشِّعرية لمهرجان «الأقصى في خَطَر (الرابع عشر)»، ٢٠٠٩م، عن قصيدته «**مُهرة الشمس**».
- حاز جائزة نادي الرياض الأدبي المحكَّمة، لعام ٢٠٠٥، حول (الدراسات في الشِّعر السعودي)، عن كتابه: «**حداثة النصِّ الشِّعري في المملكة العربيَّة السُّعوديَّة**».

- مُنِح جائزة (الإبداع في الشِّعر والنَّقد، لعام ٢٠٠١)، لأفضل كتابٍ عربيٍّ في نقد الشِّعر، عن كتابه «**الصورة البَصَرية في شِعر العُميان: دراسة نقديَّة في الخيال والإبداع**»، مِن قِبَل مؤسَّسة يماني الثقافيَّة. وهي جائزةٌ عربيَّةٌ محكَّمة، مقرُّها القاهرة.
- البريد الإلكتروني: p.alfaify@gmail.com
- الموقع الشبكي: http://khayma.com/faify

كُتُبٌ أخرى للمترجِم

١- (٢٠١٥). **هِجرات الأساطير: من المأثورات الشعبيَّة في جبال فَيْفاء إلى كلكامش، أوديسيوس، سندريلا (مقاربات تطبيقيَّة في الأدب المقارن)**. (الرِّياض: كرسي الأدب السعودي- جامعة المَلِك سعود).

٢- (٢٠١٥). **متاهات أُوليس/ قيامة المتنبِّي**. (مجموعة شِعريَّة). (الدار البيضاء/ بيروت: المركز الثقافي العربي | النادي الأدبي بالرِّياض).

٣- (٢٠١٤). **طائر الثَّبَغْطِر**: (رواية). (بيروت: الدار العربيَّة للعلوم).

٤- (٢٠١٤). **فصول نقديَّة في الأدب السعودي الحديث**- جزءان. (الرِّياض: كرسي الأدب السعودي- جامعة المَلِك سعود).

٥- (٢٠١٤). **مفاتيح القصيدة الجاهليَّـة: نحو رؤية نقديَّـة جديدة عبر المكتشفات الحديثة في الآثار والميثولوجيا**. (إربد- الأردن: عالم الكتب الحديث).

- (٢٠٠١). (جُدَّة: النادي الأدبي الثقافي).

٦- (٢٠١٢). **فَـيْـفاء .. هَبَّـة الطُّفولة**: (مجموعة شِعريَّة). (بيروت: الدار العربيَّة للعلوم | نادي جازان الأدبي).

- (٢٠٠٥). (دمشق: اتحاد الكُتَّاب العَرَب).

٧- (٢٠١١). **شِعر النقَّاد: استقراءٌ وصفيٌّ للنموذج**. (إربد- الأردن: عالم الكتب الحديث).

- (١٩٩٨). (الرِّياض: كليَّة الآداب- جامعة المَلِك سعود).

٨- (٢٠٠٩). **ألقاب الشُّعراء: بحثٌ في الجذور النظريَّة لشِعر العَرَب ونقدهم**. (إربد- الأردن: عالم الكتب الحديث).

٩- (٢٠٠٧). **مرافئ الحُبِّ، للشاعر سلمان بن محمَّد الحَكَمي الفَيْـفي** (١٣٦٣- ١٤٢١هـ= ١٩٤٣- ٢٠٠٠م): (ديوانٌ شِعريٌّ قام بتحقيقه). (جازان: النادي الأدبي).

١٠- (٢٠٠٦). **نَقْدُ القِيَم: مقارباتٌ تخطيطيَّـةٌ لمنهاجٍ عِلْمِيٍّ جديد**. (بيروت: مؤسَّسة الانتشار العربي).

١١- (٢٠٠٥). **حداثة النصِّ الشِّعريِّ في المملكة العربيَّـة السُّعوديَّة: (قراءة نقديَّة في تحوُّلات المشهد الإبداعي)**. (الرِّياض: النادي الأدبي).

١٢- (١٩٩٩). **شِعر ابن مُقْبِل: (قلق الخَضْرَمة بين الجاهليِّ والإسلاميِّ: دراسة تحليليَّـة نقديَّة)**- جزءان. (جازان: النادي الأدبي).

١٣- (١٩٩٦). **الصُّورة البَصَريَّة في شِعر العُميان: دراسة نقديَّـة في الخيال والإبداع**. (الرِّياض: النادي الأدبي).

١٤- (١٩٩٠). **إذا ما اللَّيل أَغْرَقَـني**: (مجموعة شِعريَّة). (الرِّياض: دار الشريف).

Prof. Dr. Abdullah A. Alfaify is a full Professor in King Saud University, College of Arts, Department of Arabic Language and Literature, (Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia). He is also a member of Ash-Shura Council, in Saudi Arabia. He received his education in Saudi Arabia and the United States of America. He is a poet, critic, and academic researcher. He published three collections of poetry, authored, and published several books, studies, and articles.

On his web-site, (http://khayma.com/faify), there are different pages about his archives and activities. Also, you can visit his web-page:

http://faculty.ksu.edu.sa/dr.aalfaify/default.aspx

Books, Researches and Papers:

- The Keys of Pre-Islamic Poem, 2001; 2014.
- Faifa, (a poetic collection), 2005; 2012.
- The Critics' Poetry, 1996; 2011.
- The Poets' Titles (A Study in The Roots of Arabic Theory About Poetry and Criticism), 2009.
- Pre-Islamic poetry between Lyricism and objective Representation, 2007.
- The Criticism of Values: Preliminary Approaches to The Foundation of a New Method, 2006.

- The Poem-Novel: Genres Overlapping in The Rhetoric of The Modern Text: "The Belt" by Abi Dahman as a Model, 2006.
- A Reading in The Essential Structure of The Modern Arabic Criticism (The Book of Dr. Ahmed Dhaif, "An Introduction of The Study of Arabic Rhetoric": As a Model), 2006.
- The Modernism of The Poetic Text in Saudi Arabia, 2005.
- Ibn Mogbel Poetry: Between Pre-Islamic Era and Islamic Era, 1999.
- A Reading in The Structure of Contemplative Text (Geological Reading of "Hayy ibn Yagzan's Naba'": As a Model), 1999.
- The Visual Images of The Poetry of The Blind, 1996.
- When I Was Drowned By The Night, (a poetic collection), 1990.

In addition to other researches, critical studies and many articles in Arabic newspapers.

جبال فَيْفاء وبني مالك

أ.د/ عبدالله بن أحمد الفَـيْفي

تصويبات النسخة الورقيّة

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٥٩	٦	المولاة	الموالاة
١٨٤	٣	متفاوتةً الارتفاع	متفاوتةَ الارتفاع
٢١٣	١ من أسفل الحاشية	أرواق	أوراق
٢٥٥	٦	وتُشكِّل القِمَّةُ الأقصَى	وتُشكِّل القِمَّةُ القُصْوَى
٢٨٩	٢ من أسفل المتن	عَرَب	عَرَاب
٢٩٠	٣	عَرَب	عَرَاب
٣٠٦	١	عَرَب	عَرَاب
٤٢٨	١١	نزهة الظريف العسجد في دولة أولاد الشريف	نزهة الظريف في دولـة أولاد الشريف
٤٦٥	٨	عَرَب (م)	عَراب (م)
٤٩١	٧	two collections of poetry	three collections of poetry

يشمل هذا الكتابُ ترجمةَ فصلَين من كتاب «مرتفعات الجزيرة العربيَّة»، للرحَّالة (فِلْبِي). الأوَّل مُعَنْوَنٌ بـ«جبال تِهامة»، وفيه الحديث التفصيلي عن جبال (فَيْفاء) و(بني مالك)، والآخَر يتطرَّق إلى «حُدود المرتفعات»، معرِّجًا على النقاط الحُدوديَّة السُّعوديَّة اليَمَنيَّة.

وتأتي أهميَّة هٰذا العمل لجُملة أسباب، منها:

١. السعي إلى ترجمةٍ تتوخَّى الصِّحَّة والدِّقَّة، وتراعي السياقات المعرفيَّة والبيئيَّة للنصِّ المترجَم.

٢. دراسة أحوال المرتفعات الحُدوديَّة السُّعوديَّة اليَمَنيَّة في تلك الحقبة التاريخيَّة التي قام فيها (فِلْبِي) برحلته، عام ١٣٥٥هـ= ١٩٣٦م، مع التقصِّي التحقيقي لما تضمَّنه النصُّ من معلومات.

٣. تُعَدُّ زيارةُ (فِلْبِي) لتلك المرتفعات هي الأُولى، ولعلَّها الأخيرة، من نوعها. وهي لمنطقةٍ من أكثر المناطق في (الجزيرة العربيَّة) غموضًا ونُدْرَةَ معلومات.

٤. يرى المترجِمُ ضرورةَ أن يتولَّى أبناءُ البلدات– التي زارها الرحَّالةُ– ترجمةَ ما كتبوه عنها، وأن ذٰلك أفضل سبيلٍ إلى إنتاج ترجماتٍ عِلميَّة، ذات قيمة تاريخيَّة وثقافيَّة.

٥. تُمثِّل المادَّةُ التي تضمَّنتها هذه الترجمةُ الهدفَ الأساس من رحلة (فِلْبِي) عمومًا، وهو ترسيم الحُدود بين (السُّعوديَّة) و(اليَمَن)، وبتوجيهٍ من (المَلِك عبدالعزيز آل سُعود).

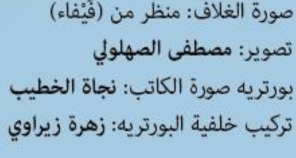


أ.د/ عبدالله بن أحمد الفَيْفي

p.alfaify@gmail.com

https://facebook.com/P.A.Alfaify

https://twitter.com/Prof_A_Alfaify



صورة الغلاف: منظر من (فَيْفاء)

تصوير: مصطفى الصهلولي

بورتريه صورة الكاتب: نجاة الخطيب

تركيب خلفية البورتريه: زهرة زيراوي



ISBN: 978-614-01-2142-3





جميع كتبنا متوفرة في موقع نيل وفرات.كوم www.neelwafurat.com - www.nwf.com